



جامعة وهران 2
كلية العلوم الاجتماعية

أطروحة

للحصول على شهادة دكتوراه علوم
في علم النفس

تخصص علم النفس العيادي (المدرسة الدكتورالية: دراسة الجماعات و المؤسسات)

تأثير الأنترنت و الوسائل السمعية البصرية على الهوية الثقافية للمراهق الجزائري

تقديم الطالبة: كلفاح آمال
تحت اشراف: أ.د. فسيان حسين

لجنة المناقشة

رئيسا	جامعة وهران 2	أستاذ	كحلولة مراد
مقرر	جامعة وهران 2	أستاذ	فسيان حسين
مناقشا	جامعة مستغانم	أستاذ	قماري محمد
مناقشا	جامعة وهران 2	أستاذ محاضر (أ)	بلعابد عبد القادر
مناقشا	جامعة سيدي بلعباس	أستاذة محاضرة (أ)	شيخ فتيحة
مناقشا	جامعة سيدي بلعباس	أستاذة محاضرة (أ)	عبد الرحيم ليندة

ملخص البحث:

نعيش اليوم عصر العولمة، الذي تغذيه الوسائل السمعية البصرية بشكل كبير، ذلك لما لها من قدرة على اختراق حدود اي بقعة في هذا العالم. لذلك كان البحث في حقل ما بين الثقافات امرا ملحا بالنسبة لنا.

حيث انشغلنا بمسألة الهوية الثقافية و مآلها تحت هذه الظروف، فكانت هذه الاخيرة متغيرنا التابع، الذي ربطناه بمتغير آخر افترضنا ان يكون له تأثير في هذه المسألة، الا و هو الوسائل السمعية البصرية.

لقد حددنا عينة الدراسة في فئة المراهقين التي اخضعناها للمنهج الكيفي، معتمدين على احدى ادواته و المتمثلة في اسلوب سرد قصة الحياة و تحليل مضمونها، حيث خلصت هذه الدراسة في النهاية الى بعض النتائج كان اهمها؛

ان للوسائل السمعية البصرية اثر واضح على الهوية الثقافية عند المراهقين، كونهم في دروة البحث عن الهوية الثقافية و البحث عن الهوية يقتضي البحث عن النماذج، لذلك فالمشكل المطروح في هذه النقطة متعلق بالتقمصات identification و التماهي مع النماذج الاجنبية التي تزدهر من خلال الوسائل السمعية البصرية، يحدث ذلك في غياب نماذج محلية جديرة بالاهتمام و مقبولة لدى هؤلاء المراهقين، مما يؤدي الى اختلاف واضح في النسيج الاجتماعي و الثقافي الجزائري. كما ان الثقافة الجزائرية ترى بشكل سلبي او لا ترى تماما من طرف هؤلاء المراهقين اللذين يعبرون عن تصوراتهم حولها من خلال مقارنتها بالثقافات الاخرى.

لكن تجدر الاشارة ان الوسائل السمعية البصرية ليست العامل الحصري المؤثر على الهوية الثقافية. كما ان تعلق الفرد الجزائري لاسيما فئة المراهقين منهم بالوسائل السمعية البصرية و المواد الأجنبية التي ثبتها على وجه الخصوص، قد تكون بحثا عن الهوية و تعبيرا عن المعاناة الثقافية التي يعيشها الفرد الجزائري، و الهشاشة التي اكتسبها من الفترة الطويلة للاستعمار.

الشكر:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، و الذي انعم علينا بهذا العمل.

لابد من توجيه الشكر و الامنتان لكل من ساهم من قريب او من بعيد في خروج هذه الرسالة الى العلن، بداية من الاستاذ حسين فسيان استاذي و نموذجي في الحياة العلمية، و المشرف على هذا العمل.

اتقدم بشكري الخاص الى الاستاذ كحلولة مراد صاحب مشروع المدرسة الدكتورالية الذي اعتبره سندا قويا في مشواري الجامعي، ومن ثم اتقدم بالشكر الى كل وفر لي ظروف العمل في الميدان السيد مغفور احمد، و الانسة عالية فغلوا و كل افراد العينة لصبرهم و تعاونهم معي.

كما اشكر اعضاء اللجنة التي سوف تناقش هذا العمل، وكل أساتذة جامعة وهران 2 التي تكونا فيها من بداية مشوارنا الدراسي الى ان وصلنا الى هذه المرحلة.

ومن ثم شكر خاص الى زوجي الذي يسر لي الكثير من الصعوبات و جعلني امضي قدما باهتمامه و تشجيعه المستمر.

الإهداء:

إلى رفيق الدرب "جمال" أهدي هذا العمل.
إلى والدتي الغالية التي لم تدخر جهداً في سبيل إيصالنا إلى أسمى المراتب.
إلى سبب وجودي في الحياة... والدي الحبيب لك كل التجلي والاحترام أبي.
إلى أبنائي نسرين، إبراهيم وحنين الذين أتمنى لهم حياة سعيدة و مشواراً علمياً مثمراً.
إلى اخوتي الأحبة و كل عزيز من عائلة كلفاح، بن عباد و أبوشمالة.

قائمة المحتويات:

أ	الملخص
ب	الشكر
ج	الاهداء
د	قائمة المحتويات
1	المقدمة

الجزء النظري

4	الفصل الاول: مدخل الى الدراسة
5	الاشكالية
11	دوافع اختيار الموضوع
12	اهمية البحث
13	أهداف البحث
14	صعوبات الدراسة
15	تحديد المفاهيم اجرائيا
16	الفصل الثاني: الهوية الثقافية
17	1- الثقافة
17	تمهيد
17	1.1- مفهوم الثقافة
20	4.1- الفرق بين الثقافة و الحضارة
21	5.1- انواع الثقافة
23	6.1- خصائص الثقافة
24	7.1- مكونات و الثقافة
25	8.1- وظائف الثقافة
26	خلاصة
27	2-الهوية
27	تمهيد
28	1.2- الهوية مفهوم متعدد المعاني
29	2.2- الهوية هي نسق من التصورات و التمثلات الذهنية
30	3.2- الهوية كمفهوم دينامي و عملية متواصلة
32	4.2- للهوية خاصية نفسية اجتماعية (الهوية و الاخر)
41	5.2- للهوية خاصية ايديولوجية و معرفية

42	6.2- الهوية و الشعور بالذات.....
43	7.2- الهوية، سيرورة، بحث مستمر و عملية ديناميكية.....
44	8.2- تطور الهوية عبر مراحل الحياة.....
48	9.2- حالات الهوية.....
50 خلاصة.....
51	3-الهوية الثقافية.....
51 تمهيد.....
52	1.3- الهوية و الثقافة... ميلاد لبعض المفاهيم الجديدة.....
54	2.3- الهوية الثقافية في الموروث النظري.....
61	3.3- وظائف الهوية.....
62	4.3- استراتيجيات الهوية.....
65	5.3- اشكال الهوية.....
67	6.3- مركبات الهوية الثقافية.....
69	7.3- التعددية الثقافية و الهوية.....
78 خاتمة.....
79	الفصل الثالث: المراهقة
80 تمهيد.....
80	1-تعريف المراهقة:.....
81	2- تطور مفهوم المراهقة.....
83	3- تجربة المراهقة من منظور علم النفس؛ الخصائص و الصعوبات.....
84	1.3- المراهقة كفترة تحول ناتج عن البلوغ.....
94	2.3- المراهقة كفترة عاصفة (ازمة المراهقة).....
98	3.3- المراهقة كفترة تغيرات.....
101	4- المراهقة في خضم الصراع بين القوى الفردية و القوى الاجتماعية.....
103	5- المراهقة و النرجسية.....
107 خاتمة.....
109	الفصل الرابع: الثقافة الجزائرية
109 تمهيد.....
109	1- وضعية اللغة في الثقافة الجزائرية.....
120	2- التغيرات الثقافية في الجزائر.....
120	1.2- التحولات الاساسية التي مست العائلة الجزائرية.....

126.....	2-2- التغييرات التي مست الزواج، الادوار و المكانات
126.....	1.2.2-النسق القديم
126	1.1.2.2-الزواج التقليدي
127.....	2.1.2.2-النسق التقليدي و الحدود بين الجنسين
128.....	3.1.2.2- العلاقة بين الجنسين في النسق التقليدي و الحياة الجنسية
130.....	4.1.2.2- العذرية كقيمة تبادلية في سوق الزواج
131.....	5.1.2.2- النسق التقليدي وتعدد الزوجات
132.....	6.1.2.2- زواج الاقارب (ولد العم و بنت العم)
133.....	2.2.2- التركيبة العائلية في النسق التقليدي بين العلاقات وتقسام الادوار
142.....	3-2- النسق الحديث
142.....	1.3.2- الزواج في النسق الحديث
144.....	3.3.2- وضعية المرأة كفاعل اجتماعي مؤثر على التحول مقابل صراع الادوار
145.....	4.3.2- صراع الادوار و المكانات في الاسرة (سلطة الام ميراث السلطة الابوية)
147.....	5.3.2- ظهور مكانة المراهق في النسق الحديث و صراع الاجيال في الجزائر
152.....	خاتمة
153.....	الفصل الخامس: الوسائل السمعية البصرية و الهوية الثقافية
154.....	تمهيد
154	1- تقنيات السمع البصري و اهم التطورات التي مستها في مجال المعلومات و الاتصالات
155.....	1.1-التلفزيون الفضائي
156.....	2.1- الاقمار الصناعية و البث الفضائي المباشر
158.....	3.1- الكمبيوترات او الحواسيب الالكترونية
158	4.1 - شبكة الانترنت
160.....	2- الوسائل السمعية البصرية بين الاتصالات و نقل المعلومات و الثقافات
160.....	1.1- التلفزيون الارضي و الفضائي
160.....	1.1.2-تعريف التلفزيون
161	2.1.2- وظائف التلفزيون
162.....	3.1.2- التلفزيون و الاتصال الجماهيري
163.....	4.1.2- التلفزيون و بعض ما قيل عن تأثيره النفسي، الاجتماعي و الثقافي
163.....	5.1.2- العائلة و التلفزيون
164.....	6.1.2-التلفزيون في حياة الطفل و المراهق
174.....	3- الانترنت، تكنولوجيا جديدة في مجال السمع البصري

174.....	1-3- تعريف شبكة الانترنت
174.....	2-3- بدايات شبكة الانترنت
175.....	3-3- وظائف و وسائل شبكة الانترنت
178.....	4-3- الانترنت و بعض ما قيل عن تأثيره النفسي، الاجتماعي و الثقافي
182.....	4- الوسائل السمعية البصرية و الهوية الثقافية
183.....	1-4- فرويد و عصر الاتصال الجماهيري
185.....	2-4- عصر السمع البصري هويات و ثقافات ترى و تسمع
186.....	3-4- السمع البصري، وسائل للتقمص
187.....	4-4- السمع البصري، وسائل للانتماء بالصوت و الصورة
189.....	5-4- هويات و ثقافات مرئية و مسموعة عبر السمع البصري
190.....	6-4- تطورات السمع البصري و طروحات الهوية
199.....	خاتمة

الجزء التطبيقي

201.....	الفصل السادس: منهجية البحث و عرض الحالات و النتائج
202.....	1- منهجية البحث
202.....	تمهيد
202.....	1-1- اطار البحث
202.....	2-1- مجتمع الدراسة
203.....	3-1- منهج الدراسة
203.....	4-1- ادوات الدراسة
206.....	خاتمة
207.....	2- عرض سرود الحياة و تحليل المضمون
207.....	1-2- الحالة الاولى
225.....	2-2- الحالة الثانية
246.....	3-2- الحالة الثالثة
264.....	4-2- الحالة الرابعة
279.....	5-2- الحالة الخامسة
300.....	خلاصة الحالات و نتائج العمل الميداني
309.....	خاتمة
310.....	قائمة المراجع و المصادر
320.....	الملاحق

يشهد عصرنا هذا نمو و انتشار واسعين للوسائل السمعية البصرية، على غرار التلفزيون و الانترنت، ونمو هذه الوسائل غالبا ما ينظر اليه على انه جزء من العولمة الثقافية او عولمة الثقافة، بحيث ان الثقافات المحلية بقيمها و تقاليدھا، غالبا ما تتأقلم مع ما تبتته هذه الوسائل و ترتبط بالتكنولوجيا التي تتحكم فيها، وتتطلع الى آخر المستجدات لتطور هذه التكنولوجيات.

فينتج عن ذلك تفاعل يمكن يسفر عن هجين ثقافي، متفتح و متأثر بكل ما هو عالمي من ناحية، لكن مرتبط في نفس الوقت بالثقافة المحلية، فيقع الفرد في حيرة بين هذا و ذاك، بين هويته المحلية و هوية الآخر التي يراها في نماذج مختلفة عبر عدة وسائط، منها وسائل السمعي البصري.

ولأن الهدف الاول من هذا العمل كان بناء تصور و وتوظيف مصطلحات علمية يسمحان لنا بالتفكير في العلاقة بين الهوية الثقافية و الوسائل السمعية البصرية، باعتبارها وسائل للاتصال و بث المعلومة. فبالأخير سيرورات الهويات الفردية و الجماعية هي دائمة الارتباط بالتواصل السمعي و المرئي، بحيث لا توجد هويات لا تتحاور ولا توجد هويات لا تتحاور ولا توجد هويات لا تنتقل لان من يحملها هو كائن اجتماعي يؤثر و يتأثر.

عندما نتحدث عن الهوية الثقافية نتصور قواسم مشتركة بين الفرد و جماعته و ما يجعلهم متشابهين و مختلفين عن جماعات أخرى.

و عندما نتحدث عن الوسائل السمعية البصرية، على رأسها الانترنت و التلفزيون، نستحضر الاتصالات و انتقال المعلومات بين افراد الجماعة و ما يمكنهم تقاسمه و تبادلته من خبرات، معلومات و ثقافات. باعتبار هذه الوسائل هي السبيل لذلك.

وبتالي كلما كانت صناعة الاتصال و الاعلام قوية ترافقها تكنولوجيا متطورة في مجتمع ما، كلما حضي هذا المجتمع بهيمنتته على الوسائل السمعية البصرية التي تعتبر وسائل لنقل الثقافة و نشرها على المستوى العالمي.

كل هذا جعلنا نفكر و نتساءل، اين هي الثقافة المحلية الجزائرية من هذا كله؟، خاصة ان الجزائر من الدول التي لا تملك الهيمنة على الوسائل السمعية البصرية حتى في بعدها المحلي، بالإضافة الى انها منفتحة على وسائل الاتصال و الاعلام العالمية على غرار كل دول العالم.

وعليه افترضنا ان تعدد النماذج الثقافية التي تطرحها هذه الوسائل السمعية البصرية المنفتحة على العالم، وفي غياب نموذج نمطي جزائري واضح ولافت، قد يكون له تأثير على هوية المراهق كونه في اوج رحلة البحث عنها و اكثر الفئات الاجتماعية اهتماما و اقبالا على هذه الوسائل، خاصة و انها وسائط قوية في التنشئة الاجتماعية من الصعب تأطيرها بالمقارنة مع وسائل التنشئة الاجتماعية الاخرى.

وللخوض في هذه الاشكالية ضمت هذه الدراسة بين دفتيها النظرية و التطبيقية ستة فصول:

ان الشطر الاول من هذا العمل، يقدم مفاهيم نظرية و دراسات مست متغيرات الدراسة، حاولنا تنظيمها و التعمق فيها، بعد عملية جمع للأدبيات و ترجمتها و التطرق لاهم ما جاء في الموروث النظري، حتى نتمكن من استيعاب بعض المفاهيم التي تمكنا من التحكم في موضوعنا، بهدف الإجابة عن الاشكالية المطروحة، وعليه كان من الضروري تبويب كل ما توصلنا اليه في خمسة فصول نظرية:

الفصل الاول: عبرنا في هذا الفصل عن تصورنا الاول حول موضوع الدراسة، في طرح مجموعة من التساؤلات و اشكالية عامة، و اسباب اختيارنا لهذا الموضوع بالذات الذي تلخص في فضول علمي حول ظاهرة الهوس بالوسائل السمعية البصرية الذي نراها يوميا وفي كل مكان. حددنا في هذا الفصل ايضا الاهداف التي تمثلت في الاجابة على التساؤلات من الكشف عن العلاقة بين هذه الوسائل و الهوية في جانبها الثقافي، اضافنا الى اهمية البحث و اهم الصعوبات التي واجهناها، و في الاخير وضعنا متغيرات الدراسة في تعاريف إجرائية.

الفصل الثاني: خصصناه للهوية الثقافية، ولتحقيق رغبتنا في الالمام بهذا المفهوم الذي يسوده الغموض، قسمنا الفصل نفسه الى ثلاث اجزاء، جزء حول الثقافة، جزء ثان حول الهوية اما في الجزء الثالث ربطنا الهوية بالثقافة لنحاول فهم الهوية الثقافية، بمركباتها و وظائفها. حاولنا ايضا تسليط الضوء عليها من زاوية الاحتكاك بالهويات الثقافية الاخرى، في اطار ما يسمى بعلم النفس بين الثقافات Psychologie de l'interculturel، من خلال تعرضنا الى اهم النظريات التي تمس هذا المجال. كما تطرقنا الى اهم استراتيجيات الهوية و الاشكال التي تتخذها امام التعددية الثقافية.

الفصل الثالث: كان مناسبة للطرح النظري لمفهوم المراهقة، الذي يأخذ حيزا كبيرا من ميدان علم نفس النمو نظر لأهمية المرحلة و مستقبلها. كانت البداية بمحاولة استعراض الجانب التاريخي لما يمثله سن البلوغ في بعض الثقافات التي تعاقبت على الانسانية، لكن المراهقة كمفهوم مرتبط بهذه السن، لم يظهر الا حديثا بظهور التعقيدات التي شهدتها الحياة العصرية. فالمراهقة كبناء اجتماعي و كمفهوم نشأ في الغرب، وعليه ليس غريبا انه أخذ مكانة و مساحة اكبر في الإنتاج الأدبي و الأكاديمي الغربي الذي استعرضناه في مختلف التيارات و الاتجاهات التي نظرت الى المرحلة من زوايا مختلفة. و في الاخير و بعدما لخصنا كل ما جاء في هذه النظريات تحت عنوان موقف علة النفس من المراهقة ذكرنا خصائصها و اهم الصعوبات التي تواجه المراهق.

الفصل الرابع: وجدنا في هذا الفصل متعة خاصة، لأننا تعلمنا الكثير عن اسلوب حياة الجزائريين و عن الثقافة الجزائرية في تطوراتها و تغيراتها. بداية باللغة و الاستراتيجيات التي تبناها الاستعمار لطمس الثقافة العربية مقابل ردود ايديولوجية فرضتها حقبة الاستقلال، اضافة الى تعدد اللهجات، الى صراعات لغوية و ايديولوجية لم تنزل الى يومنا هذا.

وفي الشق الثاني، حاولنا الالمام بأهم التغيرات التي مست العائلة الجزائرية باعتبارها الجماعة الابتدائية و نموذج مصغر عن المجتمع و ثقافته، وكيفية تأثيرها على الادوار و المكانات بين افرادها، التحولات التي مست الزواج، و المسكن اعتبار لعدة عوامل سياسية و اقتصادية و اجتماعية...نظمتها تحت عنوانين؛ النسق التقليدي و النسق الحديث، وفي الاخير قمنا بمحاولة لتقييم مكانة المراهق الجزائري في النسق الثقافي الحديث و الصعوبات التي يواجهها في ظل تعقيدات الحياة المعاصرة.

الفصل الخامس: كان هذا الفصل هو الفصل الجامع لمتغيري الدراسة؛ الوسائل السمعية البصرية و الهوية الثقافية من خلال ثلاث محطات، المحطة الاولى كانت تاريخية محضة، عن اهم التطورات التكنولوجية في مجال المعلومات و الاتصالات، التي مست تقنيات السمع البصري، اما الثانية فكانت عن الوسائل السمعية البصرية، تعريفها، و تأثيراتها على حياة الانسان، مع التركيز على الانترنت و التلفزيون باعتبارهما الوجه الابرز لهذه الوسائل و اكثرها حضورا.

اما المحطة الاخيرة، فقد قادتنا الى استعراض اهم ما جاء في الموروث النظري حول علاقة الوسائل السمعية البصرية بالهوية الثقافية، كون هذه الوسائل عدا عن كونها ممتعة، هي حوامل للنماذج

الثقافية المختلفة بالصوت و الصورة، التي يسهل تقمصها و التأثر بها وهذا ما يجعلها اقوى من كل وسائل التنشئة الاجتماعية الاخرى، من حيث الجاذبية و صعوبة التحكم بها.

أما الجانب التطبيقي، فقد اشتمل على خطوتين، الاولى استعرضنا فيها منهجية البحث، اما الثانية فقد خصصناها لعرض الحالات في فصل متسلسل سادس.

حيث كان هذا الفصل هو الاخير، حيث عرضنا فيه عملنا الميداني، بداية بالمنهجية المتبعة في هذه الدراسة، من الإطار الزمني و المكاني التي جرت فيها، ثم التعريف بمجتمع الدراسة و مواصفات العينة المأخوذة منه، وصولا الى منهج و ادوات الدراسة. اما في القسم الثاني من هذا الفصل، عرضنا الحالات من خلال سرد الحياة و تحليل المضمون و عرض النتائج.

كانت هذه الفصول الستة، عصاره عمل و طريق لم يكن سهلا للبحث في مجال الهوية الثقافية تحت متغير التطور التكنولوجي الذي طال الوسائل السمعية البصرية، و الذي جعلها تحضي باهتمام افراد المجتمع الجزائري وبارتباطهم الوثيق بها.

الجانب النظري:

الفصل الاول:

مدخل الى الدراسة

الإشكالية:

تفرض التكنولوجيا الحديثة في مجال الاتصالات و المعلومات - التي تفوقت في القرن الواحد و العشرين- نفسها على الحياة المعاصرة على عدة مستويات، من خلال التدفق اليومي للمعلومات من كل صوب عن طريق الأقمار الصناعية و عبر المجال السمعي البصري، تاركتا آثارها على الجانب الفكري، العلمي و الثقافي...

فلا شك ان التطور السريع لتكنولوجيا هذه الوسائط، لن يمر مرور الكرام على الحياة النفسية، الاجتماعية والثقافية للإنسان، هذه الحياة التي صارت تقوم برمتها على اتصال تعددت وتسارعت و ثيرة التطور الذي طال وسائله، فالهواتف و التلفزيونات الذكية و الكمبيوترات و كل ما ينطوي ضمن المجال السمعي البصري و التطورات التي تشهدها من موضوع الساعة، لذلك صارت معالجته حتمية تحتاج إلى قدر بالغ من الاهتمام.

ان الحدائة على المستوى المادي و التطور العلمي، الذي يحدث تغيرات في الحياة يعتبران محركا للعلوم الاجتماعية، كونها دائمة النظر الى الانسان في بيئته و تفاعلاته.

في العلوم الاجتماعية و الانسانية، لكل زمن مفاهيمه ومصطلحاته، ولكل مرحلة من مراحل التاريخ البشري، اهتماماتها وقضاياها و انشغالاتها حيث ادت التغيرات السريعة التي طالت العالم الى تحويل الاهتمام من النظرية النفسية الجنسية لفرويد الى اريكسون الذي اضاف بعدا نفسيا اجتماعيا لهذه النظرية التطورية مركزا على تأثيرات المجتمع على الذات و على الهوية .

فمفهوم الهوية من المفاهيم الملحة التي تحتاج الى الدراسة في هذا العصر خاصة في ظل النقلة الجديدة والمتطورة للتكنولوجيا السمعية البصرية.

الهوية لا شك مفهوم معقد ومثير للجدل في أوساط المهتمين بدراسته، لا سيما في هذا العصر الذي اطلق عليه زمن العولمة ، حيث يجمع جل من تطرق إليه إلى اعتباره مفهوما صعبا من ناحية التداول النظري، خاصة اذا تعلق الموضوع بالهوية الجزائرية كونها غير واضحة الملامح .

ان الهوية الجزائرية في ظل التحولات الثقافية، مسألة خاض فيها عدد من اهم الباحثين في مجال الأنثروبولوجيا وعلم النفس، اذكر منهم طوالي نورالدين Toualbi، تسعديت ياسين Yacine Tassadit، مالك شبال Chebel، وآخرون بالإضافة الى الاعمال الكلاسيكية لفرانس فانون France Fanon ، جاك بارك Berque حول هوية الشعوب المستعمرة و تطورها .

لقد خلصت اعمال هؤلاء الي فكرة جوهرية، وهي ان الجزائري يعيش حالة من التناقض الوجداني حيث يتخذ خلال سلوكه وتمثلاته الذهنية وضعية المنتصف بين التقاليد و المعاصرة، بين المحافظة على الاصاله و التجديد الثقافي او كما يري طوالي بين المقدس و المدني¹. ادن فالازدواجية الثقافية حاضرة بشدة، لتضفي شيئا من الضبابية المعتبرة على هوية الجزائري.

الباحث من خلال تعامله مع مسألة الهوية الجزائرية يشعر بأنه يعمل على ارض غير ثابتة، متحركة او زلقة، لان الهوية بحد ذاتها تحمل بعدا ديناميكيا، لكن الحديث عن الهوية الجزائرية يستدعي الامام بعدة امور كالتاريخ و الحالة التي يمر بها البلد على سبيل المثال، فباعتبار الجزائر بلد خرج منذ خمسين سنة تقريبا من تجربة استعمار مرير، فلا بد ان نعلم ان لها بروفيلا ثقافيا معينا، يغلب عليه ما يمكن ان نسميه القلق الثقافي وهذا ما نلمسه من خلال الاطلاع على اعمال جاك بارك Berque ، وكذا الفرنسي-التونسي Albert Memmi حيث يصف السيرة الذاتية للمستعمر " ...هده هي مأساة الانسان الصانع للاستعمار و كذا ضحية الاستعمار، لا يتمكن ابدا من التوافق و التطابق مع نفسه...

¹ TOUALBI NOUREDDINE, 1984, Religion, rites et mutations: psychosociologie du sacré en Algérie, ENAL, Alger

فهو ممزق بين ما كان عليه و ما يريد ان يكون و ما هو عليه الآن، فهو يصنع نفسه باستمرار لا كن مع التعايش مع عدم التطابق مع نفسه"¹

حالة التحولات التي يمر بها المجتمع تصب ايضا في اطار هذا القلق الثقافي، ونستدل على ذلك من خلال وجهة نظر الأنثروبولوجي التحليلي نور الدين طوالبي Toualbi والتي يصف من خلالها الازدواجية الثقافية للهوية الجزائرية في كتابه النظام و الفوضى، يرسم صورة لسلوك الجزائري و تصوراتها التي تتخذ وضعية المنتصف بين التقليدي و المعاصر، فالذات الجزائرية بالنسبة لطوالبي تقوم بتجميع صفات تقترضها من ثقافات مختلفة و التي تحاول من خلال هذه العملية ايضا التوفيق بين المناقضات، فالازدواجية الثقافية تحولت الى نوع من العقلية عند عامة الجزائريين بدرية المحافظة على التقاليد امام إغراءات المعاصرة و الخوض فيها وهذا ما يؤدي الى الفوضى الاجتماعية²

إن مشكل من أنا يدل على مدى عدم قدرة الفرد على التعامل مع الأنا الحالي عبر الأنا التاريخي المتراكم، لذلك إشكالية الهوية التي تطبع المجتمع الجزائري في الوقت الحاضر، تستمد خلفيتها مما مر بالمنطقة من أحداث تاريخية، كما تتأثر بصورة حتمية بما يحدث حاليا.

واعتقد ان من الامور المستحدثة الاكثر اثارة و تأثيرا في ايامنا هذه، ثورة المعلومات الذي تعبر عن التجسيد العملي لتقدم العلم في مجال الاتصالات السمعية البصرية، وعلى رأسها الانترنت، لذلك كانت هذه الاخيرة هي المادة التي استحضرننا بها من جديد موضوع الهوية الثقافية في الجزائر، محاولين طرح إشكالية محددة تحثُ فضولنا العلمي للعمل على كشف تأثير السمعي البصري بما فيها الانترنت على مسألة الهوية الثقافية عند فئة المرهقين.

¹ MEMMI ALBERT, 1973, Portrait du colonisé, Paris, Payot, P168

² TOUALBI-THAALIBI NOUREDDINE 2006, L'ordre et le désordre, éd Casbah, Alger

فالسمعي البصري يمكن تصنيفه حالياً، احدى اكثر المؤسسات التنشئة الاجتماعية المثيرة للجدل ، كونها مفتوحة و غير خاضعة للتحكم حيث دخلت حياتنا و حياة المراهق بالخصوص.

اما اختيارنا لفئة المراهقين كعينة لهذا العمل هو نتاج منطق بسيط، فكنا يعلم ان المراهقة من اكثر المراحل العمرية اثارة للدراسة في مجال العلوم النفسية و الاجتماعية لما لها من طبيعة خاصة، سواء من حيث اتساع مساحتها التي تضم جملة من التغيرات الجسدية، النفسية و الانفعالية او بسبب كون اغلب المراهقين يمرون في هد المرحلة بفترة حرجة تعرف بأزمة الهوية، فنحن نعلم على المستوي النظري أن تشكل الهوية يبدأ مع بدايات نمو الأنا كما يشير أريكسون¹ حيث تساهم كل مرحلة من مراحل النمو في تشكيله إلى أن يصبح محور التغير والأزمة الأساسية للنمو خلال مرحلة المراهقة، وذلك مع ظهور أزمة الهوية المتمثلة في درجة من القلق والاضطراب المختلط والتي ترتبط بكفاح المراهق من اجل تحديد معنى لوجوده من خلال اكتشاف ما يناسبه من مبادئ ومعتقدات وأهداف وادوار وعلاقات اجتماعية ذات معنى أو قيمة على المستوى الشخصي والاجتماعي.

ان ما يزيد هذه الازمة تعقيدا و تأزما، تناقض القيم التي يعيشها المراهق في هذه الفترة بحيث يلعب وجود الاصدقاء في حياة هذا الاخير دورا اكثر اهمية من دور الاسرة ويحدث هذا حالياً في ظل انتشار عملية التواصل و الصداقة عبر مواقع التواصل الاجتماعي .

ليضاف الى قاموس حياتنا ما نسميه الصداقات الإلكترونية و التي بالتأكيد ليست خاضعة للجغرافيا التي فناها واعتدناها في مجال تكوين الصداقات، نقصد بذلك زمرة الرفاق في الاحياء او الزملاء في المدارس او حتى الاصدقاء بالمراسلة التي على الاقل يمكننا معرفة عنوان صاحبها من خلال الظرف البريدي.

¹ ERIHSON ERIK, Adolescence et crise la quête de l'identité, éd Flammarion, paris

اما الانترنت فيفتح نوادي يمكن للمستخدمين دخولها و المشاركة الدائمة بعد التسجيل فيها دون الحاجة لمعرفة هويات كل الاعضاء، وهذا ما صرنا ندعوه مؤخرا بمجتمع الشبكات، وهذا هو ما جعل مستخدمي الانترنت يتميزون بإطار جديد للتفاعلات الاجتماعية خارج عن طبيعة الجماعات الاجتماعية التقليدية.

فضلا عن وسائل السمعية البصرية الاخرى، كالتلفزيون الفضائي، السينما، و الفيديوهات التي تطرح امام المراهق عدة نماذج ثقافية براقية ولافته يراها و يسمعها تزيد من امكانية تأثره بها و تقمصها.

ولذلك سوف نركز في هذا العمل على تأثير الوسائل السمعية و البصرية، في تفاعلها مع السياقات الاجتماعية والثقافية والمؤسسية، التي ينتج عنها بطبيعة الحال الكثير من الايجابيات و السلبيات والمفارقات والنتائج الغير المتوقعة، لكن بحكم تخصصنا في مجال علم النفس وجدنا انه من غير الملائم اطلاق الاحكام حول ما اذا كانت الثقافة الناجمة عن هذا النوع من التواصل الاجتماعي و الجماهيري ذات اثار سلبية او ايجابية و انما انخرنا كل جهودنا في التقيب عن كل ما تعكسه على مستوى نفسية الافراد و الجماعات ولأننا اذا نظرنا بمنظار المختصين لا نري الهوية الجماعية إلا كمركب ديناميكي متماسك. جاك بارك يدعم هذه الرؤية حيث يقول ان الهوية الجماعية قديمة التكوين تضرب في J.Berque عمق التاريخ و الاصاله، لكنها متغيرة في ذات الوقت تستمد تحولها من كل ما هو حديث بشرط ان يحدث ذلك في اطار الانسجام و التماسك¹

لذلك فجل ما يشغلنا هو انتقاء مفاهيم تقنية ملائمة، لدراسة الهوية الثقافية كمفهوم متأرجح، متغير و ثابت في نفس الوقت كخطة اولية لهذا البحث الذي نطمح الى إخضاعه للتجربة في بيئة جزائرية، فكلنا نعلم ان الوسائل السمعية البصرية و الأطر القانونية التي تحكمها، ظلت محلية او وطنية وذلك إلى غاية

¹ J.BERQUE, 2001, Opéra minora, les collections intérieures du Maghreb, Ed Bouchene, paris.

أواخر الثمانينات حيث كانت الجزائر أنداك بمنأى عن هذه الترسانة الضخمة في هذا المجال، فقد تميزت الهوية الجماعية الجزائرية في ذلك الوقت بطابع خاص ومستقل ثقافيا نسبيا. لكن مع ظهور التلفزيونات الفضائية التي تلتقط عبر الهوائيات المقعرة و انتشارها في الجزائر تعدد القنوات ليصبح في الامكان التقاط ما يبث في القارات الخمس وذلك بتعدد الاقمار الصناعية و تطورها.

اما الانترنت، فقد عرفت في نهاية التسعينات عملية الاشتراك واسعة، وحققت الشبكة العنكبوتية انتشارا كبيرا، فعدد المستخدمين صار يعد بالملايين وظهرت انداك فضاءات الانترنت العمومية ومقاهي الإنترنت أصبحت تعد بالآلاف، لتنتقل بعدها بسنوات قليلة خدمة الانترنت في البيوت، وهو الشيء الذي جعل شبكة الانترنت تعد من أهم مجالات التواصل والتفاعل الاجتماعي ومن الطبيعي ان تتشكل قيم وخبرات مشتركة بين المستخدمين الشيء نفسه الا وهو الوسائل السمعية البصرية، مما قد يؤدي إلى اثر على الهوية لديهم وإنتاجها بصيغ وأشكال مختلفة من خلال مجالات التفاعل التي تتيحها، سواء بين المستخدم و هذه الوسائل أو بينه وبين المستخدمين الاخرين كونهم يجتمعون على قاسم مشترك و هو تلقي ماتبئه الوسائل السمعية البصرية.

دفعنا هذا الأمر إلى محاولة معرفة ما قد فعلته التكنولوجيا الحديثة بالهوية الثقافية للمراهق الجزائري وما ينطوي عليه من انعكاسات نفسية لفرد و الجماعة ، باعتبار هذه الفئة من أكثر الفئات اعتمادا على الوسائل الحديثة في المجال السمعي البصري خاصة شبكة الانترنت ولذلك؛

طرحنا الإشكالية و التساؤلات الآتية:

- هل لشبكة الانترنت و الوسائل السمعية البصرية تأثير على الهوية الثقافية للمراهق الجزائري؟ و ان كان كذلك كيف تؤثر الوسائل السمعية البصرية على الهوية الثقافية للمراهق؟

- كيف يتصور المراهق الجزائري المقبل على الوسائل السمعية البصرية هويته الثقافية؟
- هل يعمل تعدد النماذج الثقافية التي تطرحها الوسائل السمعية البصرية على غياب ملامح واضحة و موحدة لهوية المراهقين في الجزائر؟
- هل يعاني المراهق الجزائري في ظل تعدد النماذج الثقافية المتناقضة التي يتماهى معها من التجاذب الوجداني *ambivalence culturelle*، و التناقض مع الآخر؟

دوافع اختيار الموضوع:

يوما بعد يوم، يزداد شعورنا بالحاجة الى التكنولوجيا الحديثة في حياتنا اليومية، كما يزداد قربنا من الوسائل الحديثة حتى صارت ضرورة من ضرورات الحياة، لاسيما الوسائل السمعية البصرية و على رأسها التلفزيون و شبكة الانترنت.

حتى صار محيطنا لا يخلو من هذه الوسائل التي لم يعد وجودها مقتصر على بيئة معينة كالبيت مثلا، و انما تجاوزها لترافقنا اينما ذهبنا. من خلال هواتفنا الذكية التي لم تعد تغادر جيوبنا او حقائبنا. فلا يمر يوم دون ان نرى شخصا يسير في الشارع، هو مشغول بهاتفه النقال دون ان ينتبه لشيء في طريقه.

ان اكتساب هذه الوسائل السمعية البصرية لطابعها الاجتماعي عبر البرامج التلفزيونية الاجتماعية اضافة الى مواقع التواصل الاجتماعي التي تنصدر خدمات الانترنت، سبب استيعابها و وصولها الى جميع الشرائح، خاصة الشباب المراهق، الذين اصبح المجال السمعي البصري جزء من ممارساتهم اليومية، التي يستحيل ان تمر دون ان تترك آثارها عليهم.

وبما اننا في هذا الاختصاص من اختصاصات علم النفس التي تُعنى بدراسة الجماعات تعتبر مسألة الهوية من المواضيع المستقطبة لفضولنا العلمي، كوننا نلاحظ اليوم تنوعا و اختلافا في النسيج

الاجتماعي على المستوى الثقافي. وهذا ما نحاول دراسة هذا الموضوع الذي استقطب الكثير من البحوث الا وهو موضوع الهوية، لكن اخترنا ان يكون على ضوء متغير جديد طغي على حياتنا الاجتماعية الا وهو المجال السمعي البصري.

اهمية البحث:

يعتبر هذا المشروع ذو اهمية بالغة، بداية من كونه موضوع من مواضيع الساعة، حيث كثر الحديث في الآونة الاخيرة عن تكنولوجيا المعلومات و الاتصالات، التي يطرحها المجال السمعي البصري، الذي يشهد تطورا سريعا و غير مسبوق منذ القرنين الماضيين، بالإضافة لكونه يمشي بالموازات مع عملية توزيع و تسويق فريدة من نوعها للوسائل السمعية البصرية، مما جعل كل ما يستجد في التكنولوجيا التي تطول هذا المجال في متناول الانسان في كل بقاع العالم.

موضوع الهوية ايضا من المواضيع الجديدة القديمة، التي يمكن تناولها من عدة زوايا، وهذا ما يجعلها لا تدخل ابدا في خانة المواضيع المستهلكة. فهي ديناميكية و متغيرة، لاسيما عندما تحاول مجارات هذا التقدم السريع و الاكتساح القوي للسمعي البصري.

لاحظنا على مستوى حدود اطلاقنا، ان هناك ندرة حقيقية في البحوث من هذا النوع خاصة تلك التي ترتبط بالمقاربات النفسية مع اننا بأمس الحاجة الى التعرف على بعض من ملامح الهوية التي هي في تغير مستمر، من خلال تصورات المراهقين لهويتهم الثقافية، خاصة انهم هم أنفسهم المؤشر للتحويلات التي سوف تأول اليها الثقافة الجزائرية.

أهداف البحث:

ان هذا البحث هو مشروع ننتظر ان من انفسنا ان نصل من خلاله الى اقصى ما نستطيع في حدود امكانياتنا و خبرتنا و لذلك عمدنا على تسطير أهداف نسعى لبلوغها في هذا البحث.

ان اول أهدافنا تمثل في الاجابة عن الاشكالية الرئيسية من خلال منهجية مناسبة للدراسة، وهي التعرف على تأثير الوسائل السمعية البصرية على غرار الانترنت و التلفزيون على الهوية الجماعية او الثقافية للفئة المراهقين.

بالإضافة الى محاولة معرفة كيفية تأثير الوسائل السمعية البصرية على الهوية الثقافية و ما هو الطريق الى ذلك.

سوف نحاول ايضا الكشف ما اذا كان ما طرحه الوسائل السمعية البصرية من نماذج مختلفة يمكن ان يتمصها المراهق اما غياب نماذج ثقافية جزائرية واضحة المعالم في الطروحات السينمائية و التلفزيونية التي تشهد ضعفا كبيرا و كذا فيديوهات الانترنت، له علاقة بالاختلاف في النسيج الثقافي الاجتماعي الجزائري.

من أهدافنا ايضا اختبار مصطلح التناقض الوجداني الذي يعاني منه الفرد في ظل الازدواجية او التعددية الثقافية التي سبق ان طرحها مختصون على غرار طوالي مثلا على او ان مرهقو اليوم قد تجاوزوا ذلك الى تبني ثقافات غير تلك المحلية بدون الشعور بذلك التجاذب الوجداني الثقافي *ambivalence culturelle* من خلال تصوراتهم وسلوكاتهم.

و في الاخير نطمح الى ان تكون اثارنا و تناولنا للموضوع مناسبة لطروحات و تساؤلات اخرى تناقش موضوع الهوية الثقافية في الجزائر باعتباره من مواضيع الساعة خاصة في ظل العولمة الثقافية.

صعوبات الدراسة:

لكل بحث علمي صعوباته وحدوده خاصة في العلوم الانسانية و الاجتماعية، كونها متصلة بظواهر لها علاقة بالإنسان الذي لا يخلو من التعقيد.

- اول صعوبة واجهتنا في هذا البحث هي صعوبة المصطلحات و تعقيد المفاهيم، لاسيما مفهوم الهوية التي تحمل معنى الثبات و التغيير في نفس الوقت. خاصة اذا ربطناها بالثقافة اذ يعتبر ايضا من المفاهيم التي لا يمكن ضبطها بسهولة على المستوى النظري و العملي، فهناك من يعطيها صبغة المادية و هناك من يراها معنوية محضة.
- واجهنا ايضا صعوبات في لإيجاد دراسات سابقة -في حدود اطلاعنا- وهذا ما جعلنا نبني الموضوع دون الاستفادة فعلية من تجارب سابقة على هذا الطرح مسلطة على المجتمع الجزائري .
- كما ان ندرة المراجع باللغة العربية و رغبتنا بالرجوع الى الكتب الاصلية لم يكن صعوبة بقدر ما جعلنا نستغرق وقتا كبيرا وجهدا لإنجاز الجزء النظري، الذي بني في جله على ترجمة الكتب باللغة الفرنسية.
- اما على الميدان فوجدنا صعوبة في التعامل مع عينة في الشارع خارج اطار رسمي، وهذا ما دفعنا الى ان نتعامل مع مراقبين متمرسين، خططنا للقائنا بهم في اماكن تدرسههم حتى يتوفر لنا الجو المناسب للعمل معهم ولضمان لقائهم طول مدة العمل الميداني.

تحديد المفاهيم الاجرائية:

الوسائل السمعية البصرية: هي جميع الوسائط التقنية، التي يمكن من خلالها الحصول على المعلومات و الاتصالات و التي تستخدم فيها الصوت و الصورة (كالتلفزيون، الاجهزة المرتبطة بشبكة الانترنت كالحواسيب و الهواتف الذكية او اللوحات الالكترونية، كل الاجهزة القارئة للأقراص المضغوطة CD و DVD اضافة قاعات السينما و المسرح...).

الهوية الثقافية: هي هوية مجموعة من الافراد يمارسون ثقافة معينة. وهي تعبير عن الحاجة إلى الاعتراف والقبول والتقدير للإنسان في الهوية الثقافية تشغل جدلية الذات والآخر، وتتأثر الهوية الثقافية من خلال اتصالاتها مع الثقافات الاخرى فهي تؤثر و تتأثر.

ونظرا لعمق هذا المفهوم سوف نحاول التركيز في هذا العمل الى التغيرات التي تمس ثقافة المجتمع من خلال تسليط الضوء على تصورات المراهقين للثقافة الجزائرية باستعمال اسلوب سرد الحياة

المراهق: هو فرد مصنف في مرحلة المراهقة، نستدل عليه في هذا البحث من خلال العمر

الزمني.

الفصل الثاني:

الهوية الثقافية

تمهيد:

في السياقات التاريخية العديدة يتم الحاق الهوية بالثقافة لتصبحا متلازمتين فنتحدث عن التقاف الهوية حول الثقافة و كذلك التقاف الثقافة حول الهوية الى حد الترادف و التماهي ، ورغم ذلك فنحن نخطئ حين نعدهما مترادفتين، رغم ان مسألة الهوية في العمق تحيل بشكل او بآخر الى الثقافة. فهذا التلازم اشدت مع بداية العولمة وما يترتب عنها من النمذجة و التوحيد القسري، الى حد يكون فيه "الاختلاف" حاجة لإثبات تمايز الهويات الفردية و الجماعية، وهذا الاختلاف لن يكون في جزئه الاكبر الا ثقافيا ؟

1- مفهوم الثقافة:

يمثل مفهوم الثقافة صلب التفكير في العلوم الاجتماعية، كيف لا يكون كذلك و الثقافة هي اسلوب الحياة في المجتمع و المميّزة له عن غيره من المجتمعات، فالعادات و القيم و انماط السلوك التي يتشاركها اعضاءه بالإضافة الى الاتجاهات و الأفكار...كل ذلك يتوارثه افراد المجتمع جيلا بعد جيل.

حاول علماء الاجتماع و الأنثروبولوجيا الوصول الى نظرية علمية للسلوك الانساني و فهم افضل للطبيعة البشرية و الوصول الى مفهوم عام للثقافة امثال تايلور Taylor ، دركايم Durkheim و بوا Boas لكن الدراسات بينت ان هناك ما يفوق مئة تعريف للثقافة يختلف باختلاف التخصصات التي واجهت مفهوم الثقافة و منها الانثروبولوجيا، الاثنولوجيا، علم الاجتماع و علم النفس...

وانا ما اردنا ان نفهم المعنى الحالي لمفهوم الثقافة و استعمالاته في العلوم الاجتماعية فمن الضروري ان نعيد تركيب صيرورته التاريخية عبر المراحل التي مر بها هذا الاخير ولا بد من التعرّيج على اهم المفاهيم التي نسبت اليه.

1.1- تطور مفهوم الثقافة:

من المهم ان نقف عند الكلمة اللاتينية لفظة الثقافة في المفهوم الكلاسيكي: في اللاتينية يقال Colore وتعني حرث الارض و اخصابها و يمكن استعارة اللفظة للتعبير عن حرث العقل حسب مقولة الفيلسوف الروماني ¹Cicero

في القرن السابع عشر استخدمت صفة المثقف Cultivé لكن مصطلح ثقافة ضل قليل الانتشار، اد كان يستخدم مضافا الى مجال معين كثقافة الفنون ثقافة الآداب...²

- لكن ما يجب استنتاجه ان لفظ Cultiver من زاوية المعنى الفلاحي، يقم "الطبيعة" بطبيعة الحال تحت فكرة السيطرة عليها عن طريق وساطة الانسان، و بالتالي فالثقافة هي ما توصل اليه الانسان باستعماله لفن تصحيح كل ما هو بيولوجي او التأثير عليه .

- من جهة اخرى، "المختلف عن الطبيعة" معنى تمت استعارته للتعبير عن الثقافة في عصرنا هذا.

انطلاقا من التعارض المبدئي بينها وبين الطبيعة، يعرف كاميليري Camilleri الثقافة اصطلاحيا، بأنها مجموع متكاتف من الدلالات المكتسبة، الأكثر دواما وتشاركا بين أفراد الجماعة، والتي تدفعهم، بحكم انتسابهم إليها، إلى الاستجابة للمثيرات الصادرة عن المحيط وعن ذواتهم بما يتوافق معها،

¹ CAMILLERI.C, GENEVIEVE.V, 1996, psychologie et culture: concepts et méthodes, Armand Colin, Paris, ,p 9

² LOUIS DOLLOT, 1974, culture individuelle et culture de messe, PUF, p20

مُبدِين إزاء هذه المثيرات مواقف، تمثيلات وسلوكيات مشتركة ومأثورة (مقيّمة) يسعون جاهدين إلى إدامتها وإعادة إنتاجها.¹

بعد هذه النظرة التي لفتنا إليها كاميليري Camilleri لا بأس ان نعرض على أشهر تعريف متداول ألا وهو تعريف تايلور:

"الثقافة ذلك الكل المركب الذي يتضمن المعارف والمعتقدات، الفن، الأخلاق، العادات والتقاليد التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضوا في المجتمع."

أما حسب هيرسكوفيتش Herscovitch: "الثقافة هي نمط الحياة لشعب ما، حيث أن المجتمع هو الكل المنظم للأفراد و الذي يتبع نمط حياة ما"².

أما كالباتريك Kilpatrick فيرى أن الثقافة هي ذلك المستودع المتراكم بعناصر مختلفة و متنوعة من بينها الأفكار و المعارف و العادات، التقاليد، القيم و النظم، و التعليمات و السلوكيات العامة و الخاصة و القوانين و الأعراف و الآداب و الفن، النحت، التصوير و الرقص الشعبي و المخترعات و كل ما صنعه يد الإنسان و أنتجه فكره"³

إنّ فالثقافة بعبارة أبسط هي كل شيء يتعلمه أفراد المجتمع و يشاركون فيه، إنها كل التراث الاجتماعي الذي يتلقاه الفرد عن مجتمعه.

وإذا اردنا تلخيص نظرة علماء النفس الاجتماعي في الثقافة نقول هي مجموع العادات الاجتماعية، و يتم انتقال و تراكم الثقافة من خلال عمليتي التعلم و التربية.

¹ CAMILLERI.Carmel, 1989, la culture et l'identité culturelle; « champ notionnel et devenir » in chocs des cultures; concepts et enjeux pratiques de l'interculturel sous la direction de Camilleri et M. Cohen-Emrique, édition l'Harmattan, Paris, , p.27.

² ABDELGHANI MEGHERBI, 1986, Culture et Personnalité Algérienne de Massinissa à nos Jours, ENL, Alger,

³ إبراهيم ياسين الخطيب، زهري محمد عيد، نعمان خالد، التنشئة الاجتماعية للطفل، الثقافة للنشر و التوزيع، ط 1، دار الأردن 2003

و من وجهة نظر سيكولوجية، تعبر الثقافة عن مجموعة من أساليب ردود الفعل و أنماط السلوك البشري و نشاط إنساني¹. من خلال هذه المفاهيم المختصرة التي حاولنا من خلالها رؤية الثقافة بأكثر من زاوية لا بد من ضبط هذا المفهوم مقارنة بمفهوم الحضارة لأن البعض يستعملانها بنفس المعنى الا ان فئة من الباحثين يُوجدون الفرق.

4.1- الفرق بين الثقافة و الحضارة:

فالثقافة تتكون من القيم و المعتقدات و المعايير، و التفسيرات الفعلية و للرموز و الإيديولوجيات و ما شابها من المنتجات الفعلية و هي المحصلة الكلية للتراث الإنساني سواء كان معنويا أو روحيا أو ماديا.

أما الحضارة فهي شكل من أشكال الثقافة و تعبر عن التقدم العلمي و التقني، و هي نسق منظم من الثقافة تتميز بالشمول و الاستمرارية.

الحضارة تميز ثقافة رفيعة المستوى و تعني أحكام القيم. فهي الثقافة العالية التي تصنع الرجل المتحضر، كما أنها نتاج الثقافة.

ذهب العالم الألماني ألفرد فيبر Alfred Weber إلى أن الحضارة هي المجهود الإنساني للسيطرة على الطبيعة، بينما الثقافة هي مظاهر الحياة الروحية والأخلاقية التي تسود المجتمع. أي أن الثقافة تعبر عن المظهر الروحي للمجتمع، بينما تعبر الحضارة عن مظاهر التقدم التكنولوجي

الحضارة لا يمكن أن تفهم إلا إذا دُرست دراسة تاريخية، توضح تطور أجزائها وعلاقتها الواحدة بالأخرى. وتختلف الثقافة عن الحضارة؛ فلكل مجتمع -بسيطها ومعقدتها- ثقافة معينة هي كل نتاج الفكر

¹ قباري محمد إسماعيل، علم الاجتماع الثقافي و مشكلات الشخصية في البناء الاجتماعي، منشأة المعارف بالإسكندرية، غير مؤرخ، ص17

المجتمعي، ونتاج هذا الفكر ومشتقاته. أما "الحضارة" فهي النواحي العملية والمادية لثقافة الأقاليم المتحضرة

وما استنتجناه من كل هاته التعاريف أن الثقافة هي كل تلك المظاهر المادية، من ملابس ومأكل، حرف، غيرها، والمعنوية و المتمثلة في ردود الأفعال و السلوكات و طرق التفكير التي تميز مجتمع عن غيره من المجتمعات.

بعبارة أخرى؛ تقدم الثقافة للفرد وللجماعة أنماط للوعي والسلوك، وإجابات نموذجية على الوضعيات التي قد يتعرض لها الإنسان في حياته فالوظيفة الأساسية للثقافة هي ضمان الانسجام بين الإنسان ومحيطه.

5.1 - أنواع الثقافة:

من وجهة نظر كاميليري Camilleri يفرق بين نوعين من الثقافة:

الثقافة في المجتمعات التقليدية: *sociétés traditionnelles*

تتميز المجتمعات التقليدية بتطورها البطيء نتيجة بقاء تغير المحيط . بما أن الثقافة هي في المحصلة الإجابة التي يقدمها الإنسان على وضعه . مما يجعل تكويناتها الثقافية تميل إلى التكرار، فالقيم التي تركزها تظل فعالة في تحقيق الانسجام بين الجماعة ومحيطها، وترسخ هذه القيم وأنماط الوعي والسلوك أكثر بفعل الزمن، كما تخضع لقدرة عال من التقنين، وتستقر في اللاوعي الجماعي¹، لهذا نجد المجتمعات التقليدية تبجل القديم وتقدر حكمة المسنين، وتمنحهم سلطة تستمد شرعيتها من الذاكرة² في

¹ CAMILLERI.C, GENEVIEVE.V, 1996, psychologie et culture: concepts et méthodes, Armand Colin, Paris, p17

² CAMILLERI.C, 1989, la culture et l'identité culturelle; « champ notionnel et devenir » in chocs des cultures; concepts et enjeux pratiques de l'interculturel sous la direction de Camilleri et M. Cohen-Emrique, édition l'Harmattan, Paris, p.49/50

هذا النمط من المجتمعات، تحدد الثقافة الهوية تحديداً كلياً إلى درجة التطابق حتى أن سؤال الهوية والوعي به لا يطرح أساساً

الثقافة في المجتمعات المصنعة *sociétés inditruelles*:

تخضع هذه المجتمعات لتغيرات دؤوبة في المحيط، بحيث لا يجد الفرد في ثقافته إجابات نمطية جاهزة لكل المواقف والوضعيات التي يتعرض لها مما يدفعه إلى ابتكار أجوبة جديدة بغية التكيف مع محيطه، وفيها يخف الضبط والتقنين لأنماط الفكر والسلوك بل تتنوع وتتعدد هذه الأخيرة نتيجة لتقسيم العمل المتزايد، فتظهر عدة ثقافات فرعية قد تتحو نحو التكامل المنطقي، لكنها قد تتبلور كذلك إلى درجة التعارض أحياناً فيما بينها.

بهذا تكف الثقافة عن كونها نظام اندماج شامل لتصبح مجرد فضاء مشترك يستوعب ثقافات فرعية كثيرة وتمنحها الإمكانية العضوية (البنبوية) لبلورة تكوينات ثقافية على قدر كبير من المرونة والابتكار¹. في هذا النمط من المجتمعات، يتبع الأفراد والجماعات الفرعية عدة استراتيجيات لتشكيل هوياتهم عن طريق انتقاء العناصر الثقافية التي يتماهون معها، بما يتوافق وتحقيق الوحدة بين حاجاتهم الأنطولوجية وحاجاتهم البراغماتية.

يؤكد كاميليري Camilleri على حقيقة هامة، مفادها أن النموذج الثقافي التقليدي لم يعد له حضور تقريبا في عصرنا الحالي، ذلك أن المجتمعات التقليدية قد تعرضت إلى ثقافة شديدة أفقدتها الانسجام الشامل الذي كانت تضمنه لأفرادها بين حاجاتهم الأنطولوجية ومقتضيات التكيف مع المحيط من جهة، ومن جهة أخرى أكسبتها خاصية النموذج الثقافي الحديث المتمثلة في الإمكانية للقيام بعمليات تماهي.

¹ نفس المرجع السابق ص 52

كخلاصة نستطيع القول ان الثقافة التقليدية لم تعد تحمل أجوبة لمستجدات العصر لذا على الجماعات وعلى الأفراد كذلك أن يطوروا ثقافتهم وأن يكونوا قادرين على ابتكار أجوبة للوضع الجديد الذي نسف اليقينيّات القديمة التي تعودوا عليها ففي سياق اللاتجانس الثقافي المليء بالقيم والأنماط الثقافية - التي قد تتألف ولكنها في معظم الأحيان تختلف بل تتناقض - يقوم الأفراد والجماعات المنخرطة في أنظمة معقدة للتفاعل الاجتماعي والثقافي بتشكيل هوياتهم عن طريق القيام بخيارات قد تحقق توافقات تستبعد صراع القيم الثقافية المتنافسة والمتناقضة وقد تكفل لهم التكيف مع العالم وتقدم ربما معنى لكيونتهم ولأفعالهم.

6.1 - خصائص الثقافة:

رغم أنه لكل مجتمع ثقافته الخاصة به إلا أن هذه الثقافات تشترك في كثير من الخصائص والصفات منها انها:

- إنسانية أي تخص الإنسان وحده، لأنها نتاج عقلي.
- مكتسبة أي يكتسبها الإنسان عن طريق التعلم.
- ذات طبيعة مرنة.
- قابلة للانتشار عن طريق اللغة و وسائل الاتصال و تنتقل من جيل لآخر.
- مشبعة لحاجات الإنسان و وسيلة في البقاء.
- متغيرة و نامية و متطورة، فهي تشمل التوافق الذي يقوم به الإنسان اتجاه الظروف المتغيرة.
- تراكمية، فهي نتاج تراكم معرفة أجيال متتالية عبر الزمن¹.

¹ إبراهيم ياسين الخطيب، زهري محمد عيد، نعمان خالد، التنشئة الاجتماعية للطفل، الثقافة للنشر و التوزيع، ط 1، دار الأردن . 2003 ص94

7.1- مكونات و الثقافة:

في سيرورة تطور مفهوم الثقافة استغرقت البشرية قرناً من التعديلات حتى بدأ هذا المفهوم يستقر دلالياً وذلك ما سمح له بالتداول المعجمي أين بدأت مختلف القواميس و المعاجم في أواخر القرن الثامن عشر تخصص للفظ الثقافة جزء من مساحاتها و هذا ما شجع المفكرين الى تخصيص مؤلفات بأكملها عن الثقافة و مكوناتها ووظائفها. أين استطاع تايلور ان يرسى مفهوماً "علمياً" شاملاً للثقافة حيث عرفها ب: "الثقافة او الحضارة محمولة على معناها الاثنوغرافي الشاسع، هي داك الكل المركب الذي يحوي المعرفة و العقائد و الفن و الاخلاق و القانون و التقاليد وكل القدرات و العادات المكتسبة من قبل الانسان باعتباره عضواً في المجتمع"¹

- لذلك تتمثل اغلب مكونات الثقافة في النقاط التالية:

- 1- اللغة، وهي أداة الثقافة ووعاؤها. هي عبارة عن مجموعة من الرموز الكلامية المتفق عليها، والتي يستخدمه الأفراد لغرض التفاعل مع بعضهم.
- 2- الفنون والآداب والعلوم وسائر أنواع المعارف التي ينتجها الإنسان.
- 3- الاتجاهات: ميل عقلي نحو أشياء معينة ايجاباً أو سلباً.
- 4- العادات : هي الطرق المعتادة التي يؤدي بها أبناء مجتمع معين الأشياء المختلفة وهي سلوك يتكرر بالوعي أو باللاوعي في موقف معين
- 5- التقاليد: مجموعة من الطقوس التي تتبعها الناس في مناسبة معينة.
- 6- المعايير الاجتماعية: جملة السلوكيات المتوقعة من فرد ما في موقف معين يؤدي دوراً اجتماعياً محدداً .

¹Taylor, in la notion de culture, extrais du chapitre, Culture, civilisation et idéologie, de GUY ROCHER, pp.101-127. Montréal : Ed Hurtubise HMH Itée, 1992, 3em Édition.

7- **القيم الاجتماعية** لأحكام الثابتة في المجتمع على أشياء أو سلوكيات من حيث كونها حسنة أو رديئة.

8- **الدين**: للدين اثر في تشكيل المفاهيم و القيم الفكرية للممارسات المادية و المعنوية للمجتمعات. كما يساهم في تحديد هوية الافراد و انتماءاتهم للجماعات و كذا قبولهم لقيم و معتقدات و اسلوب حياة هذه الجماعات.

9- **المعتقدات الشعبية**: تتوارث من جيل إلى جيل قد يتم في أغلب الأحيان عن وعى وعن إدراك. تنتشر الأجيال الجديدة المعتقدات الشعبية من خلال عملية التنشئة الاجتماعية عن طريق الأم ومن خلال المشاركة الفعلية في حياة الجماعة.

10- **القانون**: يمثل القانون قيمة التنظيم الاجتماعي للسلوك الإنساني، حيث يحدد ما يجب على الفرد عمله، وما يجب الامتناع عنه.

11- **الأعراف** هي أشياء تعارف عليها الإنسان، حتى أصبحت ملزمة للأفراد داخل المجتمع.

8.1 - وظائف الثقافة:

من بعض الوظائف الأساسية التي تمارسها الثقافة في مجال تحديد وضبط سلوك الفرد تتمثل في النقاط الآتية:

- تحدد الثقافة معنى المواقف الاجتماعية.
- تحدد الثقافة الاتجاهات، والقيم، و الأهداف.
- تحدد الثقافة الخرافات، والأساطير، والقوى الخفية التي يؤمن بها الأفراد.
- تحدد الثقافة أنماط معينة للسلوك.

يضم البعض مجموع هذه الوظائف في ثلاث وظائف جامعة:

1- وظيفة اجتماعية: تتمثل في توحيد الناس في مجتمع من خلال اللغة والدين، وتمد جميع أفراد

المجتمع بالأنماط السلوكية لضمان استقرارهم و ترابطهم، و ازدياد علاقاتهم الاجتماعية لتحقيق

مصلحة المجتمع عامة.

2- وظيفة نفسية: تتيح التعاون بين الأفراد من خلال النظم و القوانين، و بهذا تكسب أفراد المجتمع

أساليب الحياة المختلفة من لغة و عواطف. كما تكسب الأفراد هويتهم الثقافية من خلال التفاعل

الاجتماعي، و تبرز الاهتمامات الثقافية و الدينية لدى أفراد المجتمع.

3- وظيفة تنبؤية: تمكن الثقافة الإنسان من التنبؤ بالأحداث المتوقعة و المواقف الاجتماعية و من

التنبؤ بسلوك الآخرين في مواقف محددة، و هكذا فالثقافة هي أداة الإنسان في حل مشكلاته

الخاصة¹.

خلاصة:

اذن فالثقافة اذا ما اردنا الخروج بتصور بسيط عنها -قبل الحديث عن علاقتها بالهوية- فهي

مجموعة من الاشكال و المظاهر لمجتمع معين تشمل عادات، ممارسات، قواعد ومعايير كيفية العيش

والوجود، من ملابس، دين، طقوس و قواعد السلوك والمعتقدات. و من وجهة نظر أخرى، يمكن القول ان

الثقافة هي كل المعلومات والمهارات التي يملكها البشر.

¹ إبراهيم ياسين الخطيب، زهري محمد عيد، نعمان خالد، التنشئة الاجتماعية للطفل، الثقافة للنشر و التوزيع، ط 1، دار الأردن 2003 .

2- الهوية

تمهيد:

يعرف عن مفهوم الهوية انه ذو طبيعته ميتافيزيقية تدفعه خارج دائرة التحديد والتعريف. من هذا المنطلق يتجنب كثير منا استخدامه، و ان استخدمناه نتحفظ في محاولة تعريفه. وبالرغم من هذه العقبات فإن هذا المفهوم يمتلك قابلية سحرية للظهور، اذ يعد من مواضيع الساعة فقد يكون عدد التناولات التي مست مفهوم الهوية بعدد الاخصائيين في العلوم الاجتماعية، وناكرون هم الدين لم يصادفوا هذا المفهوم الذي استقطب اهتمام اختصاصات عدة، و الذي يخلف بعد كل طرح، سؤالاً جديداً يستدعي الاجابة. فمفهوم الهوية كما يصفه البعض من المفاهيم الشبحية أي أنها تبتعد كلما اشتد المرء في طلبها. وهذا ما جعل اوغيول Oriol .M يقول "ان كل محاولة لإعطاء تعريف و اضح و نهائي لمفهوم

الهوية بحيث يرضي النفسانيين و الاجتماعيين و الانثربولوجيين ستظل بدون جدوى"¹

و لان انتشاره ودرجة تجريده عالية جدا فالتعريف التي سوف نتعرض لها بغية فهم مصطلح الهوية، بعيدة عن كونها جامعة لكل ما قيل حوله، لكن نطمح من خلال هذا الفصل التطرق لاهم النظريات و الجوانب و المفاهيم التي تخدم موضوع الهوية وخاصة الهوية في بعدها الجماعي او الثقافي.

نحاول في هذا الفصل فحص ما جاء به كاميلوري Camilleri و بيير تاب Pierre Tap و اخرون نذكر على سبيل المثال فالون Wallon ، فرويد Freud و مالغيو فليب Philippe Malrieu و تجب الإشارة الى ان الفصل يعود ايركسون Erikson في وضع الاساسات النظرية للتفكير في مفهوم الهوية الفردية و الجماعية بتطويره منظورا مقارنا عندما بين ان الهوية الشخصية تتشا من تفاعل بين

¹ ORIOL .M, 1983, La crise de l'identité comme forme culturelle, in peuples méditerranéens , p 32

الاليات النفسية و العوامل الاجتماعية¹ فمن جهة ينتج الشعور بالانتماء عن ميل الشخص لإقامة استمرارية تجربة شخصيته ذاتها و من جهة اخري من الواضح ان الوصول الى الشعور بالانتماء يستدعي التماثل مع نماذج تقدمها مجموعات ابتدائية ينتمي اليها الفرد. لكن قبل ذلك لا بد من تعريف لغوي لهذه الاخيرة.

1.2- الهوية مفهوم متعدد المعاني:

لغويا: لفظ الهوية نجده مشتق من الكلمة اللاتينية idem و الذي يأخذ معنى حالة الشيء كما هو نفسه، كما تأخذ في اللغة العربية معنى التشابه و الاختلاف لأنه مشتق من كلمة مركبة من ضمير الغائب "هو" مضاف اليه حرف "الياء".

فلسفيا: تكثر التفاسير الفلسفة للمفهوم ويمكن ان نذكر منها تفسير ديكارت Descartes الذي يعتمد على هذا المفهوم للفصل بين الجسد و الروح.

نفسيا: اذا ما بحثنا عن تعريف نفسي نجد بان التعريف الذي اعطاه تاب Tap و فريقه مناسبا بحيث يرون بانها نظام من الذات و انها نظام مشاعر ازاء الذات²

فهوية الشخص هي عبارة عن تلك الحصيلة لمجموع الخصائص الجسدية، النفسية، الاخلاقية، القانونية، الاجتماعية و الثقافية التي يرونها و يقصها الفرد عن نفسه و يصور ذاته لغيره و التي بواسطتها يحدد موقعه من غيره.

تاريخيا: يمكن القول بان الدراسات الخاصة بالهوية انصبت في السنوات الخمسينات و الستينات حول محاور معينة مثل تصورات الذات و نظريات الانا.

¹ ERIK H. ERIKSON, 1972, Adolescence et crise la quête de l'identité, ed Flammarion, paris.

² TAP.P et coll, 1991, La crise d'identité et troubles d'altérité à l'adolescence. Annales de Vaucresson, Vol. 1, no 28, p.13-34.

اما في الثمانينات بدأ الاهتمام بدراسة الهوية من الناحية النفسية الاجتماعية و الحديث عن استراتيجيات الهوية، و بالتالي نجد الاهتمام بدراسة جانب من الجوانب من هذا المفهوم حاول مواكبة و مسايرة ما يقع من تغيرات اجتماعية¹

وكما سبق الذكر، لا يجب اغفال فضل الامريكي اريكسون Erikson (1950) الذي كان اول من استعمل هذا المفهوم في مجال العلوم الاجتماعية و الانسانية. اما في نهاية القرن العشرين عُرفت دراسات من نوع آخر، وهي تلك التي اهتمت بالمعتربين في اطار علم نفس بين الثقافات و الشباب بصفة عامة و الشباب الذي يعاني من اضطرابات الهوية بصفة خاصة.

2.2- الهوية هي نسق من التصورات و التمثلات الذهنية:

يعرف Pierre Tap الهوية على انها مجموع التمثلات Représentations و المشاعر التي يكونها الشخص عن نفسه، وهي التي تسمح للفرد ان يكون هو ذاته مختلفا عن الاخرين في مجتمع و ثقافة معينة في علاقته مع الاخر².

حتي انه ذهب الى اعتبار ان الهوية الذاتية او الفردية تختلط مع ما يدعوه الشعور او تصور الهوية اي ان الفرد في هذه الحالة يري نفسه هو ذاته عبر الزمن(الاستمرارية). ادا سعينا لتلخيص هذه الفكرة يمكن القول ان الهوية هي في النهاية ما يجعلني مشابها لنفسي مختلفا عن الاخر.

ادن فالهوية هي ذلك الذي يمكن للفرد او الجماعة او حتى شعب من التعرف على ماهيته و يمكن الاخرين من تمييزهم و التعرف عليهم. فكل منا فرد كان او جماعة، يبني و يطرح على خلفية ذلك نسقا من التمثلات الذهنية و المشاعر الدلة تفرده و تميزه في اطار انتمائه وفقا لشرعيته التاريخية و الثقافية.

¹ TOUALBI.N, 1986, Changement social et expression du sacré en Algérie, revue Algérienne de psychologie et des sciences de l'éducation, N°2, , p19.

² PIERRE TAP, 1992, La société Pygmalion, Dunod, Paris.

هذا النسق الهويي يمكن ان يكون مرنا او صلبا، مفتحا على الاخر او مبنيا على التطرف وسياسة الغاء الاخر وهذا ما يفسر العنصرية، رفض الاختلاف، التتميط و "العولمة" .

تذهب فكرة Rodriguez Tome في نفس السياق حيث يعتبر الهوية مجموعة من التمثلات و الاحاسيس و المعارف و كذا الذكريات و المشاريع المنسوبة للذات ويمكننا الاطلاع عليها من خلال المعاني التي يستخدمها الفرد للتعبير عن نفسه و التي تعتبر ترجمة لمجمل الافكار التي يكونها الانسان عن ذاته، ويستذكرها عندما يحاول الاجابة على سوال "من اكون"¹.

3.2- الهوية كمفهوم دينامي و عملية متواصلة:

في ما يخص الشعور بالهوية فإن هناك اتفاق بين اهل الاختصاص حول الافتراض ان الهوية تتطلب الشعور بالاستمرارية في الزمان و المكان.

من نفس الزاوية يقول اريكسون Erikson ان الشعور الواعي لامتلاك الهوية يقوم على ملاحظتين متلازمتين: ادراك الانسان لتشابهه مع ذاته و باستمرارية وجوده في الزمان و في المكان و ادراك في نفس الوقت ان الآخرين يعترفون له بهذا التشابه و بهذه الاستمرارية.

و يضيف A, Mucchieli الى هذه العناصر عناصر اخرى في مقولة من كتابه "L'identité": " الهوية هي جملة معايير تمكن من تعريف فرد ما، وهي شعور داخلي، هذا الشعور بالهوية يتعدد الى الشعور بالوحدة و الانسجام و بالانتماء و بالقيمة و بالاستقلالية و بالثقة، انما مجموع هذه المميزات منظمة حول الإرادة في التواجد"²

¹ RODRIGUEZ-TOME, 1980, H., La dimension temporelle de l'identité, in P. TAP, Identité individuelle et personnalisation, Toulouse ; Privat.

² MUCCHIELLI, A. 1986, L'identité, paris, P.U.F, P 05

ويتفصيل اكثر لهذه المميزات يمكن جمعها في ستة عناصر علي الاقل وهي¹:

اولا: الاستمرارية *continuité* وهو ما يمكن وصفه ببقاء الشخص هو نفسه او مشابهها لذاته برغم مرور الزمن و هذا ما نسميه

ثانيا: وحدة و انسجام الانا *unite et coherence du moi* اي التمثل الذهني الثابت و المتسم بالانسجام مع الذات و مع الاخرين الذي يتصرف من خلاله الفرد وفق نمط معين و ثابت.

ثالثا: التميز *l'unicité* وهو شعور داخلي للفرد بانه فريد من نوعه بحيث لا يمكن مقارنته بالآخر. وهذا العنصر يمكن ان يعبر عن الايجابية واعجاب الشخص بنفسه كما يمكن ان يعبر عن السلبية وبالتالي يؤدي الى الشعور بالانطواء و الانغلاق على الذات و يرفق عادة برفض الاخر.

رابعا: التنوع *la diversité* كذلك عنصر مهم في بناء الهوية و نعني بالتنوع مجازيا ان يكون في الفرد الواحد عدة اشخاص و ذلك وفق تعدد الادوار التي يمارسها يوميا.

خامسا: من المعلوم ان الانسان يصبح على ما هو عليه من خلال مروره بتجارب تحدث فيه تغيرات و تدخل هذه الفكرة ضمن ما اطلق عليه، بناء الذات من خلال الافعال *réalisation de soi par l'action*. هذا العنصر يعطي للفرد القدرة او القابلية للتعامل مع بعض التناقضات اهمها التغير او التحول في خضم الاستمرارية.

سادسا: العنصر او الخاصية الاخيرة للهوية فهي متعلقة بوجوب توفر الرؤية الايجابية عن الذات او حب الذات *estime de soi* اذن فكل منا يجب ان يطور شعورا ايجابيا يعبر عن قيمة نابغة من الداخل ليكون لها تأثير موجب على المحيط الخارجي.

¹ Journées d'étude pour l'éducation interculturelle. F.O.L, l'identité culturelle : le pouvoir et le sens, 10 mai 1984, université de Toulouse

طبعاً ان هذه المشاعر (الاستمرارية، الرؤية الايجابية و الانسجام) قد تتأثر سلبي بعد مرورها بتجارب مريرة كالفشل و الاحباطات.

ما يمكن فهمه من هذا كله ان الهوية التي يسعى الفرد لبنائها ليست ستاتيكية ولا جامدة او فاقدة للحركة ولا موروثية، كما انها ليست مبنية وفق منطق اجتماعي محدد مسبقاً و لا تقوم على المحاكات و التقليد فقط اذ فهي لا تحتوي على عناصر التشابه فحسب بل تحمل ايضاً و تقر بالاختلاف و التمايز. فالهوية الفردية ادنيها عبارة عن سيرورة و بناء مستمر و متوصل تقتض و تستمد من الآخرين لكن في ذات الوقت تتفصل و تتميز عنهم و هذا ماسوف نشرحه في عنصر آخر مستعنيين بعبارة لوالون Wallon حول اقتلاع الذات من الاخر.

4.2- للهوية خاصة نفسية اجتماعية: (الهوية و الغيرية L'altérité او الهوية و الاخر)

اشرنا في عنصر سابق الى مسألة التميز unicité كعنصر فعال لبناء و تحديد الهوية. الا اننا في هذا العنصر سوف نتعمد الاشارة الى مسألة تكاد تكون مناقضة لهذا العنصر، وهي مسألة دور الاخر و تأثيره على في بناء الهوية الذاتية، فقد ذهب الكثير من الباحثين الى ابرز مسألة دور الاخر على انها مسألة مصيرية في تكون هوية الفرد. حيث ان الهوية تعبر عن علاقة ثنائية تتسم بعلاقته مع نفسه من ناحية و علاقته مع الاخر من ناحية اخرى اي ان مفهوم الهوية يتم تناوله من خلال التركيز على نقطتين، العالم الموضوعي و المحيط و كذا العناصر التي تبني الشخصية.

لا يمكن رؤية او تصور الهوية دون اعتبارات الآخر و الغيرية لان مسألة الفرد لا يمكن تناولها الا في اطار نسيج من العلاقات مع الآخرين. مفهوم الهوية كما نعلم هي مسألة معقدة و متشابكة بحيث توجد ضمن واقع اجتماعي متداخل و متشابك.

ان عملية بناء وهندسة الهوية تتم بواسطة مواجهة غيرنا من الناس و معرفة ما هي صورة الذات التي تعكسها هذه المواجهة. و في هذا الصدد، يشير بيار بورديو Bourdieu.P بان ما نحن عليه الآن و ما نمثله هي عبارة عن مسألة اجتماعية محضة¹.

يعتبر بناء الهوية عبارة عن بناء اجتماعي. و على هذا الاساس تعتبر المؤسسات الاجتماعية التي تحدد و تصف تلك السلوكيات او الانماط السلوكية للأفراد، او تلك التي تشرف على عمليات المكافآت سواء كانت مادية او رمزية او حتى تلك المؤسسات التي تعمل على قولبة الافراد و صقلها داخل مجموعة من الضوابط، او تلك التي تعاقب و تقوم بإعادة تأهيل هؤلاء الافراد، هده المؤسسات هي عبارة عن وسائل قوية لبناء و نحت الهوية الفردية و هي بالتالي كأنها تقوم بتحديد ما ينتظره المجتمع من هذا الفرد، اي انها تملي علينا ما هي الصورة التي يجب ان تكون عليها هوية الافراد² لكن هدا الكلام ليس قانونا او قاعدة سوسيولوجية و يجب التحفظ عليه فمهما اعترفنا بقوة و سلطة هده المؤسسات الاجتماعية الا ان الضغوطات التي تفرضها تخضع لشروط من بينها الفروق الفردية و قدرة كل فرد على استغلال الفرص المتاحة له من طرف تلك المؤسسات، او الرضى بما تقدمه او تجاوزها و معارضتها. وهذا ما سوف نقوم بشرحه في الخاصية التالية.

1.4.2- استخراج و اقتلاع الذات من الاخر:

خصص فالون Wallon قسما كبيرا من بحثه في اطار الهوية حول دراسة العلاقة بين الانسان ووسطه الخارجي، وفي هدا الشأن وجد ان ما يميز هده العلاقة هو التفاعل بين طرفيها وتأثير كل منهما على الاخر ومن ثم بين ان بناء الفرد فيما بعد يستدعي بدل جهد للانفصال عن الاخر و الحد من التبعية له - وهذا ما اكدته اعمال كل من شبيتز Shpitz و بياجي Piaget - لكن ذهب فالون Wallon الى

¹ BOURDIEU.P, 1982, ce que parler veut dire, l'économie des échanges linguistiques, Paris, fayard,.

² حمدوش رشيد، بناء الهوية عند الشباب الجزائري أو ميلاد الهويات الصاعدة، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد 11، جامعة قاصدي مرياح ورقلة، الجزائر، جوان 2013، ص101.

حد استخدام عبارة استخراج او اقتلاع الذات من الاخر *l'extraction de soi de l'autre* وكأن هذه الذات كانت مغروسة في هذا الاخير قبل هذه المرحلة التي قد نحددها في مرحلة ازمة المعارضة في سن الثالثة تقريبا او كذا ازمة المراهقة.

يرى فالون Wallon ان الهوية الذاتية تتشكل من خلال المعارضة و الاختلاف المعرفي الذي يتخلل هذه الفترات التي تمكن الطفل و من بعده المراهق من الشعور بالانسلاخ و الدخول في علاقات تصادمية قائمة ما بين هذا الاخير و الآخر¹.

وفي نفس النطاق نترجم لبيار تاب Pierre Tap ما يلي: الصراعات التي تستحضرها الظروف في مختلف مراحل الحياة من خلال علاقتي بالآخر هذا الآخر الذي اصطدم معه بقوة يخضعني و/او يجذبني ويمكن ان يملأني فخرا و/او يحبطني، هذا الاخر هو مصدر لحالة من التجاذب الوجداني. ولكنه يمكن ان يكون ذلك الاخر الحميم الذي يعيش بداخل كل منا.

كما يقول بيير تاب Pierre Tap في نفس الصدد و مبينا ضرورة انسلاخنا عن الاخر مع تركه لأثر دائم داخلنا أن الهوية: " المسافة التي يقطعها الفرد بين محاولة التمييز عن الآخرين واضطراره للتطابق معهم، إنها جهد دائم لتوحيد آليات الذات، وانسجامها الداخلي، يبطل ضرورات قوالب الثقافة التي يعيشها الفرد و المجتمع الذي نشأ فيه، وذلك الإبطال نفسه هو الذي يدفعه لتحديد تميزه، ورسم حدود هويته الفردية، وتتواصل عملية الإثبات والإبطال والعودة إلى الإثبات مدى الحياة ".¹

¹ WALLON .HENRI, 1941, L'évolution psychologique de l'enfant, Paris, Colin.

2.4.2- المرأة، الآخر و بداية البحث عن الذات:

اشار وينيكتوت Winnicott بعد ان صرح في كتابه اللعب و الحقيقة¹ عن درجة من تأثر وجهة نظره بنظرية لكان Lacan حول اهمية مرحلة المرأة في تأسيس (عامل الانا) قبل ان يحدد اجتماعيا طبعا، وذلك بإحساس ابن 6 اشهر الى 18 شهرا بنفسه كدات مستقلة الى حد ما متعرفا عليها في المرأة، مما يمنحه وعيا بفكرة الاختلاف و الانفصال عن الغير.

وإذا ما رجعنا بعد هذه الاشارة المختصرة لفكرة لكان Lacan الى وينيكتوت Winnicott التي مددها الي ما دعاه الام المرأة للتعبير عن امكانية قيام الام "الجيدة بصفة كافية" ، بدور المرأة

ويتم هذا الدور عندما يقوم الطفل بالرضاعة من ثدى الام او يكون في حضنها فانه ينظر الى وجهها الذي لا يمثل بالنسبة اليه سوى انعكاسا لوجهه هو، وهذا معناه امكانية عودته و التواصل معها من خلال تبادل نظراته و ابتساماته مع امه مكونا عالمه الخاص هذا في الحالة الاولى. اما في الحالة الثانية فإن الطفل يتعود على الادراك الحسي لوجه الام التي لا ترفضه لكنه لا يراه انعكاسا الا لوجهها هي، و الاكيد انه اذا كان وجه الام غير متجاوبا مع الطفل فان المرأة هنا لا تعكس بصورة قاطعة وجه الطفل².

فإذا ما اردنا الخروج بفكرة رئيسة حول نظرية وينيكتوت Winnicott فيمكن تلخيصها في جملة وهي: الآخر ما هو الا مناسبة او امكانية للبحث عن الذات. وفي نفس الاطار يرى وليام جيمس William James ايضا بأن الهوية تقع عند نقطة التقاطع بين معرفة الذات، والمعرفة المتمخضة عن العلاقة مع الآخر، كما يعتبر إدراك الفرد للآخرين، وإدراك الآخرين له يكون الهوية الاجتماعية، أي أن ذلك ينطلق من التقاء "الأنا" مع "الآخر"³.

¹ WINNICOTT, 1975, jeu et réalité, l'espace potentiel, Gallimard.

² WINNICOTT, 2006, La mère suffisamment bonne, Petite Bibliothèque Payot

³ محمد العربي ولد خليفة، المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، 2003

ان الانسان يولد و ينشأ في مجتمع يأخذ منه صفاته و مميزاته الاخلاقية و السلوكية، فتتحول بذلك سلوكاته المورثة و الفطرية الى سلوكات اجتماعية ملائمة لنمطية المجتمع و ضمن عملية التفاعل و ديناميكية العلاقات تصبح للفرد صورتان: صورة يكونها عن نفسه و صورة اجتماعية يكونها الآخرون عنه و قد تتطابق هاتان الصورتان و قد لا تتطابق و يحدث تباعد بينهما، لذلك فان الانسان حين يكون صورة لهويته فانه يريد ان يعترف له الآخرون بهذه الصورة و من ثم فان الآخر يمثل نقطة استدلال قد يتعرف الانسان من خلالها على صورته الحقيقية.

يؤكد كودول Codol,J.P مؤكدا بان هناك فرقا بين شعور الفرد بهويته كما يعيشها هو و مدى تصورهما من طرف الآخر اي ان هناك فارق " écart " بين صورة الفرد عن ذاته و بين الصورة التي تكون عند الآخر عن هذه الذات. الامر الذي يدفع بالفرد الى اللجوء الى اساليب و سلوكات جديدة قصد تحسين صورته لدى الآخرين حتى تصير مطابقة لصورته عن ذاته.

ان اهمية الآخر تتمثل في كونه يعكس للفرد صورته الحقيقية عن هويته، و عملية الانعكاس هذه تشبه المرآة الكاشفة للعيوب و للمحاسن. اد لا يستطيع الفرد من دونها ادراك حقيقته. في نفس السياق يقول Laing, R.D في كتابه (le soi et les autres) " ان علاقة الفرد بالآخر تعتبر و سيلة يعزز بها الانسان هويته الذاتية و يبني بواسطتها صورته عن ذاته"¹.

3.4.2- الهوية نتاج عملية التقمص:

من المهم التطرق الى ما جاء بجعبة فرويد Freud باعتباره عميدا للتحليل النفسي حول موضوع اهمية الآخر في مسألة تكون شخصية الفرد، وهنا يطلق العنان للحديث عن مصطلح التقمص identification

¹ GODOL, J.P, 1980, la quête de la similitude et de la différenciation sociale, in P TAP identité individuelle et personnalisation, Toulouse, privat

ومعظم من خاضوا العمل على مفهوم الهوية ومنهم بيار تاب Pierre Tap واكدوا على انها اي الهوية نتاج عملية التقمص¹.

و التقمص بالمعنى البسيط يحدث بواسطة تأثر الانا بأنا آخر. فيحدث نوع من الانتقال للصفات و المميزات الشخصية من فرد الى اخر كنوع من التقليد لكن بصفة اقوي من التقليد بحيث يدوم و يرسخ في الشخصية وبه يتبنى الفرد توجهات و مميزات شخصية جديدة، و بذلك يكون التقمص من جهة وسيلة بناء الشخصية ومن جهة اخرى تكملة لبناء سابق

في مؤلف بعنوان التقمص في النظرية الفرويدية² بين جون فلورنس Jean Florence كيفية تطور مفهوم التقمص على ضوء المفاهيم كالهستيريا و النظرية الجنسية اضافة الى الأوديب و حله.

- **التقمص عند فرويد و الهستيريا:** طرحت فكرة التقمص مند مرحلة مبكرة من اعمال فرويد عن اعراض الهستيريا، حيث ارجع التقمص الى الكبت الجنسي عند شخصية الهستيريا تجعله يعوض هذا الفقدان بتقمص سلسلة من الشخصيات، و العرض "المسرحي" الهستيريا هو الذي يشكل البديل للإشباع الجنسي المفقود.

- **التقمص عند فرويد و النظرية الجنسية:** في كتابه " ثلاث محاولات لنظرية الجنسية"³ قام فرويد بتقديم واضح لمفهوم التقمص يتميز عن الذي كان مرتبطا بالهستيريا له علاقة بالتنظيم الجنسي الأول وهو المرحلة الفمية التي في المفهوم الفرويدي يكون فيها النشاط الغذائي مرتبط أساسا بالإشباع الجنسي، و الهدف الغذائي يكون بدافع القضاء الجوع، أما الجنسي ففي شكل موضوع جنسي مرتبط بالمناطق

¹ TAP PIERRE, identité identification et représentation de sexe tome 1, université de paris, Nanterre.

² JEAN FLORENCE, 1984, L'identification dans la théorie freudienne, Publications des Facultés universitaires Saint-Louis

المولدة للذة. و من هنا توصل فرويد الى أن التقمص يرتبط بموضوع الحب الذي يجد معنى في أفعال كاللمس والمص، و كل ما هو مرتبط بالنشاط الفمي عند الشخص¹.

ومن هذه الفكرة فإن الأساس التقمصي يكون بالبحث عن الموضوع المفقود في الطفولة الأولى، و عمل التقمص هنا يكون في البحث عن موضوع يكون مشابه للموضوع الجنسي الفمي السابق.

-التقمص عند فرويد و حل عقدة الأوديب: لقد علمتنا نظرية التحليل النفسي ان تقمص شخصية

الأب هو ما يساعده الطفل على الخروج من عقدة أوديب، بعد ان يعيش حالة قد تطول او تقصر من قلق الخساء الذي يفسره الطفل على أنه عقوبة له لردعه من التمسك بأمه. فلا يجد لها مخرجا سوى تقمص شخصية الأب. و هو ما سيدفعه لا شعوريا للبحث عن امرأة أخرى من خارج محيط العائلة و امتثاله لقانون الامتناع عن المحارم.

فأولى العلاقات الموضوعية تبدأ بالعمل على بناء قيم و محرمات من نوع خاص، حتى لو كان مصيرها الكبت في اللاشعور الا انها تؤثر على الهوية الفردية المستقبلية.

ادن فلأوديب هو الذي له الفضل في استيعاب الطفل اولى المحرمات هي التي تظهر الجانب المتضارب من هذه التماهيات و التقمصات الموجهة نحو البعد الغريزي الليبدي في الحياة

ومن هنا نستنتج انه ان وجد مصطلح الهوية في التحليل النفسي فهو يحال مباشرة الى الهوية الجنسية. أضاف Tap ثلاث شروط اساسية لتسهيل عملية التقمص:

- الشعور بالمحبة المتبادلة بين الطفل و النمط الذي سوف يتبناه.
- التشابه بين الطفل و النمط الذي سيتقمصه.

¹ FREUD SIGMUND, 1989, Trois essais sur la théorie sexuelle, Folio- Essais,

- القوة لان عملية التقمص تسهل كلما كان هذا النمط قويا، معتبرا و محترما¹

لكن مهما كثرت التفاسير و النظريات التي تناولت مفهوم التقمص، نخلص في كل الاحوال الى وجود عنصر غير واع مشترك بين الافراد الذين يقومون بعملية التقمص و بالتالي لا يكون التقمص مجرد تقليد او محاكات و انما تملك و انتقال ملكية نفسية من شخص الى آخر. وهذا ما يثبت اهمية الاخر في بناء الهوية الذاتية.

- التقمص عند الراشد (الميل للحشود): فرويد Freud و لوبون Le Bon في الحياة اليومية للراشد المعاصر ميز فرويد اربع حالات او وضعيات نفسية و التي يلعب فيها التقمص دورا مهما؛

الاولى هي حالة الحب الذي يقوم على الميل الجنسية المنحرفة عن أهدافها، فالموضوع المحبوب يجلب اليه جزء من رغبة الانا الذي يكون في العادة موجها نحو الذات ، مما يجعل الفرد يحب الآخر اكثر من ذاته. حالة الحب هذه تحد العالم امام الفرد في شخصين: فلا وجود الا لموضوع الحب و ذات الفرد. فالانا يميز هاذين الموضوعين الى حد رؤيتهما متشابهين. حتى اننا نجد في هذه الحالة الخلط بين الذات و الآخر.

الحالة الثانية التي تضع التقمص في الواجهة، هو التنويم المغناطيسي. فهو يشبه الحالة الاولى خاصة في حد المعاش في الانا و الموضوع. بالنسبة لفرويد التنويم المغناطيسي يعمل اساسا ابتداء من الميل الجنسية المعاقة مع وضع الموضوع في مكان الانا المثالي.

اما العصاب فيمثل الحالة الثالثة ودون الدخول في التفاصيل، فان الرابعة التي اشار اليها فرويد، تتمثل في المشاركة في الحشد La foule، فالحشد يجعلنا نعيش شيئا يشبه حالة التنويم المغناطيسي

¹ TAP P (1980), L'identification est-elle une aliénation de l'identité ? sous la direction de TAP, Identité individuelle et personnalisation, Toulouse, Privat, 237-250.

بسبب طبيعة الغرائز التي تؤمن التلاحم *cohesion*. و لان الموضوع يعوض الانا كما سبق و اشرنا، في الحشد "كل فرد يتقمص كل الافراد الاخرين، التقمص يكون ممكننا بفضل الاتجاهات الموحدة نحو نفس الموضوع"¹

في ظاهرة الحشود يرى فرويد انه يمكن ملاحظة مركب من شكلين من التقمص، احدهما عمودي يربط الافراد لفرد واحد (زعيم، نجم مشهور...)، و الثاني افقي يربط افراد الحشد الذين يتقمصون نفس الموضوع.

قبل فرويد، اخصائيون آخرون كانوا من المهتمين بسلوك الانسان كفرد وسلوكه كعضو في الجماعة او الحشد، منهم لوبون Le Bon الذي كانت له افكار تأثر بها فرويد، كتب لوبون Le Bon في علم نفس الحشود *psychologie des foules*، "ان الحقيقة اللافتة التي تقدمها الحشود هي الاتية: مهما يكون الافراد اللذين يكونونها، بالأمر التي يتشابهون و يختلفون فيها، في طريقة عيشهم، و اهتماماتهم، اطباعهم، ودكائهم، يتحولون في الحشد الى نوع من الروح الجماعية، هذه الروح تجعلهم يشعرون، يفكرون ويتصرفون بطريقة تختلف تماما عن تلك التي يشعرون و يفكرون و يتصرفون وفقها عندما يكون كل منهم منعزل عن الآخر، فبعض الافكار و بعض المشاعر لا تصعد الى السطح و لا تفعل عند الفرد الا عندما يكون في حشد. الحشد السيكولوجي هو كائن مؤقت، يتكون من عناصر غير متجانسة ولكن لفترة متلاحمة كخلايا الجسم"² و بالنسبة للوبون Le Bon ايضا انه في الحشود البشرية، قائد الحشد يلعب دورا كبيرا، لان ارادته هي النواة التي حولها تبنى وجهات النظر و يتم تقمصها.

استفاد فرويد Freud من اعمال لوبون Le Bon ولم يتوقف عند دراسة الحشود الغير منظمة التي اعتبرها تجمعا بشريا في نفس التوقيت و نفس المكان، بل ذهب الى دراسة الحشود المنظمة

¹ Freud S, 1968, psychologie des foules et analyse du moi, Édition Payot.

² LE BON G, 1971, psychologie des foules, paris, PUF, 2eme tirage

كالجيش و الكنيسة و دور سيرورة التقمص في هذه المؤسسات التي قدمها كاستنتاج في مؤلفه سنة 1921 علم النفس الجماهير و تحليل الانا "الحشد السيكولوجي هو اتحاد افراد مختلفين تبثوا على اناهم المثالي نفس الشخص. بفضل هذه النقطة المشتركة في اناهم، تقمص كل منهم كل الآخرين. هذه التركيبية ليست سارية المفعول الا في الحشود التي لها زعيم او قائد".

5.2- للهوية خاصة ايديولوجية و معرفية:

توصلنا الى الان بان للهوية خاصة نفسية و اجتماعية، لكن اشار البعض و منهم فيليب مالغيو Philippe Malrieu الى ان للهوية جانب ايديولوجي¹ ويبدو ان القصد من ذلك هو انه يستحيل على الانسان ان يولد في بيئة بريئة منزهة و حيادية، فكل ما يحيط به يجبله و يجبره على تبني رموز هذه البيئة، قيمها، قوانينها و مشاريعها و على هذا الاساس يكتسب طريقة نظرتة الى العالم و التصرف وفقها.

فاحتكاك الانسان الدائم و مند الولادة مع هذا المحيط المشبع بايديولوجيا المجتمع لا تترك امامه الا خيار تبني هوية بنيت على مجموعة من التمثلات الدهنية و التصورات الجماعية الموحدة و التي بدورها تحدد طريقة تفكيره واستيعابه للأمور و كذا طريقة عيشه ، لذلك لا يمكن تناول مفهوم الهوية الا في حدود اطارها الايديولوجي.

يري آخرون ان للهوية جانب معرفي، بدليل ان المعلومات و التصورات التي يتلقاها الفرد عن ذاته من خلال اراء الآخرين، في خضم العلاقات الاجتماعية التي يبنيتها مع محيطه، يعالجها هذا الاخير و يخضعها لعملية التصفية على اساس المصدر التي جاءت منه ربما او ربما على اساس تكرارها... تجعله يرسم صورت ذهنية او يبني تصور عن ذاته.

¹ PHILIPPE MALRIEU .in FSIAN HOCINE, 2005-2006, identité féminine-identité masculine. À propos des relations hommes/femmes en Algérie, thèse de doctorat d'état en psychologie clinique, université d'Oran.

اذن فيمكن اعتبار ان صورة الذات هي نتاج لنشاط معرفي يقوم به ذهن الانسان لإدراك مجموع التصورات المرسله من طرف الناس المحيطين به او مجموع التصورات التي يدركها من خلال وعيه بانتماءاته الى مجموعات اجتماعية.

ومع ذلك فالهوية ليست نتاج نهائي لتقص خصائص الآخر، كما لو كان الانسان ممسوسا بروح أخرى لكنها بالأحرى اختيار وتوظيف لهذه الخصائص وفقا لوجهة نظر طورها من خلال سلسلة علاقاته الاجتماعية الماضية و الحالية وبالتالي فهي عملية اثبات مستمر للذات.

6.2- الهوية و الشعور بالذات:

ترسم الخطوط العريضة للهوية في مرحلة المراهقة على راي علماء النفس و اريكسون Erikson على رأسهم¹، فهي من ادق مراحل النمو التي يمر بها الانسان، حيث يصطدم المراهق بمجموعة من التغيرات و التناقضات تتسبب له بعدد كبير من المتاعب الانفعالية و الاجتماعية بالتزامن مع الانتقال السريع من الطفولة الى المراهقة لكلا الجنسين، بالإضافة الى اعادتهم النظر في ماضيهم بما يشمل النماذج السابقة و تقمصات الطفولة محاولة منهم للتخفيف من ضغط التناقضات الحالية، فيبدئون بالانسلاخ و التخلص من قوقعة الاباء و الامهات و توظيف تقمصات جديدة وكذا اعادة النظر بشأن الأدوار الجنسية و الاجتماعية في الحياة وفي هذه النقطة بالذات تتناوب القدرة على تكوين العلاقات الحميمة تارة و مشاعر الانعزال تارة اخرى. وفي هذه الحالة يعمل المراهقون على التمرد على مقاييس الوالدين و معتقداتهم، و بالتالي تنتقل تدريجيا مراكز اهتماماتهم من اطار الاسرة الى جماعة الاقران.

وهذا ما يثبت الفكرة التي انطلقنا منها في البداية والتي تصف الهوية على انها لا تبدأ ولا تنتهي عند مرحلة المراهقة بل تتجاوزها الى ما قبل و ما بعد هذه الحقبة العمرية. فهي سيرورة تبدأ منذ الاشهر

¹ ERIK H. ERIKSON, 1972, Adolescence et crise la quête de l'identité, Ed Flammarion, paris.

الاولى لحياة المولود و تستمر عبر الزمن الى نهاية حياته لكن بوتيرة تختلف من فئة عمرية الى فئة اخرى، تبلغ ذروتها في سن المراهقة.

ومنه يمكننا ان نفتح مجال آخر للحديث عن الهوية كعملية ديناميكية

7.2- الهوية، سيرورة، بحث مستمر و عملية ديناميكية:

الواقع ان مسالة ثبوت الهوية او تغييرها مسالة قد طرحت على محك النقاش، حيث اثبتت المجادلات العلمية ان الهوية ليست امرا ثابتا بل يرتبط اساسا بالمؤثرات الخارجية و الداخلية كالأحداث التي يمر بها الانسان و كذا انتماءاته و قناعاته و الصراعات التي تواجهه في مختلف فترات حياته و التي تمس الشعور بالانسجام و الثبات، و لذلك لا يمكن التحدث عن مفهوم الهوية الا اذا ربطناه بمصطلح السيرورة. فهي ونقصد الهوية تبنى تدريجيا عبر مراحل حياة الفرد.

حتى اذا ما اعتمدنا على نظرية اريكسون Erikson نجد ان اشارته الى ازمة البحث عن الهوية في مرحلة المراهقة ليست نهاية المطاف بالنسبة لبناء الهوية، فهي في نظره و في وجهات نظر آخرين كثر، غير ثابتة و قابلة للتغير على امتداد مراحل حياة الفرد، ادن فالهوية مجهود بحث مستمر حاصله او نتاجه يبقى دوما مؤقتا و قابل للتجديد، فالهوية الحالية ليست سوى فترة معينة من سيرورة الهوية التي لا تهدأ ابدا طالما الانسان على قيد الحياة.

الهوية ببساطة، قادمة من الماضي لكن في حركة تغير مستمر و تشبع بالحاضر ذهابا نحو المستقبل بانفتاح على الآخر.

الهوية كسيرورة هي قبول للتغير، دمج للآخر و تحول الى شخص آخر جديد مختلف عن ذلك الذي كان عليه في الماضي ولذلك نشير الى ان عملية الدمج *intégration* تكمن في صلب بناء مصطلح الهوية.

8.2- تطور الهوية عبر مراحل الحياة:

- الهوية في مرحلة الموضوعية و الانفصال الابتدائي:

من اول يوم الى عمر السنة:

في هذه الفترة وحتى نهاية السنة الاولى، يستحيل الجزم حول ما اذا كان الطفل يمتلك هوية شخصية انما ما يحصل في هذه المرحلة هو انه يتمكن من بناء تصور بسيط عن ذاته، حيث يكتسب القدرة على الفصل بينه و بين الموضوع لذلك تتوج نهاية هذه الفترة بخاصية عدم الخلط بينه و بين الاخر¹.

في 6 اشهر الاولى تتركز جهوده حول سيطرته على جسده و بداية تأزره الحركي كوضع اصبعه في فمه او محاولة مسك الاشياء.

بالنسبة للبعض و منهم مالغيو فليب Philippe Malrieu يحدث الانفصال الاول او الابتدائي في بداية السنة الثانية عندما يبدأ بتقليد الاخر لان عملية التقليد تستدعي الخروج من الذات و الانتقال بها الى وضعية الاخر. اضافة الى ان الوعي بالذات في مقابل الوعي بالآخر تخلق لدى الطفل عملية جديدة غير مسبوقة الا وهي التظاهر او التمثيل لنشاطات الكبار، فكثيرا ما نري طفلا يتظاهر بقراءة الجريدة، او طفلة تقوم بتمثيل دور الام في المطبخ ومن هنا نستوعب فكرة مالغيو Malrieu التي من خلالها اضاف ان الطفل في هذه المرحلة لا يلجأ الى تقليد الأشخاص فحسب و انما يقوم بتقليد

¹ لقد اوضح بياجيه PIAGET هذه الفكرة حيث بين جهود الطفل في اول سنة و التي تنتهي ببناء عالم ثنائي القطب: انا / الموضوع

نشاطاتهم وادوارهم في الحياة، و النتيجة خروجه من دوره كطفل واتقانه للعب سلسلة من الادوار و بتالي سلسلة من الحقائق¹

وعلى ذكر الحقائق، تجدر بنا الاشارة الى ان الطفل يتوصل في هذه المرحلة الى تبني حقائق كثيرة حول شيء واحد بمعنى انه يدرك ان لهذا الشيء خصائص عديدة فالمعلقة مثلا ليست ذلك الشيء ذو الملمس و الشكل المعين فحسب وانما هي أداة للأكل ايضا...

وهذه بداية تطور الجانب الرمزي عند الطفل الذي يعطيه القابلية للخروج من حقيقة كونه صغيرا لتمثيل دور الكبير او الراشد اي تبني حقيقة ثانية و بالتالي هذه الازدواجية هي التي تقوم ببناء الهوية من خلال مجموع التماهيات او التقمصات و التي تشغل في ذات الطفل تناقضات وهي بالتالي اللبنة التي تحرك ازمة البحث عن الهوية.

بعد عمر السنة:

بعد عمر السنة و مع بداية مشي الطفل، يبدأ ببناء صورة عن جسده و يشرع فيما نسميه تقليد لبعض النشاطات التي يقوم بها الاشخاص المحيطين به مما يؤدي الى ظهور هويات متعددة لدى الاطفال، هويات قصيرة المدى، و غير ثابتة، متجاوزة لكنها في غير نابغة من مبادرة الطفل بل مفروضة عليه بحكم النماذج الموجودة امامه و السلوكات المتاح له تقليدها *identité a caractère d'aliénation*.

من 4 الى 5 سنوات تقريبا: (مرحلة الهويات المتجاوزة)

في هذا العمر تستمر عمليات التقليد عند الطفل لكنها تصير ذات اتجاه خيالي فيفقد الطبيب

¹ PHILIPPE MALRIEU, 1973, « personnalisation chez l'adolescent ».in I.Meyerson. problème de la personne. Paris, Mouton.

المعلم او حتى شخصيات كرتونية و هو اصل الهوية التي يسميها فيليب مالغيو Philippe Malrieu الهويات الخيالية¹ وهي الأخرى لا تعكس بعد استقلالية الطفل، لكنها تساعده على جعل ما يقوم به مألوفاً أكثر من خلال عملية التثاقف على المستوى السلوكي ووعيه بالأدوار المختلفة وتقليدها. لكن هذه الهوية الخارجية اذا ما اردنا ترجمة مصطلح مالغيو Malrieu كذلك تواجهها بعض الصرعات التي تؤججها الخطابات المتناقضة التي يتلقاها الطفل من عند الكبار، بحث يشعرونه بأنه صغير وما زال تابعا لهم، وفي نفس الوقت ويعتبون عليه ارتباطه بأمه اد عليه ان يكون مستقلا عنها.

ولذلك نراه في هذا السن يعمد الى اقامة علاقات أخرى و يتجه الى اشخاص آخرين من اعمار مختلفة: اصدقاء الروضة او الحي، مربين، جيران... المهم ان تقوم علاقات اخري خارج الاطار الضيق (ام - طفل) وهذا ما يمهد لبناء هوية اجتماعية الى جانب الهوية الخيالية. فتطغى هذه الفترة سلوكات خيالية واخري اجتماعية ولذلك تسمى مرحلة الهويات المتجاورة juxtaposé .

-الهوية في مرحلة التثاقف الابتدائي: من 06 الى 12 سنة:

من بداية سن التمدرس الى عمر 12 سنة، فترة وصفها فرويد Freud بمرحلة الكمون في هذه المرحلة يبدأ الطفل في اكتساب الاخلاق والقوانين الاجتماعية وهي مرحلة الطاعة لجميع القوانين وايضا يدخل فيها البيبدو في حالة ركود او كمون ويختفي وتفقد العلاقات مع الاخر طابعها الجنسي كما تتشكل في هذه المرحلة كل الروادع الاخلاقية كالحياء وتتقوى عمليات الكبت، لذلك فهي فترة الانفراج بالنسبة للآباء، بحيث تشعر اسرة الطفل في هذا السن ببعض الهدوء والطمأنينة حيث يبدي الطفل الاستعداد لتقبل القواعد الاجتماعية و المشاركة في تطبيقها.

¹ نفس المرجع السابق.

تتميز هذه الفترة من حياة الطفل كذلك بتفعيله للقيم الدينية و الاجتماعية عن طريق التقليد، فهذه هي مرحلة اكتساب هوية اجتماعية واعية الى حد ما بالمكانة الاجتماعية و الدور. اما الهويات الخيالية فتستمر بالتطور، ولكن بمفهوم اكثر قبولاً فتتخذ منحاً اجتماعياً سببه التماهي مع اشخاص من المحيط ومع القواعد الاجتماعية التربوية.

على مستوى الوعي بالذات فطفل هذه المرحلة يعي المجهودات التي يبذلها خلال عملية الانتقال من مرحلة عمرية الى اخرى، كما يعي اخفاقاته و نجاحاته و يعي تاريخه و ماضيه، جنسه و طبعه الذي يميزه.

اما على مستوى التصورات او التمثلات الذهنية فهو خاضع من جهة الى التطور المعرفي- بما فيه الوعي بمفهوم الزمن و السببية- ومن جهة ثانية الى بناء نسق قيمي ناتج عن علاقات الطفل بالراشدين الذين يمدونه بتصور سلبي او ايجابي عن ذاته، وذلك من خلال تمثلاتهم الذهنية.

الهوية في سن المراهقة:

ان مرحلة المراهقة تستهدف شعورياً او لا شعورياً البحث عن هوية أو ادراك الذات الفردية : من أنا...؟ ومن أكون؟ و كيف سوف اكون؟ ...وللإجابة على ذلك، يحتاج المراهق الى فهم المعايير والقيم وسلوك الآخرين وتقييم كفاءة الذات، ولا ريب أن بلورة الشعور بالذات عملية بطيئة ومستمرة. ولأن تكامل النضج وتناسق أعضاء الجسم يكون أحد تساؤلات تحقق الهوية عند المراهق ، إذ تميل كل ثقافة الى امتلاك صورة مادية لكلا الجنسين كونها النموذج المثالي، وإذا شعر الفرد (ذكراً أو أنثى) بافتقاره الى التشابه مع تلك الصورة المثالية، فإن ذلك قد يؤدي الى مخاوف من عدم جاذبيته واحتمال رفضه من قبل أعضاء الجنس الآخر ، وغالباً ما يصرف المراهقون وقتاً كثيراً في العناية بشعرهم ووجوههم وملابسهم¹

¹ هانت، سونيا وجيفر، هلتن، نمو شخصية الفرد والخبرة الاجتماعية ترجمة قيس الثوري، ط1، دار الشؤون الثقافية، بغداد 1988، ص 217.

وقد تكثر في مرحلة المراهقة الخلافات بين المراهق والأبوين أو بينه وبين أفراد الأسرة ، ونتيجة للصراعات التي يعيشها المراهق، يكثر التناقض في الرأي والاختلاف في الحكم مما يؤدي الى فتور العلاقة بين المراهق والأبوين، ويدفع ذلك المراهق الى التفكير في وضعه ، وينتج سوء التوافق عادة نتيجة أوجه النشاط والرفاق والتعليم والمهنة وينتابه شعور بأن الآخرين لا يفهمونه او في الأقل يسيئون فهمه¹ وتعد رغبة المراهق في الاستقلال أمرا طبيعيا ومظهرا عاديا من مظاهر النمو، ويمكن عدها سمة من سمات المراهقة وفي الوقت نفسه مشكلة من مشكلاتها . وتعرف عملية الاستقلال عن سلطة الوالدين والكبار والاعتماد على النفس باسم عملية الفطام النفسي،² وهذه المشكلة لا تقتصر أثارها على المراهقة وحدها ، بل قد تستمر مع الفرد طيلة حياته وتعرقل تحقيق هويته وتطورها. ومن دون ان نتوسع في هذا العنصر الذي سوف تكون لنا عودة اليه في فصل كامل من هذا العمل، نقول ان الهوية في سن المراهقة وبالرغم من انها ليست نهاية المطاف امام دينامية الهوية، الا انها فترة تبدأ برحلة مميزة لاستكشاف الذات الداخلية وتكوين الهوية من خلال إعادة نظر عميقة في كل العوامل والخبرات والمعتقدات التي سادت مرحلة الطفولة، ويتم ذلك بالتوافق مع التغييرات الحاصلة على الصعيد البيولوجي والفكري والاجتماعي.

9.2- حالات الهوية:

امتدادا لنظرية اريكسون حول أهمية إحساس الفرد بالهوية خلال كل مرحلة من مراحل النمو النفس اجتماعي، حاول جيمس مارشيا Marcia, J. E إلى أن فكرة اريكسون عن الهوية يجب أن تخضع لنظام تصنيفي، حيث تناول مارشيا Marcia في المرحلة الخامسة من مراحل النمو النفسي الاجتماعي

¹ جابر، جودة بني، علم النفس الاجتماعي، دار الثقافة للنشر و التوزيع، ط1، عمان الاردن، 2004، ص 261

في نظرية اريكسون، مرحلة تحديد الهوية في مرحلة المراهقة وذلك بوصف أربعة بدائل يمكن أن تحدث للمراهق وهو يحاول اختيار هويته، كل بديل يمثل حالة.

ولقد أشار اريكسون إلى أن الإحساس بالهوية في مقابل الإحساس بانتشار الهوية يمثل استقطاب هذه المرحلة من مراحل النمو فمن جهة يوجد نضال نحو تحقيق الهوية من خلال تكامل الاتجاهات الداخلية والخارجية.

ومن الجهة المقابلة، يوجد انتشار الهوية الذي يؤدي إلى إحساس بعدم الثبات في وسط مطالب داخلية وخارجية مريكة، لقد أشار اريكسون إلى انتشار الهوية بالعبارة الدالة على ذلك: "لست ما كان يجب أن أكون، لست ما سأكونه، ولكني لست ما كنته"¹

و هكذا تمكن مارشيا من الخروج من صلب افكار اريكسون بنظام تصنيفي لأربع حالات

الهوية:

- **الهوية المشتتة** La diffusion identitaire : هي الحالة النمائية الاقل تقدما، يغيب فيها الالتزام لمجموعة من القيم و الاهداف الداخلية الثابتة و يكون الاستكشاف في حالة الهوية المشتتة مفقودا او مضمحلا، و هي توصف بالفشل في تحقيق احساس متكامل و ثابت مع الذات، و توقف الفرد عن الكفاح في تحديد ذاته.

- **الهوية المغلقة** La forclusion identitaire تمثل مستوى عال من الالتزام، اما انعدام او قلة الاستكشاف ية الافراد ذوي الهوية المغلقة لا يوجد لديهم كفاح لتحقيق الهوية، يتقلبون دائما و يتبنون توقعات الاخرين منهم خاصة الاخرين ذوي الاهمية السيكولوجية لديهم كالاباء.

- **الهوية المؤجلة او المعلقة** Le moratoire identitaire: الفرد في حالة الهوية المؤجلة يكافح و

¹ هنري و ماير، ثلاث نظريات في نمو الطفل، ترجمة هدي محمد قناوي، المكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، 1992، ص64

يناضل ليجد هويته و يحدد ذاته، لكنه الى الآن لم يقيم بأي التزام، و الفرد ذو الهوية المؤجلة او المعلقة يعيش تجارب متعددة و يحاول القيام بأدوار مختلفة و معتقدات متنوعة و سلوكيات متباينة.

- **الهوية المحققة** La réalisation identitaire: و هي حالة الهوية المفضلة، و الفرد في هذه الحالة قد اجتاز بنجاح ازمة الهوية، انها تمثل الإقرار بالاستقلال الذاتي للهوية، و ادماج مجموعة من الالتزامات المتبناة أثناء فترة الاستكشاف (الهوية المؤجلة)¹

ومن هنا يتضح لنا أن الأفراد يختلفون من حيث حالات تحقيق هوياتهم، فمنهم من يستكشف البدائل والخيارات وصولاً لنتائج نهائية، وتحقيق هوياتهم بالرغم من مرورهم بأزمة تكوين الهوية، ولكنهم يتجاوزونها بالأخير، وذلك بالالتزام بالأدوار المناطة بهم،

ومنا لأفراد من يحاول الاستكشاف واختيار البدائل والهويات ولكن يكون عنده غموض الدور، بالرغم من انه يحاول استكشاف البدائل الا انه لا يصل إلى نتيجة نهائية فيفضل تعليق أو تأجيل الهوية.

ومن الأفراد من يكون بمرتبة حبس أو انغلاق الهوية في هذه المرتبة لا يحاول الفرد أن يستكشف البدائل والخيارات، ولكنه يأخذ الهوية جاهزة من الآخرين خاصة الآباء. ومن الأفراد من لا يلتزم باتجاه محدد سواء مر بمرحلة الاستكشاف أو لم يمر بها ولا يسعى إلى تكون هويته فلا تكون له فلسفة محددة، فيصنف في مرتبة تشتت الهوية.

خلاصة:

يعتبر البحث عن الهوية عند الكائن البشري حركة مستمرة و دائمة، بحيث ان ما يميز هذا الكائن هو البحث عن ذلك التوازن و التلائم و الانسجام الداخلي. وهذا جزء مما عمدنا الى شرحه في هذا الجزء من هذا العمل "الهوية" لكن السؤال المطروح منذ الان؛ هو كيف يمكن للفرد ان يحقق كل ذلك في

¹ هارلمبس و هولبورن، سوسيولوجيا الثقافة و الهوية، ترجمة حاتم حميد محسن، دار كيوان للطبع، دمشق، 2010، ص59

ظل التحولات و التغيرات الحركية التي تعرفها المجتمعات و انتقالها من وضعية ثقافية متوازنة و مستقرة نوعا ما تستمد مرجعيتها من نماذج وقيم تقليدية الى وضعية اخرى تميزها الحركية و التحولات و التغيرات السريعة تستمد مرجعيتها من قيم و نماذج جديدة؟

لذلك فأنحاول النظر الى الهوية مرة اخرى و لكن بمزجها مع الثقافة هذه المرة و التعرف عليها من زاوية "علم النفس ما بين الثقافات".

3 - الهوية الثقافية:

تمهيد:

منذ الأزل، تعلقت الصراعات في العالم - بصورة مباشرة او غير مباشرة- بالهوية بحيث قد قامت حروب اثنية و في ابسط الحالات قد تفاقمت المشاعر الوطنية و الإيديولوجية متخذتا منحاً نرجسيا و عدائيا. ان إثبات الهوية في كل مكان لديه هدف واحد و هو تفعيل منطق و طريقة للعيش و ترسيخها تحت جناح الاصاله.

فهذه الاخيرة تخضع في كل مرة الى نفس الارادة وهي انعاش الصورة الاسطورية التي نسجتها التمثلات الذهنية الجماعية الخيالية للهوية. و الوسيلة لهذا الانعاش شبيهها Toualbi.N بعملية اسقاط لمجموعة من المدلولات الانطولوجية على معالم قديمة للهوية (تاريخية- ثقافية و دينية...) و التي تغذي مختلف عمليات التجذر و تعطي الشرعية لمختلف الوسائل حتى الاكثر شراسة و عنفا¹. بغرض اثبات الهوية و البراعة و التميز عن باقي الشعوب. فعندما تكون هذه الصورة الاسطورية و القيم المتعارف عليها مهددة من طرف المجتمع الخارجي العدو -الحقيقي او الخيالي- للمجتمع الداخلي، قد تعلن الهوية اكتمالها بالقوة بحيث تنكر و ترفض الاخر وتتدخل في قوقعة التعصب كما قد تنفتح على الخارج كلياً او انتقائياً ...

¹ TOUALBI.N, 2001, l'identité au Maghreb, Ed Casbah, Alger,

ما اريد الوصول اليه هو ان محاولة الامساك بمفهوم الهوية ليس بالشيء الهين لذلك فلا عجب ان نسير منذ الان على ارض اكثر هشاشة بعد ان نضيف البعد الجماعي او الثقافي لهذا المفهوم.

1.3- الهوية و الثقافة... ميلاد لبعض المفاهيم الجديدة:

عندما نتحدث عن عالم متعدد الثقافات بل و مجتمع متعدد الثقافات في مواجهة الاطروحات التي تنادي بالثقافة الواحدة او العولمة ، عندما نتحدث بلغة علم النفس ما بين الثقافات فعلينا بالمقابل استيعاب مسألة ان تطفو اعلى السطح بعض المفاهيم الجديدة منها:

- **المثاقفة L'acculturation** التي تشير الى حالة التلاقح الثقافي اي اقتباس بعض

السمات الثقافية أو الأنماط الاجتماعية من ثقافة أخرى، وعادة ما يحدث هذا بعد لقاء بين الثقافات المختلفة. ويمكن رؤية آثار المثاقفة على مستويات عدة بين الثقافات المتفاعلة. فعلى مستوى الجماعة، غالبا ما يؤدي التثاقف إلى تغييرات في الثقافة والعادات والمؤسسات الاجتماعية. وغالبا ما تقع التغييرات الدالة على التثاقف على مستوى الافراد في الطعام، والملبس، واللغة...

لكنها حالة تؤدي الى نشوء صراعات في الهوية لأنها تزيد ظروف الازمة بالفرد و الجماعة يعيشون باستمرار في حالة من "الصدمة الثقافية"¹.

- **ما بين الثقافات و عبر الثقافات l'interculturel et le transculturel**:

إن ظهور مجال جديد في علم النفس لم يكن وليد الحظ وهو مجال جمع بين علم النفس و الثقافة اطلقت عليه المدرسة الفرنسية «علم النفس بين الثقافات او علم النفس البين ثقافي " Psychologie de l'interculturel" الذي يتعامل مع النتائج التي تتجم عن تواصل الأفراد مع أفراد ومجتمعات ذات خلفية ثقافية مختلفة، أي أنه يعالج ظاهرة "المثاقفة" أو "التواصل الثقافي" في حينها أي في اللحظة المرتبطة بهذا

¹الصدمة الثقافية " chocs de cultures" هو مصطلح اعتمد لأول مرة في مؤلف يحمل هذا الاسم 1989 لكل من كاميليري CAMILLEURI و امريك M.COHEN EMERIQUE

التواصل. يطلق علماء النفس والأنثروبولوجيا على اللحظة الراهنة التي يحدث فيها التواصل بين أفراد مختلفي الثقافات ظاهرة "الثقافة الثالثة" (Troisième Culture) .

اما علم النفس عبر الثقافات لإزالة الالتباس و كما تشير اليه البادئة: " trans " le préfixe فإنه يهتم بدراسة أوجه الشبه والاختلاف بين الخصائص النفسية الشائعة في مجتمعات او ثقافات مختلفة كما يهتم بالدراسة المقارنة بين اكثر من مجتمع او اكثر من ثقافة بالنسبة لموضوع واحد ويقع في دائرة اختصاصه أيضا دراسة موضوع واحد او ظاهرة معينة في اكثر من بيئة أو دراسة موضوع واحد ظاهرة معينة يهتم اكثر من الشعوب او مجتمع من المجتمعات.

- **الصدمة الثقافية: (Le choc culturel)** تعبير يستعمل لوصف الحالة والمشاعر الناجمة عن تعامل الفرد مع ثقافة او محيط اجتماعي مختلف في البلد المستضيف كالمفاجأة، الحيرة، الفوضى و الاشمئزاز... وترتفع هذه الصعوبات في الفترة اللازمة لاستيعاب الثقافة الجديدة، مما يشكل صعوبات في معرفة الملائم من غير الملائم، و تمر بثلاث مراحل:

- مرحلة شهر العسل: وهي النظر الى الاختلافات الموجودة بين الثقافة الجديدة والقديمة ترى بشكل رومانسي و رائع كالأطعمة الجديدة و العادات المختلفة تم تليها .

- مرحلة المفاوضات: بعد عدة أيام، أسابيع، أو شهور قد يشعر الفرد بتغيرات في حياته سواء كانت سريعة جدا أو بطيئة، من المحتمل أيضا أن ينزعج من عادات الناس في المكان الجديد كانت سريعة جدا أو بطيئة، من المحتمل أيضا أن ينزعج ، وقد لا يروق له المكان الجديد فضلاً عن إلى طغيان الحنين إلى الوطن..

- مرحلة التمکن: تسمى أيضا مرحلة كل شيء مقبول "Everything is OK" و يكون ذلك بعد عدة أيام، أسابيع، أو شهور أخرى يتم التعود على اختلافات الثقافة الجديدة و يبدأ الفرد الاهتمام مره أخرى كأى فرد من أفراد هذه الثقافة لكن بشكل نسبي. وهناك أيضا:

- **الصدمة الثقافية العكسية:** عودة الفرد إلى ثقافته الأصلية بعد أن ترعرع على الثقافة

الجديدة، من الممكن أن تنتج نفس تأثيرات الصدمة الاولى.

- **النسبية الثقافية** هي مبدأ ينص على ان افعال واعتقادات الفرد يجب أن تفهم من قبل

الآخرين ضمن سياق الثقافة التي ولد بها. العادات والسلوك التي تعتبر أخطاء في ثقافة ما ، قد تكون مقبولة كلياً أو ربما ممتدحه ومحبية في ثقافة أخرى.

2.3- الهوية الثقافية في الموروث النظري

شأنه شأن المفاهيم الاخرى، لفتت الهوية الثقافية مؤخرا اهتمام جموع الانثروبولوجيين و السوسولوجين و

النفسانيين و حتى التحليليون. فالمفهوم من قبل كان يسبح في سياق كلاسيكي كالانسجام الثقافي، لكن

المسألة اصبحت اكثر تعقيدا بسبب عدم الانسجام الثقافي فالصراعات و التناقض الوجداني

Ambivalence هو ما يميز التناقض الهائل للمجتمعات المتحررة من الاستعمار لذلك اشار Toualbi ان

التشوه الهويي هو الاكثر لفتا للانتباه في المغرب العربي¹ هذه الظروف التي طرأت على مفهوم الهوية

ساعدت على النهوض بدراسات من زاوية اخرى معاكسة لتلك الكلاسيكية يمكن ان نلخصها في جملة

وهي الهوية في ظل ما بين الثقافات L'interculturel .

¹ TOUALBI, 2001, l'identité au Maghreb, Ed Casbah, Alger

1.2.3- ديناميكية الهوية في علم النفس ما بين الثقافات: (الهوية و التثاقف)

في سنة 1979 وتحت اشراف Tap.P في ملتقى دولي حول الهوية الجماعية و التغيير الثقافي¹ قيل ان ديناميكية الهوية لا يمكن كشفها باختلافاتها و تعقيداتها الا في حالة التغيير الثقافي، كما جاء في جعبة Erikson في كتابه المراهقة و ازمة الهوية الذي سوف نعود اليه فيما بعد ان الهوية لا تكون واضحة و "مرئية" الا في ظروف الازمة .

حالة التثاقف تؤدي الى نشوء الصراعات الهوية لأنها تزيد من ظروف الازمة بالفرد و الجماعة يعيشون باستمرار في حالة من " الصدمة الثقافية".

اذن فان ظهور مجال جديد في علم النفس لم يكن وليد الحظ وهو مجال جمع بين علم النفس و الثقافة سمته المدرسة الفرنسية " علم النفس بين الثقافات psychologie de l'interculturelle".

لذلك فمصطلح الهوية هو المكان المشترك لمختلف التيارات النظرية بحيث تسعى كل منها لفهم الانسان امام امتحان التحول السريع.

- انتقال الهوية بين الابعاد او الاقطاب : (الفردية، الاجتماعي و الثقافي)

هوية كل واحد منا تبنى من مجموع مركبات واقعه: عائلته، ثقافته، مجتمعه، مدرسته، بيئته المهنية، رفاقه...

الهوية تعني صناعة الفرد لأنها فهي تحيله الى ما هو مميز داخل قيم مشتركة لمجتمع ما، فبنسبة ل Morin " تكون الهوية طوقا ابديا من تشابه و اختلاف"² فهي واقع جوهري و شعور كما يصفها Erickson في كتابه لسنة 1972 المراهقة و الازمة، البحث عن الهوية.

¹ TAP.P, 1980, Identités collectives et changements sociaux. Introduction (11-15), Toulouse, Privat

² MORIN. E, 1980, La Méthode de la vie, Paris, le seuil

يتفق العلماء من كل الاختصاصات ان الهوية تبنى من خلال البث اليومي للثقافة و ذلك في عملية التنشئة الاجتماعية و التربية، اين يقضي الاطفال معظم اوقاتهم في مؤسسات اجتماعية كالمدرسة و اين تقع مسؤولية بث الثقافة على عاتق العديد من المؤسسات منها الرسمية و الغير رسمية. لذلك سوف نعرض على كيفية تشكل الهوية الاجتماعية بمكوناتها المكون من الاليات النفسية المساعدة على هذه العملية.

- الآليات النفسية لبروز الهوية الجماعية:

تعد نظرية الهوية الاجتماعية محاولة لتحقيق التكامل بين ثلاث آليات نفسية:

- **التصنيف catégorisation**: يصنف الافراد الاشياء ليكي يفهموها، و يفعلون نفس الشيء مع الاشخاص، فهم يصنفون الناس في فئات اجتماعية معينة ليفهموا بيئتهم الاجتماعية، كالمسلمين، المسيحيين، الطلبة، العمال... لأنها تصنيفات مفيدة تجعلهم يتصرفون بالطريقة المناسبة مع كل فئة، كما يستكشفون انفسهم من خلال معرفتهم بالفئات التي ينتمون اليها.

- التماهي (التوحد) identification

يمكننا القول في هذا الصدد انه يتطلب انجاز عنصرين مع عنصر ثالث متصل بهما.

- عنصر اول معرفي cognitif ادراكي: يتضمن ادراك الفرد لعضويته في جماعة معينة.
- عنصر ثاني تقويمي évolutif: يتضمن الدلالات القيمية لذلك الادراك
- عنصر ثالث يتضمن الاستثمار الانفعالي لكل من العنصرين الادراكي و التقويمي

- المقايسة او المقارنة comparaison

مقارنة جماعاتهم الداخلية بجماعات خارجية مرجعية على وفق ابعاد تقويمية معينة، هذه المقايسة قد

تقودهم الى احداث تغييرات في هوياتهم الاجتماعية. ان الهدف من هذه الألية هو الحصول على تقويم ايجابي لجماعتهم ويعني ذلك ظهور دافعين: الاول "التميز الايجابي" اي دافعية الناس لرؤية جماعتهم افضل نسبيا من الجماعات الاخرى المشابهة. و الثانية "التميز السلبي" اي ميل الافراد لتقليل الفروق بين جماعتهم و بقية الجماعات للحصول على تقويم ايجابي¹.

ومن هنا نشير الى ان التناقضات التي يتخبط فيها الفرد المعاصر من جراء القوات المتناقضة في المجتمع و التي تتجاذبه لتحديد الدور المنتظر منه و التي تم استبدالها عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية و تلك القيم و الظروف الاجتماعية التي تواجهه و في هذا السياق يمكننا تبني رأي جون كلود كوفمان Kauffmann,J.C الذي اعتمد بدوره المنظور السميكي « la perspective simmelienne نسبة الى جورج سيمل Georg Simmel ، بحيث يحدد الفرد في مفترق دوائر الانتماءات المختلفة، و تعاريف الذات المتنوعة التي تدفع بهذا الفرد الحائر الى اتجاهات متناقضة ذلك الفرد الذي يجد نفسه عرضة لمحددات و تعريفات مختلفة و متنوعة و مستمرة. وهكذا يرسم الفرد لنفسه مجموعة من الأفكار و الثمالات وكذا نمطا للحياة في مواجهة لهذه الازمة و ازمات اخرى تفرضها مستجدات و ظروف جديدة. لكن ما يجب عدم اغفاله ان تركيبة المجتمع الذي يعيشه هذا الاخير معقدة و تتفاعل ضمنها عناصر مختلفة مادية و معنوية تدخل في اطار مفهوم الثقافة. فحسيلة هذه التفاعلات تضع بصمتها على المجتمع فتتميزه عن غيره و بالتالي تطبع سلوك الفرد حتى و ان كانت له خصوصياته التي يتميز بها عن الآخرين، الا انه يتبنى جانبا من السلوك الذي يحدده النسق الثقافي للمجتمع و بناء على ذلك فان للهوية الفردية اساس ثقافي.

¹ مجلة شبكة العلوم النفسية العربية: العدد 25-26 شتاء و ربيع 2010 ص132

ومنه فالهوية لا تبقى متحجرة في الماضي او الحاضر كصورة فتوغرافية لكن عليها اخذ اوجه جديدة في المستقبل ليتكيف فيها الفرد في كل مرة مع ما يبيث من ثقافة لأنه و كما نشير في كل مرة في هذا العمل الهوية عملية ديناميكية و بحث مستمر.

2.2.3- الهوية مزيج بين الفردي و الاجتماعي و الثقافي:

بما ان الهوية الفردية هي المجموع المنظم للمشاعر و التمثلات الذهنية و التجارب و المشاريع المستقبلية المتصلة بالذات و هي مقدار ما يحققه الفرد من الوعي بالذات و التفرد و الاستقلالية و انع دو كيان متميز عن الاخرين. فان الهوية الاجتماعية هي السمات النمطية التي تحيل الى مجموعات اجتماعية. حيث يقول تفيل Tejfel: " أن الهوية الاجتماعية للفرد مرتبطة بمعرفته لانتمائه إلى فئات اجتماعية، كما أنها مرتبطة كذلك بالدلالة الوجدانية التي تتمخض عن هذا الانتماء"¹

اين يعرف الافراد من خلال نشاطاتهم، افعالهم، مواقفهم نياتهم او اتجاهاتهم. في الغالب يميل الافراد للوصول الى هوية اجتماعية ايجابية.

ان هذه الهويات الاجتماعية تتغير بالموازات مع مرور الوقت و كبر سن الفرد اد يخرج من فئة الطالب الى فئة العامل او البطل ومن فئة الابن الى فئة الاب ثم الجد...

وهنا يمكن ان نقول بان الهوية الفردية و الاجتماعية هما وجهان لصيرورة الهوية تتبعان من الفرد نفسه (فردية) و من الاخر (اجتماعية) لان نضرة الاخر هي التي توصل الفرد الى هويات اجتماعية متعددة و ذلك حسب عديد الانتماءات الى الجماعات الاجتماعية ولكن اختيار الفرد بالإضافة الى

¹ TEJFEL.H, 1973, la catégorisation sociale in MOSCOVICI. S, introduction à la psychologie sociale T2, Paris .P.U.F

معاشه المتشرب بالثقافة هو ما ينتج هويته الفردية التي تميزه عن الجميع حتى و ان وجد نفسه ضمن هويات اجتماعية متكررة و مشتركة.

قدم اريكسن Erickson سنة 1972 مفهوما متوافقا اكثر من اي مفهوم لأنه يفترض ترابطا بين الهوية الفردية و الهوية الاجتماعية في نفس الحركة البنائية. فهو يربط في نفس الوقت السمات الاجتماعية (شروط السن، الجنس و المكانة الاجتماعية) مع الخصائص النفسية بحيث يقول " ينشأ من التتصل الانتقائي من تقمصات الطفولة وكذا استعابها في صورة جديدة و التي تعتمد على سيرورات المجتمع..."¹.

اذن فالرؤية المنشطرة او المنقسمة الى هوية جماعية و هوية فردية استبدلت بأخرى اكثر ديناميكية منذ Erickson سنة 1972 بحيث اعتبر البعدان الرئيسيان للهوية كقطبي الاستمرارية " un continuum" لننتقل من احدهما الى الاخر حسب الجانب او المظهر المشار اليه في الفرد و محيطه.

ديناميكية الهوية هي نتائج علاقة جدلية بين الهوية الفردية و الهوية الجماعية لذا يقول Pierre Tap في احد مؤلفاته علينا تسجيل انفسنا في (ما بين اثنين) الفردي و الجماعي، الداخلي و الخارجي²

ونتيجة لذلك لا يوجد هوية لا فردية ولا جماعية منفصلتان لكنهما جهد لا متناهي من اثبات الذات و الاختلاف و التفرد تحد منه في المقابل عمليات آخري كالتبعية و الانضمام و التقمص.

الهدف النهائي لهذه العملية اي عملية الانتقال من احد جانبي الهوية الى الجانب الاخر، هي بناء خلاصة تكيفية بين التصورات الذاتية و واجب التطابق مع المحيط قدر المستطاع وهذه النظرة

¹ ERIKSON.E, 1972, p167

² TAP.P, 1980, Identités collectives et changements sociaux. Introduction (11-15), Toulouse, Privat, p12

اشترك فيها عدة علماء على رأسهم Erickson وكذا Tap. اما Goffmane فأريه يختلف اختلافا طفيفا عن الآخرين و هذا ما يوجب علينا توضيحه، يرى Goffmane تصور الذات « self » و الهوية انطلاقا من زاوية الدور، ويظهر امكانية الفرد لاتخاذ هويات متعددة و مختلفة وفقا للظروف التي ينشأ فيها في البداية يسميها "الهوية الموصومة " l'identité stigmatisé ثم الادوار المنوطة بكل فاعل اجتماعي. فهو يشبه العالم بمسرح ضخم حيث كل فاعل اجتماعي فيه يلعب عدة ادوار مما يجبر قسريا هويات مختلفة. فذهب الى استخلاص انه يوجد هوية مزدوجة: "الهوية الواقعية" l'identité réelle و "الهوية الافتراضية" l'identité virtuelle و بالرغم من انها منفصلتان على المستوى البراغماتي او الواقعي الا انها متكاملتان وذلك لأنه في تعدد الهويات يتحقق التوافق الاجتماعي¹.

اذن فالعلوم الاجتماعية المعاصرة، نفت نظرية الهوية الثابتة او الجوهرية واستبدلتها بخطاب آخر متمركز حول تعدد طبيعة و وظائف الهوية. اما Claude Levi-Strauss الذي عمل على تحليل التمثلات الذهنية للهوية في المجتمعات البدائية، انتهت تحاليله الى غياب الماهية الثابتة للهوية. فالهوية تبنى من اجزاء متفككة و كل جزء يعمل بطريقة خاصة و معزولة عن الاجزاء الاخرى، اذن فالهوية حسب Levi-Strauss لها وظيفة تجميعية une fonction combinatoire لمختلف العناصر، وخلاصة هذه الاخيرة تبقى دائما محل تساؤل².

اذن فكما سبق و وضحنا تم استبعاد الهوية الثابتة و استبدالها في العلوم الاجتماعية بتأكيد على هويات متفاعلة، متجزئة، حقيقية، افتراضية...و بشكل فردي او جماعي وكل هذه الهويات لها وظيفة واحدة وهي تأمين الشعور بالوحدة و الاستقرار و الديمومة للفرد وهو الشيء الضروري للعيش في

¹ E. GOFFMAN, 1973, La Mise en scène de la vie quotidienne, 1. La présentation de soi, Paris, (1^{re} éd. 1959).

² CLAUDE LEVI-STRAUSS, 1958 - Anthropologie structurale. Paris, Plon

عالم من الحركة و التغيير . لكن هذه الوظيفة ادا ما نظرنا اليها من زاوية اكثر عمقا وتحليلا نجد ان لكل كلمة منها مرادف بلغة كاميلوري Camilleri لذلك يمكن ان نستعرضها كالاتي:

3.3- وظائف الهوية:

ذكرنا ان الوظيفة الاساسية للهوية هي تأمين الشعور بالوحدة و الاستقرار و الديمومة للفرد، لنطابق هذه الفكرة مع ما ذكره كاميليري Camilleri حول هذه المسألة، نجد انه يرى الهوية على أنها تمفصل مكونين هما: ديمومة الأنا واستيعاب الجديد، وكل مكون يمثل بعدا أو قطبا من أقطاب الهوية تكافئ وظيفة من وظائفها.

اذ يتعلق القطب الأول بعملية تأسيس معنى يضمن للذات التعرف على نفسها بوصفها "ذاتا" ويحافظ على الشعور بوحدتها في خضم التنوع الذي يواجهها في أدوارها المختلفة، ويحقق هذا القطب الوظيفة الأنطولوجية للهوية. و يمكن ان نسميه القطب الذاتي

كما يتعلق القطب الثاني بمقتضيات المحيط وأخذها بعين الاعتبار، إذ علينا أن نؤسس لهويتنا محاولين قدر الإمكان استيعاب محيطنا والتكيف معه مما يضطرنا إلى الدخول في مفاوضات مستمرة معه، يحقق هذا القطب الوظيفة البراغماتية للهوية. ويمكن ان ندعوه القطب الاجتماعي

و يتعلق القطب الثالث بانشغال القيمة أو الأهمية، بحيث يحاول كل فرد وكل جماعة أن تعلن لنفسها عن هوية تفخر بها وتكون محل تقدير الآخرين¹ بهذا تكون الهوية تكويننا لبنية معنى تسعى أن توازن بين الحاجة الأنطولوجية للذات للتعرف على ذاتها في وحدتها مع مرور الزمن وما يطرأ عليها من تغيرات، وبين حاجاتها البراغماتية للتكيف مع متطلبات العالم الخارجي، وبين سعيها المستمر لأن تكون

¹ CAMILLERI.C et Coll, 1989, Chocs des cultures; concepts et enjeux pratiques de l'interculturel, édition l'Harmattan, Paris,

محل اعتراف وتقدير من الآخرين، وبنية المعنى هذه ليست في النهاية سوى قيم ثقافية نؤلف بينها لتشكيل هويتنا ، وهذا هو القطب الثقافي من الهوية..

اذن فقد ذكر كاميلوري Camilleri ثلاث وظائف للهوية:

- وظيفة انطولوجية (تفردية) يحققها القطب الذاتي من الهوية و ترادف الشعور بالوحدة
 - وظيفة براغماتية (إدماجية و تكيفية) للهوية يحققها القطب الاجتماعي من الهوية و ترادف الشعور بالاستقرار
 - وظيفة قيمية تقديرية للهوية يحققها القطب الثقافي من الهوية و ترادف الديمومة وعدم الاندثار الثقافي.
- يمكن تقريب هذه الفكرة من ما جاء على لسان لبيانسكي Lipiansky و فريق بحثه سنة 1990¹ بان وظيفة الهوية هي اعادتنا الى شعور واع من الخصوصية الفردية و منه تتفرع تعدد الهويات في جهد لا واع لتحقيق الاستمرارية و الاستمرارية المؤقتة. هذا عن تعدد الادوار و الانتقال من هوية الى هويات يفرضها الدور لكن ماذا عن الازدواجية الثقافية و الانتقال من هوية ثقافية اصلية الى هوية اخرى مع استيعاب التغيرات السريعة للعالم الخارجي؟

4.3- استراتيجيات الهوية و الاشكال التي تتخذها:

فالفرد في ظل التناقض يخضع لسلسلة من التناقضات و التضاربات الوجدانية les ambivalences السريعة جدا الى التشويش على ثبات و وحدة هوية الفرد وخاصة ان الفرد المغربي لا سيما الجزائري موجود في مركز هذه الصراعات. فلاحتماء الازمات و الصراعات التي يواجهها الأفراد خاصة الشباب منهم، خلال مراحل بناءه لهويته وما يتعرض له من تناقض، يعمد هذا الفرد الى استثمار و توظيف مجموعة من العمليات و المناورات المحسوبة وذلك وفق ما يريد الوصول

¹ LIPIANSKI et COLL, 1990, introduction à la problématique de l'identité in CAMILLERI, stratégies identitaires, paris, PUF

اليه الفرد من اعتراف من الغير و تميز شخصيته و مكانته فب المجتمع. ويمكن التعبير عن هذه المجموعة من العمليات و المناورات المحسوبة بلفظ الاستراتيجية.

وهذا ما يضعنا امام اشكالية قابلية الفرد و بخاصة الفرد الجزائري لتطوير استراتيجيات للهوية

في زمن العولمة و التداخل و التدفق الثقافي الهائل الذي تفرضه طرق وطقوس حياته اليومية التي لم

تعد تخلوا من الاطلاع على العالم بعيون و آذان السمعى البصرى. لكن قبل التفكير في كل هذا، لا بأس

من التذكير بالموروث النظرى لكاملورى Camilleri عن استراتيجيات الهوية .

- استراتيجيات الهوية:(les strategies identitaires)

يرى كاميلورى Camilleri انه يمكن للفرد تطوير استراتيجيات للهوية وذلك لأغراض مختلفة.

- اهداف استراتيجيات الهوية:

1- تمكن الفرد من التعرف على هويته الاجتماعية و هوية جماعته.

2- تمكنه من الانتماء الى جماعة اجتماعية محددة او على العكس اي الخروج منها.

3- تساعد على تقييم و تثمين الهوية الشخصية و الجماعية.

"استراتيجية الهوية تبدوا كنتيجة للبلورة الفردية و الجماعية تظهر في التوافقات التي يوظفها الفرد حسب

ظروفه وحسب غاياته اذ فثلاث عناصر مهمة في استراتيجيات الهوية: الفاعلون، الظروف المفروضة

عليهم، الغايات او الاهداف التي يتعقبونها"¹

¹ CAMILLERI.C, 1990, Les stratégies identitaires, Paris, PUF,

- تعريف استراتيجية الهوية:

لكثير من الاخصائيين النفسانيين منهم تاب Tap و كاميلوري Camilleri يشتركون في تعريف استراتيجيات الهوية النشطة كعمليات عقلية و سلوكات تساهم في بناء هوية مقبولة اجتماعيا و في نفس الوقت محترمة للقيم الخاصة للفرد¹.

اما لبيانسكي Lipiansky فبعرفها على انها " اساليب يوظفها الكائن (افراد و جماعات) بصفة شعورية و لا شعورية لتحقيق غاية ما، وهي اساليب تتوقف على وضعية التفاعل، أي وفقا لمختلف المحددات الاجتماعية، التاريخية، الثقافية و النفسية لهذه الوضعية²

- استراتيجيات الهوية الاساسية:

من بين اهم استراتيجيات الهوية التي درسها كاميلوري Camilleri

1- استراتيجية الاستيعاب La stratégie d'assimilation :

غايتهما التجمع حول القومية الوطنية. ممكن ان تؤدي الى الانسياق الى الجماعة و التماثل الثقافي، فقدان الهوية مع تغيرات في المظهر الخارجي وهي توجه الفرد اكثر نحو الخارج و يمكن ان يتسبب ذلك بقطيعة مع افراد العائلة و مجتمع الانتماء الاصلي.

2- استراتيجية اعادة التقييم التفرد La stratégie de revalorisation de la singularité :

هدفها هو عكس الاستراتيجية السابقة اي الحفاظ على روابط الثقافة الاصلية بالإبقاء عليها. هذه الاستراتيجية تميل في بعض الاحيان الى تمجيد و اضافة المثالية على الجماعة التي ينتمي اليها الفرد.

¹ MANCO ALTAY.A, Stratégies identitaires quelles valorisation?, in Agora débats/ jeunesse, Num24, 2001, p 107

² LIPIANSKY, E.M., 1992, identité et communication, paris, PUF, p24

3- استراتيجيات الوسيطة او التفاوض Les strategies intermediaries:

تقع في المنتصف، بين الاستراتيجيتين السابقتين وهي ثابتة على مبدأ البحث عن التماثل و لكن في نفس الوقت الميل الى الاختلاف الذاتي.

فتبني هذه الاستراتيجيات الهوياتية قد يقصد منها تحقيق التشابه و الامتثال او التنكر و محو الهوية، وقد يسعى لتحقيق الاندماج و كل هذا طبعا لسعي وراء حل الازمات و الصراعات التي قد يتخبط فيها الفرد داخل الجماعة، ومن جهة اخرى قد يسعى لتلك الاستراتيجيات لإبراز بعض خصائص هويته التي تجعله مميزا عن الاخرين و بالتالي اثبات فرديته و تميزه عن الجماعة.

وغالبا ما يلجأ الافراد الى هذه الاستراتيجيات في الازمات التي تكون نتيجة لوضعيات التحولات و التغييرات الاجتماعية السريعة فيعتمد اذا الاستيعاب او التفرد او التفاوض لبناء الهوية و اعادة بنائها من جديد فالهوية عملية لا تهدأ و لا تتوقف و يمكن الاستدلال على ذلك من خلال مقولة لبينانسكي Lipiansky " الهوية عبارة عن سياق و عملية اختيار و مسألة مسار..."¹

ان الهوية بهذا المعني تنمو و تتطور و تمر بمراحل ، لكن تعرضها لصراعات تفرضها الظروف كحالة الاغتراب او العولمة الثقافية تتخذ اشكالا مختلفة:

5.3- اشكال الهوية:

لنتمكن الهوية من حماية نفسها و تحقيق التوازن بين التصورات الداخلية و التصورات الخارجية تتخذ اشكالا مختلفة اما للدفاع عن ذاتها او للهروب من الواقع:

¹ نفس المرجع السابق ص53

- **هوية الواجهة:** و هي تظاهر الفرد بهوية اخرى، بسبب شعوره الداخلي بسلبية هويته في مواجهة المحيط الخارجي. و بسبب شعوره بالرفض من الآخر الذي تتعارض ثقافته مع ثقافته يلجأ هذا الاخير الى اخفاء جملة من صفاته و خصائصه، و يتظاهر بجملة من صفات الآخر هروبا من النقد او الرفض او الالهانة. لكن هوية الواجهة ممكن ان تكون مستمرة او ظرفية تعالج موقفا ما امام خطر معين. فقد يضطر الانسان احيانا الى اللجوء لهذه الاستراتيجيات لمواجهة الرفض و العنصرية.

- **الهوية السلبية:** ان هذا الاختيار يظهر جليا عند فئة المراهقين الذين هم في طور البحث عن الهوية، حيث ان الشعور بفراغ الهوية يرافقه رفض للأدوار التي تحددها الاسرة أو المجتمع بشكل عام، و عليه فانه يحاول اسقاط العيوب التي يخاف من مواجهتها على الآخرين، عندما يسقط كل ما هو سلبى على الآخرين، فإنه يعتقد انه في مأمن و يطمئن لهويته الذاتية. ولكن ان الهوية السلبية تمثل عملية لتفكك الانا وفي هذا الصدد يرى اريكسون Erikson مؤكدا ان كل تفكك او عطل في وظيفة هذه العملية يؤدي حتما الى فقدان الهوية و من تفكك الانا و الذات معا و عليه في هذه الحالة يعيد تعريفهما من جديد وهي عملية صعبة للغاية¹. وحين تفشل هذه المحاولة و يدرك الانسان الواعي خطورة الموقف قد يلجأ الى تعزيز سلوك دفاعي او عدواني محاولة منه لإثبات هوية.

- **الهوية في الموقع الدفاعي:** ان الهوية تحاول باستثمار المحافظة على وحدتها و على قيمتها داخل المجتمع، وقد تلجأ من اجل ذلك أثناء الضغوط المختلفة كمحاولة تجريدها من بعض خصوصياتها، الى بعض اساليب او الاستراتيجيات كالدفاع او المهادنة او المهاجمة.

وفي مقابل الوضعيات الدفاعية، قد تتبلور استراتيجيات أخرى، كالميل الى العدوانية و تبني المواقف الهجومية على الآخر الذي يريد الهيمنة.

¹ ERIK H. ERIKSON, 1972, Adolescence et crise la quête de l'identité, Ed Flammarion, paris

- **الهوية في الموقع الهجومي:** حين يتعرض الانسان الى محاولة فرض نمط سلوكي و

ثقافي عليه، فإنه يشعر بالإهانة و يرى في ذلك عدوانا عليه و على مقومات هويته، مما يدفعه الى تبني اسلوب هجومي و هذا ما تذهب اليه Maleweska, H.P حين تقول: " يتبنى المغاربي اسلوبا هجوميا عدوانيا، خاصة امام مظاهر التميز العنصري. و تثبت الباحثة في دراساتها بأن العدوانية هي رد فعل سريع للإجباط الذي تلحقه مظاهر التميز العنصري بالفرد"¹

ان اختيار استراتيجية العدوان يظهر كرد فعل حينما لا تنفع الاستراتيجيات الاخرى اضافة

الى طبيعة الفرد الذي قد يكون غيورا على ذاته و على ثقافته.

الهوية حين تتعرض للتهديد، تسعى الى الدفاع عن نفسها متخذتا عدة اشكال و استراتيجيات

تحدها طبيعة الفرد و طبيعة التهديد و الطرف.

6.3- مركبات الهوية الثقافية:

ان تحديد هوية مجتمع او جماعة او فرد يقتضي العودة الى جملة من العناصر التي يمكن

تصنيفها الى المجموعات التالية:

اولا: عناصر مادية وفيزيائية تشمل:

- الحيازات: الاسم، والموضوعات الاموال والسكن والملابس.

- القدرات: القوة الاقتصادية و المالية والعقلية.

- التنظيمات المادية: التنظيم الإقليمي، نظام السكن، نظام الاتصالات الانسانية.

-انتماءات الفيزيائية: الانتماء الاجتماعي، التوزعات الاجتماعية، والسمات المرفولوجية الاخرى المميزة.

¹ مالويسكا في الهوية و العولمة، لمحمد مسلم دار الغرب للطباعة و النشر، وهران، 2002، ص26

ثانياً :عناصر تاريخية وتتضمن:

-الاصول التاريخية: الاسلاف، الولادة، الاسم، المبدعون، الاتحاد، القرابة، الخرافات الخاصة

بالتكوين، الابطال الاوائل.

-الاحداث التاريخية الهامة: المراحل الهامة في التطور، التحولات الاساسية، الاثار الفارقة، التربية

والتنشئة الاجتماعية.

-الاثار التاريخية: العقائد والعادات والتقاليد، العقد الناشئة عن عملية التطبيع او القوانين والمعايير

التي وجدت في المرحلة الماضية.

ثالثاً :عناصر ثقافية نفسية وتتضمن:

-النظام الثقافي: المنطلقات الثقافية، العقائد، الاديان والرموز الثقافية، الايديولوجيا ونظام القيم

الثقافية، ثم اشكال التعبير المختلفة "فن، ادب...".

-العناصر العقلية: النظرة الى العالم، نقاط التقاطع الثقافية، الاتجاهات المغلقة، المعايير الجمعية،

العادات الاجتماعية.

-النظام المعرفي: السمات النفسية الخاصة، اتجاهات نظام القيم.

رابعاً :عناصر نفسية اجتماعية وتتضمن:

- اسس اجتماعية: اسم، مركز، عمر، جنس، مهنة، سلطة، واجبات، ادوار اجتماعية، نشاطات،

انتماءات اجتماعية.

- القيم الاجتماعية: الكفاءة، النوعية، التقديرات المختلفة.

- القدرات الخاصة بالمستقبل: القدرة والامكانيات، الاثارة الاستراتيجية، التكيف، نمط السلوك.

7.3- التعددية الثقافية و الهوية:

أدت العولمة و الانفتاح الثقافي، إلى تأثيرات متعددة، في مجالات مختلفة، من أبرزها مشكلات الهوية والتعددية الثقافية.

1.7.3- التعددية الثقافية و غموض الهوية:

ان حقيقة الهوية في حالة الازدواجية و التعددية الثقافية لا تشبه الهوية في الظروف العادية التي يسودها الانسجام الثقافي. كاميلوري Camilleri يدعو هذه الحالة "بضغط تفعيل الهوية" la d'effectuation identitaire pression¹

ان استمرار القيم التي تبنى عليها الهوية احادية الثقافة تجعل من علامة الهوية marqueur identitaire في اوج قوته و ثباته لكنه يستبدل في عالم ما بين الثقافات بفقر القيم المشتركة مع ظهور طاع لرموز وقواعد متفاوتة تغير وحدة المعنى المعطى للذات و العالم الخارجي.

المجتمع بحد ذاته، مشبع بقيم غير متجانسة ممزقة في اتجاهات ثقافية متعرضة و التي تؤدي الى ما اشرنا اليه سابقا على لسان كاميلوري Camilleri ضغط تفعيل الهوية و التي ينتج عنها عادتاً تفاقم واختلاط المعاني une foire de sens تؤثر على وحدتها و انسجامها، فيصبح الفرد كالذي تُرك لنفسه بسبب قلة و غياب نظام قيمي كان من المفروض ان يوجهه. فالفرد في هذه الحالة يعيش في فراغ هويي بالإضافة الى تضخم في الرسائل الثقافية المتناقضة.

لذلك يري البعض ومن بينهم طوالبي Toualbi.N ان شروط ازمة الهوية كلها تجتمع في هذه الحالة. و تجدر الاشارة الى ان مصطلح ازمة الهوية كان محل اهتمام العديد من المختصين من

¹ CAMILLERI.C, 1990, p23

بينهم اريكسون Erikson.E الذي كان اول من وظف هذا المصطلح مع تركيزه على تحليل الصراعات الثقافية التي تعيشها الاقليات الاثنية في علاقتها مع المجتمعات المستضيفة¹.

التماهي او التقمص هذا المفهوم الفرويدي كان اساس نظرية الهوية واضطراباتهما. فقط سجل فرويد Freud.S ان الهوية هي المرحلة النهائية للسيرورة التقمصية و التي تنتظم بطريقة انتقائية.....تصلية.....او استعابية لتقمصات الطفولة التي يعيشها الفرد حسب فرويد Freud فان هذا الاستيعاب الذي يلعب دورا فعالا في سيرورة بناء الهوية و الذي ينجح عندما الجزء الداخلي من الهوية "القطب الموجب" ينتصر على "القطب السالب" و عندما يصل الى تقبل نفسه و تقبل المجتمع دون ضرر.

ولكن في حالة التعددية الثقافية التي تدخل في اطار ما بين الثقافات، و التي تكثر فيها النماذج المتضادة، يصعب على الفرد التوافق مع تقمصاته القديمة و المبكرة امام طبيعة العالم الخارجي الذي يتغير باستمرار بحيث لا يتمكن من التكيف معه ليهتمش و يرفض من طرف الجماعة كما هو الحال في الهجرة. حيث غالبا ما يكون الاقصاء و التهميش الاجتماعي و الثقافي من نصيب الفرد المهاجر.

بالرغم ان Erikson.E رسخ الدور الذي تلعبه التقمصات المبكرة في سيرورة بناء الهوية (l'identification) الا انه لا يمكن اغفال ما جاء به لakan الذي يعطي لمرحلة المرأة حصة الاسد في بناء الوعي بالذات مكن طرف الطفل الصغير² الهوية بالنسبة لakan متعلقة بلفظ "انا" التي تعتبر حدثا قاعديا في البناء و التأكيد النفسي للهوية الذاتية و الشعور بالتفرد و التميز مقارنة بالأخر و بالعالم.

¹ ERIKSON.E, 1972

² شرحنا هذه الفكرة بالتفصيل في عنصر سابق

اما دوفورو Devereux.G الذي دخل الى مفهوم الهوية عبر مفهوم الثقافة يعتبر الهوية نتاج نوعين من اللاشعور .

1- اللاشعور الجماعي الاثني L'inconscient ethnique: و هو ذلك الجزء الجماعي من اللاشعور و الذي يتقاسمه كل فرد مع باقي افراد الجماعة.

2- اللاشعور الخاص idiosyncrasique: بحيث يعتمد عليه و يكمله في نفس الوقت وهكذا يتبنى الفرد كل الاوامر العقلانية و الثقافية.

فالهوية هي نتاج مركب يجمع بين هدين الشكلين من اللاوعي. و لكن هذا المركب يكون اكثر تشربا للاوعي الثقافي (الاثني) و الذي يصمم الهوية بطريقة ما.

ما دونه Devreux في مؤلفه "محاولة في الإثنوسيكاتري العامة" حول مجال بين الثقافات transculturel خصص جزءا كبيرا منه لطرح واقع صعوبة التجربة التي يمر بها الافراد في المجتمعات في اطار التحول الثقافي و التغيير، مؤكدا على ظهور اشكال من التفككات و التمزقات تثير حالة من "ارتباك الهوية" confusion identitaire من جهة و سلوكات و افكار مجانبة للواقع des conduites « déréistiques » من جهة اخري و ذلك بالتناوب. وهذا ما يشير الى القلق الثقافي الذي يمكن ان يتحول في ظل بعض الظروف الى كيانات باثولوجية خطيرة يسميها Devereux "عصاب المثاقفة" névrose d'acculturation¹.

اذن فاضطرابات الهوية تظهر تحت تأثير التغيير السريع للسيرورات الثقافية اد ان بعض الافراد لا يملكون المرونة الكافية للتصدي للك هائل من المعايير و القيم المتجددة.

كان لباستيد Bastide ، توغاين Touraine و غوفمان Goffman نصيب من التدخلات فيما يخص هذه النقطة حول التغيرات السريعة و تداعياتها على الهوية بحيث يقول Goffman "ان الافراد

¹ DEVEREUX.G in TOUALBI, N, 2000, l'identité au Maghreb, Casbah, Alger, p31

الدين يعانون من اضطرابات في الهوية، سببها راجع الى ان هويتهم تفتقر الى امكانية تحويل العناصر او المواد التي هي بحاجة اليها لكي تنتظم و تعمل بطريقة طبيعية". اما Touraine.A فلا يرجع السبب الى الفرد نفسه انما الى الظروف بحيث يقول في مؤلفه محاولة في السوسيولوجيا 1984 "...في المجتمعات التي تكون فيها التغيرات الثقافية بطيئة، الفرد يعرف نفسه من خلال انتمائه لجماعات و من خلال ادواره الاجتماعية، اما في المجتمعات السريعة التحول، اين يفقد الارث الاجتماعي اهميته شيئاً فشيئاً في مجتمع يعرف بمستقبله اكثر مما يعرف بماضيه و تغيراته اكثر مما يعرف بقواعده و قوانينه، فالهوية الاجتماعية تحسر شيئاً فشيئاً محتواها و مضمونها..."¹

تذكرنا مجموع هذه الافكار بمصطلح "الأنوميا" l'anomie لدركايم Durkheim.E الذي

يدخل في قلب الاضطرابات الاجتماعية الناتجة عن تيارات التجديد السريعة و القوية في المجتمعات.

أضاف باستيد Bastide ملاحظة هامة بعد دراسته للمجتمعات التقليدية التي جرتها العولمة الى سلسلة من التغيرات السريعة كالمجتمعات الافريقية و البرازيلية وهي انتعاش الاضطرابات العقلية في هذه المناطق.

فالمجتمعات المتحولة التي تحتوي على ما يسمى "عوامل مسببة للأنوميا" les facteurs

causaux de l'anomie حيث الانتقال من نمط حياة اجتماعي و متساو الى مجتمع موسع "قاطع

للروابط يترك فراغا تؤدي الى الوحدة و الى افراد ضائعين في كتلة لا مبالية"²

اذن فهذه التغيرات التي تطمس التمثلات الذهنية السوسيو- ثقافية تسبب نوعا من الشعور

بالوحدة و التخلي مما يؤدي في نهاية المطاف الى الأنوميا بموكبها المكون من مختلف الاضطرابات

على مستوى الهوية الفردية و الثقافية.

¹ TOURAINE.A, 1984, Le retour de l'acteur. Essai de sociologie, Paris, Fayard, p180

² BASTIDE.R. in TOUALBI, N, 2000, l'identité au Maghreb, Casbah, Alger, p 33

في الجزائر مثلا، و ككل الدول التي استقلت من استعمار غربي، ضلت مخلفات و بقايا هذا الاخير تعمل على استمرار الصراع بين ثقافتين، و في ذلك اشارة الى التضارب الوجداني الذي سوف نتطرق له مباشرة بعد هذه النقطة، في خضم هذا الصراع "يتبنى الموروث الاستعماري الهوية السلبية، اي هوية الآخر فيرفع شعاراتها و ينتصر لها و يتقمص تصورات و اتجاهات الاخر فينسلخ عن جلده و ينكر ذاته فيفقد المعايير التي تمكنه من تنظيم مجاله الداخلي فيفقد القدرة على التعرف على ذاته و على الآخر و قد يزداد حيرة و توترا و اضطرابا عندما يدرك بان هذا الآخر يرفضه و هنا يحدث عدم الانسجام و التفكك في الشخصية و هي حالة من حالات صراع الهوية"¹ وكذا غموضها

هذه الحالة - حالة غموض الهوية - نجدها ايضا عند الجيل الثاني من ابناء المغتربين في البلدان الاجنبية كالجزائريين و المغاربة بصفة عامة في فرنسا حيث تطرح اشكالية عدم التحديد الدقيق للهوية الثقافية لأن الصراع القائم بين قيمهم الأصلية و قيم المجتمع المضيف يولد صراع على مستوى الهوية في غياب الانسجام الثقافي للفرد و الشعور بالانتماء. و تدعم هذه الفكرة Malewska, P.H حيث تقول " ان المراهق المغربي في فرنسا يعيش عمليتين مؤلمتين في نفس الوقت: الاولى تكمن في الاضطراب الوظيفي للثقافة Le dysfonctionnement culturel الذي يؤدي بالضرورة الى عدم امتلاك هوية ثقافية كاملة، و الثانية تتلخص في الصورة السلبية لذاته و التي يتلقاها من الآخرين. ان هذين العنصرين هما اشارة عن صراع الهوية الذي يعيشه الجيل المغربي الثاني."²

فالفرد في هذه الحالة يعيش مجموعة من الادوار المتناقضة كشعوره بأنه مسلم دون تطبيق شعائر الاسلام، او عربي دون شعوره بذلك، او فرنسي دون مشاركته لهم لشعوره بأنه مرفوض بينهم و كل ما قيل يزيد من وضعية غموض الهوية.

¹ مسلم محمد ، الهوية و العولمة، دار الغرب للطباعة و النشر، وهران، 2002، ص52
² نفس المرجع السابق.

و العولمة في المغرب العربي على غرار الجزائر التي صارت تخضع لنفس القاعدة، فالمثاقفة قد أدت إلى إخراجها من النموذج الثقافي التقليدي وإدخاله في سيرورة نموذج جديد بما ينجر عن ذلك من تبني افراده لاستراتيجيات للهوية، تحاول التوفيق بين القيم الثقافية التقليدية والقيم الثقافية الحديثة، و الموازنة بين القيم التي أنتجتها تكويناتها الثقافية الخاصة والمتصلة بالوظيفة الأنطولوجية للهوية، وبين القيم الثقافية الغريبة، الوافدة من ثقافات مغايرة تقدم نفسها باسم العالمية والعولمة، تفرض على المغاربة أن يأخذوها في الحسبان في توظيفهم لاستراتيجيات الهوية بما يتناسب مع ضرورة التكيف مع العالم وتحقيق الوظيفة البراغماتية للهوية.

2.7.3- التعددية الثقافية و مفهوم التضارب او التناقض الوجداني L'ambivalence :

كثر في البحوث العلمية مؤخر استعمال مصطلح التضارب الوجداني الذي ترجع جذوره الى الطب النفسي حيث دخل الى الساحة من طرف بلولر Bleurer سنة 1910 لوصف عرض عند الفصامين ليستعيه فرويد Freud في معنى آخر وهو تجاور عاطفتي الحب و الكره في الوقت ذاته. وهنا اكتسى هذا المصطلح صبغة تحليلية.

اما فيما يخص استعماله حاليا في مجال ما بين الثقافات بمطابقته مع الهوية فهذا امر مستحدث لم يكن حاضرا في كتابات Bleurer ولا Freud. ولفهم مصطلح التضارب الوجداني علينا ان نستعرض بعض التطورات التي اضافتها جهود العلماء الذين استقطبهم هذا المفهوم.

ففي موسوعة مصطلحات التحليل النفسي للابلانش و بونتاليس Laplanche et Pontalis

نجد في صفحة 19 "...تواجد مترامن لمشاعر و مواقف متعارضة في علاقة مع نفس الشيء"¹

¹ LAPLANCHE.J et PONTALIS.J-B ,1968, Vocabulaire de psychanalyse, paris, PUF

ذكرنا ان فرويد Freud كان اول من ادخل المصطلح في بوتقة التحليل النفسي لكنه كان ايضا السباق في استعماله في الدراسات الأنثروبولوجية بحيث وظفه في دراسة مقارنة مبتكرة حول المحرمات عند الانسان البدائي و المحرمات المسؤولة عن العصاب الاستحواذي و الذي فيما بعد اصبح حجر الزاوية في نظريته حول الصراع الاوديبي الذي اعتبره منظما لمصير النزوات. فالتناقض الوجداني يعتبر في رحم المشاعر (الحب و الكراهية) و الذي تعتمد عليها لاحقا نوعية العلاقات المستقبلية للموضوع و بالتالي الصحة النفسية و الجنسية للفرد.¹

نلمس هنا اهمية مصطلح التناقض الوجداني بنسبة لمؤسس التيار التحليلي فرويد Freud الذي يلعب دورا هيكليا في تنظيم و عمل الشخصية. اذن فمصطلح بهذا الحجم لا بد ان له امتدادا عند اتباع هذه المدرسة اصحاب التيار النيو فرويدي.

ميلاني كلاين melanie Klein مثلا تقول في هذا الصدد ان الطفل يمر في السنة الأولى من عمره بوضعيتين: وضعية شبه عظاميه Position paranoïde-schizoïde وتمتد على طول الأربعة أشهر الأولى من الميلاد وفيها تظهر سادية فمية ويشطر الموضوع الجزئي (الثدي الأمومي) إلى قسمين جيد وسيء و وضعية اكتئابيه من الشهر الرابع إلى نهاية العام الأول من الولادة وهنا تكون الليبيدو والعدوانية مرتبطتان فيظهر التناقض "حب-كره" ويجمع الموضوعان الجيد والسيئ ومن تم تدرك الأم كوحدة مستقلة². اذن فالتبادلات العاطفية الاولى لرضيع مع امه و بالضبط مند بداية العلاقات مع الموضوع (ثدي الام) تتكون عنده غريزة الحياة و غريزة الموت بحيث تتواجدان معا في حركة مسيطرة للموضوع ذاته، وهكذا ينشئ الطفل مع الام علاقات هوائية تشمل كل من مشاعر الحب و الكراهية في مزيج واحد وهذا هو التناقض الوجداني بعينه.

¹ TOUALBI.N, 2000, l'identité au Maghreb, CASBAH Edition, Alger, p34

² KLEIN.M, 2005, La psychanalyse des enfants, Petite Bibliothèque Payot.

ليس بعيدا عن التحليل النفسي، و في مجال الانثروبولوجيا التحليلية حيث ينشط Devreux.G الذي عرف التناقض الوجداني بموازات الهوية على انها تؤدي الى حالة من الازمة الثقافية، في محاولة للتأثير على القيم القديمة و المتكررة كالطقوس، الاساطير، و المقدس لتجهيز لإقامة و تكييف عوامل التغير الثقافي¹.

من نظور آخر ينعت بالإسلامولوجي، J. Berque يعتبر التجاذب او التناقض الوجداني قيمة اساسية في الثقافة العربية. فهو لا يشير الى التناقضات الباطنية التي تتسج هذه الثقافة فحسب بل و الى علاقتنا مع هذه الثقافة الضاربة في عمق التاريخ و التي تتظاهر بالتعايش مع العالم و الحضارة الغربية بحيث قال في كتابه المغرب بين الحريين " الغرب و الشرق بالنسبة للدول العربية ليسا موادا للجغرافيا فحسب و انما هما اجزاء غربية و اجزاء شرقية تتصادم فيما بينها في كيان الشعب و كيان الفرد"²

التناقض الوجداني كما يعرفها Berque تعكس بعض الخصوصية الثقافية في الهوية الجماعية المغربية، فهو يشير الى التعقيد النفسي - الثقافي جاعلا من الهوية تبدو و كأنها جامدة يتقادفها "المقدس و التاريخي"، "التقليدي و المعاصر" و المقدس مع المحرم" وهو تعبير اسال حبرا كثيرا من قلم طواليبي N. Toualbi³ الذي استعاره من Mircia Eliade.

مفهوم التناقض الوجداني مفهوم دائم الارتباط بالهوية ادا ما نظرنا اليها بمنظور بين الثقافات L'interculturel يراه نور الدين طواليبي N. Toualbi حتمية نفسية.

في كتاب لطواليبي، تمكن هذا الاخير في 1982 من بناء فكرة مفصلة عن الازدواجية الثقافية و التناقض الوجداني في شكلها اللاشعوري، حيث يلخص التصرفات و التصورات التي يوظفها

¹ DEVEUREUX.G, 1970, essai d'ethnopsychiatrie générale, Paris, Gallimard,.

² BERQUE.J, 1962, Le Maghreb entre les deux guerres, Paris, Seuil, , p105

³TOUALBI .N, 1984, Religion, rites et mutations: psychosociologie du sacré en Algérie, ENAL, Alger

الفرد في حياته اليومية ليتمكن من السيطرة على توازنه النفسي و تبادلاته و تعاملاته الاجتماعية و صراعاته امام القيم الثقافية التي يواجهها. هنا يقف عند ثلاث اساليب نمطية للتناقض الوجداني الناتج عن العيش في ظل الازدواجية الثقافية.

1- المواقف الانتقائية: les attitudes sélectives

تنشط اما يمثل الفرد للمجتمع حيث يلغي نسقه القيمي و الثقافي الخاص و يتبنى قيم المجتمع ليبرهن على تماثله مع الجماعة و تبني القيم الجماعية السائدة.

2- المواقف المترددة: les attitudes alternantes

و هي ان يتخذ الناس المعاصرة تارة و الاصاله احيانا اخرى مع فارق زمني، لرفع الدنب الذي يشعرون به عند مسايرة الحداثة نأخذ على سبيل المثال الاحتفال بالمناسبات الفولكلورية التقليدية و المناسبات الغربية كعيد نهاية السنة او حتى عيد المسيح ثم عيد يناير الوعدة و طقوس المرور.

3- المواقف المكهربة (المقاومة): les attitudes électriques

و تمثل النسبة الاكبر من المواقف فهي تعمل على مقاومة إغراءات التغيير الثقافي، فهي القلق من الانكسار الهويي، القلق من اضمحلال التضامن الاسري، قلق الفرد من ان يكون شاهدا على انحلال العلاقات التقليدية بين الجنسين، الصراع بين الاجيال و القلق من سيادة الشباب و الحداثة¹.

¹ TOUALBI-THAALIBI.N, 2006, l'ordre et le désordre, Casbah, Alger, P26

خاتمة:

ان الهوية الثقافية مفهوم بالغ التعقيد، بحيث انها مكونة من مصطلح الهوية و مصطلح

الثقافة اللذان يحملان معنى الثبات و الديناميكية في الوقت ذاته.

لكنها بالنهاية شعور للفرد بانتمائه لمجتمع ما يخصه و يميزه عن باقي الشعوب الاخرى،

كما ان الهوية الثقافية تمثل كل الجوانب الحياتية، الاجتماعية الاقتصادية ، السياسية الحضارية و

المستقبلية التي ينتمي اليها الفرد بالحس و الشعور الانتمائي لها، و هي ايضا ذاتية الانسان و نقاءه و

جمالياته و قيمه، حيث تعتبر الثقافة هي المحرك لأي حضارة او مجتمع في توجيهها و ضبطها، فهي

من يحكم حركة الابداع و الانتاج المعرفي.

كما انها تخضع للتأثير و التأثر تحت عدد لامتناهي من الطرق و الاستراتيجيات في

علاقتها بالثقافات الاخرى و هذا ما يدخل في اطار الحوار الثقافي و ما بين الثقافات. لذلك سوف نحاول

اخضاعها-باعتبارها متغيرا من متغيرات الدراسة- في فصل لاحق الى متغير آخر يمكن ان يؤثر فيها

الا وهو المجال السمعي البصري الذي يهيمن بشدة على عصرنا هذا.

الفصل الثالث:

المراقبة

تمهيد:

من الصعب حالياً الحديث عن المراهقة في معزل عن مسألة الهوية. إذ يجمع الباحثون ان الهوية تعتبر اهم مشكلة للمراهق في المجتمعات المعاصرة التي تكثر فيها النماذج و القيم الثقافية بحكم العولمة و تتعدد بحيث ينعكس ذلك على صعوبة تحديد الدور المنوط بالمراهق مما يساعد على تضخيم شعوره بالضيق و التضارب الوجداني. و لكن قبل الحديث عن الهوية في فترة المراهقة سوف نستعرض و نستذكر اهم المحاور النظرية حول هذه الفترة الحرجة التي سوف نحاول من خلالها الاشارة الى اهم ما ادرجه العلماء المهتمون بما يدور في نفسية و كيان المراهق.

1-تعريف المراهقة:

لغتنا: كلمة مراهقة adolescence مشتقة من الفعل اللاتيني adolescere و معناها التدرج نحو النضج (الجنسي الانفعالي و العقلي..) و هي مشتقة من الفعل رهق بمعنى قرب ، فراهق الشيء معناه قاربه.

و كلمة المراهقة أي بمعنى الاقتراب أو الدنو من الحلم، ويؤكد علماء اللغة العربية هذا المعنى في قولهم رهق أي بمعنى غشا أو لحق أو دنى من الحلم و اكتمال النضج¹. وفي نفس السياق تعني كلمة المراهقة لغويا المقاربة، و راهق الفتى البلوغ معناه قارب سن البلوغ، و راهق الغلام معناه قارب الحلم، و الحلم معناه القدرة على إنجاب النسل².

اصطلاحا: إن المراهقة فترة انتقالية تفصل بين مرحلة الطفولة ومرحلة الرشد. تدور على منطوق الانتقال من التبعية إلى الاستقلال الذاتي³، يصعب تحديد موعد لبدائها و نهايتها، بسبب اختلاف الزمان و المكان واختلاف الثقافات، اي باختلاف سيرورة النمو البيولوجي والنفسي والاجتماعي الخاصة بالأفراد حسب المجتمعات، وبناء على أشكال وأنواع التربية والثقافة السائدة في كل مجتمع على حدة.

¹ فؤاد البهي السيد، الاسس النفسية للنمو، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، 1956 ص194

² خليل ميخائيل معوض، دراسة مقارنة في مشكلات المراهقين في المدن والريف، دار المعارف، القاهرة 1971، ص24.

³حامد عبد السلام زهران ، علم نفس النمو ، دار المعارف بمصر ، 1986 ص 289.

يتميز المراهق بعدم الاكتمال، ويمكن اعتبار المراهقة مرحلة وسطى لا يكون الفرد فيها طفلاً وليس كبيراً، ولا يحمل أية مسؤوليات اجتماعية "ولكن في المقابل يمكنه أن يمارس وأن يستكشف وأن يجرب أدوار مختلفة"¹.

وتعرف هذه المرحلة بالحرية إذ يلقى على عاتق المراهق وتنتظر منه مهمة ثلاثية: إيجاد معنى لهويته، فرض تفرده على الآخرين و تحقيق اندماجه داخل محيطه الاجتماعي و الأسري.

و الاصعب ان كل هذه التغيرات تتزامن مع النمو الغريزي الذي يقرب الطفل من الرجل، أو من المرأة من الجانب الفسيولوجي، في حين أن ضغوطات وقواعد المجتمع تبقى على مكانته السابقة وهنا تولد بداية لمعاننات المراهق من طرف و اسرته باعتبارها الطرف الثاني.

2- تطور مفهوم المراهقة

المراهقة مصطلح جديد لم يظهر الا في نهاية القرن التاسع عشر، حيث ارتبط منذ ذلك بسن الشباب و اكتسب مساحة في الادبيات النظرية، وشغل اهتمام قاعديا في خطابات رجال السياسة و بعض الفلاسفة². قبل ذلك الوقت، لم تُعرف المراهقة كفترة عمرية خاصة.

لذلك تمثل ظاهرة جديدة حسب دلائل فليب ارياس Ariès Philippe في مؤلفه "الطفل و الحياة العائلية تحت النظام القديم"³، ومنذ ذلك الوقت توطدت فكرت المراهقة كمرحلة ذات خصائص مميزة بدراسات عديدة، حيث التفت الراشدون الى الاحتياجات و القدرات الجسدية و النفسية الخاصة بالمراهقين، هذه الرؤية مكنتهم من التعرف و فهم طور جديد من مراحل التطور البشري.

تجدد الاشارة الى انه بالرغم من اهمية هذا المفهوم في مجال علم النفس الى ان اول دراسة منهجية حول المراهقة نشرت سنة 1904 من طرف ستانلي هول Stanley Hall برغم من ظهور مؤلف برن هام Burnham المعنون "دراسات حول المراهقة" قبل ذلك أي في سنة 1891، إلا أن الكثير من الدارسين يعتبرون مؤلف "المراهقة: سيكولوجيتها وعلاقتها بعلم النفس و الانثروبولوجيا وعلم الاجتماع والجنس والجريمة والدين والتربية" لستانلي هول، البداية التاريخية لعلم النفس المراهق.

¹ عبد العالي الجسماني، سيكولوجيا الطفولة و المراهقة و حقائقها الأساسية، بيروت. لبنان، الدار العربية للعلوم، 1994.

² CLAES MICHEL, l'expérience de l'adolescence, Bruxelles, pierre Mardaga, 1986, p12

³ ARIÈS PHILIPPE, l'enfant et la vie familiale sous l'ancien régime, paris, seuil, 1973

لكنه لم يسلم من انتقادات اصحاب المنهج التجريبي حول طريقته في البحث حيث ورأوا أنها تفتقد إلى الدقة، ورفض أصحاب الاتجاه الثقافي النسبي هذه الفرضيات المرتبطة بالضغط وبهيجان المراهق.

أما علماء النفس فعلى العموم لم يوافقوا على أفكار التفوق العرقي، ويبدو أن استمرار الاتهامات وتضاربها أدت بستانلي هول Stanley Hall إلى أفكار أخرى مماثلة مع تلك التي صدرت في المنشورات اللاحقة، حيث أخذت سيكولوجيته الخاصة بالمراهق طابع إيديولوجي، أصبح من السهل مهاجمتها وعدم قبولها¹

لكن اذا نظرنا الى اعماله من زاوية إيجابية أكثر لوجدنا ان هذه الانتقادات الموجهة ضد ستانلي هول Stanley Hall انتجت اهتماما متزايدا بمصلحة المراهق التي أصبحت موضوعا للبحث في مختلف التخصصات. وإلى جانب هذا النوع من الدراسات السيكولوجية ظهرت أعمال عديدة متعلقة بهذه الفترة لا سيما في ميدان تاريخ الأنثروبولوجيا والاجتماع والطب أيضا.

على الرغم من هذا الاستثمار، إلا ان حقيقة المراهقة لم تخضع لوصف و تحديد موحد، و هذا بعيد عن النقاشات المعتادة بين التيارات و المدارس و انما ذهب الامر الى طروحات مختلفة و متباينة وصل البعض منها الى اعتبار ان المراهقة ليست موجودة اصلا و انما هي خرافة او اسطورة تمنعنا من مساعدة ابنائنا حتى يصبحوا راشدين² على غرار هور بغان ريموند و ريموند Huerre-Pagan، Reymond و Reymond وقبلها دراسات اخرى لم تعطي للمراهقة ذلك الصخب الكبير الذي التصق بها كدراسة ميد Mead و ريش Rush اللتان لم تريا ان المراهقة مرحلة ازمة عاصفة بالضرورة، ولكنها قد تتحول الى عاصفة ان اراد لها المجتمع ذلك، فان كان المجتمع هادئا في تقبله لمرحلة الانتقال من الطفولة الى المراهقة فان نسبة ظهور الازمة يمكن ان تتضاءل الى حد بعيد.

ويعني هذا أن ثمة مجتمعات تعرف المراهقة، ومجتمعات أخرى لا تعرفها. و من ناحية أخرى، قد تكون المراهقة فترة عادية في حياة الإنسان. وبالتالي، لا تصل إلى ذروة القلق والأزمة و الاضطراب

¹HALL STANLEY in Taborda-Simões Maria da Conceição. — L'adolescence, Bulletin de psychologie, Tome 58 (5), N°479, 2005, p. 521-534.

²HUERRE Patrice, PAGAN-REYMOND Martine, REYMOND Jean-Michel, L'adolescence n'existe pas, Paris, Odile Jacob, 1997.

و كذا دراسة كولمن Coleman الذي رفض اعتبار فترة المراهقة فترة بالخطورة التي اشير اليها، واعتبروا أن المقاربة التحليلية النفسية، والمقاربة الاجتماعية تعطيان فكرة سلبية عن حقيقة المراهقة لا تساعد على التنظير لما قد نسميه، المراهقة العادية.

من هذا المنطلق، الدراسات حول المراهقة ليست الا دراسة ظاهرة مصطنعة، اخترعتها بعض المجتمعات او بعض الثقافات. وهذا لا يعطيها خصائص حقيقية تخولها لتكون مرحلة تطويرية طبيعية.

وهذا ما يجعل مصطلح المراهقة هش لم يجد معناه الحقيقي الا في الانثروبولوجيا و علم الاجتماع بشكل عام. بينت هذه الاختصاصات كيف ان تجربة المراهقة و مدتها ذات علاقة وطيدة ب"التطورات الثقافية و الطرق الى تعتمد عليها المجتمعات لتأمين عملية المرور من حالة الطفولة الى حالة الرشد"¹

اذن فسلوكات المراهقين تختلف حسب العصور، و الثقافات، الاعراف و حتى حسب البيئات السوسيو- اقتصادية. ولذلك لا يمكن مقابلة عدم الانسجام في السلوك بتقاسير التي تميل الى الشمولية و التعميم و التي تعتبر المراهقة كظاهرة عالمية يشوبها الانسجام.

لكن و في نفس الوقت لا يمكن اعتبار عدم انسجام سببا كافيا لنكران المراهقة كمرحلة تطويرية و طور من اطوار النمو البشري وعدم وجودها على الاطلاق حيث لاقت اهتماما بالغا في اختصاص علم النفس.

3- تجربة المراهقة من منظور علم النفس؛ الخصائص و الصعوبات:

ان المراهقة من أهم المراحل التي يمر بها الإنسان في حياته، لما لها من تأثير على حياته كلها مستقبلا. وقد أطلق عليها بعض العلماء مرحلة " الولادة الثانية " وهذا لما لها من خصائص وتغيرات تنتاب الفرد في هذه المرحلة، ومن جميع النواحي الجسمية والانفعالية والجنسية والعقلية والنفسية والاجتماعية و الدينية... و عليه سوف نحاول من خلال التالي التطرق لبعض الخصائص التي ارتبطت بمفهوم المراهقة.

¹ CLAES MICHEL, l'expérience de l'adolescence, Bruxelles, pierre Mardaga, 1986, p35

جل الابحاث التي تناولت المراهقة في مجال علم النفس كموضوع للتحليل، هي اليوم عديدة جدا و كلها تدور تقريبا حول خاصيتين او فكرتين اساسيتين هما: التحول او التغير و الازمة، لذلك سوف نحاول توضيح مصطلح المراهقة محاولين تبيان الصعوبات الكامنة وراءها و قبل ذلك من المهم تحديد التغيرات الملاحظة خلال هذه المرحلة من الحياة.

1.3- المراهقة كفترة تحول ناتج عن البلوغ.

الضغوط النفسية و الجسدية هي اهم ما يميز فترة البلوغ، بحيث نلمس تحولا مورفولوجيا بارزا، يؤثر على الجانب النفسي من حياة المراهق الذي يأخذ نموه الفيزيولوجي منحا سريع التغير، مما يجعل تمثلاته غير متوافقة مع المحيط في الكثير من الحالات، بسبب القوة النزوية التي تغطي على الجسد وتجعل المراهق مشوشا، قلقا وحساسا، عنيدا أو متقلب المزاج وكلها ردود فعل طبيعية امام التغير المطروح على خلفية البلوغ و التغيرات المنجرة عنه.

ان الانتقال من الطفولة، وكل ما تعنيه الطفولة من امتيازات وأن يتحول الجسد الطفل إلى ما يكون عليه في البلوغ امتحان ليس هينا بالنسبة لكل المراهقين. فقد تطرح هذه التغيرات تعقيدات على مستوي حياتهم.

اذا يكون البلوغ أمر يصعب على البعض منهم تحمله كونه يضعهم أمام تساؤلات عديدة يعجزون عن معالجتها في ظل قلة الخبرة و التجربة التي تعينهم على التأقلم و معايشة هذه التحولات.

ان معاش المراهقة و سيرورتها هي تجربة شخصية ومعقدة تحدد علاقة المراهق بجسمه بعد تلك التحولات المورفولوجية الفيزيولوجية العميقة والعنيفة التي تمس الجسم عند البلوغ فهناك من يشعر بانزعاج من نمو أطرافه ، وتضخم صوته ، ونمو أعضائه وبروزها، ويقضي وقتا كبيرا أمام المرآة وقد ويشعر بالارتباك من الآخرين خشية ملاحظة التغير الذي طرأ عليه ، وبالتالي يظهر على أفعاله نوع من الارتباك والتردد و عدم الاستقرار؛ فتتغير ميول المراهق كما يتغير جسمه فهو ينتقل من نشاط لآخر، ولا يشعر بالرضا أي نوع منها، كما يمكن ان يغرق في الخيالات وأحلام اليقظة و تزداد لديه القابلية للاستهواء والاستثارة ، فتصبح لديه تلك العاطفة الجياشة.

وعليه فالطفل الذي كبر بحكم هذه التغيّر، وهذا الانتقال من مرحلة عمرية سابقة إلى مرحلة المراهقة عليه أن يبدأ التفكير في إيجاد الطرق التي تساعد على التكيف مع حالة البلوغ والتوافق معها من خلال تعديل السلوك الطفولي.

و قد تؤدي هذه المحاولات للتكيف مع حالة البلوغ و تغير السلوك بما يتوافق مع متطلبات هذا التغيير الى محاولة الانسلاخ من قوانين الأسرة من أجل تحقيق الاستقلالية وتعلم أدوار وسلوكيات تتناسب والمرحلة و تساعد على بلوغ النضج، ومن هنا تتجلى الأهمية الكبيرة للمراهقة في تشكيل الوعي بالذات، وتكوين الهوية الشخصية.

و بالحديث عن الهوية لا ننسى ان اريكسون Erikson كان قد ادخل تعديلا على نظرية فرويد Freud في النمو النفسي الجنسي، و تعد احسن اضافة معروفة هي ما يعبر عنه مصطلح هوية الانا الذي هو نتاج الصراع الذي يحدث اثناء البلوغ. كما ان فكرة حاجات الفرد في كل مرحلة من مراحل نموه و اهمها الحاجة الى الشعور بالهوية تشتد في فترة المراهقة لان الفرد يتوسط بين كونه طفلا و كونه راشدا وهو يتأرجح بين دوره في الحالتين الى تحديد موقفه¹.

فالمراهقة لا تأتي من العدم، والطفولة بكل حوادثها تمر نوعا ما بصورة عادية والطفل الصغير كبر وكون شخصيته، وصار مراهقا بكل ما تحمله الفترة من مشكلات. فرضت على المراهق، بفعل هذه التحولات تغيرات لم يختار توقيتها. فصحيح مرحلة اكتشاف وتنشيط غدد لم تكن نشطة من قبل، وغرائز، والنضج الجنسي، بكل ما يحمله من تحولات، حيث يشكّل هذا الجانب الحيوي من النمو حدثا غريبا، ومجهولا، يسبّب له في نفس الوقت قلقا وشكا ومعاناة وضغط يؤدي إلى تنشيط الغرائز العدوانية، والجنسية الضرورية للحفاظ على البقاء وإظهار سلسلة من الاستجابات، والانفعالات والسلوكيات في علاقاتهم مع أنفسهم ومع الآخر في استجابات بعض المراهقين².

واشار ليفين في هذه النقطة الى ان فترة المراهقة فترة مليئة بالمشكلات لأنها فترة تغير في الانتماء للجماعة و طبعاً الانتماء الجديد يفرض مكانة و دورا جديدا، فبعدها كان يعتبر نفسه و يعتبره الآخرون طفلا، اصبح في مرحلة المراهقة لا يريد ان يعامل معاملة الاطفال، فيحاول انتزاع نفسه من الامور الطفولية و يدخل في حياة الراشدين في سلوكه و في نظريته للحياة.

¹Erikson E.H: Adolescence et crise, enquête de l'identité, Flammarion, Paris, 1972

²دعد الشيخ، مفهوم الذات بين الطفولة و المراهقة، دمشق، دار كيوان للطباعة والنشر و التوزيع، الطبعة الأولى، 2007، ص.70.

و التحول في الانتماء هو انتقال الى وضع غير معروف يكون من الناحية السيكولوجية مساويا للدخول في منطقة مجهولة، بعد ان كان جسمه يمثل احدى المناطق المهمة القريبة منه و بعد ان كان يعرف كيف يستجيب له، يأتي اليه النضج الجنسي بتغيرات شاملة فيصبح غريبا و مجهولا لديه.

ولما كان الوظيفة الجنسية من الجسم مهمة هذه الاهمية و مركز اهتمام المراهق كانت هذا الاخيرة ذات دعامة قوية من جهة الى زيادة التردد في السلوك و الى الصراع النفسي.

و الجدير بالذكر ان فرويد Freud نبه أنه قبل هذا السن لا يجهل الطفل كل ما يتعلق بما سماه فريد الشيء الجنسي ان صحت الترجمة ¹ la chose sexuelle . فالجنس لا يبدأ فقط مع المراهقة حسب هذا الأخير. والطفل الصغير ينمي فضولا نحو الشيء الجنسي، من خلال مختلف الممارسات والعادة السرية وبواسطة الأسئلة التي يطرحها عن مصدر الأطفال ومن أين يأتون. فللطفل تصور خاص للجنس دائما حسب فرويد.

لكن اثناء انتقال الانسان من الجنسية الطفلية la sexualité infantile الى الجنسية التناسلية la génitalité عند البلوغ يعي هذه التحولات التي تحدث ويحاول التعامل معها، باعتبار الجسم وسيلة مثلى للصراعات والأشكال العلائقية للمراهق. فهو أول ممثل للغرائز الجنسية والعدوانية اللاشعورية. وهو أيضا أداة تقييم ومرجعية بالنسبة لمحيط، وإمكانيات التحكم، في هذا المحيط ولقدرة الشخصية على ممارسة نشاط ما. فهو بالفعل يمثل معلما فضائيا حقيقيا. فالتساؤل عن من أنا في هذا الجسد الجديد يتعدى بسبب عدم التعود على هذه التغيرات الفيزيولوجية. فالبالغ يعي ويحس أنه لم يعد ذلك الطفل، لكنه لا يستطيع أن يجد تفسيراً لما يحدث بداخله. فكل ما يحدث له غير واضح وغير قابل للقياس ويكشف لنا بأن المراهقة لا تختصر في صيرورة البلوغ وإنما يجب التأكيد على كون التغيير ينتظم أساسا حول الجسم البالغ والعلاقة التي يمكن أن يكونها الفرد معه.

تؤدي هذه التحولات التي تبدو بسيطة إلى تفخيم قلق المراهق، وإحداث اضطرابات نفسية مزمنة في شكل انطواء مثلا أو عزلة، وتؤدي التغيرات العميقة في صورة الجسم وتنشيط الحياة الجنسية، إلى إفقاد المراهق الهدوء والاستقرار الذي كان ينعم به في الطفولة. وتتجلى وظيفة البلوغ في امتلاك جسم قادر على

¹الشيء la chose: مصطلح معقد في الميتاسيكولوجيا بسطه لابلانث بقايا غير مترجمة restes non traduit والتي تشكل بالنسبة له الموضوع التي تتبع منه النزوات objet-sources des pulsions اما فرويد فقد استعملها للتعبير عن الجزء المبهم la partie incompréhensible و متعذر الاستيعاب inassimilable و الذي يخرج عن اطار الحكم عليه qui échappe au jugement

الإخصاب، وقادر على إعادة تنظيم منطق اللذة فظهور الغريزة الجنسية يجعل الفرد يعيد النظر في تمثلاته السابقة.

2.1.3- المراهقة، بين التوصيف المبالغ فيه حول صعوبتها و المنادين بانها مرحلة عادية:

عدد كبير من الموسوعات و القواميس و حتى الكثير من المؤلفات المختصة في العلوم الاجتماعية، تعتبر المراهقة كمرحلة تحول بين الطفولة و سن الرشد.

اذن فالمراهقة هي مكانة او بالأحرى وضعية غامضة، الدور فيها غير واضح، يختزلها العديد من المنظرين في كونها فترة مشاكل و صعوبات، خاصة عندما يكون المرور الى سن الرشد في بعض المجتمعات و الثقافات يخلوا من طقوس المرور كما يشير كلاي Claes. M سنة 1986" ان التحليل للمعطيات الأنثروبولوجية حول طقوس المرور، تكشف لنا اهمية الاليات التي تضعها المجتمعات البدائية لضمان وصول وضم جيل المراهقين الى مجتمع الراشدين. فنستج ان المجتمع المصنع هو من وضع نظام لفصل هؤلاء المراهقين برفعه لمتطلبات التكوين المدرسي و متطلبات الشهادات و المؤهلات لدخول عالم الشغل، و ادخال المراهقين في نضم مدرسية و ترفيهية غير محدودة¹

اذن فمن المهم اذن النظر الى الطرق التي تعتمدها هذه المجتمعات و المؤسسات في الادراج و الادخال الاجتماعي للأجيال الجديدة.

هذا كله يعطي للمقاربة الاجتماعية التي تدعو الى عدم اختزال مرحلة المراهقة في خانة الصعوبات و المشاكل شرعية، و يجب عدم الانكار ان المشاكل تترسي في هذه الفترة، لكن تظهر مشاكل المراهقين من خلال كيفية نظرة المجتمع اليهم. انها نظرة اختزالية غير مشجعة للمراهقين تتمثل في نظرة المجتمع الى المراهقة على انها مربوطة بالمشاكل و الصعوبات و العوائق او بالأحرى القيود التي تحدد دخول المراهقين الى الحياة النشطة كما يرى كولمن Coleman و هوسن Husen و كذا تمديد مدة التمدرس و البطالة²

¹ CLAES MICHEL ,L'expérience adolescente, Bruxelles, Pierre Mardaga, 1986, p 189-190.

² COLEMAN JAMES S, HUSEN TORSTEN, Devenir adulte dans une société en mutation, Paris, CERI, 1985

اذن فخبرة المراهقة تختلف باختلاف الاماكن و المضامين التي تتطور فيها، و لذلك يرى اصحاب هذه النظرة انه من المهم تفادي هذه التأويلات الاختزالية *réductionnistes* في فهم المراهقة و التوصيف المبالغ فيه ، و عدم دمج المصطلح مع بالمشكل و المعوقات التي تحول امام عيش المرحلة بشكل طبيعي.

ان المراهقة من هذه الزاوية، مرحلة طبيعية يمر بها الإنسان في نموه الجسدي والنفسي والاجتماعي والانفعالي، استعدادا للانتقال إلى مرحلة الرشد و انها عارضة وما يلاحظ من تمرد وثورة ليس سوى نتيجة لما يصادفه الفتى من مواقف صلبة من الأهل والمدرسين، تصطدم برغباته، وتحول دون تحقيقها، وبذلك تكون هذه العاصفة نتيجة مواقف إيجابية من البيت والمدرسة والمجتمع دعمت هذه الرؤية بشكل كبير ، الأبحاث الأنثروبولوجية و التي بينت بأن فترة المراهقة- عند الشعوب البدائية " - سهلة وخالية تقريبا من المشكلات، وهذا مايشير إلى أن الأزمات الناتجة عن المراهقة في مجتمعنا هي نتاج القيود التي تفرضها الحضارة.

وتبقى دراسة مارجريت ميد *Marguerite Mead* من أهم الدراسات الأنثروبولوجية في هذا المجال، وقد أجرت بحثها في غينيا الجديدة، بالتركيز على قبائل الماناس و الساموا، وقد اعتبرت المراهقة فترة عادية وطبيعية مقارنة بمجتمعاتنا المتحضرة التي تتأزم فيها المراهقة بيد أن هذه المراهقة البدائية تمر بطقوس معينة .وفي هذا، تقول ميد : "عند بلوغ الفتى سن المراهقة يقام له حفل، يثقب فيه أذناه، ويجري استعداد كبير لإجراء هذا الحفل، ويعلم المراهق بذلك فيثور، ويرفض، فيحاول والده إقناعه بأن هذه التجربة عادية، وقد مر بها جميع أترابه وأقربائه، والأقارب يحضرون هذه لحفلة، وتقام وليمة تقدم فيها الأطعمة، ويلبس الفتى أفخر ما عنده من ملابس، ويزين رقبتة بأسنان الكلب، ويجلس بجوار أبيه بجدية واستقامة مصحوبة ببعض الخجل والفخر، وهذا الحفل مقصور على الكبار، لايسمح بحضوره لرفاقه من هم في سنه، ويسمح للأطفال بحضوره"¹

وعليه فمارجريت ميد *Marguerite Mead* لم ترى ان المراهقة مرحلة ازمة عاصفة بالضرورة، ولكنها قد تتحول الى عاصفة ان اراد لها المجتمع ذلك، فان كان المجتمع هادئا في تقبله لمرحلة الانتقال من الطفولة الى المراهقة فان نسبة ظهور الازمة يمكن ان تتضاءل الى حد بعيد.

¹ Margaret Mead (trad. Georges Chevassus), Mœurs et sexualité en Océanie, Paris, Terre Humaine, 1963

ويعني هذا أن ثمة مجتمعات تعرف المراهقة، ومجتمعات أخرى لا تعرفها، وأن الأحداث في المراهقة ليست ثابتة، و يمكن أن تتأثر بالإطار السوسيو ثقافي¹.

اما التيار المنادي بكون المراهقة مرحلة تحول، فقد ذهب المؤلفون الذين تبناوا هذه الفكرة الى اعتبارها المرحلة الاحدث من العمر و الاكثر خصوصية و اثاره للاهتمام، و هي اكتشاف و ليد التحولات التي حدثت في المجتمعات الغربية بعد الحرب العالمية الثانية كما بين كولمن Coleman و هوسن Husen في كتاب "تجربة المراهقة" النجاحات المتصاعدة ، تمديد مدة التمدرس و متطلبات التعليم للمجتمعات المتقدمة في المجال الصناعي و التكنولوجي ساهمت في ظهور مجتمع المراهقين² و عليه اعتبرت المراهقة كفترة تحول بامتياز للوصول الى الرشد فهي تشبه الى حد ما فترة انتظار و التي لم تحل فيها بعض المسائل العالقة " تساؤلات التي يجب ان تجد اجابات قبل الدخول في الرشد كالعلاقة مع المجتمع، اختيار المهنة، الدور الاجتماعي و نمط العيش"³

ان الأخصائيين في علم النفس هم اكثر من يركز على المرحلة المراهقة و تحولاتها التي تمرر الانسان من الطفولة الى الرشد، هذا التعريف المبني على هذه الفكرة، يقم الطفولة و سن الرشد على حد سواء اللتان يمكن وصفهما على انهما "حالتين نفسييتين مستقرتين نسبيا"⁴ و ذلك بالمقارنة مع هذه المرحلة التي تحدث فيها العديد من التحولات، ان من بين الذين نادوا بأن المراهقة هي فترة أزمة واضطراب وتوتر بامتياز، ستانلي هول S. Hall الذي كان اول من درس المرحلة حيث اشار في هذه الدراسة إلى أن المراهقة هي فترة أزمة واضطراب وتوتر وقلق، فهي أشبه بعاصفة حادة تؤثر سلبا في المراهق.

وفي هذا الصدد، يقول بأن المراهقة "مولد جديد للفرد، وهي فترة عواصف وتوتر وشدة، تظهر فيها إلى الوجود أعلى السمات الإنسانية وأقواها"⁵ اما فرويد Freud فيرى ان فترة المراهقة تتميز بشدة الاعراض العصائبية عند الفرد⁶

¹Richard Cloutier, Psychologie de l'Adolescence, Montréal Gaëtan Morin, Canada 1996.

²COLEMAN JAMES S, HUSEN TORSTEN نفس المرجع السابق ص 12.

³KENISTON KENNETH, in l'école en question, Tosten Husèn, traduit de l'anglais par Stephane Renard, ed pierre Mardaga, Bruxelles, 1979, p153

⁴LEHALLE HENRI, Psychologie des adolescents [1985], Paris, P.U.F, 2^e éd., 1988, p11

⁵محمد أيوب شحيمي، دور علم النفس في الحياة المدرسية، دار الفكر اللبناني، الطبعة الأولى، بيروت، 1994 ص211

⁶لازاروس ريتشارد، الشخصية، ترجمة السيد غنيم، دار الشروق، بيروت، 1981، ص82

وفي نفس الموضوع يرى يونج Jung بأن المراهقة فترة الميلاد النفسي المصحوب بتغيرات جسمية، "المراهقة... هي عملية الميلاد النفسي هذا الميلاد أو التكوين لانا يحدث في سن البلوغ مع انبثاق الحياة الجنسية، ففي هذه الفترة تحدث تغيرات فيزيولوجية كثيرة تلازمها ثورة نفسية"¹

كما يرى الباحث المصري خليل ميخائيل معوض بأن "مرحلة المراهقة وما يصاحبها من تغيرات يمكن تشبيهها بعاصفة تحمل الكثير من الأتربة والرمال أو بثورة بركان هو مزيج من عوالم متعددة، يمكن تحليلها إلى عناصر أربعة، تتفاعل بعضها مع بعض، وهي: العنصر الانفعالي، والعنصر الاجتماعي، والعنصر العقلي، والعنصر الجنسي"². هؤلاء وغيرهم اعتبروا بأن فترة المراهقة فترة مختلفة و ذات أهمية تفوق باقي المراحل العمرية.

3.1.3- الخصائص البيولوجية ذات أهمية خاصة في المراهقة:

تتميز بداية المراهقة بتسارع النمو البيولوجي، لتتخذ خاصية مهمة من خصائص مرحلة المراهقة وهي البلوغ.

- ما هو البلوغ و ماهي مؤشراتته؟:

أن البلوغ ظاهرة طبيعية لا تحدث بمحض إرادة الشخص، ولا يرتبط هذا النضج مباشرة بالوظيفة التناسلية، بل يمس المظهر الخارجي كظهور الثدي عند الفتيات، حدة الصوت بالنسبة للفتى وشعر العانة وما إلى ذلك من التغيرات الفيزيائية، بالإضافة إلى هذا، نمو القدرات الفيزيولوجية و القوة العضلية. وهذه التحولات ما هي إلا نتيجة للنضج الحاصل على مستوى الجهاز العصبي، وعلى جهاز الغدد الصماء الذي يشرف على إنتاج الهرمونات في الجسم.

نلاحظ أن تغيرات البلوغ تشمل الجسم كله وتقلب كيان المراهق رأساً على عقب. فبالرغم من المظاهر الخارجية التي تميز البلوغ إلا أنه ليس ظاهرة مفاجأة لكنها مرحلة نهائية لصيرورة تلعب الغدد دوراً حاسماً في تحديدها، كالغدة الدرقية التي تفرز هرمون النمو والغدة الكظرية التي تفرز هرمون الكظر مثل الكورتيزون و الاندروجان، وتفرز الخصية هرمون الذكورة التستسترون والمبيض يفرز هرمون الأنوثة الاستروجان.

¹ حلمي منيرة، مشكلات الفتاة المراهقة و حاجاتها الارشادية، دار النهضة، القاهرة، 1965، ص18

² خليل ميخائيل معوض: دراسة مقارنة في مشكلات المراهقين في المدن والأرياف، دار المعارف، القاهرة، مصر، طبعة 2011، ص12

يتوازى نمو غدد العرق مع نمو الشعر على مختلف نواحي الجسم. تزيد سرعة نمو الحنجرة وزيادة الطول تحت تأثير نمو هرمون الذكورة مع خشونة الصوت. فحتى الجلد تطوله هذه التغيرات، فيصح خشنا، و تنمو الغدد المسؤولة عن العرق بسرعة، تحت الإبطين خاصة وفي المنطقة الشرجية، والأعضاء التناسلية. وينتج عن ذلك تغير رائحة الجسم خاصة عند الولد الذي غالبا ما يكون موضوع مشاكل حب الشباب الذي تسببه انفتاح مسامات الجلد ونشاط الغدد التي تفرز الدهون.

يصاحب النمو الجسدي تغيرات مهمة على مستوى القدرات الجسمية، فعلى المستوى الداخلي نرى زيادة مقدار الدم على مستوى القلب و الأوردة وعلى المستوى الوظيفي تباطؤ الإيقاع. و يعرف الجهاز التنفسي تغيرات مماثلة، إذ يزيد حجم وقدرة الرئة مع نقص إيقاعها وتزيد إمكانية امتصاص الأوكسجين مع كل تنفس خاصة عند الذكور. كما تعرف العضلات نموا متناسبا مع الهيكل العظمي العام للمراهق يصاحبه تباطؤ في تخزين الدهون عند الفتيات أكثر منه عند الذكور.

مقارنة بين الذكور والإناث، نجد اختلافا، إذ نجد أنّ الجهاز العضلي والقلب والرئة عند الفتيان اكبر مع ضغط دموي مرتفع وإيقاع قلبي منخفض و قدرة كبيرة على نقل الأوكسجين في الدم. تختلف صيرورة البلوغ عند الذكور والإناث فهو جد سريع عند الإناث ما بين اثني عشر وثلاثة عشر سنة، و يصل الذروة عند الذكور بين أربعة وخمسة عشر سنة.¹

ان المراهقة و ان كانت متصلة بالجانب البيولوجي الى انه ينتج عنها متطلبات و اهتمامات نفسية كالاهتمامات المتعلقة بالدور و المهنة المستقبلية، هذه الاخيرة اصرت عليها الكثير من الدراسات في مجال تناول علم النفس للمراهقة منها مواقف لعدة مؤلفين يمكن ان نذكر بيانكا زازو Zazzo في "علم النفس الفارقي للمراهقة"² و باباليا Papalia و اولدز Olds في مؤلف بعنوان "تطور الشخص" ³ و كذا افنزيني Avanzini وقت المراهقة"⁴ بالإضافة الى براكوني Braconnier و موكيلي Marcelli في "المراهقة بألف وجه"⁵

¹ Jaoued .Boulimani, J- Claude Pineau, Adolescentes, adolescents en pratiques sportives, Paris, l'Harmattan, 2001.

² ZAZZO BIANKA, Psychologie différentielle de l'adolescence : étude de la représentation de soi, Paris, Presses universitaires de France, 1972, p26

³ PAPALIA DIANE, OLDS SALLY, Le développement de la personne, Montréal, Éditions HRW, 1979, p257

⁴ AVANZINI GUY, Le temps de l'adolescence, Paris, Éditions universitaires, 1965.

⁵ BRACONNIER ALAIN, MARCELLI DANIEL, L'adolescence aux mille visages, Paris, Odile Jacob, 1998.

لكن هذه الصعوبات و المتطلبات التي ترافق البلوغ تختلف من شخص الى آخر، وقت ظهور البلوغ نفسه يختلف حسب الافراد، الجنس حتى ان بعض المؤلفين بينوا ان هذا الوقت مربوط بعوامل كالوسط، المناخ، الثقافة.

كثيرا ما يخلط بين المراهقة و البلوغ لكن نتجه رؤى ان البلوغ هو العامل المسبب للمراهقة، هذا التوجه شرحته النظرية التحليلية.

فمنظرو المدرسة التحليلية يركزون على مسألة البلوغ في تبرير التغيرات النفسية التي تميز فترة المراهقة و ابرزهم بيتر بلوس Blos Peter الذي يعتبر المؤلف الاكثر تمثيلا و سردا للمقاربة التحليلية للمدرسة الامريكية¹ و هلين دوتش Helene Deutsch² وكذا انا فرويد Freud Anna³ كونهم يفسرون ثورة الليبدو التي استقرت فيما سبق في مرحلة الكمون، لكن في الحقيقة "نادرا ما يحددون طبيعة هذا النمو الجسدي او البلوغ في علاقته مع البعد النفسي"⁴

بالنسبة لغوتن Gutton يفكر البالغ من خلال واقعه البيولوجي الذي يمارس ضغطا على الجهاز النفسي فيطرق على حاجز سفاح القربى الذي انتسى بعد حل الاوديب هذا ما يسمى عودة الاوديب، بالمقابل المراهقة تتحقق حصريا من خلال تبعات البلوغ. المراهق يعيد النظر في تقمصاته السابقة و الانا المثالي التي كونها في الطفولة، بهدف الغاء الجنسة désexualisation من التصورات السفاحية incestueuses و التي تؤدي الى اختيار موضوع مناسب⁵

ومن هنا تبدو جليا اهمية البلوغ في تغير السلوك الذي يشوب مرحلة المراهقة لكن هذا لا ينفي حقيقة ان ظاهرة المراهقة غير مطروحة في بعض المجتمعات المعروفة بنماذج و اساليب حياتية و قيم اجتماعية مختلفة و التي في مضمونها تستوعب التجارب و المعاش التي تحمله الصورة الجسدية الجديدة.

¹ BLOS Peter, in adolescence, par Collectif d'auteurs Ed SARP, alger,2001.

² Deutsch Hélène, Selected problems of adolescence with emphasis on groupe formation [1967], trad. fr. Problèmes de l'adolescence : la formation de groupes, Paris, Payot, 1970.

³ Freud Anna, Le moi et les mécanismes de défense, Paris, Presses universitaires de France, 1975

⁴ LEHALLE HENRI, Psychologie des adolescents [1985], Paris, P.U.F, 2^e éd., 1988, p41

⁵ Gutton Philippe, Le pubertaire, P.U.F, 2003, p11

4.1.3- حدود زمنية و خصائص النفسية غير ثابتة للمراهقة:

من الصعب تحديد مجال لبداية و نهاية مرحلة المراهقة، علم النفس كان الى اليوم غير قادرا على اعطاء خصائص نفسية محددة و ثابتة، فهناك دوما مناقشات و اخذ و رد بالإضافة الى تداخل الخصائص النفسية مع الخصائص الاجتماعية، فالمراهقة يمكن ان تنتهي عند نهاية المشوار الدراسة، الدخول في عالم الشغل، بلوغ السن القانوني و الانفصال عن المنزل العائلي في بعض الثقافات، الاستقلالية المادية، الزواج و تكوين اسرة لكن هذه المناسبات او الحدود التي تندر بنهاية المراهقة لا تعني شيئا في النهاية، لأنها تختلف من فرد الى آخر و من زمن الى آخر و كذلك من ثقافة الى اخرى¹.

ولذلك من الممكن القول ان المراهقة تنتهي مع بداية الاستقلالية و اخذ القرار و نهاية الاعتماد على الابوين، و ذلك عندما يحصل الفرد على الاستقلال على مستوى الافعال اي عندما يكون ناضج اجتماعيا و عاطفيا و لديه القابلية لتحمل ادوار الراشد².

عندما نتحدث عن فترة المراهقة و حدودها الزمنية نستحضر الهوية الجنسية *l'identité sexuelle* عندما نعتمد على بلوس Blos او بعض الاطروحات لاريكسون Erikson كما يرى البعض على غرار Schulz.R ان المراهقة تشير الى قدرة الفرد في الدخول بعلاقة حميمة، و الادهى من ذلك انه يمكن الاشارة الى ان سيرورة المراهقة متواصل طيلة الحياة و هكذا تفسر بعض تصرفات الراشدين الصبانية بانبعاث او تجدد المراهقة، التي يمكن ان تظهر من فترة الى اخرى " هذه التصرفات لا تعني ان الفرد يبقى مراهقا طيلة حياته، و لكن يمكنه في بعض الاوقات من وجوده ان يظهر سلوكيات او يشعر بحالات نفسية داخلية مشابهة او قريبة من التي عرفها قبل مروره من الطفولة الى الرشد كما ان هناك عدد من الافراد لا يصلون ابا الى سن الرشد و يضلون مراهقين طيلة حياتهم"³

في غياب خصائص محددة يمكنها ان تقضي على اللبس خاصة تلك المتعلقة ببداية و نهاية المراهقة و خصائص نفسية محددة و موحدة تبقى الفكرة القائمة على المراهقة كفترة تحول غير كافية لتوضيح اشكالية المراهقة بشكل شامل و مقنع.

¹ CLAES MICHEL, L'expérience adolescente, Bruxelles, Pierre Mardaga, 1986, p52

² HORROCKS JOHN E (1978) in « L'adolescence » par Maria da Conceição Taborda-Simões, Bulletin de psychologie 2005/5 (Numéro 479), p. 521-534. DOI 10.3917/bupsy.479.0521.

³ BRACONNIER ALAIN, MARCELLI DANIEL, L'adolescence aux mille visages, Paris, Odile Jacob, 1998, p17-18

2.3- المراهقة كفترة عاصفة (ازمة المراهقة):

اضافة الى فكرة التحول، فكرة الازمة ارتبطت هي الاخرى كثيرا بالتعاريف التي عنيت بشرح مصطلح المراهقة.

من اللائق هنا الاشارة الى ان التعاريف هذه تحمل معنيين في ادبيات علم النفس، من جهة هناك فكرة قطيعة و تغير ومفاجئ في العملية التطورية نذكر على سبيل المثال روني كاياس René Kaës في كتابه "ازمة، انفصال و تجاوز" حيث شرح هذا الطرح في تعريف " الازمة هي تغير مفاجئ و حاسم خلال سيرورة النمو"¹

ومن جهة أخرى تحمل معاني " الاضطراب في العمليات النفسية، و الذي يخلف قلق و ضيق malaises ، معانات، حالات الكف inhibitions، مخاوف، باختصار سلسلة من الصعوبات ذات الصلة بالاضطرابات العصابية، مما يتسبب بإعاقة الحياة اليومية"²

المراهقة هنا و من هذا المنظور مصممة كفترة متممة بضغطات و صراعات لا يمكن تجنبها او كفترة اضطرابات و عدم تكيف. هذه النظرة اسسها ستانلي هول Stanley Hall و التي ترسو على فرض القطيعة و الا استمرارية " مع بداية المراهقة، الوحدة المنسجمة مع الطبيعة قديما تنقطع، بحيث يخرج الطفل من جنته لان عليه البدء في سلك طريق طويل و شاق للارتقاء"³، كما تقوم هذه النظرة ايضا على القناعة بوجود هذه المرحلة كواحدة مراحل الحياة بشكل حتمي و المرور بها يكون بشكل قصري و انها تحمل تجارب تغلب عليها العواصف و الضغوطات، بالإضافة الى اوقات اضطرابات و حيرة، وسلوكات مزاجية متناقضة كالحماس مقابل لا مبالاة، الفرح الى حد النشوة مقابل الكآبة، التكبر مقابل التواضع، الانانية مقابل التضحية، الانسياق مقابل الراديكالية... فهي في النهاية اشكال متعددة من السلوكات الاكثر اضطرابا حيث لا يمكن التنبؤ بها استنادا الى هول Hall في كتابه الكلاسيكي "المراهقة: سيكولوجيتها وعلاقتها بعلم النفس و الانثروبولوجيا وعلم الاجتماع والجنس والجريمة والدين والتربية".

¹ KAËS RENÉ et COLL, 2013, Crise, Rupture Et Dépassement, 2em edition, Collection: Inconscient et Culture, Dunod

² CLAES MICHEL, L'expérience adolescente, Bruxelles, Pierre Mardaga, 1986, p60

³ HALL GRANVILLE STANLY, in « L'adolescence » par Maria da Conceição Taborda-Simões, Bulletin de psychologie 2005/5 (Numéro 479), p. 521-534. DOI 10.3917/bupsy.479.0521,p525

1.2.3- المراهقة و الازمة، بين مضخم و مشكك

1.1.2.3- الفكرة الاسطورية لازمة المراهقة:

تجدد الاشارة تحت هذا العنوان انه مند اقتحم التحليل النفسي مجال علم نفس المراهق اهتمام و انشغال كبير لأصحاب هذا التيار حول هذه الفترة العمرية على غرار انا فرويد Anna Freud بيتر بلوس Peter Blos و اريك اريكسون Erik Erikson

انا فرويد Anna Freud تصف تجربة المراهقة بكلمات يظهر عليها تأثير ستانلي هول Stanley Hall حيث ادرجت في كتابها "الانا و الآليات الدفاعية" الوصف التالي " عندما يرى نفسه مركز العالم و كموضوع وحيد جدير بالاهتمام فالمراهقون انانيون الى حد كبير، لكنهم في نفس الوقت لم يسبق لهم في حياتهم ان كانوا مضحين الى هذا الحد. يلتزمون بعلاقات الحب بشدة و شغف و لكن يتخلون عن هذه العلاقات في بدايتها. و من جهة يدخلون على الحياة الاجتماعية بحماس و من جهة اخرى يشعرون برغبة قاهرة في العزلة. يتأرجحون بين الرضوخ الاعمى للقائد كائنا من كان و التمرد على السلطة، هم انانيون و ماديون و لكن لديهم فائض في المثالية و التسامي، هم زهاد و لكن مستسلمون للغرائز الاكثر بدائية. احيانا سلوكياتهم اتجاه الاخرين تكون قاسية و لاذعة و خالية من اي اهتمام لكن يظهرون في احيان اخرى حساسون للغاية. في بعض الاوقات يعملون بحماسة لا تكل و في اخرى يتكاسلون و يصبحون لا مبالين".¹

نلمس في هذا الوصف نوع من الاشارة الى تجربة متأزمة و عاصفة، كما تذهب الى ابعد من ذلك في مؤلف آخر سنة 1958 حين ذكرت ان "كون المراهق عادي في فترة المراهقة امر في حد ذاته غير عادي"². اذن من منظور انا فرويد Anna Freud نتوقع الاضطراب في هذه المرحلة اكثر مما نتوقع السواء من المراهق.

من جهته اريك اريكسون Erik Erikson يصر على جانب آخر و هو سيرورة بناء الهوية، مع تبين فترات الازمة الناتجة عن البحث و بناء الهوية في فترة المراهقة فقد بلور اريكسون Erikson مفهوم الازمة عند المراهقين و اكد انها بحث عن الهوية. علما انهم لا يمرون جميعا بنفس السيرورة.

¹ FREUD ANNA, Le moi et les mécanismes de défense, Paris, Presses universitaires de France, 1975 p149-150

² Freud Anna (1958), Adolescence, Psychoanalytic study of the child in Métapsychologie de l' adolescence par MARTINE STASSART, Cahiers du CEP (Centre d'Études Patho-analytiques), vol 5, Belgique, jui1995.

فالعيش في اطار واقع متغير و معقد تتيح للمراهق فرصا لتأكيد او نفي الذات لذلك فهو يرى ان المراهقة ليست كارثة و لكنها ازمة طبيعية *crise normative* اي انها فترة عادية تتفاقم فيها الصراعات، هذا النوع من الازمات بالنسبة لأريكسون Erikson التي يمكنها ان تحل ذاتيا تساهم بشكل جدى في سيرورة بناء الهوية¹

وفي نفس السياق من جهته يؤكد بيتر بلوس Peter Blos ان ازمة المراهقة و الاضطرابات الناتجة عنها طبيعية، حيث يركز على الضغوطات الحتمية التي لا يمكن تفاديها، و على الصراعات الناجمة عن حاجة المراهق الى الحرية و ابتعاده عن والديه كنتيجة للسيرورة الأساسية "للعُدول عن مثالية الصور الوالدية" *dés-idéalisation des figures parentales* مع إعادة النظر في المثل الأعلى للذات، بما أنها الطريق الوحيد المؤدي إلى تكوين مواضيع جديدة.

نظر بلوس Blos إلى المراهقة كأشد مرحلة تعبر عن التغيير، فهي تشكل سيرورة جدلية للضغط بين النكوص، والنمو (بين الدوافع الغريزية و الأنا)، كلاهما ضروري للفردانية، ويستعمل مصطلح "تناقض وجداني" لشرح عمل استبطان هذه القوى المتصارعة².

اذن فسيرورة التفرد بالنسبة لبلوس Blos هي نتيجة لتجارب صعبة ترافقها احساس بالوحدة و العزلة و الارتباك اضافة الى شعور بأشياء طارئة، الخوف و الدعر.

ان افكار انا فرويد A.Freud ، بلوس Blos و اريكسون Erikson ، التي تقوم على قناعات ان المراهقة هي اضطرابات و صراعات بين المراهق و المحيط لاسيما المحيط العائلي، و عدم الاستقرار العاطفي و على ازمة الهوية طرحت وصفا خرافيا مضخما عن الازمة باعتبارها "الاضطراب الطبيعي" الناتج عن المراهقة.

هذا لم يقنع بعض المختصين في العلوم الاجتماعية، فكما سبق و ان اشرنا؛ كولمن Coleman، ميد Mead و كنيستون Keniston اظهروا كيف ان تجربة المراهقة و كل الصراعات الناجمة عنها بين الشباب و ابائهم و بين جيل المراهقين و جيل الراشدين هي ظاهرة صنعتها المجتمعات الحديثة.

¹ERIK H. ERIKSON, 1972, Adolescence et crise la quête de l'identité, Ed Flammarion, paris.

² BLOS PETER in adolescence, par un Collectif d'auteurs Ed SARP, alger, 2001 p12

2.1.2.3- المراهقة و الازمة، علاقة قابلة للنقاش:

هناك العديد من البحوث التجريبية قامت نتائجها على التشكيك في حتمية الازمة على غرار ادلسون Adelson (1980)، كاستاريد Castarède (1978)، شيلند Chiland (1978)، نوتلمان Nottelman (1987)، اوفر Offer و سبشاين Sabshin (1984)، بترسن Petersen (1988)، باورس Powers و هوسر Hauser و كيلنر Kilner (1989).¹

في الواقع هناك العديد من الدراسات سجلت نتائج في صالح الاستقرار العاطفي للمراهقين، و بنالي عارضت تلك التي اكدت على نظرية المراهقة القلقة العنيفة و الثائرة كما وصفها ستانلي هول و انا فرويد و بعض المحللين، حتى ان هناك بحوث اظهرت قدرة كبيرة للمراهقين لمواجهة الظروف إضافة الى تحول سلس لبلوغ الرشد بنسبة اكبر من العكس² اي ممن يعانون المشكلات في هذه الفترة، مما ادى بهم الى عدم الأخذ بأزمة المراهقة الطبيعية كخاصية بل عنصر دخيل في قائمة خصائص المراهقة.

اما فيما يخص الصراعات بين المراهق و ابويه و التي اعتبرها البعض حتمية بلوس Blos على سبيل المثال، لم تؤكد هذه الدراسات التجريبية التي قامت على عينات كبيرة انطلقت من فرضية و جود صراع بين الاجيال لاسيما بين المراهق و ابويه لكنها و جدت على ارض الواقع ان نموذج العلاقة بين الجيل المرهق و الآباء فيه انسجام اكثر من النزعات، الحنان اكثر من الاغتراب و التفاني اكثر من رفض الحياة العائلية، لكن في هذا الصدد البحث عن الحرية يفرض بعض التباعد بين المراهق و الأبوين، لكن لا يمكن اعتباره انقطاع و انهيار العلاقة كما تراها بعض النظريات كشيء حتمي، بل من الاصح اعتباره كسيرورة متكاملة بين الطرفين تساعد على تطور هذا الفرد الشاب كوضعية من وضعيات التنشئة الاجتماعية³ لأنه مع هذه المرحلة العمرية الرباط العائلي يجب ان يتم تعديله لكن هذا ليس معناه ان العلاقة تكون بالضرورة علاقة صراع و لكن يجب ان يتفق المراهق و ابويه على نفس النظرة الى العالم.

ان النزعة الكبيرة إلى تفسير كل السلوكات الغير مألوفة والمثيرة أو العدوانية التي يمر بها المراهقين بالازمة، وتقليص كل هذه التغيرات التي تميز هذه المرحلة إلى مجرد أوصاف بسيطة قد تزول

¹ MARIA DA CONCEIÇÃO TABORDA-SIMÕES, L'adolescence, Bulletin de psychologie 2005/5 (Numéro 479), p. 521-534. DOI 10.3917/bupsy.479.0521, p526

² نفس المرجع السابق.

بالوصول إلى الرشد، قد يحرمنا من وسائل الفهم الصحيح للمرحلة، ولا يسمح بالانتباه إلا للقطيعة، وبهذا نستأصل المراهق عن ماضيه كما لو كان الخروج من الطفولة يلغي التاريخ الشخصي لهذا الأخير،

ميشال فايز Michel Faiz ايضا من المشككين او بالأحرى الرافضين تماما لفكرة أزمة المراهقة نراه يتحدث الى المراهقة بأسلوب مغاير في مؤلفه "لا تدعوني ابدأ أزمة"¹ ويعارض وجهات النظر التي تنظر إلى المراهق بشكل سلبي وأن الأزمة حتمية تميز المراهقة، ويقترح إمكانية الحديث لا عن أزمة بل عن تمرد ضد بعض المواقف الوالدية، كعدم قبول أن يكون للمراهق آراءه واستقلاله عنهم أو ضد المواقف والأعراف الاجتماعية الجديدة عليه.

3.3- المراهقة كفترة تغيرات:

في سياق محاولتنا التعرف على الفترة و اهم الخصائص المرتبطة بالمراهقة، استعرضنا فكرة التحول و كذا فكرة الازمة التي عرجت عليها الكثير من الادبيات في علم النفس، و من ثم وصلنا الى نقطة او فكرة اخرى كانت مادة اساسية للعديد من الاعمال و هي التغير كخاصية من خصائص المراهقة.

مند البداية نظر الى المراهقة على اساس فكرة التغير و هي خاصية ذات امتيازات، تصدرت هذه الدراسات في مجال علم نفس النمو لهذه المرحلة من الحياة. كون هذا الاختصاص يرتبط بشكل كبير بالبدايات و التغيرات النفسية، هذا يعني ايضا تحديد خصائص كل مرحلة تطويرية و القدرات الجديدة المتوقعة منها في خضم سيرورة هذا المسار لا يكون دائما تراكمي بل "متغير transformateur و متمم intégrant"²

- المراهقة و خاصية التغير:

ان الصاق خاصية التغير بالمراهقة يمكننا من استحضار مجموع التغيرات العميقة و المختلفة التي تعرف بها الفترة من العمر اذا نظرنا من زاوية علم نفس النمو³.

ان التغيرات السريعة التي يمكن ملاحظتها من عمر الحادية او الثانية عشرة توحى بشكل مباشر

¹ MICHEL.FIZE, Ne m'appellez plus jamais crise: Parler de l'adolescence autrement, éd. Erès, Paris 2003.

² CARLSEN MARY B(1988), in « L'adolescence » par Maria da Conceição Taborda-Simões, Bulletin de psychologie 2005/5 (Numéro 479), p. 521-534. DOI 10.3917/bupsy.479.0521,p228

³ PAPALIA DIANE, OLDS SALLY, Le développement de la personne, Montréal, Éditions HRW, 1979.

الى فكرة التغيرات، سواء من ناحية القامة، شكل الجسم، القدرات العضلية و الجسدية، هذه التغيرات تنتهي بالمراهق للوصول الى الاستقلالية المتنامية و المتصاعدة على مستوى التفكير و على المستوى العاطفي و العلائقي.

لا يوجد افضل من نظرية جون بياجى Jean Piaget الرائدة في التيار المعرفي، لتعرفنا بالتغيرات الحاصلة على المستوى المعرفي عند المراهق.

من وجهة نظر بياجى Piaget يمكننا ان نخص المراهق معرفيا بتطوير شكل جديد من التفكير، و هو التفكير التجريدي *la pensée abstraite* و وضع الفرضيات و الاحتمالات و الاستنتاجات بعد مقارنة الاشياء و تحليلها و اختيار الانسب.

وفي هذا العمر يكون انغماس الطفل الذي أصبح مراهقاً في المجتمع قد بدأ ينمو، وهذا يكسبه الكثير من المنطقيات التي يتبناها تبعاً للبيئة المحيطة له بدءاً من الأسرة مروراً بالمدرسة و الأصدقاء. وهذه هي قاعدته في التطور للانطلاق في حياته، فهو الآن يمتلك قاعدة فكرية خاصة به من أفكار ومعتقدات. إما أن يضطر الفرد إلى تغيير بنيته العقلية لكي يتكيف مع البيئة المحيطة (الملائمة) أو أن يحاول الفرد التكيف مع البيئة مستخدماً ما لديه من البنى العقلية (التمثل) وبإمكانه بمراحل متقدمة أن يوازن بين الملائم والتمثل ليصل لمستوى معقول لقدرته وذكائه بما يتناسب مع عمره.

بدأ لورنس كولبرج Kolhberg من نظرية بياجى، و وسع مفاهيمه عن التطور الخلقى، ففي مرحلة النمو الخلقى المبكرة أكد على أهمية الدور الأخوذ و الإدراك العام للمحيط أو الآخرين من حوله .

أما في مرحلة التطور المتقدمة فأكد على أهمية الخبرة (التجربة) الفعلية في اتخاذ الحكم الأخلاقي. و التغير يكون من الانتقال من المستوى ما قبل التقليدي يطبع الأطفال في هذه المرحلة الأوامر و يتجنبون العقاب و يتبعون النسبية الوسيالية الساذجة التي تشبع حاجاتهم و اهتماماتهم، مروراً بالمستوى التقليدي حيث يهتم الطفل بالتوقعات الاجتماعية و يعتبر المحافظة على هذه التوقعات و مسابرتها في حد ذاته قيمة فيجتنب عدم الرضا من قبل الآخرين. الى المستوى ما بعد التقليدي حيث يشمل هذا المستوى المرحلة الأخيرة من نمو التفكير الخلقى، و فيه يحدد الأفراد المبادئ الأخلاقية و القيم

التي تطبق بصرف النظر عن سلطة الجماعة أو الأشخاص الذين يتمسكون بهذه المبادئ و بصرف النظر عن انتمائه لهذه الجماعات¹.

اما التغيرات التي تحدث في المراهقة على المستوى الاجتماعي و العاطفي او العلائقي، تنصدرها الاستقلالية و السعي للبحث عنها، خاصة و ان هذا الفرد او المراهق يمتلك الآن، قدرات تمكنه من التجاوز التدريجي لحالة التبعية التي عاشها في مرحلة الطفولة و اثبات الاستقلالية التي يتمنى ان يعترف الآخرون بها و بشكل سريع، ومن هنا، يعدل المراهق تصرفاته و سلوكاته و علاقته بوالديه.

في هذا التوقيت بالذات عندما يدخل الفرد مرحلة المراهقة، يفقد والديه في عينيه مكانتهما كشخصين عارفين بكل الامور و قادرين على كل شيء، ترى Kestemberg² في انه هذه الحالة يتبنى المراهق "المثالي الجماعي" l'idéal collectif بدل "المثالي الابوي"، الذي يدرجه في جماعات تقمصيه، ك "انا مثالي مؤقت" يساعد المراهق على انعاش تقديره لذاته.

Rousseau و Israel يسجلان في نفس الصدد ان المثالية الجديدة nouvelle idéalisation و التي تؤسس نوعا من اعادة صياغة العلاقات للموضوع réobjectalisation فالمراهق يختار ابطاله من داخل جماعة الرفاق و هذا ما يؤدي الى تعديل في الصورة الهوامية les imagos و التي تفتح المجال لاحتمالات تقمصيه جديدة خارج الاطار العائلي و في نفس الوقت بعيدة و قريبة عن صورة الوالدين³.

لكن بالمقابل يكتسب الوالدان اشياء اخرى بما انهما مدعوان للدخول في ديناميكية علائقية جديدة تضمن تبادلات مختلفة و اختبار استراتيجيات جديدة متجاذبة للسلطة، بالإضافة الى نماذج تواصلية مختلفة⁴، و استثمارات عاطفية و التي في غالبيتها تركز خارج النطاق العائلي نحو أولئك الذين يمرون بنفس التجربة، الى جماعة الرفقاء.

الى جانب رفاقه، و بانتمائه الى هذه الجماعات، يجرب المراهق اشكالا جديدة من تسيير

¹ Claudine leleux, théorie du développement moral chez Lawrence Kohlberg in Jean-Marc Ferry et Libois, pour un education postnationale, Bruxelles 2003, ed l'université de Bruxelles, coll philosophie et société, pp111-128.

² Kestemberg E., 1962, L'identité et l'identification chez les adolescents. Problèmes théoriques et techniques, in Psychiatrie de l'enfant, 5 (2) : 441-522.

³ ROUSSEAU.J et ISRAEL.P, Jalons pour une étude métapsychologique de l'adolescence, in l'inconscient, n°6.

⁴ Noller Patricia, Callan Victor(1991), in « L'adolescence » par Maria da Conceição Taborda-Simões, Bulletin de psychologie 2005/5 (Numéro 479), p. 521-534. DOI 10.3917/bupsy.479.0521, p529

مشاعره و احساسه، كما يجرب اشكالا جديدة من العلاقات و التقمصات و كنتيجة لذلك كله يكتسب مهارات اجتماعية عاطفية جديدة. وهكذا طوال مرحلة المراهقة، يكتسب تعلق المراهق بوالديه تارة و تارة التعلق بجماعة الرفاق اهمية اساسية، و على اعتبار الامن العاطفي الذي يحظى به يكون فكرته عن نفسه، فهذه العلاقة المزدوجة تلعب دورا بناء في البلورة التدريجية لتصور عن ذاته و عن الاخر.

و من خلال الشعور بالاستمرارية مع المعنى الذي لديه عن نفسه و التعرف الذاتي عليها يبني المراهق هويته¹ من خلال الماضي الذي عاشه، و من خلال الحاضر الذي يعيشه و المستقبل الذي يخطط له بشكل مستمر.

عندما نفسر المراهقة من هذه الزاوية اي فكرة التغير، يمكننا من تحديد خاصية مميزة من خصائص هذه المرحلة من الحياة، لكن يمكن ان نصطدم بمشكلة يطرحها علم نفس ما بين الثقافات حول عالمية هذه السيرورة النفسية التي تطرحها المراهقة، هذا و الكثير مما ذكرنا قبله يجعل المراهقة مصطلحا هشاً اكدت عليه بعض النظريات و نفتته نظريات اخرى التي لم تأخذ بالتحويلات الحاصلة في هذه الفترة و لا بمصطلح الأزمة.

لكن هذا لا يعني ان هذه الفترة هي مناسبة لعدة تغيرات على المستوى السلوكي، النفس الاجتماعي و المعرفي التي لا تجعل الفرد لا يشبه ذاته في المرحلة السابقة لهذه الأخيرة، و لا يبقى هو نفسه بعدها. و عليه حتى و ان كان هذا المصطلح هشاً ومادنا دسمة للنقاشات لا يمكن الانكار بأن هناك تغيرات تحت مظلة هذه الظاهرة الموسومة بالمراهقة.

4- المراهقة في خضم الصراع بين القوى الفردية و القوى الاجتماعية:

ان صراع الاجيال هو المحور الاساسي التي تدور حولها مشاكل المراهقة، يعمل المراهق في هذه المرحلة في سبيل الحصول على الحرية، على الاحتجاج على السلطة و الضغوطات بشكل عدواني و التي يسلطها في البداية على البيت و الاسرة .

في بحث هيلين دوتش Helene Deutsch حول القوى الاجتماعية و الفردية للمراهق الممنهج

في كتابها مشاكل المراهقة¹ اكدت ان علاقة المراهق بالعالم الخارجي تحدد حالتها الداخلية اي

¹ERIK H. ERIKSON, 1972, Adolescence et crise la quête de l'identité, Ed Flammarion, paris.

حل الصراعات الداخلية القديمة و الجديدة.

في هذه الفترة، كل فرد يمر بما يشبه ثورة شخصية لخدمة الـ"انا" و في نفس الوقت نحن امام محاولة قوية لتحويل هذه الثورة الشخصية الى ثورة عامة اكثر بتغيير "انا" الى "نحن" .

السيرورة نفسها كما في كل الثورات، تهدف الى هجر الوضعيات و المواقف السابقة لصالح اخرى جديدة. وعليه تحاول هيلين دوتش Helene Deutsch ما هي هذه الوضعيات الجديدة و ما اذا كانت سيرورة النضوج le processus de mûrissement عبارة عن ثورة فعلا.

كل فترات النمو و التطور قبل المراهقة تمثل سيرورة تطور تكون فيها الثورات هادئة نسبيا تبين نهاية و بداية المرحلة. و بقايا كل مرحلة تطويرية يضاف الى المرحلة الموالية او اللاحقة بالنسبة لدوتش Deutsch و في نفس الوقت عناصر سابقة لأوانها يمكن التكهن بظهورها خلال المرحلة السابقة.

فيما بعد، خلال المراهقة أحداث نفسية تخضع لنفس الالية مع فترات و صفت بالأزمات يلاحظ عليها كثافة الاحداث التي تأخذ مكان و تصبح مباشرة و ظاهرة اكثر في هذه المرحلة بالمقارنة مع المراحل السابقة. فالوسط الاجتماعي بديكوره الخارجي تتوسع اكثر و اكثر في واقع المراهق نظرا لتوسع نطاق انتماءاته، بالإضافة الى تدفق القوى الجنسية البيولوجية الناجمة عن عملية البلوغ، و كذا الوعي الشخصي بالتعديلات التي تصيب الانا، و ايضا مواكبة متطلبات الواقع الجديد وصعوبة التكيف كلها عناصر قاعدية للتغيرات التي تحدث خلال المراهقة.

فالانا يشعر بالصدمة و الغرابة و في نفس الوقت الانا الاعلى يلعب دور المعادي للسلطة و يجمع القوى ضد هذه الغرابة. ان التآرجح المستمر في ميدان المعركة الداخلي اعتمادا على تعبير دوتش Deutsch ، ان انتصارات الهو على الانا الاعلى او العكس، بالإضافة الى رفض او استيقاظ التقمصات القديمة، و الانقلاب الجدري للانا المثالي، البحث عن تقمصات جديدة، الاهتمامات النرجسية، الحكم السلبي الذاتي و المازوشية كلها امثلة عن الاضطرابات التي تحدث خلال سيرورة النضج².

¹ HELENE DEUTSCH, problème de l'adolescence, traduit par CLAUDE-ANTOINE CICCIONE, Petite Bibliothèque Payot, paris,1991 p15.

² HELENE DEUTSCH, problème de l'adolescence, traduit par CLAUDE-ANTOINE CICCIONE, Petite Bibliothèque Payot, paris,1991 p21.

5- المراهقة و النرجسية:

يري الكس موكييلي Alex Meucchielli إن أول ظاهرة تمس شعور المراهق البالغ هي النرجسية.

كما رأينا من منظور بلوس Blos ان صورة الجسم تعطي الشكل الأول الذي يتيح للفرد حجز مكانة له في الحياة وتحديد ميزاته.

ان النرجسية كلمة مستوحاة من أسطورة "نرجس" Narcisse الذي إذا لم ينظر إلى صورته على جدول الماء لعاش سعيدا ولما مات، من هنا انطلقت عدة نظريات منها نظرية لكان J.Lacan ، فقد وجدت هذه الأسطورة صدى واسعا لدراساته المتمثلة في "مرحلة المرأة"، حيث تناول هذه المرحلة كونها النسيج الأساسي في النظام الخيالي واستعراض مراحلها الثلاثة: قبل المرآوية، المرآوية، بعد المرآوية، وتبين ما تمارسه الصورة في المرأة على الأنا من أسر وافتتان، هذا الافتتان الذي أعاد به لكان قراءة مفهوم النرجسية في الخطاب الفرويدي. فيرى لكان أن النرجسية هي الانجذاب الشبقي للصورة في المرأة¹.

لكن اذا اردنا التعمق اكثر في مسألة النرجسية فلا يسعنا الا التعرّيج على وجهة نظر كوهت Kohut 1974 Heinz باعتباره كان من المهتمين بهذا المفهوم من بعد فرويد Freud و الذي اعطى تفاصيل اكثر عنه. و التي عند الاطلاع عليها امكننا استخلاص ثلاث نقاط:

اولا: النرجسية ليست مرحلة بدائية و انما مسار وسيرورة تطويرية، تسير بموازاة تطور الليبدو، من حالات الذات المتجزئ fragmentation de soi الى الذات المتماسكة soi coherent .

وهنا يظهر انفصال نسبي بين مسار الليبيدوا و المسار النرجسي ولكن المسارين يتشابكان بل تخفي و تُقنع احدهما الأخرى و خاصة اثناء المراهقة: الشكاوى النرجسية (كالشكوى من كبر الانف او صغره) سوف تُقنع masquer قلق الخشاء، و على العكس من ذلك فان فرط النشاط الجنسي، بداية من العادة السرية (الإستماء) المحمومة الدنجوانية²، التي تخفي الذات المتجزئة في مرحلة التحول و التي تتسم بعودة صراعات الطفولة للواجهة. فالإستماء بالنسبة لكوهت Kohut يُفعل هذا الفرط في النشاط الجنسي و يحافظ على تلاحم الذات la cohésion du moi .

¹ محمد، محمد فتحي، إيمان المخدرات والمسكرات بين الواقع والخيالي، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 2011
² الدنجوانية: سلوك دون جوان و هو شخصية أسطورية من الفولكلور الإسباني كان زير نساء وعاشقا شهيرا. أغوى أكثر من ألف امرأة، و الدنجوانية في علم النفس تعني البحث عن الامان النرجسي اثناء علاقات الغرامية الذي يحتاج الى التجدد باستمرار.

ثانيا: النرجسية بالنسبة لكوهت Kohut لا تخص ذات الفرد فقط و انما اسلوب لعلاقة الفرد مع الآخرين و اسلوب تحويل النرجسي un mode de transfert حسب نمطين اساسيين:

1- التحويل مع المرأة: الذات المعظمة le soi-grandiose

2- التحويل مع الآخر المثالي او الممجد le soi idéalisant الذي يكون مع الموضوع الممجد او الذي يضيف عليه صيغة المثالية وهذا قبل تدخيل intériorisation الانا المثالي. و النمط الثاني اساسا هو الذي يخص مرحلة المراهقة.

المراهقة هي فترة تقوية و توطيد الجهاز النفسي، وذلك بتأسيس مثل عليا اكيدة، مدخلة او مستوعبة.

في الواقع، عندما يخيب ظن المراهق بالموضوع الوالدي، يصل الى تقييم واقعي اكثر لهذا الاخير، ازدرائي حتى عند البعض، و يشرع في سحب الاستثمار النرجسي من ذات الموضوع المثالي le soi-objet-idéalisé حتى يصل الى اعادت التدخيل التدريجي و ذلك حسب وظائف النفسية الباطنية لانا المثالي او حسب الفقدانات الصادمة في الطفولة les pertes traumatique dans l'enfance . فالمرهق يبقى في تثبيت لذات-الموضوع البدائي اي يبقى في حالة تباعيه للموضوع خارجي متعطش للموضوع يمكن ان يصل لحد الادمان عليه. وهنا علينا الاشارة بدقة الى انه في نظرة كوهت Kohut هذه الموضوعات ليست محببة كما في العلاقة الليبيدية و انما هي مجرد بدائل بمهام ناقصة Substituts de fonctions déficientes للجهاز النفسي. وهذا هو ما سماه كوهت Kohut علاقة نرجسية.

اما في **النقطة الثالثة** نود ان نتحدث عن مفهوم يبدو مثيرا للاهتمام في فترة المراهقة، و هو الغضب النرجسي La rage narcissique¹ والتي يضعها كعامل للعديد من السلوكات العدوانية ازاء الآخر و ازاء الذات.

هي العدوانية الناتجة عن الجرح النرجسي انطلاقا من الاهتياج و العصبية الى الغضب الشديد او الى الضغينة البرانونيدية. و الرغبة القهرية في الانتقام بعد المواقف المحرجة. المراهقة ايضا هي مرحلة القابلية و تفاقم الحساسية النرجسية.

¹ H.KOHUT, Le Soi : la psychanalyse des transferts narcissiques, PUF, coll. « Le fil rouge »,paris, 2004.

1.5- النرجسية بين العدوانية و الاكتئاب عند المراهق:

تحدث كوهت Kohut عن تفاقم الحساسية النرجسية في مرحلة المراهقة التي يمكن في اطار ظروف معينة "مهينة" ان تتحول الى عدوانية.

فعندما لا يتمكن المراهق من توجيه هذا الغضب النرجسي la rage narcissique نحو الآخر (ما يسميه كوهت Kohut "الذات- الموضوع" Le soi-objet) يريد اما على جسد المراهق corporel - le soi وهذا هو سبب الامراض النفس جسدية من وجهة نظر كوهت Kohut او على الذات le soi التي تؤدي الى الاكتئاب المدمر la dépression destructrice .

وفي نفس الصدد ذهب عدد من المؤلفين الفرانكوفونيين الى تسليط الضوء على مسألة الاكتئاب عند المراهق ومنهم جيدانس لادام و سناكرس Snackers, Gedance, Ladame 1967 يفسرون المعاش الاكتئابي بالحدادات المتوالية، بداية بالحداد على الام كملاذ deuil du refuge maternel وهو واقع لا يعيشه المراهق كتححر بل كفقدان، الحداد المتجدد للمظاهر الاوديبيية deuil renouvelé des aspects œdipiens امام المواضيع الوالدية وهو الحداد على استثمار الوالدين عاطفيا امام الرغبة في الاستقلال عنهما. وفي الاخير حداد ازدواجية الميول الجنسية deuil d'une bisexualité التي لم تحدد نهائيا بعد و التي في نهاية هذه المرحلة يحدد فيها المراهق ميوله نحو موضوع حب جديد.

Kestemberg الذي ذكرت في كتابها الهوية و التماهي عند المراهقين¹ ان المراهقين في هذه الفترة في عملية بحث عن الانا المثالي، عن صورة مُرضية حول انفسهم و التي تكون ذات طبيعة تمدهم بالطمأنينة النرجسية تطرح فارق بين ما هم عليه و ما يريدون ان يكونوا مما يؤدي الى قلق شديد، و المساس بالتماسك الداخلي و تزعزع تقدير الذات.

اكتئاب المراهقة يتجلى في ازراء الذات més-estime de soi على مستوى شعوري، كما

يمكن ان يظهر ايضا في المبالغة في تقدير الذات.

عملية البلوغ الجنسي هذا الحدث الجديد في حياة المراهق، لا يمكن ان يجلب الطمأنينة النرجسية

للمراهق

¹ KESTEMBERG E., 1962, L'identité et l'identification chez les adolescents. Problèmes théoriques et techniques, in Psychiatrie de l'enfant, 5 (2) : 441-522.

بما ان بعض المجتمعات لا تسمح لهم بتجربة هذه القدرات الجنسية المكتسبة فيذهبون الى العادة السرية التي يجمع على انها تجر ورائها الخجل و الشعور بالذنب.

في مقال لإفلين كستمبرغ E.Kestemberg نشر سنة 1962 موسوم ب"الهوية و التماهي عند المراهقين" تخص فئة المراهقين باستحالة الحصول على علاقات جنسية و التي تدفع بهم الى ممارسة الاستمتاع الذاتي La masturbation الذي يضعهم في كفة الخوف و الخجل فهذه الاخيرة لا تحط من تصوره لذاته فقط و انما تؤثر سلبا ايضا على تقدير الذات و الانا المثالي. و هو ايضا دليل على عدم الانسجام الذي يعيشه المراهق مع جهازه التناسلي و الذي يفترض ان يكون جهازا للعلاقة بينه و بين الآخر و لسي بينه و بين نفسه كما هو الحال في العادة السرية.

كما تسجل كستمبرغ E.Kestemberg مشاركة و تدخل الحادثة البدائية او المشهد البدائي la scène primitive التي تثير القلق الناجم عن الصراع الاوديبي الا و هو قلق الخصاء، و اكثر عمقا قلق التجزء Angoisse de morcellement.

وعلى عكس مراهقين الامس فإن بعض مراهقين اليوم حسب كستمبرغ E.Kestemberg لديهم حياة جنسية حرة تماما من الذنب و الصراعات. فنجد عند الأوائل الذين ذكرناهم (مراهقو الامس) الاكتئاب الذي يخفي سلسلة من الاعراض، خاصة التي تكمن وراء الصراعات الجنسية، اما مراهقو الحرية الجنسية فالإكتئاب موجود حتى انه صريح و يظهره المراهقون؛ غير متمركز على مبدأ اللذة و الا لذة الجسدية بل على الكف الفكري و هو ما تسميه اعادة جنسنة وظيفة العقل resexualisation du fonctionnement mental اذا صحت الترجمة، و التي تصبح الخصاء الوحيد مع ازالة جنسنة الجنس désexualisation de la sexualité بإنكار الجنس تماما كما لو انه غير موجود، لكن مع التأكيد عليه في احاديث المراهقين و طريقة كلامهم.

تري كستمبرغ E.Kestemberg ان هناك نوع من اهتزاز او ضععة النرجسية التي يعبر عنها بالاكئاب المباشر، المحسوس و الغير مقنع¹.

¹ E.KESTEMBERG, la sexualité des adolescents (communication aux journées sur l'adolescence) in adolescence par un Collectif d'auteurs, ed la SARP, 2001 p26

خاتمة:

في الاخير و ختاماً لما ورد في هذا الفصل و انطلاقاً من المعطيات التي قدّمناها حول مرحلة المراهقة في الموروث النظري، يمكننا اعتبار ان المراهقة فترة مهمة لصالح بناء الهوية بحيث يعيد المراهق النظر في تقمصاته السابقة كما يقوم بتعديل ما اكتسبه من المجتمع خلال مرحلة الطفولة.

فينشغل بتقييم ذاته ويتزامن ذلك مع العديد من التغيرات الحاصلة على كل المستويات (الجسدي والنفسي الانفعالي والاجتماعي)، وهذا ما يُفعل ما اطلق بعض المنظرين بالأزمة وتشكيل الوعي الذاتي لتحقيق الثبات والتكامل الشخصي واكتساب هوية من أجل الاستقرار في الأدوار المستقبلية يجب ممارستها. دون اغفال آراء البعض الآخر الذين رفضوا اعتبارها كذلك واعتبروها مرحلة طبيعية و عرضية لطبيعة وواقع المجتمعات.

ونظراً لكون غالبية المراهقين اليوم يتعاملون مع الأجهزة التقنية بشكل مكثف و يزدادون انغماساً في ما تقدمه التكنولوجيا الحديثة على أجنحة الوسائل السمعية البصرية، قد تزيد من تعقيدات هذا المعاش الذي هو صعب في الاصل. ارتأينا ان نركز في الجزء اللاحق على هذه الوسائل و التي على رأسها شبكة الانترنت.

الفصل الرابع:

الثقافة الجزائرية

تمهيد:

صعب جدا التحدث عن الثقافة الجزائرية، فكل من يخوض في هذا الموضوع يجد نفسه امام تحديات عديدة، لعل اهم هذه التحديات شساعة المساحة و طبيعة السكان، فامتدادها على طول الساحل و وتوغلها في الصحراء جعل الاختلاف هو ما يميز مناطقها وسكانها في طريقة العيش وكذا في العادات و اللغات والثقافة، اما التحدي الثاني الذي يواجه الباحث في هذا المجال هو التغير و التحول السريع الا متناهي للثقافة الذي فرضه الاحتكاك مع ثقافات مجاورة و غير مجاورة.

وعلى اعتبار ان المجتمع هو مجتمع فتي حيث تمثل فئة الشباب الاغلبية فيه وهي الاكثر انفتاحا على تطورات العالم، ظهر فارق كبير وسريع على الاساسات السوسيو ثقافية و النفسية بين ما كانت و ما صارت عليه، مخلفا وراءه نسقين مختلفين تقليدي و حديث، ولعل اهم التغيرات مست و لا تزال الاسرة الجزائرية باعتبارها والجماعة الاولى في المجتمع بحيث حدث نوع من الاختلال في المكانات و الادوار.

وعليه سوف نحاول من خلال هذا الفصل ابراز اهم التحولات التي مست الثقافة الجزائرية و التي لا تزال في تغير مستمر.

1-وضعية اللغة في الثقافة الجزائرية:**1.1- الازدواجية اللغوية في الخطاب الرسمي الجزائري و معاناة الهوية:**

تعودنا على فكرة ان المجتمع الجزائري ازدواجي اللغة و الثقافة، وهذا ما جاء في الخطاب الرسمي الذي يمس الجوانب الاكاديمية، لكن في الواقع توجد لغات اخرى فرعية او محلية تتعايش مع اللغة الرسمية العربية الكلاسيكية وكذا مع اللغة الفرنسية باعتبارها مترسبة عن الاستعمار في الجزائر، وباعتبارها الآن لغة التعليم الجامعي في التخصصات الجامعية العلمية ايضا.

فهناك اللهجة الجزائرية او العربية الجزائرية كما يحلو للبعض تسميتها، و التي تختلف من منطقة الى اخرى، وهناك العربية الكلاسيكية (الرسمية)، الفرنسية، و الامازيغية بكل اطيافها (قبائلية- التي هي في طور الترسيم-، شاوية، ميزابية، ترقية ولغات اخرى مختلفة في اقصى الجنوب) وكلها

تستعمل في مناطق معربة بدون حدود جغرافية، ولذلك كان عليها بناء علاقات مع اللغات المهمة العربية الكلاسيكية و الفرنسية.

2.1- التعريب ضد الموروث الاستعماري و الصراع اللغوي في الجزائر:

منذ الاستقلال تبنت الجزائر سياسة التعريب في خطوة لنيل شرف الابتعاد عن الفرنكوفونية بسن عدة قوانين حول هذه المسألة و تطبيقها على جميع المستويات التربوية و الادارات.

اعتبرت فرنسا الجزائر مقاطعة فرنسية وراء البحر بعد الاستعمار الفرنسي، وكان هدفها الأول طمس كل ما هو جزائري، وجعل الجزائر مقاطعة فرنسية. و انطلاقا من الهدف الاستعماري الاستيطاني الفرنسي، ركزت السياسة الفرنسية الاستعمارية في الجزائر على محو الهوية الجزائرية واستئصالها نهائياً.

وتأكد ذلك بالقرار الصادر من الادارة الفرنسية سنة 1938 على لسان شوطان Chautemps وزير الداخلية الفرنسي و الذي يجعل من العربية لغة اجنبية، يحضر تعليمها بالمدارس الجزائرية، اذا اراد البعض اختيارها فلنكن العامية و ليس الكلاسيكية كما سماها، و الفت بعض الكتب بالعامية، كما عملت ادارة الاحتلال على حجز ومنع دخول صحف العربية من سائر البلاد العربية و مصر في محاولة لعزل الجزائر وتكوين نخبة تخدم المستعمر و تضمن له البقاء¹.

و بذلك حُرم الكثير من الجزائريين، إبان الاستعمار الفرنسي للجزائر، من التعليم، حتى التقليدي منه، والقلّة القليلة، التي كانت محظوظة، أرغمت على التعلّم باللغة الفرنسية. لكن و بفضل المساجد و علماء الدين والحركة الوطنية الجزائرية، وعلى رأسها "جمعية المسلمين الجزائريين"، استطاع بعض الجزائريون تعلم بعض مبادئ اللغة العربية.

وبعد الاستقلال سنة 1962 ظهرت ردود فعل ضد السياسة الاستعمارية و كل ما له علاقة بالثقافة الفرنسية فطُرحت قضية اللغة العربية والتعريب جدياً، منذ الاستقلال لكن كان الرئيس الثاني الذي حكم الجزائر هواري بومدين القائد الحقيقي لحركة التعريب في الجزائر، فتمكنه من اللغة العربية، وثقافته التي تلقاها في جمعية العلماء المسلمين في مدارس قسنطينة و جامعة الازهر في القاهرة، دفعه الى شن حملة تعريب واسعة بداية من 1971. وكلف محمد الصالح يحيواوي مسؤول الجبهة وعضو جمعية العلماء سابقاً، بهذه المهمة، فقام بتعريب الادارة، والوثائق الرسمية، والمراسلات... وبدأ التعريب يشمل كل

¹عابد محمد بوهادي، تحديات اللغة العربية في المجتمع الجزائري، دروب للنشر و التوزيع، الطبعة الاولى،الاردن،2014،ص9

مظاهر الحياة الجزائرية بما في ذلك التعليم. كما سجل التاريخ انه كان اول رئيس عربي قدم خطابا باللغة العربية بدون مترجم في خطوة غير مسبوقة من منبر الامم المتحدة.

وظهر صراع في الندوة الوطنية للتعريب سنة 1975 ، حيث صرح فيها الرئيس بومدين وقتها بوجوب ربط التعريب بالتصنيع، و ان اللغة العربية لا بد ان تصبح في المستقبل لغة الحديد و الصلب و البتروكيميا، و اشدت النقاش بين دعاة التعريب الفوري الشامل و دعاة التعريب التدريجي، و الحث الندوة في قراراتها و توصياتها على البعد الاجتماعي لمسألة التعريب و على دراسة مشروع مجمع اللغة العربية و التخطيط و التنسيق و توحيد المصطلحات المستعملة في مختلف المؤسسات و العناية بالترجمة و تعليم الكبار و استعمال الوسائل السمعية البصرية في التعليم.

وما لبث ان انفجر الصراع في سنة 1988، وظهرت ثلاث تيارات: التيار المعارض للتعريب، التيار الامازيغي و التيار الاسلامي و نادى المعارضون ان المدرسة الاساسية اصولية ولا بد من عودة الفرنسية الى التعليم. وفي هذه الظروف نشأة جمعية الدفاع عن اللغة العربية¹ سنة 1989 و جعلت المدرسة الجزائرية ميدان حرب سياسية.

لكن في الفاتح من افريل سنة 1992 و بعد الموافقة المتكتمة في ظرف استثنائي عرف بال عشرية السوداء مُثلت الجزائر في الدورة الثامنة للمجلس الاعلى للفرنكوفونية، فقبل هذا التاريخ لم تكن للجزائر مرجعية لاي ما له علاقة مباشرة بالفرنكوفونية، بالرغم من انها لغويا الاكثر تأثرا بالفرنسية من كل دول المغرب. و المثير للتساؤل، فشل خطة التعريب بالجزائر بالرغم من ضراوة التمسك بها كما ان الجيل الجديد لا يتقن الفرنسية ولا العربية الكلاسيكية على حد سواء.

3.1- اللغة و التصورات الجماعية:

مسألة دراسة التصورات او التمثلات الذهنية للغة تعتبر جوهرية و قاعدية. لا تسمح بالتعرف على كل ماله علاقة باللغة فحسب بل بناء تصور حول النظرة للعالم و الكينونة، ولا يوجد اهم من فهم العلاقات التي تبنيها مع الاشياء و مع العالم لفهم اللغة ذاتها، فهي لا تقتصر على مجموعة من الرموز، ليست حيادية لأنها تمارس ضغطا وتأثيرا مباشرا على حياة الافراد، كما انها تمثل مكان تعبير و بناء عمق الشخصية الفردية و الجماعية. تهيكّل الفرد وبها يتعرف الفرد على نفسه و على العالم.

¹ جريدة الشرق الاوسط، العدد 11021، صادرة بتاريخ 30 يناير 2009

في "الأنثروبولوجيا التحليلية" لكلود ليفي ستروس Claude Levi-Strauss يعتبر اللغة ك"فعل ثقافي بامتياز وهي الوسيط الذي تأسست عليه كل اشكال الحياة الاجتماعية و تستمر"¹

اللغة تبني ايضا روابط ذات امتياز بين الفرد و المجتمع بقدر ما القاعدة التي تبني عليها تفاعلاتهم، كما انها تعبير عن هويته الفرد و المجتمع على حد سواء و التي بدورها تجمع الافراد الذين يكونون هذا الاخير.

و بما ان اللغة تمس عمق المجتمع و افراده لا يمكن حصرها كمجرد أداة للتبادلات و التواصل.

4.1- معانات فقدان اللغة ابان الاستعمار:

في الجزائر المستعمرة، كان الهدف الاكبر لفرنسا كمستعمر شرس، طمس التراث الثقافي الذي كان يعكسه التعليم القرآني العربي الاسلامي فعمد الى غلق المساجد و المدارس التي جادت في تعليم العربية.

و لان التاريخ الاستعماري في الجزائر امتد طويلا جدا قرابة مئة و اثنان و ثلاثين سنة، فالجزائر بدون شك البلد الاكثر معاناة من تبديد الشخصية الثقافية. فتحت وطأة الاحتلال كان التدريس في الجزائر يقوم حصريا على اللغة الفرنسية، اما اللغة العربية فلم تكن سوى لغة اجنبية يتم تدريسها في الخفاء بسرية تامة في الكتاب و الزوايا.

فقدان اللغة العربية و تعويضها بلغة مفروضة على الجزائريين سجلت انقطاعا و فقداننا جارحا، انقطع حبل الاستمرارية و العلاقات بين جيلين. من خلال قراءات فسيان حسين Fsihan Hocine وضح ان العديد من الكتاب المغاربة عبروا في رواياتهم عن المعاناة التي سببها الانقطاع، فاستعاروا بكلمات عبرت عن صدمة الفقدان.

منهم كاتب ياسين Kateb Yacine الذي عبر كيف ان ابوه قرر يوما ان سحبه من المدرس القرآنية لوضعه في "وجه الذئب" اي المدرسة الفرنسية ، فالكاتب عاش هذه التجربة كفقدان " النفي او الاقصاء الداخلي الذي لا يقرب التلميذ من امه بل يفصلهما، في كل مرة اكثر عن همس الدم، عن

قشعريرة و تأنيب لغة محظورة...وهنا فقدت كل من امي و لغتها"¹

¹ LEVI-STRAUSS, CLAUDE: Anthropologie structurale. Paris, Plon 1958, p.392.

فقدان اللغة عاشوه كإفصال، وهجر و أيضا تباعية للآخر. مالك حداد Malek Hadad

جعل من هذه التباعية موضوعا ادبيا. فالعربية "تلك اللغة التي انفظمنا عنها فنحن ايتام لا عزاء لنا"²

ان الزامية التخلي عن اللغة الخاصة بالفرد و الحديث بلغة الآخر معاناة ليس كمثله معاناة، بقدر ما تعكس مسالة فقدان اللغة، فقدان الانتماء القديم المتبادل و التدخل في ثقافة الآخر.

5.1- اللغة و الهوية:

بما ان هذه هي معاناة الانسان عندما يفقد لغته فان اللغة تمتلك خصائص تضرب في العمق و في رمزية المجتمع. ان اللغة هي تعبير عن الهوية سواء كانت هوية الفرد او المجتمع و عن العلاقات التي تجمع الافراد الذين يكونونه.

في الجزائر يتم الادراك الاساسي للفرد من خلال لغته فنقول هذا عربي هذا قبائلي و هذا عاصمي... كما يري فسيان حسين Fsihan Hocine ان هناك خلط في الجزائر بين اللغة و الهوية فنحن نطلق على انفسنا عرب لأننا نتكلم العربية، فهذه اللغة "العربية" اكثر من غيرها مُدركة كنوع من التجذر في الهوية القاعدية، وهذا ما لا نجده في بلدان اخرى، ففي البرازيل مثلا الدين يتحدثون البرتغالية لا يعتبرون انفسهم اوروبيون. وفي اغلب الاحيان يصدم الجزائريون عندما يسمعون قبائليا يقول لست عربيا باللغة العربية.

ان المجتمع و الهوية و اللغة تُمتزج في رابط واحد يعبر عن هوية المجتمع كالتالي: الهوية تعطي مدلولاً للمجتمع، و اللغة تعبر عنه. ومن هذا المنظور يمكن اعتبار اللغة ذلك البعد الذي من خلاله يمكن للبلد او المجتمع ان يترك المجال لفك شيفرته من الخارج فهي سفيرته وشارته (رمزه).

اذا كانت العلاقة بين اللغة و الهوية هي علاقة متينة كون كل ما تطرحه اللغة في العمق له علاقة بأشكالية الهوية فلا يجب اغفال مسألة اللغة الام الغير معترف بها في كل دول المغرب الغربي لاسيما الجزائر، فاللغة الام سواء كانت عربية دارجة او امازيغية، لا تشكل الا لغة للتخاطب اليومي، ففي المدرسة يجد الطفل نفسه امام اللغة العربية الكلاسيكية و القاء لغته الام التي ادرك من خلالها العالم

¹ KATEB YACINE, Jardin parmi les flammes, in l'école dans un monde en crise, par FSIAN HOCINE, Ed l'harmattan.

² HADDAD MALEK, Ecoute et je t'appelle, in l'école dans un monde en crise, par FSIAN HOCINE, Ed l'harmattan.

و المحيط و شيد داخلها علاقاته العاطفية، و اندماجه مع المحيط التربوي يجعله يدرك ان هذه اللغة لن تنفعه اطلاقا في عالم العلم و الثقافة لكونهما يستعملان لغة اخري، يرى جيلبير غرانغيوم Gilbert Grandguillaume بعدما تساءل حول صدمة الطفل بعد الدخول الى المدرسة و ما اذا كانت تختلف مع صدمته عند الدخول الى الكتاب او المدرسة القرآنية، وجد ان الثانية تختلف في كون الطفل يدخل في علاقة مع لغة مقدسة هي لغة الوحي، و من الطبيعي ان تختلف عن لغة الحياة اليومية. اما لغة المدرسة فهي غريبة عنه. وكم هي قليلة عدد الدراسات التي حاولت ان تدرس عواقب هذا الرفض الذي تتلقاه الهوية الاولى على حد تعبيره¹

6.1- علاقة اللغة بالدين في الجزائر:

ان اللغة العربية ليست الصرح الوحيد للهوية الجماعية، فهناك خلط آخر بينها و بين الدين. فهي اللغة المختارة، و هذا سبب كونها لغة القرآن اي لغة الاسلام، وعليه الحديث بالعربية يعني ان المتحدث عربي و كونك عربي معناه انك مسلم هذا هو المعتقد السائد، العربية تُعرف الفرد في هويته الإيديولوجية وعلاقته مع العالم ولذلك لاحظنا في السنوات الاخيرة ان اغلبية المتدينين يتحدثون مع افراد عائلاتهم باللغة العربية الفصحى في مجتمع لم يتعود على التحدث الا بالدارجة ما عدا المؤسسات التربوية و التعليمية.

فقدان الانسان للغة يعني فقدان هويته و روحه، ايجاد اللغة العربية معناه اعادة الوصل و الحصول على هوية مع الدين الاسلامي وحضارته المفقودة.

هناك خلط بين اللغة العربية و الدين الاسلامي، فيما ان للعربية هذه المكانة في تصورات الجماعة " لغة القرآن" وكما قال مولود قاسم نايت بلقاسم Mouloud Kacem Naït Belkacem " اللغة العربية و الاسلام لا ينفصلان...العربية لها مكان فريد بموجب كونها لغة القرآن و لغة الرسول"²، و لذلك نفهم اكثر مسألة التعريب، و طابعها الراديكالي، والحملة القوية التي شنتها السياسة لتعريب كل مجالات الحياة فقد كانت ردة الفعل على الجرح و التشويش اللذان تسببت بهما حالة فقدان كل ماله علاقة باللغة كالبعد المقدس.

¹ جيلبير غرانغيوم، اللغة و السلطة و المجتمع في المغرب العربي، ترجمة محمد اسليم، افريقيا الشرق، 2011، ص96

²Algerie-Actualité،3-4 janvier 1985، p26

لفت انتباهي فكرة للأستاذ فسيان في مقاله "المدرسة الجزائرية: القضايا النفسية لسياسات التعريب و معاناة الهوية " الذي كان قريبا من واقع الجزائر خلال العشرية السوداء، حيث استعمل انصار التيار الاسلامي انداك، لإعطاء معنى للاختلالات التي كانت تحدث كلمة "جهاد" مكان كلمة "ثورة" و التي تعني الانتفاض، و رأى العديد من المختصين و المحللين ان الاستعانة بكلمة "جهاد" له دلالات ذات ابعاد الالهية، اي ان معنى الجهاد هو مرتبط باسم الله من وجهة نظر هؤلاء على خلاف كلمة ثورة التي لا تحمل هذا المعنى المتسامي.

فبالرغم من ان كلتا الكلمتان ذات اصول عربية و هذا هو الفرق بين التحدث باللغة العربية و التحدث بلغة الاسلام. وهذا ما يوضح المسائل الكامنة خلف الصراع اللغوي في الجزائر. فتذكرت عند قراءته عديد الامثلة فإبان الثورة مثلا، استعملت كلمة العمليات الفدائية في المدن الكبرى لتشويش العدو و الحصول الاستقلال في اطار ما يسمي معارك المدن، اما في سنوات التسعينات في الحرب الالهية التي عانى منها الجزائريون عُبر عنها بالعمليات الاستشهادية من طرف انصار التيار الاسلامي، و بالعمليات الانتحارية في وسائل الاعلام التابعة للسلطة. كلها كلمات باللغة العربية مع الفرق ان منها تحمل معنى ديني و مقدس و منها من تحمل بعدا وطنيا محضا و منها من تحمل بعدا دنياويا.

لذلك فيمكن للكلمة ان تصبح عاملا من عوامل سوء الفهم بتعدد الدلالات و الابعاد التي استعملت لها. فمن خلال الكلمة نعبر و لكن هناك اثار مختلفة تتركها الكلمة نفسها، وعليه نقول ان اللفظ لا يعبر فقط عن الموضوعات بحيادية و انما يحمل على عاتقه الهوية الجماعية للمتحدث من خلال تصورات و أيديولوجياته ومن خلال العلاقة التي تربطه بالشيء الذي يقوله و يعبر عنه، وتغير العلاقة بين الدال و المدلول يؤل الى تغير العلاقة بين اللفظ، والفرد، مفهومه لذاته، و ادراكه لعلاقته بالعالم.

وفي الاخير و كما ذكرنا سابق حول ان الكلمات ليست حيادية فهي ايضا ليست بريئة و انما كاشفة و حاملة للثقافة، للحضارة، و للذات وعلاقتها بالأشياء. اللغة على الاصح لا تعتبر فحسب وسيلة للأرسال المعلومات و انما هي ايضا ارضية للدين الذي يفرض تأثيره على الافكار. ففي المجتمع كل اختلال في الكلمات هو اختلال في العلاقة مع الله و العلاقة مع الافراد.

7.1- صراع المعريين و الفرانكويين في الجزائر:

بعد ثورة اول نوفمبر التي خلصت الى استقلال الجزائر في 1962، لم تستطع ان تتخلص من فرنسا كليا خاصة و ان اللغة الفرنسية كانت لغة التعبير لجل الجزائريين انداك وكذا لغة التعليم و الادارات و التقدم. كما ان اتقان اللغة الفرنسية كان يعكس المكانة الاجتماعية. وبالمقابل تلقى مجموع من لجئوا في الدول العربية تعليما باللغة العربية اين درسوا في القيروان، الزيتونة و الازهر و الذين وجدوا انفسهم بعد الاستقلال لجهلهم باللغة الفرنسية.

ان العلاقة بين العربية و الفرنسية في الجزائر كانت دائما خاضعة لمعادلة السيطرة و الخضوع، اللغة الفرنسية هي اللغة التي يعرفها الجزائريون، لغة النخبة اما اللغة العربية فهي دخيلة عليهم و هي ايضا مهمشة لكن بالمقابل توجد معادلة اخرى التباعية/عدم التباعية للمستعمر، فالفرنسية ترمز لتباعية مستحيل ان يرضى عنها الجزائريون فهي تمثل ثقافة مغتصب الارض وهي جرح لم يندمل بعد تحيلنا الى الحقبة الاستعمارية بكل آلامها وويلاتها، اما اللغة العربية فترمز للاستقلال و التخلص من السيطرة الاجنبية. و هنا كانت الصراع الفعلي الدائم بين الفرنكفونيون و المعربون الذين كانوا مهمشين انداك، ولذلك فالتعريب في الجزائر تحول بسرعة الى صراع قصد الحصول على السلطة و الغاء استعمال اللغة الفرنسية، لكن هذه الاخيرة دخلت على اللغة العامية او الدارجة التي اختلطت بها(الفرنسية). مع العلم انها كانت ممزوجة من قبل بالامازيغية و الاسبانية العربية.

فخرجت الى المعترك اللغوي ند آخر للغة العربية هي الجزائرية العامية او الدارجة وهذا ما جعل عبد الحميد مهري Abdelhamid Mahri سنة 1973 حيث كان انداك سكرتيرا عاما في وزارة التربية الوطنية يقول: "رفض التعريب بسم الدارجة او العربية العامية هو خضوع لسيطرة اللغة الأجنبية". ولذلك اعتبر هذا الاخير و العديد من المدافعين عن العربية الكلاسيكية ان العربية العامية عاملا مقلقا و مخيفا اكثر من الفرنسية نفسها.

مشكلة التعريب في الجزائر انها طبقت بسرعة و بصرامة وهذا ما جعلها معاشا صعبا ميزته الغرابة تحت وطأة القلق من فقدان الذات جراء رغبة النخبة الابتعاد قدر المستطاع و خلال مدة قصيرة عن لغة المستعمر، لغة هزيلة للمدارس دون مراعات الواقع الجزائري، و البناءات النحوية للعربية العامية او كما يفضل رابع سبع RabeH Sbaa تسميتها العربية الجزائرية عوامل عملت بشكل جاد على كونها

غربية أكثر عن الجزائريين، فوجدت العربية نفسها في وضعية ازدواجية "عربية المدرسة" و "عربية البيت" مع وجود لغات محلية لم تكن هناك أي جهود لاستيعابها¹

فشلت سياسة التعريب في الجزائر و السبب انها لم تلتفت للمشاكل البيداغوجية، ولم تأخذ بعين الاعتبار خصوصية المجتمع و المسافة بينه و بين اللغة الفرنسية و العربية الكلاسيكية، و لأن بناء لغة عربية من وراء سياسة التعريب لم تكن في المقام الاول بل البحث المتعطش عن هوية ثقافية².

وعليه فالهدف القاعدي لسياسة التعريب تمثل في العودة الى التاريخ العربي الذي كان قبل الاستعمار (اعادة تعريب)، وايقاف التعبير باللغة الفرنسية، مما ادى الى مناخ مشحون بالقلق و الغرابة و الفقدان.

8.1- التعريب كمحاولة لاستعادة الهوية العربية الاسلامية:

اشرنا فيما سبق الرغبة في البعد عن كل ما له علاقة بفرنسا و الحاجة الى تحقيقها سريعا جدا، و محاولة ترك مسافة بين الجزائريين و اللغة الفرنسية بفرض سياسة التعريب، و الميل الى التماهي مع العالم العربي مباشرة بعد الاستقلال. وبما ان التعليم هو بيئة اعادة بناء الثقافة بامتياز لأولى اجيال الحرية، قامت السلطة بالاستعانة بمعلمين من المشرق العربي و من مصر خاصة، اللذين لم يكونوا بمؤهلات كبيرة سوى تمكنهم من اللغة العربية، مهمتهم ترميم الثقافة العربية ويقول رابح سبع RabeH Sbaa³ هذه التجربة الاولى كانت محاولة باهته لمشرقة الثقافة الجزائرية، اكثر من تعريب النسق التربوي و الذي ظهر انه غير قادر على تحقيق تطلعات لغوية ترسوا في متطلبات الحداثة من جهة و ارضاء متطلبات اجتماعية في لغة معوضه لاستعمال اللغة الفرنسية".

فمند البداية كانت المسائل الايديولوجية و السياسية ذات اولوية بالمقارنة مع مسالة التعليم التي تحولت الى مسالة ثانوية، فالاهم كان في البداية ايقاف التعليم باللغة الفرنسية، ثم امكانية العودة الى العروبة من خلال التعليم باللغة العربية. في هذا الصدد قال طالب ابراهيمي و هو واحد ممن خططوا لسياسة التعريب في كتابه انتهاء الاستعمار و النهضة الثقافية "على المدرسة الجزائرية ان تضع نصب

¹ SBAA RABEH, Culture et plurilinguisme en Algérie. in:www.inst.at/trans/13Nr/Sebaa13.htm dernier changement :06.08.2002

² FSIAN HOCINE, l'école algérienne : Enjeux psychiques de la politique d'arabisation et souffrance identitaire in l'école dans un monde en crise coordonné par CLAUDE CARPENTIER, ed l'Harmattan

³SBAA RABEH, Culture et plurilinguisme en Algérie,

عينها تعليم التفكير بالعربية بدل التكوين باللغة العربية" و كذا راكبي Rakibi في مقال له موسوم ب"تعريب التفكير اولا" يصف من خلاله ان الجوانب اللغوية هي ليست بالمهمة بقدر محاولة جعل الجزائري يفكر كعربي لاسترجاع اصوله الضاربة في التاريخ اما مولود بلقاسم نايت بلقاسم فلدنيه جملة شهيرة في هذا الصدد "تعريب الارواح و القلوب".

لقد كانت لسياسة التعليم في الجزائر بعد التعريب مرجعية ثقافية عربية اسلامية ذات منظور تمازج ثقافي مع البلدان العربية الاسلامية، و ابعاد المرجعية الغربية مع استحضارها وحصرها في زاوية السلبية.

ان التعريب بالطريقة التي سيق بها الى الجزائر، تلك الطريقة التي اتسمت بالعنف و التفاقم المباشر و السريع مع القطيعة مع اللغة الفرنسية التي لم يعرف جل الجزائريون غيرها ابان الاستعمار ادت الى صدمة جديدة و تباعية جديدة قائمة على اتخاذ نموذج الآخر كسبيل للتعويض عن التبعية الاولى لثقافة المستعمر، فالتعريب اتخذ منذ البداية شكل ردت فعل عاطفية دفاعية¹، فالرجوع الى استعمال اللغة العربية ليس رجوعا الى وسيلة تواصل فحسب و انما بحث عن هوية و محاولة انتماء الى الامة العربية الاسلامية، فهي ادن دفاع امام هوية فرنسا الاستعمارية فالتعريب ناقل للثقافة العربية الاسلامية لإعادة حضارة سُرقت من الجزائريين لكن ومع ذلك تبقى اللغة العربية الكلاسيكية بعيدة عن روحهم، فاللغة التي تدرس في المدارس ليست اجنبية عنهم و لكنها بعيدة عن ما يتكلمون به يوميا (العربية الدارجة) التي هي مزيج من كل الحضارات التي مرت بالجزائر عبر التاريخ.

9.1- صراع اللغة الرسمية و اللغة الفرنسية الغير رسمية في الجزائر:

يرى البعض ممن اهتموا بمسألة مكانة اللغة العربية في المجتمع الجزائري انها تتسم بالبعد، و بعدها عنهم سببها تلك "الحساسية اللغوية عند الجزائري" التي تشكلت ابان الاستعمار و لقيت مضاعفات خلال السنوات الاولى من الاستقلال، حساسية في منتصف الطريق بين العربية الجزائرية المبنية على تدخيل كلمات باللغة الفرنسية على غرار لغات اخرى و نسبها الى الفضاء الاجتماعي الجزائري وبين العربية الكلاسيكية كما ان المتحدثين باللغة الامازيغية ايضا قد طوروا علاقات مع اللغة الفرنسية والعربية الجزائرية كنوع من التبادل الا منقطع.

¹ FSIAN HOCINE, l'école algérienne : Enjeux psychiques de la politique d'arabisation et souffrance identitaire in l'école dans un monde en crise coordonné par CLAUDE CARPENTIER, Ed l'Harmattan

وبما ان عدد من الكلمات من اللغة الفرنسية قد ادخلت على تعابير من لهجات مختلفة و مناطق مختلفة (القبائل، الاوراس و الميزاب) وكذا اللهجات الجزائرية المختلفة بين الشرق، الوسط و الغرب فاللغة العربية التقليدية الرسمية تظل موجودة في الفضاء التعليمي، لكنها خاضعة للصعوبات و الضغط الاجتماعي للعربية الجزائرية الموصولة بالفرنسية.

يرى رابح سبع Sbaa ان التأكيد الاجتماعي للغة الفرنسية مبني على نوايا سياسية لإبطالها¹ فاستعمالات اللغة الفرنسية في الجزائر عرفت و تطورت و تمازجت مع اللغات المحلية لذلك فاللغة الفرنسية بالرغم من انها ليست رسمية الا انها سوف تتطور بطبيعة الحال بالموازات مع العربية الرسمية خاصة وان لكلاهما الحق في الاستعمال حاليا في الادارات و المؤسسات التربوية اد ان الفرنسية تستعمل في التخصصات العلمية في التعليم العالي، كما حافظت ايضا على امتيازاتها كلغة اتصال اجتماعي الى جانب اللغات المحلية وكلغة قنوات فضائية و انترنت.

تتميز الجزائر كما هو معروف برعاية لغوية، العربية الكلاسيكية و هي اللغة الرسمية الى جانب اللغة الفرنسية ثم العربية الجزائرية و الامازيغية بكل اطيافها². ان الحدود بين هذه اللغات المختلفة ليست جغرافية.

لكن علاقة المجتمع الجزائري باللغة الفرنسية علاقة معقدة فبالرغم من سياسات التعريب فالواقع ان اللغة الفرنسية تشغل في الجزائر مكانة كبيرة ودون منافسة رائدة في العالم، فبدون ان تكون لغة رسمية، الا انها حاضرة في التدريس و انتقال المعرفة خاصة في الطور الجامعي، و بدون ان تكون لغة الهوية تستمر بالعمل بأشكال مختلفة و عبر عدة قنوات في الاعمال، في هياكل الادارات و التسيير المركزي و الجهوي. و الواضح ان اللغة الجزائرية الدارجة و البربرية متفتحة اكثر على اللغة الفرنسية ويرى رابح سبع في مقاله "الثقافة و التعددية في الجزائر" ان اللغة العربية الكلاسيكية مفروضة و تخفي الواقع اللغوي فمشروع تعريب النسق التربوي فتح المجال للفارق في المسافة بين الذكاء اللغوي المدرسي و الذكاء اللغوي الاجتماعي، فباستبدال اللغة الفرنسية فرضت لغة خارجة عن الحساسية اللغوية الجزائرية و هذا ما طرح المشكل.

¹SBAA RABEH, L'arabisation en Algérie : Une négation de soi ? In: Revue Transeuropéennes-Politiques de la langue N°14-15. Hiver 1998-1999.

²تبني البرلمان الجزائري في فبراير 2016 بعد مراجعة دستورية تنص على اعتبار الامازيغية "لغة وطنية ورسمية" في البلاد، فيما اللغة العربية هي "اللغة الوطنية والرسمية" و"تبقى اللغة الرسمية للدولة".

اما عابد محمد بوهادي فيري ان المشكل اللغوي في الجزائر ينفرد بخصوصيات سوسبولوجية ويعتبر ان من بينها ان اللغة الفرنسية في المجتمع الجزائري تمنح للناطق بها التمتع بامتيازات طبقية، مما ادى الى احتدام التمييز اللغوي و الثقافي في مجال السياسة اللغوية التي راهنت على ربط العمل باللغة، حتى اعتقد الناس ان الفرنسية هي لغة الرقي التي تتيح فرص العمل و الرقي الاجتماعي و الاقتصادي لمن يتقنها¹

يجد الصراع الأيديولوجي في هذا المناخ (الصراع اللغوي) مجالا خصبا يحتد فيه علانية احيانا و خفية احيانا اخرى، بين المعريين و الفرانكوفونيين في الجزائر، فيتعلق المعربون باللغة العربية الكلاسيكية و يعتزون بالنضال لأجلها، كما يعتقد المفرنسون انها اقرب الى الجزائريين و انها لغة الحداثة ووسيلة نقل للعقول من التخلف الى التقدم².

2- التغيرات الثقافية في الجزائر:

صعب جدا التحدث عن كل ما حدث من تغيرات في المجتمع الجزائري، لذلك ارتأينا ان نشير الى اهم النقاط التي تأثرت و مازالت تتأثر بهذه التغيرات منها الاسرة، القرابة، نوع السكن، الزواج و الادوار الاجتماعية ثم وضعية المرأة و الطفل.

1.2-التحولات الاساسية التي مست العائلة الجزائرية:

ان التحولات التي مست المجتمع ادت الى تغيرات في شكل التنظيم الاسري و العلاقات بين مختلف افراد المجتمع دووا القرابة. فنرى العائلة في فترة ما قبل الاستعمار -العرش بمفهوم الأنثروبولوجيين- اختفت، تاركتا المجال للعائلة الموسعة التي لم تصمد امام التحولات السريعة وفسحت المجال للأسرة النووية.

1.1.2- من العائلة الكبيرة الى العائلة الموسعة ثم من العائلة المركبة الى الزوجية:

بسبب خضوعها لتحولات كثيرة جلبها الاستعمار و استمرت بعد الاستقلال، عمدت الاسرة

¹ عابد محمد بوهادي، تحديات اللغة العربية في المجتمع الجزائري، دروب للنشر و التوزيع، الطبعة الاولى، الاردن، 2014، ص13
² عاد هذا الصراع الى الاحتدام بعد سنة من تنصيب الوزيرة بن غبريت على رأس وزارة التعليم في الجزائر 2014 بحجة انها تسعى لطمس الهوية العربية الاسلامية و التحيز للغة الفرنسية وهذا دليل على ان الصراع لم يعرف حلا الى الان.

الجزائرية الى محاولة التكيف امام هذه الاضطرابات الخارجية. كانت دينامية التغيير الاجتماعي شاملة بالرغم من مقاومة التغيير الشعورية و اللاشعورية للفاعلين الاجتماعيين، فكان لهذه التغييرات نتائج في مختلف مجالات الحياة الاجتماعية بما فيها التصورات و الرمزية الثقافية.

1.1.1.2- العائلة الابوية الكبيرة (العائلة) la famille patriarcale وقوانينها المنظمة:

في المجتمع الجزائري و قبل الاستعمار، كانت الجماعة الاولية تسمى "العائلة" العائلة الابوية اين يكون كل من هم من نفس الجيل سواء اخوة او ابناء العم تحت سلطة الجد او العم "الابوي"، اين يكون الانتساب مكون من الاحفاد القادمين من نفس الاصل من ناحية الاب. هذا النموذج يسمح بالتفص الاجتماعي على مستويين: القبلي؛ و الذي يكون الرابط المجتمعي العام و العائلي؛ المكون المؤسس للمستوى الاول (القبلي) اما الرابط الاجتماعي فهو ايضا معاش في اطار عائلي¹، فالاطار العائلي كان مستثمر جدا انداك الى درجة ان القبيلة تظهر كامتداد للجماعة الابتدائية. فالعلاقة العائلية تعمل كنموذج اصلي او قاعدة للتصورات حول الروابط السوسولوجية المصممة على اساس روابط الدم و التربية على قدسية العلاقات العائلية.

النسق الاجتماعي كان يقوم على ثلاث اصعدة اساسية:

- الصعيد القاعدي: "العائلة" و المسكن الموسع.
- الصعيد النسقي او الجغرافي: القرية.
- الصعيد الانتماي: العرش وغالبا ما يكون يحمل اسم السلف او الولي الذين ينتسبون اليه.

تعرف "العائلة" كمتجمع ابوي مكون من الاولاد المتزوجين يعيشون معا مع الاب و غالبا ما يبقون تحت سيطرة الاخ الاكبر اذا ما توفي الاب. اما رب العائلة فهو الجد اذا كان لا يزال قويا او يتولى ابنه البكر امور "العائلة".

مهمة الاب المسيطر التقليدية هي الاهتمام و الاشراف على اعمال الزراعة و الرعي بين مختلف خلايا الجماعة الابتدائية (ابناء العمومة)، كما يشرف على الجاهات و الصلح بينهم، يشرف على

¹ LAHOARI ADDI, Les mutations de la société algérienne : famille et lien social dans l'Algérie contemporaine, éd la découverte,1999, p42

الصلوات و يمثلهم خارج اطار الجماعة، وهو مهاب لان لديه القدرة على انزال اللعنة malédiction - العقاب الرباني - على من يخالف و يخون الجماعة، بالنسبة لبيار بورديو Pierre Bourdieu "الاب هو الزعيم، رجل الدين و القاضي، يعطي لكل اسرة ولكل اعزب مكانته في المجتمع، على العموم سلطته وقراراته غير قابلة للنقاش، لديه خاصية تسليط عقوبتين يخشاها افراد المجتمع: تسليط اللعنة و التي لاشك السلاح الاقوى بيده و التي تجلب العقوبة الإلاهية على العاق او الناكر للجميل، الضال و المتمرّد".¹

الملكية المشتركة، الخوف من الاب و احترامه، تقديس الاسلاف، الارتباط الروحي بالنسب الابوي و التضامن النابع من افرادها يعطي للمجتمع العائلي الجزائري الما قبل استعماري ملامح العائلة الابوية كما عرفها لنا رجال الانثروبولوجيا.

اما النسق القيمي فيرتكز على السمعة الاجتماعية او "البرستيج الاجتماعي" اذا اعتمدنا الترجمة الحرفية لمصطلح prestige social لبوتفنوشت Boutefnouchet² بالإضافة الى الاخلاق، الصدق، التدين و الشرف. وكلها تصب تحت أيديولوجية واحدة السيطرة الذكورية على النساء و الشعور بالفخر و الاعتزاز هو ما يحرك العصبية العائلية ويجعلها تحت واقع التميز الجنسي على حساب المرأة لأنها تمثل التهديد الاكبر لهدم هذه السمعة الاجتماعية.

وهنا نستذكر مقطعا لفاطمة المرنيسي Fatima Mernissi في مؤلفها الجنس، الايديولوجيا، الاسلام "يعتبر المغاربي ان شرفه يكمن في عفة زوجته واخواته وبناته"³ حتى ان جرائم الشرف تبرر اذا أُلُخ او خُدش هذا الشرف "النيف" وهذا ما يعطي للذكورة مهمة الحفاظ على شرف الاناث اللاتي هن تحت قيادته، و لان عصبية العائلة تشعر بالفخر عندما تعطي لعصبية اخرى نساء عفيفات يأمنون لهم طهارة الاجيال القادمة في سلسلة الانساب.

طبعا بالمقابل ينتظرون هم بدورهم نساء قصد التكاثر يتميزن بالعفة و البراءة، وهنا يظهر الهوس بعذرية المرأة التي يشهرونها ليلة الزفاف كذليل قاطع على اصلتها الابوية.

¹ PIERRE BOURDIEU, Sociologie de l'Algérie, PUF, coll. « que sais-je », Paris, 1974, p13.

² BOUTEFNOUCHET, M, La famille algérienne, Ed SNED, Alger, 1982

³ MERNISSI F, sexe, idéologie, islam, Tierce, Paris, 1983, p164

خاصة انه جاء في المخيلة المجتمعية خرافة "الطفل النائم"¹ لذلك فالفتاة العذراء هي الضمان لنسل مستمر ومتجدد تحت اطار الشرف و الطهارة.²

تلك كلها صور من الثقافة الابوية بالإضافة الى قواعد صارمة للشرف "النيف" ، احترام الخصوصية الانسان و بيته و نسائه "الحرمة"، وتقديم ذرية سليمة النسب لا يمكن الشك في كونهم نتيجة علاقة شرعية بين الزوجين.

ولذلك فالمجتمع التقليدي ومنذ البداية يعلم الاناث عدم الظهور و الاحتجاب عن الناس كما يعلمها كيف تحافظ على العرض وكيف تكون اما صالحة عن طريق تربية الام التي نشأت على نفس القيم.

لكن وبعد الاختلالات التي حملها الاستعمار حدثت تغيرات في بنية العائلة الابوية فتحوّلت وتقلصت من "العائلة" الكبيرة الى العائلة الممتدة.

2.1.1.2- العائلة الممتدة *la famille élargie* (نتاج "عائلة" ابوية متدهورة):

العائلة الممتدة هي النتيجة المباشرة لتدهور العائلة الكبيرة التي لم تصمد امام الاختلالات التي اصابته المجتمع الجزائري بعد المرحلة الاستعمارية و بعد تبعثر و تشرذم القبائل و التي كما سبق و ان وصفنا كانت عبارة عن عائلات كبيرة و عروش، و مصادرة الممتلكات حيث اصبح الجزائري خماس في ارضه لصالح المعمرين، وامام النزوح الريفي و الهجرة الى المدن و ظهور الاجراء من خلال نظام الاجرة و الوظيفة العمومية لتحقيق الدخل.

ان الوحدة القاعدية ذات النظام القبلي او الابوي تحولت الى عائلة موسعة وهي كما عرفها لهواري عدي Lahouari Addi "تجمع عائلي متعدد النوى polynucléaire و الذي لا تزال القيم الابوية راسخة فيه، لكن في بيئة اجتماعية قد شرعت في المبادلات التجارية و نظام الاجور"³.

على ضوء هذه العبارة نفهم ان الافراد يستمرون في حمل افكار النسق القيمي القديم و الدفاع عنها مع انها لا تتناسب مع السلوكات الجديدة للحياة المتمدنة. حتى ان العائلة الجزائرية العصرية

¹ جاء في العرف البربري ان الطفل ممكن ان يبقى نائما في رحم امه طويلا. وفقا لهذه الخرافة يمكن للطفل ان يولد بعد مدة طويلة جدا من وفاة والده و يحمل اسمه بالرغم من ذلك.

² عدي لهواري، نفس المرجع السابق ص46

³ LAHOURI ADDI نفس المرجع السابق ص47

لا زالت تحمل في ذاتها تناقضات من هذا النوع، فمن جهة قيم العائلة التقليدية التي مازالت نشطة في الذاكرة و التصورات الجماعية ومن جهة اخرى التحولات السوسولوجية التي وضعت ميلادا لأشكال جديدة من الوضعيات الاجتماعية التي لم تكن في صالح تلك التصورات القديمة كالسكن في العمارات و الشقق المغلقة و ما ينجر عنها من اشكال جديدة في العلاقات بين افراد المجتمع.

و عليه، يمكن تلخيص ما حدث انداك، بظهور قصري لنوع من عدم الانسجام بين التصورات و البنيات الاجتماعية (المدينة). حمل الا انسجام حالة "التمزق" Déchirement¹ الذي عبر عنها البعض و اقوى الاستجابات كانت رفض الحاضر واعطاء صيغة المثالية للماضي L'idéalisation du passé اما كاميلوري فقد تحدث في كتابه الشباب، العائلة و النمو: محاولة في التغيير السوسيو-ثقافي في بلدان العالم الثالث عن استجابة اخرى وهي الصدمة le choc².

و كنتيجة لكل ذلك فقدت العائلة الموسعة تلاحمها بالإضافة الى تعدد مصادر الإعاشة او المداخيل، فهؤلاء الاخوة المتزوجون الذين يتشاركون بيت الاب و الام الذين مازالوا على قيد الحياة، مداخيلهم عبارة عن رواتب او من الاعمال الحرة البسيطة، لذلك لم تعد اعباء العائلة الكبيرة في متناولهم وكلها احباطات لن تتسع بعد لاحترام للقيم التقليدية. وبالتالي اصبحت الوحدات النووية تكون العائلة الموسعة مع كسب استقلالية و تحكم ذاتي و فردانية. فالشكل الجديد للعائلة الموسعة هو عبارة عن عدة عائلات مستقلة مركبة او نووية.

3.1.1.2- العائلة المركبة la famille composé:

احترار السوسولوجيون من ايجاد تسمية تتوافق و شكل العائلة الجزائرية التي هي امتداد للعائلة الموسعة، فبعضهم يتحدث عن عائلة موسعة، مركبة، ممتدة، نووية و التي تعتبر تشكيلاتها محاولات للتكيف حسب الوسط الريفي او المدني. فالجماعات الاولية التي استقرت في المدن كانت لها اشكال و احجام متعددة، وكانت لها استراتيجيات متعددة في إشغال المساكن.

لكن من خلال الابحاث الميدانية التي اقيمت في سنوات الثمانينات من طرف اوصديق فاطمة Oussedik Fatima سجلت عدة اشكال للتعايش العائلي(السكن)، منها خمس متكررة:

¹ LAHOURI ADDI نفس المرجع السابق ص49

² CAMILLERI CARMEL, Jeunesse, famille et développement :essai sur le changement socio-culturel dans un pays du tiers monde (tunisie), éd CNRS,Paris,1973 p37

- العائلة الابوية الجديدة الممتدة La famille néo-patriarcale étendue : مكونة من الزوجين و الاولاد المتزوجون و العازبون و الاحفاد.
- العائلة الابوية الجديدة المحدودة La famille néo-patriarcale réduite : مكونة من الزوجين و الابناء العازبون فقط. في هذين النمطين لانقصد بالأبوية تلك العائلة التي كانت قبل الاستعمار بالمعنى الاجتماعي وقيمي والاقتصادي و انما هي شكل جديد للتعايش في مساكن مدنية.
- العائلة الزوجية La famille conjugale : تتكون من الزوجين فقط او الاطفال الصغار
- العائلة الزوجية المحدودة La famille conjugale réduite : وتتكون من الاطفال و احد الزوجين مطلق كان او أرمل.
- العائلة الزوجية الموازية La famille paraconjugale : مكونة من الزوجين و الاطفال بأويهم الجد و الجدة من جهة الاب بسبب ازمة السكن¹

لكن كل هذه الاشكال العائلية كانت ولا تزال في سيرورة التغير، فالجماعات النووية الجديدة اصبحت تنفصل عن العائلات المركبة للتحويل الى عائلات زوجية.

4.1.1.2- العائلة الزوجية(الاسرة) La famille conjugale :

عند الوصول الى عمر معين سنيين او سبعين سنة يشعر الاب و الام بالرغبة للحصول على الهدوء الذي حرّموا منه خلال كل السنوات التي مضت في بيت مكتظ بالأولاد و الاحفاد فبدأت القناعة بالعائلة المركبة تتخلخل تلك القناعة التي كانت في الماضي (سنوات الستينات) حتمية لا يمكن تفاديها بل كانت كل محاولة للاستقلالية تثير دراما عائلية و اجتماعية، اليوم صارت رغبة الاب و الام خاصة عندما تكتظ الشقة بالجماعات النووية.

ازمة السكن الخانقة في الثمانينات و التسعينات تعبر عن الطلب الملح للانفصال و الاستقلال و تضاعلت فكرة جمع كل الاولاد المتزوجون و الغير متزوجون في بيت، واعادة جمع اشلاء "العائلة" الكبيرة. اصبح الامر يقتصر على ترك العازبين او الابن المتزوج الاصغر في تسلسل الاخوة.

مع اعادة بنائها و لم الشمل في الحفلات و الافراح و كذا الأفراح فيجتمعون من جديد في بيت الجد، فالبيت اين يعيش الابوين يمثل الخلية الجدعية، فهي مركز الحقل العائلي التي تستخدم

¹ OUSSEDIK FATIMA, Femme et fécondité en milieu urbain, CREAD/FNUAP, Alger, 1989.

كرباط بين الاخوة المتزوجون الذين يعيشون في عناوين مختلفة (اسر زواجية) الى ان يتوفى الوالدين¹.

وعليه اصبح الحقل العائلي في المجتمع الجزائري يتشابه الى حد كبير مع تلك التي في المجتمعات الأخرى، لاسيما الغربية، فهو ليس ذو خصوصية، ولكن الاختلاف يكمن في ان كل شيء يدور في المجتمع الجزائري حول العائلة الاساسية الابوين تلك الخلية الجدعية.

وفي الاخير يمكننا القول ان الثقافة الابوية مرورا بكل ما عرجنا عليه رسخت في الخيال الجماعي اما العائلة الموسعة فقد كانت امتدادا للأولى بحكم عدة تغيرات في الظروف و البنيات المادية. ان التغيرات الاجتماعية التي فرضتها وعززتها التطورات جعلت انماط المجتمع الابتدائي تتوالى الواحدة تلو الاخرى و تتقلص في كل مرة وصولا الى الاسرة الصغيرة و عليه فالعلاقات، المكانات و الادوار داخل العائلة الجزائرية ايضا شهدت تحولا.

2.2-التغيرات التي مست الزواج، الادوار و المكانات:

1.2.2-النسق القديم:

1.1.2.2-الزواج التقليدي:

يعتبر الزواج الوسيلة الاكثر تميزا، للحفاظ و لترسيخ القيم التي يتمسك بها المجتمع الابتدائي، ومن اهمها تزويد هذه الجماعة بالأطفال خاصة الذكور الذين يمثلون في السياق التقليدي كنزا ثميناً يحمل الاسم و يحافظ عليه من الاندثار. وكثرة عددهم يؤثر تأثيرا مباشرا على مكانة الاب، وبيرو زوجته من العقم تلك البراءة التي تحمي الزوجين من عدة مشاكل تجاه نفسيهما و تجاه المجتمع.

وعليه فان الزواج ليس فرحة فردية او تقتصر على الزوجين فقط، وانما هي مجرد محاكاة لفرحة العائلة كلها التي خطت لهذه الزيجة، فالقبول ورضي الطرفين عن الارتباط ببعضهما ليس مطلوبا، وفي نفس الصدد يتحدث كاميلوري Camilleri في وصفه للمجتمع التونسي التقليدي الذي كان يشبه الى حد كبير المجتمع الجزائري آنذاك حتي في تطبيقهما لفقهاء المذهب المالكي ان الاغلبية الغالبة

¹ LAHOURI ADDI, Les mutations de la société algérienne : famille et lien social dans l'Algérie contemporaine, éd la découverte,1999, p55

منهم يعملون بمذهب الامام مالك ابن انس، و الذي يعتمد في مسألة الزواج على موافقة الاب (الولي)، اذن فالأب لديه السلطة المطلقة في تقرير مصير ابنته البكر (العزباء) في مسألة الزواج بحكم عدم خبرتها، فالأب هو من يعرف ما هو خير للعائلة، مع ان المعنية بالأمر شرعا يمكنها الاعتراض قبل طقس الحناء لكنه احتمال ضئيل و نظري محظ خاصة و انه يحتاج الى شجاعة لتحمل عقوبات الجماعة الاولى و المجتمع ككل¹.

اما بالنسبة للذكر كطرف ثان، فهو من يتلفظ بالقبول امام الامام او رجل الذين وولي الفتاة، لكن بعد اجتماع يكون قد تقرر فيه كل شيء من قبل، سواء بقبول اقتراحه من طرف العائلة او الموافقة على اقتراحاتهم.

هذا المنطق في النسق التقليدي، يجعل التعارف السابق للزواج بين الطرفين من دون جدوى وحتى مضرا و بمنتهى الخطورة. فالعائلة التقليدية تمنع هذا التعارف المتبادل بحجة الشرف واقامة حدود متينة بين الجنسين.

2.1.2.2- النسق التقليدي و الحدود بين الجنسين:

من خلال محاولة اطلاعي على مسألة الفصل بين الذكور و الاناث في النموذج القديم (العائلة التقليدية)، تذكرت مقطعا مهما لعبد الوهاب بوحديبة Abdelwahab Bouhdiba في كتابه المعروف ب"الجنس في الاسلام" حيث بين ان التكامل و الانسجام و المحافظة على النسل و الحياة، وكذا السعادة و التخفيف من التوترات و اشباع الرغبات لا يمكن ان يتحقق الا في اطار شرعي و هو النكاح.

فهو عالم مبني على التفريق بين الجنسين، على اعتبار عامل السن، فمند البلوغ يبدأ هذا الفصل ففي البداية يمارس من خلال الزي المخصص لكل منهما، الشكل الذكوري و الأنثوي (اللحية مثلا) ثم النوم في اماكن منفصلة حتى بين الاخوة، هذه الاهمية التي يبديها هذا النموذج في مسألة الحدود بين الجنسين لم تأتي من العدم، بل تترجم قلقا حقيقيا لبناء حدود محددة وصارمة قدر المستطاع، حتي بين المخنثين les hermaphrodites وكلا الجنسين اذ انه عليهم الا يقربوا او يصلوا او يتجردوا من ملابسهم امام الرجال ولا امام النساء حتى يتم التعرف على جنسهم الحقيقي بعد سيرورة النمو او يبقوا

¹ CAMILLERI CARMEL, Jeunesse, famille et développement : essai sur le changement socio-culturel dans un pays du tiers monde (tunisie), éd CNRS, Paris, 1973 p13

على هذا الحال الى الابد¹، وهذه الجزئية بالذات تبين الى اي حد هي مهمة و صعبة هذه الحدود بين الجنسين، التي لا يتم اختراقها الا تحت اطار الزواج او النكاح كما يشار اليه عند علماء الفقه.

لقد كان الاب و الاخ او حتى ابن العم مسؤولا عن هذه التفرقة و عن شرف النساء التي هن تحت مسؤوليته، وهذا ما يبرر جرائم الشرف.

3.1.2.2- العلاقة بين الجنسين في النسق التقليدي و الحياة الجنسية:

في محاولة لوصف العلاقة بين الجنسين في البحر الابيض المتوسط و بالخصوص النسق المغربي القديم و عمدت كامي لاکوست دو جاردان Camille Lacoste-Dujardin الى سرد عدة تناقضات لمسها في العلاقات بين الرجال و النساء، فمتناقضة هي تصرفات الرجال امام النساء من وجهة نظره، فهي مليئة بالكره و السخرية، القمع و الاطراء، التقديس و الولع لكن مع الحذر الدائم منهن.

متناقض ايضا هو القلق الدائم حول الجنس و الفصل الصارم بين الجنسين، متناقض ايضا الاهتمام الشديد الموصول بالجنس عند الذكور و التضييق امام الجنس عند الاناث. متناقضة ايضا الافراط في العفة و الصمت حول العلاقة الجنسية بين الزوجين امام الاعلان الجماعي حول ليلة الدخلة فب الاعراس، متناقضة ايضا التاكيد على العنف كقيمة رجولية، تأمين غير قابل للجدل لأسبقية و تفوق الرجال على النساء مع الرجوع الى حضن الام، استقلالية رجولية معلنة، ولكن تبعية للام دائمة البقاء على قيد الحياة².

وجهة النظر هذه اتفقت الى حد كبير مع ما جاء به انثربولوجيون و مختصون محليون او بالأصح مغاربة، بحيث تحدث بوحديبة Bouhdiba مطولا عن الحدود بين الجنسين و تنظيم العلاقة الجنسية في حدود واضحة وهي النكاح، اما فاطمة المرنيسي Memissi Fatima فهي تفصل مسألة الجنسية La sexualité في الاسلام و في المجتمع المغربي في كتابها "الجنس، الايديولوجيا، الاسلام"³ الذي نشر في الدار البيضاء سنة 1985 حيث قدمت في البداية رؤية تاريخية حول الجنسية و المؤسسة

¹ BOUHDIBA ABDELWAHAB.2010, La Sexualité en Islam, Paris, PUF.

² CAMILLE LACOSTE-DUJARDIN.1996, Des mères contre les femmes, maternité et patriarcat au Maghreb, Paris, La Découverte, Essai.

³ FATIMA MERNISSI, Sexe idéologie Islam, Les Éditions maghrébines, Casablanca, 1985, p7

الزواجية التي لم تنظم و ترسى قواعدها الا بظهور الاسلام. كما بينت كيف ان الرغبة التي تجذب نوعين مختلفين تشريحيًا (الذكر و الانثى) و لكن متكاملين. هذا التكامل يمثل الارادة الالهية من وراء الزواج و ذلك بتحقيق الرغبات الجسدية و ادامة الوجود الانساني على الارض. كما وصفت كيف ان الرغبة الجنسية المحرمة تصبح وسيلة لتقريب الانسان من الجنة و اكمال الواجب الديني عندما ترتبط بالزواج.

بعد ذلك تقف المرنيسي Mernissi على مسألة هل الجنسانية النسائية فعالة و نشطة

active او سلبية و غير فعالة passive مستعينة بمقارنة قام بها جورج موردوك Georges Murdock حول تنظيم الغرائز الجنسية في كل من المجتمعات الغربية و المجتمعات التقليدية المسلمة.

فبالنسبة لهذا الاخير المجتمعات الغربية هناك تدخل قوي للموانع الجنسية من خلال سيرورة التنشئة الاجتماعية خلال مراحل الطفولة للحفاظ على القواعد التي تحكم الجنس.

اما في المجتمعات الاسلامية التقليدية هناك حدود واحتياطات خارجية كقواعد السلوكية التي تميز و تفصل بين الجنسين لتجنب الوقوع في الخطأ و احترام قواعد التي تحكم الجنس.

يبدووا واضحا هنا ان المجتمع الاسلامي التقليدي يحجب الفتاة بشدة "الحرمة"، وبهذا المعنى يجب ان نفهم انه في هذا النمط الاجتماعي يعمد الكل على حفظ و صيانة شرف و عفة الفتيات قبل الزواج بحدود ليست معنوية و اخلاقية فقط بل ايضا مادية او فزيائية، بقدر ما تضعه هذه المجتمعات من حدود بين الجنسين كاللباس الساتر لجسم المرأة، و الحراسة المشددة عليها، و المرافقة الدائمة لها لضمان هذه العفة و العذرية.

العذرية تعرف على انها الكنز الأثمن للفتاة، لاسيما حماية شرف العائلة كلها. تندقق على هذه الفكرة لاکوست دوجاردان C. Lacoste Dujardin في قولها "الفتاة الشابة تشعر بوزن كل افعال الشرف عليها. كل تصرفاتها يجب ان تترجم الاحتشام المفرط و المعيق (الحشومة hachouma)، الحياء و الصفاء يدرج في صف الفضيلة التي تتحول الى هوس¹

الخوف من جنسانية المرأة في هذه المجتمعات تجعل منها كائنا جنسيا سلبيا حتى بعد الزواج، بسبب الموانع المغروسة فيها منذ الطفولة، هنا يمكن ان نستذكر نظرية فرويد Freud حول الجنسانية

¹ CAMILLE LACOSTE-DUJARDIN.1996, Des mères contre les femmes, maternité et patriarcat au Maghreb, Paris, La Découverte, , Essai, p85

السلبية للمرأة *la sexualité passive de la femme* فبنسبة لهذا الأخير "العدوان عند المرأة موجه نحو الداخل في اتفاق مع السلبية في الجنسانية" مطابقتا مع القوانين و القيم الاجتماعية الطاغية و عليه فعلى المرأة تدخيل نزواتها الجنسية.

فسر فرويد غياب الجنسانية فعالة او ايجابية عند المرأة بكونها مازوشية و سلبية، اما في نظر الاسلام و على لسان ابو حامد الغزالي¹ الجنسانية عند المرأة تعتبر ايجابية و ليست سلبية كما يرى فرويد Freud بما ان لها سحرا و فتنة على الرجل. ان الفتنة التي للمرأة تجعلها تمثل خطرا و فوضى اجتماعية، لكنها قادرة على التحكم في ميولها الجنسية، لذلك فحجبها هو حماية للرجل و ليس منه، و الفصل بين الجنسين و سيلة لحماية الرجل و ليس المرأة.

4.1.2.2. العذرية كقيمة تبادلية في سوق الزواج:

ترى العديد من الشعوب، اهمية عذرية الفتاة قبل الزواج، ففقدانها ينعكس سلبا على شرف الفتاة نفسها و كل عائلتها.

و نظرا لأهمية هذه المسألة لدى الكثير من الشعوب كانت اول محاولة للتحليل النفسي للنظر اليها سنة 1918، حيث نشر Freud اول مقال حول الموضوع بعنوان تابوا العذرية².

وردت بعد هذه المحاولة ابحاث اخرى حول الموضوع، نذكر منها دراسات ملفته للانتباه، و تتلائم مع البيئة الثقافية الخاصة بالمغرب العربي، قام بها باحثون مغاربة ك: شبال Chebel، بوحديبة Bouhdiba و بن سلامة Benslama قدم شبال العذرية من خلال اقترانها ببعض المعاني كهيمنة الرجل في المجتمع الابوي و حب امتلاكه للمرأة بحيث يكون اول من حصل عليها. اما بن سلامة فنشر نظرية بهذا الخصوص اطلق عليها اسم هوام العذرية الابدية منطلقا من مشهد مأخوذ من كتاب الف ليلة و ليلة في كتابه التحليل النفسي بتجربة الاسلام. و من جهته بوحديبة عمد الى تحليل الفكر الاسلامي في مسألة حور الجنة، و اللاتي كلما وطأهن المسلم يتحولن عذراوات من جديد³ في المجتمعات ذات سلسلة الانساب الابوية، الطريقة الوحيدة لضمان الابوة للنسل القادم هي المراقبة الجادة للخصوبة الانثوية وذلك بالمنع التام للعلاقات الجنسية خارج اطار الزواج.

¹ ابو حامد الغزالي صاحب كتاب من احياء علوم الدين. مفكر اسلامي له تأثير كبير على الفلسفة في الحضارة الاسلامية.

² FREUD S, texte de 1918, le tabou de la virginité.

³ KELFAH AMEL, La symbolique de sang dans la culture algérienne à travers les rites initiatique : mariage et circoncision, thèse de magister, université d'Oran, 2009-2010.

وعليه كلما حافظت الفتاة على عفتها كلما كان لها الحق في زواج مشرف في اطار مجتمعها، ومن هنا نفهم مصير الفتاة التي تتعرض لخسارة هذه العذرية بحيث يتلخخ شرف كل العائلة. و لذلك ففي المجتمع التقليدي المغاربي هناك عبء ثقيل و ضغط يومي على الفتاة و الجنس لا يخففه ولا يحرر هذه الاخيرة غير الزواج.

و قد نفهم من هنا ان الجنس في النسق التقليدي يقترن بالإنجاب و الحفاظ على النسل و هذا ما يجعل ممارسته يخيم عليها نوع من الطقوس الميكانيكية الهادفة لواجب الانجاب و ليس للمتعة الخالصة. اما في الحاضر و مع انتشار وسائل منع الحمل و تحديد عدد و وقت الولادات المرغوبة، هناك جنسانية هادفة الى التناسل و اخرى هدفها المتعة و اشباع النزوات الجنسية.

5.1.2.2- النسق التقليدي وتعدد الزوجات: La polygamie

ان الزواج في اطار النسق القديم وكما ذكرنا ليس من اولوياته السعادة الزوجية و الحب بقدر ما يُنتظر من هذه العلاقة من تعداد في الاولاد الذين يحملون اسم الجماعة الابوية، ولذلك فهو لا يبالي بالزواج الاحادي او الزوجة الواحدة.

تحرك الرغبة في الحصول على اكثر عدد من الاولاد خاصة الذكور الحاجة الى تعدد الزوجات، وذلك في حدود الامكانيات المادية المتاحة، مهما كانت شدة رفض الزوجة الاولى الا انها خطوة متاحة للرجل يحلها الشرع. الزوجة بالمقابل لا يمكنها طلب الطلاق الا في حالات محددة يشرعها الدين.

"في العائلة الابوية تفعل الوحدة و الاستقرار، حول الزعيم. اما العنصر النسوي فهو ثانوي و مهمته اعطاء نسل للعائلة، تحسب لصالح للزعيم"¹.

كما يرى ابراهيم الحديري ان العائلة الابوية تحتاج الى تكثير النسل لخدمة الارض بأيدي عاملة ذكورية كثيرة، وعليه فالحل في الزواج المبكر خاصة من داخل العائلة (ابن العم وابنة العم) وكذلك تعدد الزوجات التي تفرضها وحدة العمل في الارض. وهكذا بقيت العائلة العربية الممتدة حتى وقت قصير تشكل وحدة اجتماعية انتاجية بفعل استمرار الظروف والشروط البنوية لتطورها².

¹ JAMBU-MERLIN .R, droit privé en Tunisie in Jeunesse, famille et développement : essai sur le changement socio-culturel dans un pays du tiers monde par CAMILLERI CARMEL.p14

² الحديري ابراهيم، النظام الأبوي واشكاله الجنسية عند العرب، دار الساقى، بيروت، 2003.

6.1.2.2-زواج الاقارب ولد العم و بنت العم:

في اطار النسق العائلي التقليدي، عندما تتحدر اصول الزوجة من عائلة اخرى غير عائلة الزوج، تحافظ على هويتها الابوية وتبقى دائما (بنت فلان)، اما الاطفال الذين هم ثمرة زواجها فينتمون الى عائلة الاب (الزوج)، فلا علاقة لهم بعائلتها و لا بها.

الاولاد الذين جاءوا للعالم من رحم هذه الام هم من ممتلكات العائلة الابوية، وعليه في حالة الطلاق او الانفصال، الام و الاخوال ليس لهم الحق في الوصاية عليهم حتى و ان كانوا صغارا.

هذا التمرکز المطلق حول العائلة الابوية "Le famili-centrisme absolu" كما يدعوه كاميلوري Camilleri اذا صحت الترجمة، و الفخر او المغالاة في التقييم الايجابي للنسل و اصول العائلات في المغرب العربي، جعلهم يحبذون بل يوصون بنوع من الصرامة على الزواج الداخلي Le mariage endogame وهو الزواج من داخل عصابة العائلة، في اقرب اشكاله اي بين اولاد اخويين شقيقين (ابناء العم المتوازيين). هذا النوع من الاتحاد لا يتجاوزه سوي زنا المحارم¹. هذا النوع هو بعيد كل البعد عن التبادلات الاجتماعية بين القبائل الشعوب اي عكس الزواج الخارجي او زواج الاباعد Le mariage exogame.

ان رفض الزواج مع من هم خارج الحيز العائلي ليس يسبب العامل الاقتصادي فقط (بقاء اموال العائلة في اطار افرادها) بل و كما يري جاك بارك Jacques Berque "الزواج من بنت العم، هو الى حد ما، توحد الفرد مع ذاته"² وهذه في الحقيقة رمزية محتملة لهذا السلوك الملفت للانتباه، انه التمرکز حول الذات و التركيز على العائلة و الذي تعيشه المجتمعات التقليدية كمصدر لكل فخر و تقييم ايجابي بنوع من المبالغة.

هذه المجهودات التي تبدلها العائلة في محاولة التناسل مع الغاء كل عامل و فرد خارجي، الهدف منها طرح نفسها كأصل فريد من نوعه، وفي نفس السياق يري كاميلوري Camilleri ان عند العرب البحث عن الهوية يتم بالطرد التام للاختلاف الاجتماعي، وان كل شيء متعلق بالدم كرمز

¹ ZGHAL .A, système de parenté et système coopératif, revue tunisienne des sciences sociales, Tunis ,N 11, octobre 1967.

²BERQUE .J, pourquoi chez la femme la crise a éclaté maintenant et pas avant ?,Faiza, ,Tunis, n56, mars-avril, 1967, p154

للهوية، فالهوية متعلقة الى حد كبير بالهوية البيولوجية و ان هناك ميل لنموذج العائلة الابوية العربية للتركيز على "الداخل" و تأكيد نفسها من هذا المنظور و ليس من "الخارج" الاجتماعي¹.

ان الزواج الداخلي يمنع بطبيعة الحال التبادلات الاجتماعية و الاقتصادية بين الجماعات الاجتماعية، ولذلك تطور هذا الزواج من ابناء العم المباشرين (من الاخوة الاشقاء) الى ابناء العمومة ولكن من بعيد.

ان السرد النظري للنسق التقليدي للعائلة الجزائرية يجعلنا امام طرح آخر، يتمثل في التعرف على المعاش لاسيما نوع العلاقات بين الأفراد و كيفية تقاسم الادوار.

2.2.2-التركيبية العائلية في النسق التقليدي بين العلاقات وتقاسم الادوار:

تحدثنا قبل الان عن اهمية الاولاد بالنسبة للعائلة الابوية، فهم دائما مرغوبون بدون تحديد للعدد او تخطيط للولادات، فهم يعطون مكانة للرجل في عيون العائلة الكبيرة وفي تصوره لنفسه، هذا التصور الذي يحمل معنى الرجولة و الفحولة. كما ان هذه الفكرة يمكن ترجمتها في التصور الاسلامي ان الاولاد هم نعمة من الله ورمز للرزق و للبركة. وفي هذا الصدد يذكر كويزونني J. Cuisenier في كتابه حول "زواج الاقارب و زواج الاجانب عند العرب" حالة رجل يعيش في بيت حوله خمسة و عشرين قبرا صغير و الذي لم يتوقف عن محاولة الانجاب طلبا للرزق لان الصغار يجلبون الرزق معهم².

في هذا النسق، تعتبر مرحلة الحمل فترة تعطي للمرأة اهمية بالغة فالحمل هو زمن التفاخر و التقييم الذاتي و الاجتماعي الايجابي للمرأة بكل معنى الكلمة. فتكون محاطة بالعائلة يدلونها و يحسنون معاملتها، فالعرف يقضي بعدم مضايقتها و اغاضتها، كما يجب ان يقدم لها كل ما تشتهييه من مأكولات بنوع من الاسراع في تحقيق هذه الرغبات خوفا من ان تصيب احباطاتها الجنين و تؤثر عليه. ولذلك تتصاع كل الجماعة لذلالها و رغباتها بما انها حالة استثنائية و طبيعية تضمن مجيء المولود بصحة جيدة.

¹ CAMILLERI CARMEL.1973, Jeunesse, famille et développement : essai sur le changement socio-culturel dans un pays du tiers monde (Tunisie), éd CNRS, Paris, p15

² CUISENIER J., Endogamie et exogamie dans le mariage arabe, l'homme, paris, mai –aout 1962, p158

فالطفل اذا هو مرحب به متي ما حل، وهو في طفولته المبكرة تابع لامه تعطيه الحنان و كل ما يحتاجه من غذاء و تحميه من الامراض و تحميه كذلك من عيون الحاسدين "mauvais œil" و التأثيرات الخارجية كالأرواح الشريرة.

وبما ان الطفل الصغير يكون تابعا لامه في البيت و قليلا ما يلتقي جماعة الرجال، فليس ملزما بتعلم احترام التسلسل الهرمي للعائلة الابوية الا عندما يكبر، وعليه فان تربية الطفل ضمن هذا النسق في الطفولة تكون مرنة فيدلل الطفل و منتقلا من يد ليد فهو بهجة البيت ومصدر الرزق كما بينا سابقا، اما عملية فطامه فتكون متأخرة و التي لها اثر على شخصيته اذا ما اعتمدنا على دراسة مقارنة حول الرضاعة الطفل العربي و الطفل الاوروبي قام بها كاميلوري Camilleri سنة 1962 حيث توصل الى نتيجة مفادها ان الرضاعة المطولة لها تأثير على شخصية الطفل و بشكل كبير هي اقل احباطا مقارنة بالطفل الاوروبي¹ آنذاك.

اما بيت العائلة الابوية فيظل مكتظا بالناس الذين يعيشون فيه و بالزائرين الذين يقومون بزيارات غير منتظمة بل عفوية يدخلون ويخرجون دون مواعيد سابقة حتى ان الابواب لا تغلق الا في الليل و ربما لا و انما توضع ستائر بدل الابواب فلا مجال للخصوصية، انها خصوصية العائلة الكبيرة التي تختلف في مفهومها عن ما هي عليها اليوم.

بعد هذه الاشارات الاساسية التي حاولنا من خلالها خلق تصور عن العائلة في النسق التقليدي، نرى من المناسب التطرق ايضا الى الفرق بين الجنسين في المكانات و الادوار.

1.2.2.2- مكانة الاناث في النسق العائلي القديم:

اذا ولدت الانثى لعائلة ذات عدد كاف من الذكور لا تعتبر هذه الاخيرة مشؤومة، لكن الواقع ان تولد انثى هو امر غير مشجع. تقول لاکوست دوجاردان C. Lacoste-Dujardin "...بنت! ان عاشت فلا بأس، ربما تكون مفيدة، ان توفية لايهم، فهناك اماكن شاغرة في المقبرة"² عندما تكبر قليلا يتم حبسها في مجتمع النساء، و عندما تبلغ يتم تحجيبها و ستر وجهها تنقلاتها المحدودة خارج البيت في خاصة عند العائلات المحافظة بشدة.

¹CAMILLERI CARMEL, Application du test projectif de Louisa Düss à groupes d'enfants tunisiens et européens de Tunisie, Tunis, université, travaux du C.N.E.F.P, n°2, mars 1964, p17

² CAMILLE LACOSTE-DUJARDIN. 1996, Des mères contre les femmes, maternité et patriarcat au Maghreb, Paris, La Découverte, Essai,p70

البيوت او الحمامات المغاربية هي مكان التقاء المجتمع النسوي، العالم الخارجي او الشارع لا يوجد الا من خلال التنقلات المحدودة بين الحمام، المقبرة، و الزيارات العائلية. وما يحدث فيه ينقل اليهن على لسان المجتمع الذكوري و يقتصر على ما يريدونهم ان يسمعو فقط، فهن لسن معنيات بما يحدث خارجا.

ان النقاشات بينهن تتمحور حول مواضيع بيتية بسيطة، حمل، ولادة، زواج، فضائح عائلية، تعليقات ونقل اخبار حول العائلة و الجيران¹ وعليه فالأنثى تنتمي الداخل وهي ملكية خاصة للرجل، وعلى العكس من وضعية المرأة فان الرجل عالمه خارج البيت.

يتم تعليم الانثى منذ نعومة اظافرها كيف تكون زوجة و تقوم بدور ربة البيت و الام، فتستوعب الاستراتيجيات التي تسمح لها بفرض نفسها في عائلة الزوج و كسب ود حماتها.

عندما تتزوج المرأة تأخذ حياتها معنى اجتماعي، فالزواج يمنحها مكانة الزوجة و مكانة الام فبدون هذه الخطوة المهمة في حياة كل بنت فإنها تستصغر و تهتمش.

لكن يبقى الزواج بالنسبة للفتاة في النسق التقليدي مجرد عبور من شكل من الخضوع لآخر من الاب الى الزوج²

2.2.2.2- تمجيد الامهات وتأثيرهن:

"شعب تحت هيمنة الامهات"³ هذا ما كتبه دومينيك فرنانداز Dominique Fernandez للتعبير عن الفكرة العامة لكتابها "الام المتوسطة" و التي تصف فيه سكان ايطاليا الجنوبية و ايضا و كذا سكان المغرب العربي.

فمن صلب المنطق الابوي يخرج نوع من السلطة او "ضد السلطة" وهو ما يمكن تسميته نظام امومي منزلي، انهن امهات الذكور او منتجات الرجال.

لقد دكرنا سابقا ان الهدف الحقيقي من وراء الزواج هو الحصول على الاولاد و عليه تفرض هذه الثقافة و تأطر دور المرأة في المهمة الامومية التي تأسس في نفس الوقت مملكة حقيقية للأمهات.¹

¹ VAN DEN HEUVEN, Vie et formation de la jeune fille tunisienne in Jeunesse, famille et développement : essai sur le changement socio-culturel dans un pays du tiers monde par CAMILLERI CARMEL, éd CNRS, Paris, 1973 p21

² BOUHDIBA ABDELWAHAB.2010, La Sexualité en Islam, Paris, PUF.

³ Dominique Fernandez. 2000, Mère Méditerranée, Paris, Grasset.

ان تمجيد الام يمثل احدى المفاتيح الاساسية لفهم الشخصية العربية الاسلامية، حيث العلاقة ام طفل هي وحدة نفسية مطولة، لنقل اذا استعرنا بعبارة Helena Dautsch "الحبل السري السيكولوجي"، ان العلاقة ام- طفل تعلق على كل من العلاقتين زوج - زوجة و طفل-اب وهي تعكس قوة الحبل السري الذي يربط الانسان بأصوله الحقيقية.

حب الاطفال له معنى آخر بالنسبة للام العربية، فهم يمثلون بالنسبة لها حماية حقيقية بعد التقدم في السن، عندما تبدأ بالشعور بأمراض الشيخوخة، تأمين ضد القدر و سوء الحظ، فإن لم تحصل عليهم تفضل المرأة حملا زائد على ابيها و اخوتها و خادمة لهم لنسائهم، وان لم يطلقها زوجها ان كانت متزوجة يتزوج عليها لتصبح خادمة للزوجات الولودات الأصغر منها. اما بالنسبة للإرث، تراث الامهات في الاسلام "الثمن" اما ام الولد فتنتمتع بثروت اكبر باعتبارها تحت مسؤولية هذا الاخير. فالأمومة اذن هي تأمين للام و حماية لها.

حب الحصول على الاولاد الذكور يميز الام العربية التقليدية، ذكر بوحديبة Bouhdiba على سبيل المثال في كتابه الجنس في الاسلام قصة شهرزاد في الف ليلة و ليلة التي ولدت للملك في ظرف ثلاثة و ثلاثين شهرا ثلاثة مواليد ذكور وعليه فالنجاح هو ان لا تأتي للمرأة دورتها الشهرية ابدأ بعد الزواج او بين المولود و الاخر، كما تخشى المرأة ثلاثة امور: الا تتجب، ان تفقد جنينها، و ان تتجب الاناث فقط.

اما بالنسبة للرجال فالمرأة الولود اهم من المرأة الجميلة و الجذابة، فالجمال يزول اما الولد فهو باق. فالمستقبل هو للمرأة الولودة و هي من يعطيها المجتمع برستيجا و مكانة.

كما يذكر واقعا خاصا بالأم التقليدية التي كان مكانها البيت و هو ان الاولاد الذكور ينفعون الام حتي و هم صغار في السن، فليس عليها ان تنتظر حتى يكبروا ليزودوها بالأخبار حول ما يحدث في الشارع و المقاهي و في الأماكن و المجتمعات الذكورية كما يعملون على تسريب الاخبار و التجسس على الاب و عائلته (الجد والاعمام) ويعملون عمل الاتصالات بينها و بين جاراتها و صديقاتها، هم دائما في خدمتها ، فهناك تواطؤ كبير في العلاقة بين الام و اولادها على حساب العلاقة مع الاب.

¹ BOUHDIBA ABDELWAHAB,2010 .

هذا التواطؤ المطمئن للام العربية و العلاقة الوطيدة بينها و اطفالها تمجد العلاقة الرحمية la relation utérine الملموسة و المطولة عند الطفل حتى و ان اصبح راشدا ، بعكس العلاقة مع الاب الذي عليه ان يصنع لنفسه مكانا بينهم.

الام في المجتمع العربي الاسلامي تبدو كبئر من الحنان وواحة في صحراء المجتمع، اما العلاقة بينها و بين ابنائها تبقى علاقة رحمية الى الابد.

بالنسبة ليونغ Jung: "صورة الهوامية l'imago للام و يسقطها الرجل جملتا على زوجته"¹. لكن بالنسبة للرجل العربي فالأم مقدسة لا تشبهها امرأة، فالزوجة يمكن استبدالها بأخرى اما الام فلا. كما انها خارج الجنس la mère est hors sex و هذا ما تجسده اسطورة جودر de² le mythe Jawdar في قصة الف ليلة و ليلة تترجم العلاقة المميزة بين الابن و امه، فالحياة هي كنز لا يمكن الحصول عليه الا اذا قتل في داخل الانسان الضلالات الغير حقيقية اي ام جودر Jawdar في القصة. فهو بديل عن الاوديب، مع الفرق ان جودر فلم يتعرض الا لخيال امه، ذلك الخيال الذي جعله يفقد الكنز في المرة الاولى بعدما اقنعه الخيال بحق امه عليه فكان يذكه في كل مرة ان لها عليه حق الرضاعة والتربية وقد حملته تسعة أشهر. جودر يمثل الصورة النمطية للمراهق و الرجل العربي³ فكل شيء يبدأ و ينتهي عند الام بالنسبة له.

3.2.2.2- مكانة الحماة (ام الزوج):

في جزء كتاب "ما وراء الحجاب، الجنس كهندسة اجتماعية" تحدثت فاطمة مرنيسي Fatima

Mernissi

مطولا حول علاقة الامهات و الابناء في الثقافة العربية و دورها بعد زواج ابنها و ترى ان الحماة تشكل احد الحواجز المهمة التي تعترض الحميمة الزوجية في اطار الزواج التقليدي، "كما ان العلاقة المتينة التي تربط الام ببنها تمثل غالبا العامل الرئيسي في ديناميكية الزواج الاسلامي، فالابن

¹Jung Carl Gustav, Dialectique du moi et de l'inconscient, traduction de Roland Cahen, éd Gallimard, 1986, p193

² اسطورة جودر: في "الف ليلة وليلة" لا يستطيع جودر الحصول على "الكنز" الا إذا حلّ جملة من الرموز وعزى أمه. يخفق جودر في المحاولة الأولى ثم ينجح في الثانية بعدما اقتنع بأن المرأة ليست أمه وإنما هي خيال في صورة أمه و هي بديل عقدة الاوديب في الثقافة العربية الاسلامية.

³. BOUHDIBA ABDELWAHAB.2010, La Sexualité en Islam, Paris, PUF.

الذي يرتبط بأمه ارتباطا شديدا يعاني بصفة خاصة من القلق بخصوص رجولته و يتوجس خيفة من الانوثة"¹

كما اشارت الى ان النظرية النفسية التي اعتبرت العلاقة مع الام العامل الحاسم في قدرة الفرد على اقامة علاقة بالجنس الآخر و التي هي من صميم المفهوم الفرويدي لعقدة اوديب. من جهة اخرى هناك دراسات مقارنة بين الثقافات كتلك التي قام بها فليب سلاتر Philippe Slater قد ابرزت ان المجتمعات البشرية قد استعملت ميكانيزمات علاقة الابن بأمه بطريقة شديدة الفعالية، فصنف المجتمعات تبعا للاهمية التي توليها لعلاقة الام بابنها "تتجه المجتمعات نحو قطبين، تبعا لكونها تركز على علاقة الام بابنها او تبعا لكونها تركز على الرباط الزوجي. و كل من هذه المجتمعات يسهر على نمطه الخاص في التحرك الذاتي" فوجد ان المجتمعات التي تقيم رباطا زواجيا واهيا تمنح اهمية خاصة لعلاقة الام بابنها و العكس صحيح.

اما بالنسبة للمجتمعات الاسلامية فان العلاقة ليست ضعيفة فحسب كما ان حب الزوجة لا يلقى تشجيعا و لكن الادهي من ذلك هو ان المرأة الوحيدة التي يكون للرجل الحق في حبها دون ان يتعرض للسخرية هي امه حسب المرنيسي Mernissi، بحيث يكتسي هذا الحب صفة العرفان بالجميل طيلة الحياة.

يشكل هذا الحب الممزوج بالعرفان الذي يكنه الابن لامه محور عدة آيات قرآنية² تحث على رضا وبر الوالدين و العرفان بالجميل الذي لا يعرف حدودا زمانية بل يجب ان يستمر مدى الحياة و يحافظ على القوة نفسها.

"ليس هناك فترة معينة بعد سن اللرشد تنتهي فيها العلاقة بالام او على الاقل تتحول و تقتر قوتها، لكي تمكن الشاب من اقامة علاقة جنسية مع شريكته الجديدة اي زوجته"³

وعلى العكس من ذلك فان الزواج الذي يتسم في اغلب المجتمعات بكونه يقلد الابن مهامها اولية تمكنه من التحرر من امه، يشكل في المجتمع الاسلامي المغربي تقليدا يدعم سيطرة الام على

¹ المرنيسي فاطمة، ما وراء الحجاب، الجنس كهندسة اجتماعية، ترجمة اوزيل فاطمة الزهراء، المركز الثقافي العربي، نشر الفنك، الدار البيضاء، 2005، ص 129

² سورة الاسراء (آية 23)، سورة لقمان (آية 14)، سورة العنكبوت (آية 8)

³ المرنيسي فاطمة، ما وراء الحجاب، الجنس كهندسة اجتماعية، ترجمة اوزيل فاطمة الزهراء، المركز الثقافي العربي، نشر الفنك، الدار البيضاء، 2005، ص 131

الابن، وبذلك فهو يقيم الانفصال الاوذيبي بين الحب و الحياة الجنسية في حياة الرجل، بما انه يشجعه على حب امرأة لا يمكن ان تكون له بها علاقة جنسية لأنها امه، و بموازات ذلك يتم تثبيط عزيمة الرجل و الاستهزاء من محاولاته الهادفة الى تحويل طاقاته العاطفية نحو المرأة التي يتصل بها جنسيا اي زوجته.

4.2.2.2- دور الام في اختيار عروس لابنها:

يرى العديد من الانتروبولوجيون و النفسانيون المغاربة، على غرار لهواري عدي Lahouari Addi وفاطمة مرنيسي Fatima Mernissi ان الام المغاربة هي صاحبة المبادرة الحاسمة لإتمام زواج ابنها، على الرغم من ظهور الاب على الواجهة مراعاتا للمظاهر الاجتماعية، فنجده يبدي مسؤولياته على المفاوضات المتعلقة بالصدّاق و تطبيق القرارات المالية التي تصاحب عقد الزواج. لكن دور الام هو الحاتم في تقرير الزواج بما انها قادرة على الحصول على بعض المعلومات التي لا يصل اليها الا النساء في مجتمع كان قائما على التفرقة بين الجنسين.

"بإمكان الام ان ترى خطيبة ابنها وتتحدث اليها، كما ان بإمكانها التعرف عليها حميميا في الحمام، لان المرأة في المجتمع المغربي التقليدي لا ترى امرأة عارية و لا تتعرف على حالتها الصحية الا في هذا المكان"¹

تحدث بوحديبة Bouhdiba في كتابه "الجنس في الاسلام"² مطولا عن هذا المكان (الحمام) على كونه مكانا للاغتسال من الجنازة و افتتاح الصلاة كما وضح انه لا يوفر للانسان فرصة القيام بطقوس التطهير و الاغتسال فحسب، و لكنه يلعب ادوارا اخرى متنوعة بما انه مركز اتصال نشط.

فالحمام انداك كان الوكالة الاخبارية الاقوى حيث يتم الاستفسار عن اسرار العائلات التي ترتاده و التعرف عليها.

فالمرأة العاملة بالحمام سواء في الصندوق او العاملة كما تسمى "الكياسة او الطيابة" تشغلان وضعا استراتيجيا، انهما على دراية كاملة بسيرته الذاتية لكل افراد العائلات التي تسكن الحي و ترتاد الحمام، و تشكل الفتيات الموضوع المفضل للاحديث حول جمالهن و سلوكاتهن خاصة ان سمعة الفتات

¹ مرنيسي فاطمة، نفس المرجع السابق، ص132

² BOUHADIBA, la sexualité en islam, 2010

ذات تأثير مباشر على شرفها و مكانة عائلتها. ان النساء المكلفات بنشر فضائل البنات او "الخطابات" كما يسمين جلهن تقدم بهن السن بحيث لا يعيشن حياة جنسية بفعل كونهن اما ارامل او مطلقات او لان ازواجهن قد هجروهن من اجل زوجات اصغر منهن.

ان السلطة التي تملكها المرأة المسنة في الحصول على الاخبار المتعلقة بالنساء الشابات و اذاعتها تخول لهن تأثير كبير في اختيار الزوجين، و بالتالي تضعف بشكل ملحوظ من شان الرجل في هذه العملية¹.

ورجوعا الى المقارنة التي قام بها سلاتر Slater التي اشرفنا اليها سابقا، نجد ان المرأة في المجتمعات التي تعرف تناقرا شديدا بين الجنسين، تبحث عن ارضاء حاجاتها العاطفية اساسا في علاقتها بأبنائها، في حين ان المجتمعات التي لا تبرز فيها هذه الخصائص بالحدة نفسها، تجعل المرأة تتجه اساسا الى العلاقة الزوجية كمنبع رئيسي لإرضاء رغباتها العاطفية.

طبعاً من غير المعقول اعتبار الكنة و الحماة مجرد غريمتين دائماً، لان بإمكانهما ان يكونا حليفتين ايضاً في بعض الاحيان. فالمرأة المسنة قد تفيد كثيراً المرأة الشابة و العديمة التجربة، في امور الحمل و تربية الاطفال و كسب رضى الزوج.

5.2.2.2- مكانة الذكور في النسق العائلي القديم:

يحافظ الذكر بعد بلوغه سن الرشد على علاقة مميزة مع الام بالمقارنة مع الاب، فالقيم الدينية تحثه على يقدم لها احتراماً كبيراً، و بالمقابل تكون الام المغاربية و العربية عامة قريبة جداً من ابنها الذكر، فهي كاتمة اسراره، و تساعده على تحقيق رغباته بإخفاء ما تستطيع اخفائه عن الاب. كما تلعب دور محامي دفاع عن اولادها خاصة الذكور كلما سمحت الفرصة، عادة ما تؤثر هذه العلاقة المميزة على حياة الابن الذكر حتى الى عمر متقدم.

ولكن هذه العلاقة المميزة بين الذكر و امه لا تمنعه من الانتماء الى مجتمع الرجال، وهذا الانتماء هو من مخلفات طقس الختان الذي يصنع له مكانة بين الرجال و مودعا عالم النساء كعدم البقاء في البيت معهن وعدم ذهابه معهن الى الحمام وقد ذكر العديد من الأنثروبولوجيين و النفسانيين الجزائريين

¹ مرنيسي ف، نفس المرجع السابق.

كنور الدين طوالي Toualbi و كحلولة مراد Kahloula. M هذه النقطة بوضوح، فالختان هو بداية للانتماءات عديدة منها الانتماء للمجتمع الذكوري¹.

نشأة الذكر و تربيته في المجتمع المغاربي وخبرته تقسمه بين موقفين متناقضين، فمن جهة سوف تجعله هذه الخبرة يعي باستمرار مكانته كذكر فتقوي من تقييمه لنفسه و من انتماءه للطرف المسيطر و القوي من المعادلة و من خلال الاختلاف بين حقوقه و حقوق الاناث يبني شخصية نمطية مهيمنة، بحيث يتعلم ان حقه في الميراث يفوق حق اخته بمرتين، و ان لديه حرية لا تمتلكها هي و ان لديه سلطة عليها، انها مجبرة ان لا تعارضه و ان من واجباته مراقبة تصرفاتها و محاسبتها ان اعتبر انها اخطأت.

ومن جهة اخرى عليه كرجل ان يتعلم ان هناك سلم هرمي تحكمه درجة القرابة و السن يجعله يكون مرؤوسا و مطيعا للبعض و رئيسا مهيمنًا على البعض²

اما بالنسبة لقمة الهرم (الاب) فهناك مسافة نفسية معتبرة بينه و بين ابنائه: و تعتبر هذه المسافة ضرورية للحفاظ على الاحترام و هي ترمز للعلاقة من جانب وحد و التي تأتي من فوق نزولا الى الاسفل في هذا السلم الهرمي.

تصف كامي لاقوست دوجاردان C. Lacoste Dujardin مكانة الاب و "السلطة الابوية بانها هي التي تحكم البيت من خلال العالم الذكوري الخارجي، فهي تعبر عن القانون الاجتماعي الذي تتماشى مع القانون الديني و المقدس، صورة الاب قريبة من صورة الرب"³

ان الاب هو الممثل للجماعة، فهو من يتكفل بالصعوبات التي تواجه العائلة، و هو همزة الوصل بين العائلة و المجتمع المدني، توكل اليه مهمة الحرص على الابقاء على خصوصية المنزل. كما ان سمعة و بريستيج العائلة يرتبط بشكل مباشر بشرفه.

مكانة الاب يجب ان تكون لها صورة ايجابية اذا ما نظر اليها من الخارج، كما ان الابن البكر

¹ KELFAH AMEL, La symbolique de sang dans la culture algérienne à travers les rites initiatique : mariage et circoncision, thèse de magister, université d'Oran, 2009-2010.

² CAMILLERI CARMEL, Jeunesse, famille et développement : essai sur le changement socio-culturel dans un pays du tiers monde, éd CNRS, Paris, 1973 p24

³ CAMILLE LACOSTE-DUJARDIN, Des mères contre les femmes, maternité et patriarcat au Maghreb, Paris, La Découverte, 1996, Essai

او الاعمام لديهم سلطات و امكانات قريبة من سلطة الاب و في غيابه يعوضونه. و هم المسؤولون عن النسل الابوي و عن شرفه، اما الاخوال فهم يقدمون ما تقدمه اختهم لأبنائها من الحنان و الطيبة و الحب المعبر عنه بحرية.

وعلية فالنسق العائلي التقليدي يضع الابن في جماعتين؛ الاولى (الاعمام) فيها القيم تحدها الثقافة بدقة. و الثانية (الاخوال).

3.2- النسق الحديث:

1.3.2- الزواج في النسق الحديث:

انفتح الزواج في هذا النسق على آفاق عديدة و تغير كثيرا عن ما كان عليه سابقا، فالاختلاط بين الذكور و الاناث في اماكن العمل و الدراسة و في كل مكان. كما ان الاحكام السلبية المسبقة التي كانت ترافق الفتاة التي تتراد على اماكن الدراسة و العمل تلاشت مع التطور اما الفتى الذي في سن الزواج اصبح يفضل الارتباط بفتاة من خارج معارف الوالدين و اقناعهما بمساعدته على الارتباط بمن يرافقه ويعرفها.

اما الامهات فصرن يقبلن الدخول في هذه المغامرة مع خطورتها، بالرغم من مخاوفها مضاعفة صلواتها و دعواتها ان تكون البنت مناسبة و "بنت حلال" معبرتا عن تحفظاتها و عدم ارتياحها للمحيطين المقربين منها. و بعدما يزودها ابنها المقبل على الزواج عنوان عروسه المختارة، و قبل ان تقوم الام بأية خطوة رسمية، تقوم الام بالتحقيق حول اخلاق البنت مع الجيران و من يعرفونها وعادتا وتتمحور الاسئلة حول سلوك اخواتها المتزوجات قبلها هل هن متعلقات بأزواجهن وهل يحترمن اهل الزوج، هل يستقبلن امهن و اهلهن بكثرة في بيوتهن الزوجية؟ ثم تستفسر ايضا عن امها و شدة رصانتها و اتزانها، تلك الاسئلة هي بمثابة الحد الادنى للضمان و اطمئنان ام العريس.

ان مرت هذه الخطوة بدون مشاكل و اطمأنت الام تذهب للمرحلة التالية وهي الخطوة الرسمية و في هذه المرحلة تذهب العائلة للخطبة و يتصرف الطرفان كما لو ان القرار لم يكن قرار الشابين و انما قرار الكبار. و طلب اليد يعتبره لهواي عدي Lahouari Addi لعبة ادوار حقيقية " un véritable jeu de rôles " اين المظاهر اهم من الكائن او الواقع le paraître a plus d'importance que l'être فطلب اليد يحتاج الى نوع من المسرحة لإعطائها شكلا رسميا ومهيبا، وهي فرصة للفتاة بالتعرف

على اهل زوجها، وفرصة للام ملاحظة بعض الامور كجمال و قوام البنت نظافة البيت فخامة الاثاث، اما والدي الفتاة فيطلبان الرجوع الى البنت لطلب رأيها في الزواج بعد الترحيب و الضيافة. وفي هذه الحالة هناك مؤشر على تغير مكانة المرأة و تغير نسق الزواج و اختيار الشريك¹.

اما الزواج الديني و هي الحفلة الرسمية حفلة الحناء صارت تؤجل الى ليلة الزفاف تقاديا للمصاريف الباهظة التي تكون على كاهل الاهل خاصة اهل الزوج او الزوج نفسه اذا كان ميسورا خاصة ان جل الاعراس صارت تقام بصالات خاصة للأفراح. و يتصرف الاهل العروسين كما لو انهم هم من قرروا ربط مصير الولدين المهم الحفاظ على الشكليات و اظهار ان القيم الاجتماعية و العادات ما زالت محترمة في المجتمع حتى و ان شاهد الجيران العروسين معا في الشارع قبل الخطبة و الزواج، وان لم يسلموا من أسنة الناس يقال انه مجرد كلام حاسدين

الام في النسق الحديث غالبا ما تكون حليفة لابنتها و تقنع الاب ان الزمن تغير فتدافع عن حق ابنتها في الاختيار بحكم التقدم لكن هذا الموقف يتغير ان كان الابن هو الذي سوف يتزوج تتبنى الام العقلية الابوية. فاذا ما تعلق الامر بزواج الابن تظهر الام رغبة في ان تختار بنفسها العروس فيقدر ما تتمنى ان تختار ابنتها زوجها بنفسها تتمنى الا يختار ابنها زوجته بنفسه، فعندما تختار البنت بنفسها هناك احتمال كبير الا تكون تعيسة في حياتها لكنها تحب ان تحكم السيطرة على القرار فيما يخص اختيار عروس لابنها.

اما فيما يخص دراسة طلب الزواج من طرف عائلة الفتاة المطلوبة فنقوم على تتوفر بعض الشروط المبدئية كالوظيفة و السكن الخاص خاصة اذا كانت ابنتهم صغيرة السن و لم تصل بعد الى مرحلة الخطر (العنوسة)، بحيث ترفض عائلتها تزويجها من شخص يعيش مع والديه وسط عائلة مركبة. وهذه الفكرة اي استقلال الزوجين في بيت منفصل عن عائلة الزوج يعني تغير في العقلية و تحول في نسق الزواج². تحدث لهواري عدي Lahouari Addi عن تغير في العقلية و في نسق الزواج في مؤلف نشر في اواخر التسعينات لكن التطور آل الي وثيرة سريعة بعد ذلك فلم يعد الشاب يبحث عن الفتاة الصغيرة و الجميلة الماكثة بالبيت دائما و انما تداخلت بعض العوامل خاصة الاقتصادية و الاجتماعية منها في ظهور شروط اخرى للزواج و تحولات جديدة منها بحث الفتى و اهله عن المرأة الموظفة قصد

¹LAHOUARI ADDI, Les mutations de la société algérienne : famille et lien social dans l'Algérie contemporaine, éd la découverte, 1999, p86

² نفس المرجع السابق ص89

الزواج قصد التشارك في مصروف البيت خاصة ان سوق العمل قد اكتظ بالنساء الحاملات للشهادات العليا، وهذا ما ادى الى تغير سريع في المكنات و الادوار وفي موقع المرأة كفاعل اجتماعي قوي.

2.3.2- من زواج الاقارب الى زواج الاباعد:

التمدن فرض على الجماعات الاولية التلاحم -في مسألة الزواج- بجماعات اخرى من خارج اطار الدم، فزواج الاقارب endogamie الذي اشرنا اليه من خلال سردنا لاستراتيجيات الزواج في النسق القديم لم يعد عمليا في الحياة العصرية و المدنية، اين تأكلت قيم المجتمع التقليدي و اصبحت اقل تأثير على سلوكات الافراد ، فمثلا الزواج من خارج اطار العائلة او زواج الاباعد بالرغم من المخاوف التي تنجر عنه حول اصل و اخلاق الزوجين الا انه اصبحت مفروضا، في المجتمع التقليدي كان تزويج البنات هو اعطاء الجماعة المستقبلية عروسا من نفس العائلة تعرفهم و يعرفونها جيدا مع تشابه في القيم اما زواج الاباعد¹ exogamie الذي فرضته التغيرات الاجتماعية السريعة يجر معه الريبة القلق و الحيرة تخففها عاداتنا التحقيقات التي تسبق الخطبة الرسمية من الطرفين و التي اشرنا اليها في العنصر السابق.

ان زواج الاقارب و خاصة الزواج ببنت العم الذي اعتبر في النسق التقليدي زواجا مثاليا، تغير حاله و اصبحت مكروها ويحمل تصورات سلبية و لعل "مقولة دمك هو همك" الشائعة في الوسط الجزائري هي الاكثر تعبيراً عن هذه التصورات، اذ اصبحت الشباب يرفضون بنات العمومة لاجتناب الوقوع تحت وصاية العم و التبعية له، ولاجتناب المشاكل في حال وقوعها بين افراد العائلة بسبب خلافات الزوجين.

الى جانب تفضيل الشباب في النسق الحديث لزواج الاباعد l'exogamie اصبحت رأي الوالدين في مسألة اختيار الشريك غير اساسي، حتى انهما صاروا يفضلان عدم التدخل و ترك هذا الموضوع للمعنيين به لاجتناب الشعور بالذنب في حالة الطلاق و عدم الانسجام بين الزوجين. هذه الحرية هي نتيجة تفاعل مع انواع اخرى من الحريات و التغيرات في المكنات و الادوار منها مكانة ودور المرأة كفاعل اجتماعي قوي في المجتمع.

3.3.2- وضعية المرأة كفاعل اجتماعي مؤثر على التحول مقابل صراع الادوار:

انحصار دور المرأة في النسق التقليدي و النظام الابوي على الانجاب و تربية الاولاد و ارضاء العائلة الكبيرة شهدا تغيرا شبه جذري، جراء ادوارها التي تعددت حاليا، اختلفت و تعددت ادوار المرأة

¹ يعبر عنه في اللغة الدارجة الجزائرية بالزواج "البراني او البراوي"

بحيث ظهرت ديناميكية الصراع بين الادوار في اطار الاسرة.

4.3.2- صراع الادوار و المكانات في الاسرة (سُلطة الام ميراث السُلطة الابوية):

بعدما اصبحت المرأة فاعلة في الفضاء المجتمعي صار من الطبيعي ان تشارك اعادة انتاج الميكانيزمات السوسيولوجية، لكن هذه النتيجة مرت بسيرورة تطور عاشتها المرأة بين المسيطر عليه تارة و المسيطر تارة اخرى، صحيح ان الحالات هي فردية و اختلفت من امرأة لأخرى حسب الوضعيات و حسب الشخصيات لكن حسب لهواري عدي Lahouari Addi هناك نموذج نمطي غالب من سنوات السبعينات الى الآن في الجزائر، نموذج الام التي عملت على تحسين مكانة بناتها من خلال تدريسهن و رفع جرعة الحرية و لو نسبيا بالمقارنة مع المكانة السابقة التي كانت لهن في اطار العائلة الابوية.

ان التغيرات التي حدثت داخل الاسرة هي نتاج الصراع على السلطة. فالأولاد الذكور ترفعوا في المجتمعات الحديثة الى مكانة الاب (استخلاف مكانة الاب) و تموين العائلة. الام التي كانت تمتلك الاحترام الابناء في الاسرة الابوية حولت هذا الاحترام الى سلطة و القدرة على اتخاذ القرار. كل فرد من الاسرة يستخدم استراتيجية للحصول على السلطة من جهة و الاستقلالية من جهة اخرى لا للانفصال و انما لأتبات دواتهم كأشخاص مهمين، ولكل منهم استراتيجيته، اما الاب فمكانته هي الاكثر تضررا في هذا الصراع خاصة ان كان لا يعمل او كانت مداخله هي الاقل، وعليه لم يتبقى له الا السلطة الرمزية امام الجيران و ربما لا. اما المرأة المتزوجة تعمل على الاستقلالية و التهرب من اعباء العائلة الموسعة.

مهما كانت مكانتها و ظروفها تسعى المرأة الى تحسين وضعيتها، تحركها طموحاتها التي تدعمها و تعطيها الامل، من خلال الطموح ترتسم ملامح المرأة كفاعل اجتماعي مستعملنا هوامش او حدود الحرية المتاحة لها. و حتي ان لم تتوصل الى تغيير وضعيتها تسعى لتحصل بناتها على مالم تحصل عليه من خلال تدريسهن و مساعدتهن على العمل بتحمل اعباء اسرهن و اولادهن باعتبارها الجدة.

الام تبحث لابنها عن امرأة عاملة ومطبعة لزوجها، الكنة تبحث عن زوج ميسور لتسكن ببيت مستقل مع زوجها و اولادها، الفتاة العزباء تتمنى الحصول على زوج يمتلك بيت خاص و يسمح لها بالعمل هكذا كانت معظم استجابات النساء في بحث عدي Addi عن اجابة لسؤال: "ماهي امنياتك

للمستقبل" و التي اعتبرها بالرغم من انها اجابات بسيطة الا انها مؤشرات التغيير في العائلة الجزائرية و ابعاد الصراع¹.

فالأم تضع في المكانة الاولى الامكانيات المادية لابنها وتتمنى له زوجة عاملة بالرغم من ضياع فرصتها في الحصول على ربة بيت تساعد في الاعمال المنزلية و تشرف عليها باعتبارها الحماة، فهي تتمنى الزيادة في مدخول ابنها و تحسين مستواه المعيشي فهي تلغي نفسها و تهتم لمصالح ابنها و اولاده المادية و الرمزية وهذا وجه من اوجه التغيير لكنها تعتب على زوجته عدم القيام بكل واجبتها تجاه زوجها من تحضير للواجبات في اوقاتها و المحافظة على اناقته و راحته. الزوجة بالمقابل تبحث على الاستقلالية و ترغب في ان يقوم زوجها بالبحث عن مسكن مستقل عن العائلة الكبيرة للاستقلال عن سلطة ام الزوج و الحصول على زوجها لها وحدها و ابعاد امه عن طريقها، اما اجابة البنت العزباء فهي تؤكد الرفض للتبعية للام الزوج قبل التعرف عليها فهي تتمنى زوجا امه متوفية او على الاقل لديه بيت خاص تجنباً لسيطرة الحماة المستقبلية و كونها شريكا لها و منافسا على اهتمام و عاطفة زوجها عليها، حاول عدي Addi من خلال سرد هذه التصورات ان يظهر اهم الصراعات و المنافسة على السلطة بين النساء في الاطار العائلي و التي ادت الى تحولات مهمة في الجماعات الاولى و التي تتعكس بطبيعة الحال ثقافة المجتمع لان الاسرة هي نموذج مصغر عن المجتمع و اي تغير فيها ينعكس على المجتمع. وعليه تنشط المرأة كفاعل اجتماعي حسب السن مع مراعات الفروق الفردية و الفرق في الشخصيات و الطموحات كالتالي:

- المرأة-الام: او الجدة تعمل على الابقاء على الممارسات الابوية لصالح الابناء و ليس الاب الذي جرد من كل سلطاته، فهي تمارس السيطرة عليه و على زوجات ابنائها باستخدام هيمنة ابنائها و تمجيد قيم جيلها او على الاقل امام الناس و المحيط.
- المرأة-الزوجة الماكثة بالبيت: هي الاخرى تستثمر في اولادها الذين عندما يكبرون يظهرون لها الولاء و التعلق و عليه فهي تعمل ما بوسعها لمضاعفة عدد الابناء، لاجتناب الطلاق و الهدف الاهم من ذلك هو ان تحصل على مكانة الحماة قمة الهرم العائلي الذي يحوي عدد كبيرا من الكنات او زوجات الابناء و التي تلعب دور الموجه لهن في كيفية التعامل مع ابنائها، و في

¹ LAHOURI ADDI, Les mutations de la société algérienne : famille et lien social dans l'Algérie contemporaine, éd la découverte, 1999, p122

انتظار تحقق هذا الهدف تتحمل كل ثقل الاعباء المنزلية لتربية ابنائها، عاملتا تحت اشراف حمايتها لاجتناب الصرعات معها لأنه في الاخير هي تعلم ان زوجها في اغلب الحالات سوف يصف مع امه، حليفها الوحيد هو الزمن الذي هو كفيل بتهميش ام الزوج و اخواته و تجريدن من سلطتهن.

- المرأة المتزوجة العاملة: تنتظر من الدولة سن قوانين تشريعية لإلغاء الممارسات الابوية و تطالب بالمساواة في المكانة مع الرجل. وعملها خارج البيت يجعلها تتصل من الاعمال المنزلية و تتعقد امورها اذا كانت مأكثة مع عائلة الزوج و هذه الفئة من النساء هن الاكثر عرضة للطلاق و للتخيير بين عائلتها و عملها.

- الفتاة العزباء: سواء كانت تلميذة او طالبة لا تربط بين الاسلام و الثقافة الابوية تعمل على مقابلة هذا بذاك و الخروج بحلول عملية من مختلف الوضعيات على سبيل المثال قد ترتدي الحجاب حتى لا تحبس في الفضاء المنزلي.

هذا التصنيف لا يُنمط الاستراتيجيات بقدر ما هدفه الاشارة الى ان نفس المرأة يمكنها اتخاذ استراتيجيات متناقضة فمثلا المرأة-الام يمكن ان تتخذ موقفين مختلفين عندما يتعلق الامر بالبنت و زوجة الابن. فالسلطة التي اكتسبتها مؤخرا بعد انهيار العائلة الابوية، المرأة الام تلعب دورا متناقضا في تحرير المرأة و تحقيقها لذاتها، فمن جهة تقف في وجه زوجة ابنها فترفض سيطرتها على زوجها اي ابنها هي وتحب احكام سيطرتها عليها، و من جهة أخرى تدعم ابنتها و تعتبرها دوما مضطهدة من حمايتها. عدم الانسجام في مواقف المرأة تجاه المرأة تسمح بتغيرات ملحوظة في وضعية المرأة.

عندما تتحكم المرأة-الام في الثقافة الابوية لإحكام السيطرة على زوجة ابنها، وفي نفس الوقت تعارض سلطة حماة ابنتها على هذه الاخيرة التي تمتلك نفس صلاحياتها و مكانتها وعندما تعارض عمل زوجة ابنها و تشجع ابنتها على العمل و التنعم بالحرية و الاستقلالية هذه التناقضات تجابهها طموحات اخرى لنساء يشغلن وضعيات و مكانات مختلفة في الحقل العائلي وكل هذا الصراع يؤدي الى تغيرات في الادوار و المكانات و بالتالي في الثقافة.

5.3.2- ظهور مكانة المراهق في النسق الحديث و صراع الاجيال في الجزائر:

في حديثنا عن المراهقة في الفصل الذي سبق، اشرنا الى ان المصطلح في حد ذاته مصطلح

جديد و ان هناك تيار لا يعترف بوجوده بل يعتبره وليدا لتعقيدات المجتمعات الحديثة، فالمرافقة كما عبر عنها غوش Guasch "ظاهرة حضارية"¹ ربما ينطبق هذا الكلام على سياقنا الثقافي، فمن زمن ليس بطويل لم تكن مسألة المرافقة مطروحة عندنا.

في المنظمة العائلية التي مثلت المجتمع الجزائري التقليدي، كان الافراد اليافعون يدخلون مباشرة الى مكانة الراشد مند البلوغ بقطع تذكرة الزواج مباشرة لتفعيل قدرته على التناسل، وعليه يجد هذا الفرد نفسه امام مسؤوليات، مكانة و ادوار جديدة. و هذا ما يفسر سبب عدم وجود مرادف لكلمة مرافقة باللهجة الجزائرية، فالانتقال السريع من مكانة الطفل الى مكانة الراشد يوضح انه لم يكن هناك مكان لتجربة المرافقة ولا وجود لهذه المرحلة. هذا الانتقال أخذ بعين الاعتبار من طرف المجتمع التقليدي من خلال تفعيل طقوس المرور التي اشار اليها كل من برونو بتلهام B. Bettelheim في (الجرح الرمزي²) و كل من سيغمووند فرويد S. Freud في (الطوطم و المحرم³) و G. Roheim في (التحليل النفس و الانثروبولوجيا⁴) دور مختلف طقوس المرور في ولوج الفرد الى مرحلة لاحقة مرفقا بأعضاء الجماعة الاجتماعية الذين يحيون هذه الطقوس و يحتفلون بها.

ذكر كل من سالمى و ايت محند Salmi و Ait Mohand انه في المجتمع التقليدي المغاربي، البلوغ يشير الى بداية التكليف الشرعي (الصلاة و الصيام...) ، و عليه بعض الممنوعات تفرض علي البالغ كعدم دخول البيوت التي تسكنها النساء فقط بالنسبة للذكر، ارتداء "الحايك"⁵ و "الحجبة"⁶ بالنسبة للأنثى⁷ وهذه مؤشرات على تقنين حياة المراهق اليومية و الجنسية من طرف الكبار.

الدخول الى الحياة الزوجية و الجنسية، الواجبات الاخلاقية، التكليف الشرعي، الفصل بين الجنسين و تحديد الازياء و التصرفات تشير الى ان الفرد قد انتقل من عالم الطفولة الى علم الرشد بدور و مكانة محددين.

كان هذا في النسق الاجتماعي القديم، لكن السؤال المطروح من هو مراهق اليوم و ما وضعيته

في المجتمع الجزائري؟

¹ GUASCH, G.P., L'adolescent et son corps, Ed Universitaires, Paris, 1973, p17

² BETTELHEIM B, Les blessures symboliques, Ed. Gallimard, Paris, 1993.

³ FREUD S, Totem et tabou, Ed Payot, Paris, 1965

⁴ ROHEIM G, Psychanalyse et anthropologie: Culture - Personnalité - Inconscient, Ed Gallimard, Paris, 1969

⁵ هو قطعة من القماش ترتديه المرأة لتستر رأسها ووجهها وسائر جسدها عند الخروج من البيت، لباس تقليدي انتشر قديما في كل من ليبيا، تونس، المغرب و خاصة الجزائر وقل استخدامه حاليا.

⁶ عدم الخروج من البيت الا للضرورة.

⁷ SALIM SALMI, ACHOUR AIT MOHAN in Carnet/Psy N°36 Paru le 01-05-1998, Page 23-26.

ان النزوح الريفي الذي شهدته الجزائر نحو المدن و التي انتج نمطا مختلفا من المواطنين، نصف ريفي- نصف مدني "rurbain" كان له تأثيره على انماط السكن و العمل و التي اثرت بدورها على القيم و المنضماات الاجتماعية و العائلية التقليدية¹ التي كانت مبنية على قاعدة اسمها السلطة الابوية و جدت نفسها امام عدة تساؤلات خاصة مع ظهور فرد اجتماعي جديد اسمه المراهق والذي لم يكن موجودا في وقت سابق في الثقافة الابوية.

ومباشرة وجد الاباء انفسهم امام تطورات مربكة ، فرد لا هو بطفل و لا راشد عليه الذهاب و المجيء من المدرسة يوميا يخرج للشوارع الضيقة بالبنائات ليلتقي زمرة الرفاق بدل ابناء العمومة من العرش الواحد.

ذكر بوسبسي Boucebci حول هذه الحقبة نقطة مثيرة للاهتمام، وهي تراجع مسؤوليات الاباء التي وضعت على عاتق المدرسة واضعين كل آمالهم على الدور التكويني لها حيث اهل في كتابه "الطب النفسي، المجتمع و التطور" المدرسة كرمز بديل عن الاب. لكن الصعوبات القاعدية هي ضعف المدرسة الجزائرية آنذاك بسبب عدم تكوين المعلمين و نقص في الهياكل البيداغوجية و الادارية مما جعلها لا تجيب لتطلعات الاباء. والتي وصفها بوسبسي Boucebci بالخصارة المدرسية المثيرة للقلق، و القلق الكبير من هذه النقطة راجع الى انها النتيجة المباشرة لعدم التكيف السوسيلوجي² زاد من تعقيد عوامل اخرى كضيق البيوت و ازمة السكن ، تقارب الابنية في تجمعات سكانية هائلة و عدم توفر مساحات للعب بالإضافة الى التأثير القوي لوسائل الاعلام خاصة التلفزيون التي دخلت الى معظم البيوت و التي طرحت نماذج مختلفة من الثقافات معظمها متناقضة و التي زادة من حدة الازمة الحضارية و صراع الاجيال.

لا يمكننا الانكار ان عوامل الازمة الحضارية لا تنحصر على العوامل السابقة فحسب، و انما هي ايضا نتيجة الاختيارات السياسية للهوية التي لم تتمسك بالماضي و انما فرضت كردة فعل للاستعمار و التي أثبتت محدوديتها و عدم تجدرها الاجتماعي كما سبق و ان وضحنا في نقطة سابقة حول اللغة و معاناة الهوية.

¹ MOHAMED NADJIB NINI, Quotidien d'Oran, publié 8 juillet 2008.

² BOUCEBCI (M.), Psychiatrie, société et développement, ENAL, Alger, 1978, p17 p31

اذن وكما اشرنا من قبل فان المراهقة هي مفهوم جديد في الحقل الاجتماعي الجزائري، فمن حوالى ستين سنة او اقل كان الافراد يمرون من الطفول الى الرشد مباشرة و عليه فان المراهقة هي من صنع المجتمع، مضمونها مأخوذ من النسق الثقافي في علاقته مع تطور الهياكل الاجتماعية.

"الشاب الجزائري الذي يسبح في حمام ثقافي غني بالصور التقمصية المتناقضة"¹ يعيش حاليا مرحلة تحول سوسيو ثقافي له مؤشرات واضحة على تطور الفرد و الجماعات التي تعيش فيه. اين اشارت دراسة جديدة لمركز البحوث الأنثروبولوجية و الاجتماعية و الثقافية لوهران² CRASC، ان هذه المؤشرات تتمثل في عبارات المراهقين التي توحى بعدم الارتياح و مظاهر القلق التي تكون اما رموز او اعراض بالمعنى الإكلينيكي.

هؤلاء المراهقين وجدوا انفسهم في ملاقات الاضطرابات بقدر ماهي فردية متعلقة بالتنظير الجسمي، السيكلوجي و الاجتماعي متعلقة ايضا ببيئاتهم المباشرة، و نحن نعلم ان العائلة في حد ذاتها عرفت اضطرابات لها تأثير على المراهق.

ان رحلة البحث عن الهوية و التي غالبا ما تكون غير مرضية، تضع المراهق الجزائري في حالة التجاذب الوجداني ambivalence فهو حر و غير منقاد حتى ثائر. تصرفاته تتسم عادتا بالعدائية وصولا الى العنف و التي غالبا ما لا تترجم على انها كذلك لأنها جزء من سيرورة نمو و تطور فردي و اجتماعي. و تعالج كل من العدوانية و العنف في مجتمعنا اما بالنصح او اللجوء الى طرق قضائية³

اصبحت المراهقة مرحلة مطولة وتزداد طولاً مع الظروف الراهنة، فالدراسة العليا المطولة مثلا تتحكم بعمر الزواج و تأخره. حدث هذا دون ان يكون استعداد للعقلية و للعائلة الجزائرية بطول "مكانة" اجتماعية جديدة في نسق الاسرة اسمها المراهق لذا كان على الاسرة التغيير وفقا لهذا المتغير الجديد، فرد يطول بقاءه مع العائلة ويظل تحت مسؤوليتها لمدة طويلة.

ان غياب مكانة محددة و خصائص النفسية الفيزيولوجية واضحة لهذه المرحلة من العمر، تعزز ظهور الصراعات في اطار الاسرة و كذا صراع الاجيال.

¹ نفس المرجع السابق

² Le suicide des jeunes à Oran, CRASC, 2004/2007 par: B. Moutassem-Mimouni, FZ. Sebaa, M. Mimouni, B. Jaoui

³ SEBAA. FZ, Adolescence et délinquance en Algérie : le cas de la délinquance juvénile féminine en Algérie, Oran, Dar El Gharb, 2000.

تري فاطمة الزهراء سبع Sebaa Fz ان الفتاة المراهقة تصادف صعوبات ذات علاقة بتفريق على اساس الجنس الراسخ في المخيلة الجماعية و هو اعتبار المراهقة كمرأة المستقبل الحاملة لمكانة الزوجة الام المستقبلية، و لذلك فتلقى على عاتقها مسؤوليات اكثر من المراهق الذكر و هي عرضة لعدة تحفظات و قيود

لكن امام التغيرات الجديدة، اصبحت المراهقات تتحملن بصفة ثقل تدريجيا هذه الاكراهات و الضغوطات و ترفضن التعرض لكل هذا بحجة احترام التقاليد و العادات و بالتالي غالبا ما تغصن في جو من المواجهات الابدية وتأجج هذه الصرعات حسب هذه الدراسات مراقبة سلوكياتهن من طرف الاهل و نقص الثقة، انعدام الحوار، وفقدان الاعتبار.

كما ان ممارسة الجنس تحت اطر اقل سرية مما كانت عليه اقتحم المجتمعات التي كانت محافظة بامتياز، ولكن يمكننا اعتبار هذه السلوكات الجنسية المتعاطمة مليئة بالتناقض الوجداني، لأنها مسجلة ضمن اشكال لاتلغي تماما هيمنة المجتمع على اعتبار احتماليين اما اقامة علاقات جنسية دون المساس بغشاء البكارة او اعادت ترميم هذا الغشاء بعدما تفض البكارة عن طريق الجراحة الترميمية للغشاء *l'hymenoplastie*.

ان المشاكل التي يواجهها المراهقون، غالبا ما تكون اساس ردود الافعال العنيفة و العدوانية، اما تجاه الذات (موجهة نحو الداخل) كالانتحار او الهروب من البيت اما تجاه الخارج و التي عادت ما توصلهم الى دور اعادة التربية¹ و التي عادت ما تقابل بعدم قدرة المجتمع على احتواءهم. اما طرق تعبير المراهقين عن المعارضة لهذا المجتمع فكثيرا ما يكون بالتعبير اللفظي؛ كطريقة كلام تختلف عن باقي افراد المجتمع كما ندعوه كلام الشباب المستحدث، او عن طريق كلام فض بعيد ان آداب الحديث مع سلوكات رمزية والحديث مع تكثيف حركات الأيادي و الجسم. اما بالتعبير الرمزي او السلوكي؛ الانسحابية او السخرية من الاخر و الرسومات و الكتابة على الجدران، الرغبة في الهجرة او التكتل في زمر و مجموعات، التصرفات الخرقاء و العدوانية في بعض الحالات . اما بالتعبير الجسدي؛ الوشم و تصفيفات الشعر الغريبة، الازياء التي تصب كلها في معادات المجتمع، حب الاخلاف و التميز و التعبير عن عدم الانسجام و اختلاف الاجيال و التحول الثقافي.

¹SEBAA. FZ, L'adolescence en question(s), insanyat, Oran, CRASC, décembre 2009

من خصائص المراهقة في بلد يشهد حالات من التغيرات و التحولات، غياب او تعدد النماذج و القيم الثقافية و بالتالي فشل هذه الاخيرة، اين يجد المراهق نفسه في حالة تشويش و صعوبة في تفعيل الهوية، لكن اذا اخذنا بعين الاعتبار ان النظريات الحديثة تعتبر الانساق الاجتماعية و الثقافية ديناميكية و ليست ثابتة، وفي حالة تغير دائم فلا يوجد فرق بين المراهق الجزائري و اي مراهق في هذا العالم الذي يتغير بسرعة و باستمرار، ما يجعل من هذا الموضوع و من هذه الفئة مادة دسمة للدراسة لمعرفة كيف يعيش المراهق الجزائري المتعلق بالتكنولوجيا المنفتحة على قيم و نماذج جديدة هذه التحولات و التغيرات الثقافية.

خاتمة:

ان التحولات الثقافية، والتغيرات التي تطرأ على المجتمعات، حتمية طبيعية في مسارها الذي لا يمكن ان يكون الا ديناميكيا. الجزائر شأنها شأن كل المجتمعات، مرت بعدت مراحل و تحولات ثقافية، اثرت على عدة جوانب و مستويات، بداية من النسق القيمي الذي خضع لتغيرات كثيرة، الى البنية العائلية و المؤسساتية التي حاولنا التركيز عليها في هذا الفصل، قناعتنا منا ان هذه الجماعة الابتدائية، هي مرآة عاكسة لكل المجتمع، كما انها وعاءه الثقافي، و لذلك قمنا باستعراض اهم التغيرات التي مستها، من خلال جمعها في نسقين احدهما تقليدي و الاخر حديث، سلطنا الضوء على مجموعة من التحولات التي طرأت على البنية الاجتماعية والأسرية في التراكيب والوظائف والتي تمثلت في: تحولات على مستوى العائلة، وعلى مستوى السكن، وفي البنيات الاجتماعية، مركزين على العلاقة الزوجية، التي تعطي لافرادها مكانات اجتماعية جديدة من جهة، و من جهة اخرى تملئ عليهم القيام بأدوار وفق لعامل السن و الجنس، وكيف حدث التحول في قلب هذه العلاقة. ركزنا ايضا في هذا الفصل على المرأة بين ماض كانت فيه كيانا تابعا لكيان آخر (بنت فلان او زوجة فلان)، الى حاضر اصبحت فيه فردا مستقلا ذو فعالية حتى في سوق العمل وفي الاخير حاولنا التفكير قليلا حول مسالة المراهقة التي لم تظهر الا في النسق الحديث في الثقافة الجزائرية، محاولين ابراز اهم الصعوبات التي تواجه المراهق، و التي قد تكون الوتيرة السريعة التي تسير عليها التكنولوجيا حاليا سببا في التعقيدات التي يواجهها هذا الاخير، و هذا ما سوف نحاول تسليط الضوء عليه في الفصل التالي.

الفصل الخامس:

الوسائل السمعية البصرية و

الهوية الثقافية

تمهيد:

ليس من الغريب ان ترتبط ثورة المعلومات و الاتصالات بالوسائل السمعية و البصرية و ان تتطور و تصبح متداولة بين الناس و اسهل وصولا اليهم بتطور تكنولوجيات و اجهزة هذه الوسائل التي تعنى بمجال الاتصالات و المعلومات.

ولاشك ان تطور هذه التكنولوجيات شهدت وثيرة سريعة في التقدم في القرنين الماضيين، بحيث كانت البداية منذ اختراع الطباعة وصناعة الآلة، في منتصف القرن الخامس عشر، وبدأت معالم الثورة الثانية تظهر في منتصف القرن التاسع عشر اثر قيام الثورة الصناعية من خلال اكتشاف الكهرباء و الموجات الكهرو مغناطيسية و التلغراف و الهاتف، اما وسائل الاتصال و المعلومات السمعية و البصرية هي ما ميزت الثورة الثالثة في القرن العشرين، اذ ظهرت الإذاعة و التلفزيون في النصف الاول منه، و الحواسيب في النصف الثاني من القرن العشرين و البث الفضائي المباشر و الانترنت في اواخره و بداية القرن الواحد و العشرين.

ولذلك فمند القرن العشرين الذي كانت فيه العلوم الانسانية و الاجتماعية في اوج ازدهارها، بدأت تظهر في الافق مفاهيم جديدة، خاصة تلك التي تهتم بمسألة الهوية في ظل التحول التكنولوجي السريع، كما ظهرت امكانية للنظر من زوايا اخرى مختلفة يمكن ان تُرى منها الهوية وكذا سيرورات التقمص وتحدد حسب الظرف الجديد. ظرف فرضته التطورات التي طالت المجال السمعي البصري، وظهور الاتصال و التفاعل الجماهيري.

1- تقنيات السمعي البصري و اهم التطورات التي مستها في مجال المعلومات و الاتصالات:

يرتبط الاتصال و المعلومة اليوم بالوسائل السمعية البصرية و تطور تكنولوجياتها، فهناك تكنولوجيات الارسال و الانتقاط، التخزين و الارتداد كما هناك تكنولوجيات للخدمات و التسلية و الترفيه، فضلا عن تكنولوجيات الاستماع و الرؤية.

ومن اهم التطورات التي حدثت على هذا المستوى:

1.1- التلفزيون الفضائي: la télévision satellitaire

يوصف التلفزيون بفضل قدراته التقنية على انه اختراع القرن العشرين، الذي طور مجرى الحياة المعاصرة، و له تأثير كبير على مجالات الحياة السياسية، الاجتماعية، الثقافية و الاقتصادية، اذ يعد من اهم وسائل السمعية البصرية تأثيرا في المشاهد نظرا لقربه منه بدخوله كل البيوت و قدرته الفائقة على الترفيه و نقل الاحداث.

كانت التكنولوجيا التي عنيت بالتلفزيون دائمة التطور على وثيرة سريعة، بداية بتوسيع طاقات الكوابل التي تنقل ذبذبات الصور المرئية من خلال اشعة الليزر، فاصبح ال البث الفضائي المباشر السمة المميزة لسنوات التسعينات، فأصبحت الاقمار الصناعية تجوب الفضاء الخارجي لتبث بكل لغات العالم انواعا و اشكالا مختلفة من البرامج الترفيهية الى الافلام و المسلسلات و المهرجانات وصولا الى آخر انباء الحروب و الكوارث و الانقلابات التي يتابعها المشاهد لحظة حدوثها¹

استفادت العديد من قنوات وشبكات الإرسال الأرضي، محدودة السعة والانتشار، وفي التقاط البث المباشر من خلال أقمار الصناعية، حيث ساهمت في التقارب الإنساني والحضاري بين الشعوب الذي خلقه البث الفضائي المباشر

ثم لم يعد التلفزيون وسيلة اتصالية تلاحق الحدث بهدف تغطيته فحسب وإنما يساهم ايضا في تشكيل أبعاد هذا الحدث و تشكيل المواقف و القناعات و التصورات لجمهور المشاهدين حول القضايا المحلية و الاقليمية و الدولية. وما قاله عالم الاجتماع الأمريكي جارنر Gerbner صاحب نظرية الغرس الثقافي في هذا الشأن " أنه في خلال عشرين سنة من حياة التلفزيون بين جماهير الأمة الغفيرة، قد استطاع أن يغير وجه الحياة السياسية في البلاد ويبدل العادات اليومية لشعبنا، ويكيف أسلوب حياة الجيل، واستطاع بين عشية وضحاها أن يجعل من الأحداث المحلية ظواهر كونية²."

شهد التلفزيون تغيرات جديدة وجذرية، في ظل تكنولوجيا الاتصال والإعلام ولقد استفاد هذا

الجهاز من هذه التكنولوجيات الحديثة سواء من ناحية الشكل أو المحتوى، لكننا نجد البداية كانت بطيئة نوعا ما حيث أنّ التلفزيون لم يشهد تغيرات منذ نشأته باستثناء استخدام الألوان في منتصف الستينيات،

¹عدوان نواف، حول البث المباشر و سبل مواكبته، مجلة الإذاعات العربية، ع1، تونس 1994ص33

² Gerbner, G & Gross, L. Living with television in Les Études de communication publique Cahier n° 6 par André Gosselin, Université Laval, Québec, 1993

إلا أنه في العشرية الأخيرة أخذ يشهد تطورات كبيرة و سريعة في ميدان الاتصال والإعلام، أدت إلى ظهور ما يعرف التلفزيون الكابلي والتفاعلي والرقمي مروراً بالتلفزيون العالي الدقة HD وثلاثي الابعاد 3D الى التلفزيون الذكي le smart tv الذي يعمل بشبكة الانترنت عن طريق الكابل DSL و الغير الكابلي 3G و 4G مما اتاح للمستفيدين الاستفادة من وظائفه الكلاسيكية كمتابعة البرامج إضافة الى وظائف جديدة تمثلت في وظائف الحاسوب كالبحث و الاتصال عبر مواقع التواصل الاجتماعي.

2.1- الأقمار الصناعية و البث الفضائي المباشر: les satellites

من المستحيل ان نتحدث عن تطورات التلفزيون الفضائي دون الإشارة الى الأقمار الصناعية التي لعبت دوراً محورياً في سلسلة تطور خدمات هذا الأخير، و القمر الصناعي هو جسم دوار، ينطلق من قاعدة الأرض و يدور في مدار معين حولها وفقاً لمبادئ الجاذبية التي توصل إليها نيوتن، و يظل هذا الجسم يدور بالسرعة نفسها التي اطلق بها مالم يتدخل عامل خارجي، و غالباً ما يكون القمر الصناعي مزوداً بمحطة استقبال و محطة ارسال و عدد من الاجهزة الاخرى كأجهزة التسجيل التي تلتقط البرامج الموجهة إليها و تسجيلها لتعيد ارسالها في الوقت المحدد بطريقة آلية. وفي الرابع من اكتوبر عام 1957، اطلق الروس اول قمر صناعي يدعى سبوتنيك Sputnik¹

تختلف الأقمار الصناعية باختلاف استخداماتها، و أهمها تستخدم التي تستخدم لأغراض الاتصال في نقل المعلومات و الاحداث و الصور، و التي تغطي خدماتها الكرة الأرضية. و يتجلى التطور الذي أحدثته أقمار الاتصال في مجال الاعلام لاسيما في البث التلفزيوني، اذ ادت الى تحقيق الآنية في نقل الاخبار و المعلومات و البرامج من دول العالم المختلفة، فأقمار الاتصال وسعت بشكل كبير قدرة وسائل الاعلام من خلال الحدود الدولية، وهذا ما أدى الى تقديم المادة الاعلامية في زمن حدوثها، و سهل للتلفزيون القدرة على الوصول الى ادراك المشاهد و جعله يتعايش مع الاحداث بشكل مباشر²

استخدام الأقمار الصناعية في عمليات الارسال منذ الستينات و بالتحديد عام 1964، و ادخل استخدامها في مجال الالتقاط و البث على نطاق واسع، و استمرت في التقدم السريع و المدهل، خاصة بعد استخدام تكنولوجيا موجات الليزر و اكتشاف الالياف الضوئية التي توفر العديد من الخدمات منها:

¹ عبد المجيد شكري، تكنولوجيا الاتصال: الجديد في انتاج البرامج في الراديو و التلفزيون، دار الفكر، القاهرة، 1996.
² عبد الملك ردمان الدناني، تطوير تكنولوجيا الاتصال و عولمة المعلومات، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، 2005، ص31

الاتصالات الهاتفية بواسطة الفيديو، عروض بواسطة التلفزيون الكابلي او مكتبة لبرامج الفيديو تسمح بانتقاء البرامج المرغوبة، فظلا عن نظام فيديو داتا¹ Video Data الذي يسمح للشخص الاتصال بالحاسوب بواسطة الهاتف وهو في منزله و اختيار المعطيات و الصور التي يرغب في رؤيتها على شاشة التلفزيون لديه.

شهدت تكنولوجيا السمعى البصرى تحولا كبيرا منذ ظهور الجبل الثالث من الاقمار الاتصالية اى منذ الثمانينات، و التي تم تركيزها على مدار جغرافى ثابت يبعد عن الارض 36000 كم فوق خط الاستواء و يواكب دوران الارض بنفس السرعة و يستقبل اشارة التلفزيون من محطة الارسال الارضى، تم يعيد ارسالها بقوة اكبر الى اماكن اخرى مما يوسع مجال الاستقبال و يتم التقاط البث بواسطة هوائيات فردية او جماعية و هي الصحون او الهوائيات المقعرة او اللاقطة.

لذلك اصبح الاتصال المباشر بين الدول اكثر سرعة ومن اهم سمات التحول في استخدام الاقمار الصناعية في البث المباشر للتلفزيون الفضائي:

- سقوط الاحتكارات الوطنية للبث التلفزيونى داخل البلدان(القنوات الارضية).
- تضاعف عدد قنوات البث التلفزيونى المباشر و تعددها.
- تخصص القنوات بحكم المحتويات او بحسب الجماهير المستهدفة.
- ادت زيادات ساعات العرض الى ارتفاع كلفة البرامج انتاجا و حقوق البث.
- سيطرت الشركات متعددة الجنسيات على الميدان السمعى- البصرى، من الانتاج الى التوزيع مرورا بالتجهيزات.
- التغلب على معوقات الزمن و الجغرافيا في كل ما يخص الاتصال.²

ان استخدامات الاقمار الصناعية افسح المجال للعديد من دول العالم الثالث للمشاركة في البث الفضائى المباشر ، و تسنى لجماهير المشاهدين في دول العالم ممارسة حرية المشاهدة و الانفتاح على العالم، الا ان الدول المتقدمة تملك بطبيعة الحال من الامكانيات في مجال الاتصالات ما يمكنها من استغلالها و تسخيرها لتنفيذ سياساتها الخارجية و فرض قيمتها الثقافية على دول العالم المختلفة للترويج لأفكارها و اهدافها الاستراتيجية.

¹ فولكانك فيسلوتسيل، تحديات عصر الاعلام: وكالات الانباء في التسعينات، ترجمة دار النشر (من دون)، 1990، ص114
² راسم محمد الجمال، الاتصال و الاعلام في الوطن العربى، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2001، ص227.

3.1- الكمبيوترات او الحواسيب الالكترونية:

ظهر الحاسوب الكبير لأول مرة سنة 1948، وكان استخدامه في البداية يتطلب مئات العاملين، و اتخذ تطوره مسارا من عدة نقلات نوعية سميت بالأجيال الاربعة. و تم تطويره باستخدام شرائح السليكون les puces de silicium لتأخذ مكان الترنزيستور، و ادى هذا التطور الى اختراع ما يسمى بالمعالج المجهري le microprocesseur في عام 1971، وهو اساس عمل الحاسوب الشخصي.

و تعد الكمبيوترات امرا حيويا في المجال السمعي البصري، و بعد عقد و نصف من دخولها - خاصة الحواسيب الشخصية- حياة الانسان ظهر الاندماج بين وسائط الاتصال، الذي يوظف حول الحاسوب الشخصي الاجهزة الالكترونية الاخرى ويسهل تحويل الكتب الى اقراص مدمجة DVD يقبل القراءة صفحاتها على شاشة الحاسوب في حجم كتاب يوضع في الجيب. كما اخترع ما يسمى بجهاز تخزين البيانات او وحدة الذاكرة USB الفلاش ميموري flash memory او الفلاش ديسك flash disc، لذلك تمثل الحواسيب الالكترونية و تطبيقاتها عصب الحياة العصرية، كما ظهرت منذ عقد التسعينات تطورات متسارعة في مجال هذه التقنية و انتشرت بشكل اوسع كما ظهرت العلاقة بين الكمبيوتر و وسائط اتصال اخرى من خلال وسيط يسمى الملتقط او المودم¹ le modem، فاستطاعت هذه التشكيلة ان تعزز مكانة الاتصال و المعلومة عن طريق شبكة الانترنت.

4.1- شبكة الانترنت:

في العقود التي اعقبت ظهور التلفزيون، شهد العالم تطورات عديدة في تكنولوجيايات الاتصال و المعلومات ذات العلاقة بالسمعي البصري، منها الحواسيب و الانترنت ذات التفاعل التبادلي.

تعد شبكة الانترنت من اهم انجازات التكنولوجيا الحديثة التي تحققت في مجال الاتصال في اواخر القرن العشرين، فاستطاعت ان تلغي المسافات بين الدول، و من خلالها يستطيع الكل ان يطلعوا على احداث العالم و تطوراته في كل المجالات، و يتبادلوا المعلومات، فنتشر من خلاله الثقافات و النشاطات الانسانية.

وحدثت النقلة الكبيرة للانترنت بالضبط في عام 1992، بعد اختراع طريقة جديدة فعالة تتبادل المعلومات بجميع انواعها (نصوص، صور، فيديوهاات) و ذلك بمركز "سرن" الاوروبي في جنيف،

¹ على المشاط، نظرة في مستقبل الاتصالات، مجلة الموقف الثقافي، م.س.ذ، ص40

وسرعان ما قامت الجامعات الامريكية بدور البرمجة، وتوفير برامج التصفح او متصفحات الانترنت navigateurs Internet يعد توسعها ظاهرة فريدة، لاسيما في السنوات الاخيرة، حيث وصل عدد المتصلة معها، وحجم الرسائل المتبادلة بصورة مذهلة¹

و تغير نوع المؤسسات المتصلة بها المتوافقة مع النظام الجديد، للاطلاع على المعلومات المصورة، و يستطيع اي مشترك و بنقرة واحدة استخدام هذه البرامج للانتقال من مركز معلومات في اي مكان من العالم، الى مركز معلومات في مكان آخر.

وبرز في منتصف سنة 1993 نظام للوسائط المتعددة الخاصة بتجميع الوثائق، مما اتاح لمستخدمي هذه الوسائط التجوال في الشبكة، وقراءة كل ما فيها و مشاهدته بالصوت و الصورة و ايضا الفيديو.

بعد ذلك ظهر استعمال جديد لشبكة الانترنت من خلال مواقع التواصل الاجتماعي، اذ لم تعد مجرد وسيلة لإرسال و استقبال البريد الالكتروني و نقل البيانات، بل اصبحت بمثابة مكان يعج بالناس و الافكار، يمكن التجول فيه وهو ما يعرف بالواقع الافتراضي السايبر سبيس cyber space .

وهكذا اصبحت الانترنت وسيلة جديدة تعمل على تخزين المعلومات و نشرها، أضيف اليها التفاعل، ومن اهم عوامل نجاحها و انتشار بين الناس نظامها اللا هرمي، فهي لا تعتمد على بناء الاعلام التقليدي (من فوق الى تحت او من واحد الى كثيرين)، و لكن الافراد المشاركين فيها سواسية، و بلا رقابة يمكن ان يمارسها اصحاب النظام او قمة الهرم، ولكنها مفتوحة للمشاركين و لمن يريد المساهمة فيها، لأنها ليست ملكية احد و ليس هناك نظام او منظمة واحدة تتحكم فيها²

اصبحت الشركات التجارية الآن، تمثل القطاع الاوسع تطورا في الانترنت، خاصة بعد ان تطورت من شبكة تجريبية، الى شبكة تهتم بالبحث، لتصبح في الوقت الحاضر شبكة عالمية مفتوحة، يمكن من خلالها الوصول الى آلاف الموارد و الخدمات المختلفة في مجال المعلومات، مما يعني انها خرجت من نطاقها الضيق الذي كان محصورا على نطاق وزارة الدفاع الامريكية، لتصبح شبكة عامة تتحكم بها قوى السوق، كما نتج عن ذلك تنافس كبير في انتاج الحواسيب و ادت المنافسة الى انخفاض اسعارها و سهولة الاستفادة منها خاصة تلك التي يمكن ربطها بالانترنت، ذات نظام الويفي wifi.

¹ اسامة يوسف ابو الحجاج، دليلك الشخصي الى عالم الانترنت، نهضة مصر للطباعة و النشر، القاهرة، 1998، ص22
² عبد الملك ردمان الدناني، تطوير تكنولوجيا الاتصال و عولمة المعلومات، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، 2005، ص43

الانترنت اذن اداة اتصال و معلومات واسعة الانتشار و لها وظيفة اعلامية متطورة بالإضافة الى انها وفرت متنفسا للأصوات المعارضة، لعولمة وسائل اعلامهم، و اضحى من المستحيل على قوانين الاعلام حجب عيون المشاهدين لها.

2- الوسائل السمعية البصرية بين الاتصالات و نقل المعلومات و الثقافات:

كثيرا ما يخلط الناس بين مصطلحي الاعلام و الاتصال، فيعتبرهما البعض بانهما يؤديان نفس المعنى لكن يتسع مصطلح الاعلام ليشمل مفهوم الاتصال في بعض الاحيان و يضيق احيانا اخرى ليقصر على الاعلام وحده، فالإعلام عملية تنطوي على مجموعة من اوجه الانشطة من ضمنها تفاعل المعلومات و تداولها، بينما يعني الاتصال عملية تبادل الافكار و المعلومات و الآراء، من خلال الحديث او الكتابة او الصور او غيرها من الرموز و بتالي تعمل كلا العمليتين تعلمان من اجل نقل الثقافات من حدود جغرافية و ثقافية الى اخرى و تصبان في صلب ما بين الثقافات l'interculturel و الحوار الثقافي.

1.2- التلفزيون الارضي و الفضائي:

1.1.2- تعريف التلفزيون:

لغويا: التلفزيون كلمة مركبة من مقطعين (tele) و معناه عن بعد و (vision) و معناها الرؤية، و بهذا يكون المعنى الاجمالي هو الرؤية عن بعد.

و من الناحية التقنية يمكن تعريفه على انه طريقة ارسال و استقبال الصورة المرئية المتحركة و الغير المتحركة متصاحبة مع الصوت من مكان الى آخر، بواسطة الموجات الكهرو مغناطيسية عبر الاقمار الصناعية و مجموعة من المرسلات و المستقبلات كما اشرنا في العنصر السابق.

ويعد التلفزيون من اهم الوسائل السمعية البصرية في العالم، لقربه من الناس اينما كانوا ولاعتبارات اخرى يمكن ادراجها تحت عنوان و وظائف التلفزيون.

1.1.1.2- بدايات التلفزيون:

ويعتبر العالم والمهندس الكهربائي الأسكتلندي جون لوجي بيرد هو أول من اخترع التلفاز عام 1925 للميلاد، فقد كان بيرد يعيش مع أسرته في حالة من الفقر الشديد وفي بداية حياته كان يعمل مع والده في جمع الخردوات ومحاولة بيعها من أجل الحصول على المال، بالإضافة إلى تجاربه العلمية حول التلفاز حتى وضع النموذج الأولي له واستخدم الأشعة تحت الحمراء، وتم اختراع أول تلفاز عام 1926.

بعد الخطوة الأولى التي قام بها بيرد في وضع النموذج الأولي قام العالم فرانسووث بابتكار آلة تقوم بتقطيع الصور، وقام بيرد باستغلال ابتكار فرانسووث وطوره إلى جهاز يقوم بنقل الصور عبر الموجات الكهرومغناطيسية وذلك كان في عام 1928¹، وفي عام 1929 للميلاد قامت شركة الكترونيك تي في بدمج اختراع بيرد واختراع فرانسووث وأطلقت أول تلفزيون الكتروني، ثم توالى الإبداعات وتطوير أجهزة التلفاز الموجودة فقد ظهر التلفاز الملون في اليابان عام 1953 للميلاد.

اما في الجزائر لم ينتشر فيها التلفزيون حتى 24 ديسمبر 1956 من محطة الإرسال الموجودة "براس تمنفوست" لكن لم يكن إلا بالجزائر العاصمة و باللونين الأبيض و الأسود، كان تبث البرامج باللغتين العربية و الفرنسية مدة 31 ساعة في الأسبوع².

2.1.2- وظائف التلفزيون:

للتلفزيون و وظائف كثيرة تتدرج ضمن وسائل الاعلام و الاتصال السمعية و البصرية عموما، لكن التلفزيون يتفوق على باقي الوسائل لأسباب اهمها؛ ان التلفزيون ركز على قرب الصورة من المشاهد و انه امتداد طبعي للرؤية و العين، فهي اذن تتخطى الحاجز اللغوي حيث تصبح الصورة هي اللغة و الصورة كما نعلم تخاطب المتعلم و غير المتعلم او الامي.

كما ان التلفزيون يقدم تجربة فورية ذات علاقة نوعية مرئية و سيلته هي الرسالة، فبمجرد الجلوس امام الشاشة تدخل ضمنا عدة رسائل بغض النظر عن المادة المقدمة فهو يخاطب كافة الشرائح الاجتماعية بثتى الوسائل ، بالحركة و الصورة معا.

¹بييار البيار، تاريخ الإذاعة و التلفزيون، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 1، 1984، ص: 94.

²مصطفى لخضر، جزائر ما بعد الاستقلال، دار هومة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2004، ص: 53.

فضلا عن بساطة المضمون و تكيفه مع حاجات الناس و العمل على اشباعها ليستطيع تغيير اتجاهاتهم و توجيههم حسب رغبة المرسل و هذا ما يفسر التنافس بين الدول في هذا المجال للسيطرة على عدد المشاهدات و الخلفيات الثقافية و الأيديولوجية للمتفرجين فيضعهم امام مشاهد لاكتشاف خبرات جديدة و هم جالسون في اماكنهم و له قدرة بالغة على الاقناع¹ خاصة على مستوى العامة من الناس، كما انه قد نجح في مجال الترفيه الذي يعد الحلم المنشود في عالم مرهق الاعصاب.

لقد دخل التلفزيون الى ميدان التدريس و البرامج التعليمية من خلال تبسيطها و تعليم اللغات الاجنبية و تخصيص قنوات تعليمية و جامعية كما يستعمل الجهاز في الجامعات من خلا تركيبه في المدرجات لتتيح فرصة أكبر عدد من الطلاب لمتابعة مباشرة او لتسجيلات تجارب عملية يجريها الأساتذة في معامل لا تستوعب الا اعدادا محدودة من الطلبة.

وعليه نستنتج ان للتلفزيون و وظائف متعددة ولعل اهم وظائفه ما هو معروف عنه انه وسيلة اتصال جماهيري communication de masse مثله مثل كل الوسائل السمعية و البصرية لذلك يتم ربطه دائما بهذا الدور.

3.1.2- التلفزيون و الاتصال الجماهيري: la communication de masse

ان الاتصال الجماهيري هو تلك العملية المنتظمة و المدروسة، التي تقوم على ارسال رسائل علنية عامة، صادرة عن مؤسسات الاتصال الجماهيري (مؤسسة تلفزيونية، صحفية او اذاعية...) عبر وسيلة اتصال جماهيرية (سمعية او بصرية او سمعية-بصرية) الى جمهور عريض من الناس، بقصد التأثير على معلوماتهم، اتجاهاتهم او سلوكياتهم.

و نظرا لان التلفزيون اهم وسيلة للاتصال الجماهيري فتتم عملية ارسال الرسائل عبره وفق الترتيب التالي؛ تكون البداية من مقدم البرنامج او (المرسل) بحيث تحتوي هذه الرسائل على المضمون و الشكل (الرسالة الاعلامية) المشبعة بالمعلومات و الاتجاهات و السلوكيات المرسله عبر التلفزيون (الوسيلة) لجمهور المتفرجين (المستقبل)، ليتم في ضوء ذلك استجابة المتفرجين (المستقبل) لهذه الرسائل، و الذي قد تؤثر على معلوماتهم و اتجاهاتهم و سلوكياتهم، و قد يعبر الشباب عن ذلك من خلال الاتصال

¹ المريحل، علي ناصر علي، اثر وسائل الاعلام في توجيه الشباب، مطابع دار الثقافة العربية، الرياض، بدون سنة، ص60

مع مقدم البرنامج (المرسل) للتعبير او الافصاح عن آرائهم فيما تلقوه حول الرسالة الاتصالية او الاعلامية¹.

4.1.2- التلفزيون و بعض ما قيل عن تأثيره النفسي، الاجتماعي و الثقافي:

يعتبر التلفزيون من عوامل توحيد الافكار و المشاعر بين الناس كما يعمل على توحيد عاداتهم و تقاليدهم و انماط سلوكهم و قيمهم لان الآلاف منهم يشاهدون نفس المؤثرات. فهو يساعد على تحقيق وحدة الفكر و المعايير الثقافية و الانواق الجمالية لكن هذا في حالة مشاهدة نفس البرامج و القنوات لكن في ظل التلفزيون الفضائي و التفتح القنوات الفضائية اصبح التلفزيون عاملا للاختلاف الثقافي النفسي و الاجتماعي.

تذكر هيلموت هيد Hilde Himmelweit² و آخرون ان اثار التلفزيون محدودة و لكنها مستمرة ، اي ان التأثير يكون على المستوى البعيد، فهو يؤثر في مفاهيم الافراد و خاصة الاطفال منهم عن مختلف الامور فينظرون اليها بالمنظور الذي صورها بها التلفزيون فعلى سبيل المثال نحن ننظر لشعوب العالم الاخرى كما يصورها لنا الاعلام و السينما.

و لذلك ارتأينا في هذه النقطة تسليط الضوء على آثار التلفزيون على مختلف الميادين على مستوى الاسرة و افرادها.

5.1.2- العائلة و التلفزيون:

تعتبر العائلة اولى الجماعات الاجتماعية و اكثرها تأثرا بالتلفزيون، بحكم وجود اكثر من تلفزيون واحد في كل بيت حاليا، بحيث اصبحت مُشاهدات البرامج التي يعرضها هذا الجهاز، تتطلب جوا من الهدوء فيخيم السكون داخل البيت مما يقلل من فرص التفاعل الاجتماعي بين افراد الاسرة، اي بين الابناء و الآباء و بين الابناء انفسهم و حتى بين الزوجين عندما تختلف الادواق في مشاهدة التلفزيون، مما يضعف سبل التنشئة الاجتماعية لديهم لان الاسرة و التفاعل بين افرادها اهم وسائل التنشئة التي يمكن تنمي المشاعر الطبيعية في الوسط الاسري.

¹ حسين علي العموش، محمود عبد الله الخوالدة، علم النفس السياسي و الاعلامي، مطبعة الحامد، ط1، الاردن، 2009، ص15
² هيلد . ت هيلموت، التلفزيون و الطفل : دراسة تجريبية لأثر التلفزيون على النشء، ترجمة احمد سعيد عبدالحليم و محمود شكري العدوي، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1967

ان عدد الساعات التي يقضيها الطفل امام التلفزيون اكثر من الساعات التي يقضيها مع ولديه بكثير و الجلوس معهم، و اصبح الامر بالنسبة للوالدين شيء عادي، اذ ان الطفل اما ان يكون في المدرسة او يشاهد التلفزيون او نائم، فأى علاقة تنشأ بين افراد الاسرة في ظل ظروف مماثلة.

ان مشاهدة الطفل للتلفزيون تختلف بين مدة معقولة و مناسبة و ضارة في بعض الاحيان، كما تلجأ بعض الامهات الى التلفزيون كجليس لأبنائهن اثناء قيامهن بالأعمال المنزلية وفي غياب الاب، و من ثم يصبح الاطفال احرار في اختيار القنوات و البرامج فيشاهدونها من غير رقيب ولا موجه.

كما ان ضعف المناعة الذاتية عند الاطفال لغزلة و تنقية ما يشاهدونه، مع قلة الخبرة و صغر السن تزيد من احتمالات التأثير، فاذا اضفنا الى ذلك فاعلية الصور الالكترونية المتحركة، و قدرتها الى استقطاب و استثارة المشاعر و من ثم احداث المشاركة التي تؤدي الى الانغماس و التقمص الوجداني¹

6.1.2-التلفزيون في حياة الطفل و المراهق :

يولد الطفل الآن و في بيته اكثر من تلفزيون واحد، و اجهزة فيديو و كمبيوترات و غيرها من الاجهزة التي اصبح وجودها روتينيا و معتادا في المنازل و يقدر ان الطفل في البيت يقضي امام شاشة التلفزيون اكثر مما يقضيه مع العائلة، بحيث اصبح بالنسبة لأكثر الاطفال صديقا حميما وموجها غير ممل ليتحول الى وسيلة تنشئة اجتماعية لها خصوصياتها و اعتباراتها الغير الثابتة.

1.6.1.2-تأثيرات التجربة التلفزيونية على الاطفال و المراهقين:

ان حاجات الاطفال مختلفة تماما، فمهم يتطلب فرص لتحقيق علاقات اسريه اساسية وبذلك يمكنهم من فهم انفسهم لكن كل ما تفعله هذه التجربة التلفزيونية هو ان تقلل هذه الفرصة كما يحتاج الاطفال الصغار الى تنمية طاقتهم على التوجيه الذاتي حتى يحرروا انفسهم من التبعية، لكن التلفزيون يساعد على استمرار هذه التبعية دوما.

يحتاج الاطفال الى اكتساب مهارات الاتصال الاساسية تعلم القراءة والكتابة والتعبير عن الذات بمرونة ووضوح حتى يؤديوا وظائفهم كمخلوقات اجتماعية ، غير ان التلفزيون لا يعزز دائما النمو اللفظي لأنه لا تتطلب أي مشاركته لفظية من الطفل بل تتطلب الاستقبال السلبي.

¹محمد ابراهيم عايش و آخرون، انماط المشاهدة لبرامج الاطفال في محطات التلفزة المحلية و العربية. ع76، الشارقة، شتاء2002، ص90

كما يحتاج الاطفال الى اكتشاف نواحي القوة والضعف الخاصة بهم من اجل تحقيق رغباتهم كراشدين في العمل واللعب على حد سواء لكن التجربة التلفزيونية لا تفضي الى اكتشافات كهذه فهي في الواقع تحد من اندماج الطفل في تلك الأنشطة الواقعية التي قد تتيح لقدراتهم فرصه حقيقيه للاختبار .

ان اشباع حاجة الطفل الى الخيال يتحقق بصورة افضل عن طريق ضروب النشاط الاليهامي الذاتي، ليس عن طريق القصص الخيالية التي يعدها الكبار ويقدمونها لهم في التلفاز، بل تلك التي يتخيلونها كما يريدون عندما يسمعون سرد القصة او قراءة الكتب.

وهناك حاجة الاطفال الى التنبيه العقلي تتحقق بصورة افضل الى ابعد حد حين يمكنهم تعلم الاداء اليدوي واللمس والفعل وليس مجرد المشاهدة السلبية¹

2.6.1.2- التلفزيون و الادمان عليه:

بات للتلفزيون وجود ثقافي و نفسي و اجتماعي شديد التأثير على حياة الفرد حالياً، بل ان الاطفال يبذون بمشاهدة التلفزيون في حوالي سن العامين و ربما قبله و يتعلقون به شيء فشيء الى ان يصبحوا مدمنين عليه.

فأوردت بعض الدراسات ان الاطفال يقضون عشر ساعات و نصف في الاسبوع مشاهدين لبرامجه اثناء الدراسة و ترتفع المدة الزمنية الى احدى و عشرين ساعة تقريبا في العطل الصيفية² ويرى فريدمان Freedman ان ادمان مشاهدة التلفزيون مثل اي سلوك غير مرغوب فيه، هي المقابل الذي يعرض به الطفل ما يحس به من نقص في المحيط في المجتمعات، الاسرة، المدرسة و الاصدقاء³

بالنسبة لساعات المشاهدة للأطفال و الشباب، هناك دراسة اجراها شكرام Schramm تدل ان هناك 74% من مجموع عينة قدرها 508 من تلاميذ الصف الخامس و السادس في سان فرنسيسكو يشاهدون التلفزيون في اي يوم من ايام الاسبوع، وقليل منها كان مخصصا للبرامج التربوية.

ان جلوس الاطفال طويلا امام التلفزيون يجعلهم يدمنون على مشاهدته، فيصعب عليهم فيما بعد

¹ ماري وين، الاطفال و الادمان التلفزيوني، ترجمة عبدالفتاح الصبحي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد 247، جويلية 1999

² محمد ابراهيم عايش و آخرون، نفس المرجع السابق، ص94

³ ويلبور شيكرام و آخرون، التلفزيون و اثره في حياة اطفالنا، ترجمة زكريا السيد حسين، القاهرة: الدار المصرية للتأليف و الترجمة، مصر، 1965، ص251

التخلص من هذه العادة وهكذا يضيعون اوقاتا ثمينة من اعمارهم امامه بالإضافة الى تبعات اخرى سوف نطرحها لاحقا.

وتوصف حالة ادمان التلفزيون بالاعتیاد الى حد التعلق النفسي بمشاهدته، فقد يشعر الانسان المدمن عليه بحالة من الضيق و الحصرة الشديدة في حالة تأخره و تعطله عن المشاهدة في الوقت و الساعة التي تعود عليها يوميا، مما يتحول الى عائق حقيقي في مسيرة حياته بشكل طبيعي. كما ان المشاهد للبرامج التلفزيونية يحو العالم الحقيقي ويدخل في حالة عقلية ساره وسلبية فنسوف القلق والهموم الواقعية تؤجل فعليا عن طريق الاستغراق في برنامج تلفزيوني مثلما يحدث عبر القيام برحله تحت تأثير المخدر.

حياة الذين يشاهدون التلفزيون بكثرة حياة غير متوازنة بسبب عاداتهم التلفزيونية كحياة مدمن المخدرات فهم يعيشون في نمط مسيطر اذا جاز التعبير غير مهتمين بالأنشطة التي تؤدي الى النماء والتطور والاحساس بالإنجاز.

وتشير ماري وين في مقالها حول الطفل و الادمان التلفزيوني تحت عنوان صغير "التلفزيون مخدر خبيث" الى تحول التلفزيون من أداة تسلية للأطفال الى مخدر بقولها "...ان ازدياد اعتماد الآباء خلال حياتهم اليومية على التلفزيون كأداة متاحة بشكل مدهش لتسلية وتهدة طفل السنوات الثلاث المتقلب بلمسة واحدة لفتح الجهاز. ومع استمرار انتفاعهم به يوما بعد يوم تزداد أهميته في حياة أطفالهم. وبعد أن كان التلفزيون مصدرا خالصا للترفيه يقدمه الآباء حين يحتاجون إلى فترة راحة من رعاية الطفل يتحول تدريجيا إلى حضور طاغ مخرب في حياة الأسرة". غير أنه على الرغم من ازدياد استياء الآباء من تدخلات التلفزيون في الحياة الأسرية وعلى الرغم من شعورهم العميق بالذنب لعجزهم عن السيطرة على مشاهدة أطفالهم للتلفزيون فإنهم لا يفعلون شيئا لتخليص أنفسهم من هيمنته. ذلك أنه لم يعد في إمكانهم التعامل بنجاح مع المواقف من دونه.

كما ترى أن الأطفال سيقضون ذات يوم في مشاهدة التلفزيون ساعات من أوقات يقظتهم أكثر ا يقضون في أي نشاط منفرد آخر و تضع المسؤولية على الاباء "إنهم الآباء في الواقع الذين بات التلفزيون بالنسبة لهم مخدرا لا يقاوم ليس من خلال مشاهداتهم الخاصة (ولو أن ذلك أيضا هو ما يحدث كثيرا) و إنما عن بعد من خلال أطفالهم الرابضين أمام الجهاز في سكون غريب. ومن المؤكد أنه لا

يمكن أن يكون هناك مخدر أكثر خبثاً من ذلك الذي يجب أن تعطيه للآخرين من أجل أن تحقق به هدفاً لنفسك".¹

اذن ترى ماري وين والكثير من المختصين ان الآباء و عدم الاهتمام بحاجيات الاطفال النفسية تجعل الاطفال يدفع الطفل الى البحث عن مصدر آخر يفرغ فيه هذه الحاجيات و غالباً ما يلجأ الطفل الى تجاهلهما و الانتشغال بالتلفزيون، كما ان عدم الاهتمام بان يفرغ الطفل طاقاته الداخلية في نشاطات متعددة مفيدة للعقل و للصحة يجعل الطفل يفرغها بشكل خاطئ بمشاهدة التلفزيون، بالإضافة الى كون الطفل يقلد الوالدين في سلوكياتهم، لذلك فإفراطهم في مشاهدة التلفزيون و الاهمية التي يولونها لهذا الاخير يجعل الطفل يحدوا حدو ابويه في مشاهدة التلفزيون. وهناك نقطة اخرى ترحض على الاقبال المكثف على مشاهدة التلفزيون وتتمثل في الاعتقاد الخاطئ من طرف الآباء بأن التلفزيون هو جهاز تعليمي ولذلك يتركون الطفل امامه لساعات طويلة دون اشراف او توجيه و هكذا يجعلون مشكلة ادمان التلفزيون اقرب لأطفالهم.

كما ان هيملويت Hilde Himmelweit اشارت في دراسة لها لبعض الخصائص النفسية فرسمت بروفيل لمدمني التلفزيون بان لديهم شعور قوي بالنبد و عدم الامان اكثر من هؤلاء الذين يشاهدونه في المناسبات فقط او يشاهدونه نادراً، ولقد وجدت ان الاطفال الذين يرغبون في الانسحاب من الحياة الواقعية يلجأون الى السينما و التلفزيون للمواساة و لكن هذه المواصفات المرضية و الانسحابية موجودة في الاطفال اصلاً اي انها سمة، اما التلفزيون فيشبع حاجاته فقط. وقد اكدت دراسة بيلن Bailyn نتائج هيملويت Himmelweit حيث لاحظ ان الاطفال الذين يخضعون للإحباط الشديد في المنزل يشاهدون التلفزيون اكثر من غير المحبطين.

3.6.1.2- التلفزيون و لغة الطفل و المراهق:

كانت أسرة ما قبل التلفزيون ساحة التدريب الوحيدة لتنمية لغة الأطفال. وكان من المفهوم أنه كلما تكلم الآباء أكثر مع أطفالهم وقرأوا لهم واستمعوا لهم زاد احتمال أن يتعلموا استعمال اللغة بصورة جيدة.

وهناك حقيقة جديرة بالإشارة هي ان المهارات اللغوية عند الاطفال تتأثر بالعوامل الثقافية الاجتماعية و الاقتصادي و كثرة عدد الافراد الكبار الذين يختلط بهم الطفل.

¹ ماري وين، و الاطفال و الادمان التلفزيوني، ترجمة عبدالفتاح الصبحي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد 247، جويلية 1999، ص23

لكن هذه المساحة التدريبية للغة، صارت تضيق شيئاً فشيئاً عند اسرة ما بعد التلفزيون و انتشاره و تحوله الى وسيلة تعليمية و تربوية وكذا للتنشئة الاجتماعية، وذو تأثير بالغ على هذه النقطة بالذات الا وهي اكتساب اللغة و تنميتها.

لقد اختلفت الآراء وانقسمت بين من اقتنعوا بدور التلفزيون الايجابي في تنمية لغة الطفل، واصحاب القناعة بأنه دوا تأثير سلبي عليها.

يبدو ان للتلفزيون دور هام في احداث تغير يمكن وصفه الإيجابي، فهو يؤدي الى تحسين عام في المهارة اللغوية عند الاطفال و في نفس الوقت يقلل من الاختلاف بينهم بالرغم من متغير الاختلاف في الظروف البيئية التي يتعرضون لها وذلك من وجهة نظر بعض المختصين الذين قاموا بدراسات شهيرة في هذا الميدان، ومنها دراسة كل من هيموليت Himmelweit و أوبنهم Oppenheim و فينس Vince 1958 نشرت في كتاب التلفزيون و الطفل¹: Television and the child و دراسة كل من شيرام Wilbur Schramm و ليل Jack Lyle وباركر Edwin Parker التي نشرت في كتاب التلفزيون في حياة اولادنا² Television in the Lives of Our Children هاتان الدراستان اتفقتا على ان التلفزيون يزيد من المعلومات اللغوية و المفردات عند كل الاطفال، مما يخفي الفروق بين الاطفال الذين يعيشون في بيئات اجتماعية و اسرية محفزة للغة و الاطفال الذين ينحدرون من بيئات اجتماعية و ثقافية و اقتصادية منخفضة لا تخدم اللغة.

اذن يفترض ان يكون التلفزيون تحت هذا المنظور اداة مثيرة و مشجعة للنمو اللغوي اكثر من المؤثرات البيئية الاخرى كما انه يقلل من الفروق في القدرة اللغوية بين الأسر ذات المستويات الثقافية و الاجتماعية و الاقتصادية المختلفة.

لكن ذهبت دراسات أخرى على عكس الاتجاه الاول او ربما اكتف جزء من هذا التيار لتبيين دوره السلبي في اكتساب المهارات اللغوية و المعرفية، ومن هذه الزاوية فالأطفال لا يستطيعون الحصول الا على حصيلة قليلة من المعلومات و الالفاظ من التلفزيون ذلك لأنه يحرمهم من ممارسة خبرات أخرى مثل القراءة، ويبدو انه لا يقود الاطفال الى العمل و النشاطات اليدوية و الشفهية.

¹ هيلد . ت هيموليت، التلفزيون و الطفل : دراسة تجريبية لأثر التلفزيون على النشاء، ترجمة احمد سعيد عبدالحليم و محمود شكري العدوي، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1967

² عبد الرحمان العيسوي، الآثار النفسية و الاجتماعية للتلفزيون العربي، دار النهضة العربية، بيروت، 1984، ص34

ويظهر القنوات الفضائية امتد الإرسال في تلك القنوات ليغطي ساعات اليوم كلها بأفلام التلفزيونية الموجهة للأطفال ولجميع الأعمار، هذا إضافة إلى بث الألعاب الإلكترونية، حتى صار هؤلاء الأطفال لا يجدون أي وقت مهما كان قصيراً للابتعاد عن الشاشة؛ مما حرّمهم من ممارسة أنشطة أخرى قد تكون أفضل في إكساب الأطفال المهارات اللغوية.

ذلك لان هناك حاجة للأطفال الى اكتساب مهارات التعبير عن الذات بطلاقة ووضوح غير ان المشاهدة المكثفة للتلفزيون لا تعزز النمو اللفظي لأنها لا تتطلب أي مشاركة لفظية من الطفل بل تتطلب الاستقبال السلبي وحسب.

ما الاستعداد لتعلم المهارة اللغوية الإستقبالية و الارشادية، يتوقف هذا الاستعداد على نضج عدة مهارات أخرى كالقراءة، لاستماع، استنتاج الأفكار، الكتابة و التحدث (التعبير) لذلك فعلى المحيط ان يوفر بعض الخبرات و الظروف التي تدرب الطفل على إنتاج اللغة من مثل الاندماج في التفاعل مع الطفل وجهاً لوجه، وإسماعه للغة المنطوقة، واللغة المكتوبة، بصوت مرتفع، والتدرب على الربط بين الأشياء والكلمات الدالة عليها.

وفي دراسة هدفت إلى استجلاء العلاقة بين المشاهدة ولغة الكلام لدى أطفال ما قبل المدرسة كشفت عن علاقة عكسية بين مدة المشاهدة والأداء في اختبارات النمو اللغوي. فهناك فرق حاسم بين تجربة لغوية تعرض على التلفاز لا تتطلب مشاركة متبادلة كما في كل برامج التلفاز، وتجربة لغوية تستوجب انخراط الأطفال فيها بنشاط كما يحدث في المواقف الأسرية والمدرسية والرقابية. فالتلفاز يقوم بتعزيز الأداء العقلي غير اللفظي عند الأطفال الصغار، حيث يستقر لديهم نمط تفكير المعرفة غير اللفظية (اللغة الاستقبالية)، وهي معرفة سهلة المنال تركز على الصورة وترسل معلومات جاهزة للدماغ غير متيحة للمشاهد الصغير فرصة التفكير فيها وبذل أي جهد في اكتسابها. و لاتخص حاجة الأطفال إلى النشاط العقلي في تلك المرحلة وما يليها من مراحل. كأنهم أجهزة استقبالية، فالمشاهدة التلفازية تحولهم إلى أدوات تتلقى الخبرات كما هي لاستعادتها وقت الحاجة كما هي أيضاً¹.

وتفيد نتائج إحدى الدراسات التي جرت مؤخراً أن كل ساعة تمر على الأم وطفلها بالقرب من التلفاز ستؤدي إلى تقليل المداعة اللفظية التي تقوم بها الأم، كما يقل عدد الأصوات التي يطلقها الطفل أثناء تلك المداعة.

¹ ماري وين، الأطفال و الادمان التلفزيوني، ترجمة عبدالفتاح الصبحي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد 247، جويلية 1999

نلخص ما تقدم، أن آثار مشاهدة البرامج التلفازية على الصورة التي تتم بها، تصيب بآثارها السلبية اكتساب الطفل لمهاراته اللغوية. فهناك إشارات صادرة عن بعض الدراسات تفيد بأن هناك علاقة عكسية بين مدة المشاهدة والأداء في اختبارات النمو اللغوي، وتقليل المداعبة اللفظية التي تقوم بها الأم، وتقليل عدد الأصوات التي يطلقها الطفل، وتثبيت الانتباه على بؤرة الإثارة، وتدني القابلية لتشكيل صور خيالية وتوليد الصور الداخلية، تقليل الانتباه والإصدار والمثابرة، وتقليص أدوار الحلول الإبداعية للمشكلات.

4.6.1.2- التلفزيون و القراءة:

ترى ماري وين باعتبارها واحدة ممن اشاروا الى تفوق التلفزيون بعد انتشاره بصورة جدية على القراءة بعد أن كانت هي التجربة الرئيسية الخيالية لطفل المدرسة، وقد ادى هذا التفوق الى جعل تمثلات الطفل الرمزية للعالم و الواقع محدودة، كما يرسمها لهم التلفزيون وعمدت تحت هذا الاطار الى مقارنة التجربة التلفزيونية بتجربة القراءة من أجل محاولة اكتشاف ما إذا كانت التجريتان في الواقع نشاطين متشابهين يلبيان نفس الحاجات في حياة الطفل و المراه، و خلصت الى ان التلفزيون يختلف عن القراءة في انه يستحوذ على الخيال و يجعله منشغلا و هذا ما اكد عليه برونو بتلهاميم Bruno Bettelheim في قوله "التلفزيون يأسر الخيال لكنه لا يحرره. أما الكتاب الجيد فإنه ينبه الذهن ويحرره في الوقت ذاته"¹ لأن الاختلاف الكبير بين الصور المقروءة والصور التي يتلقها الانسان حين يشاهد التلفزيون يتمثل في انه يخلق صورته الخاصة حين يقرأ بالاستناد إلى تجاربه حياته الخاصة وبما يعكس حاجاته الفردية الخاصة ، بينما يجب عليه أن يقبل ما يستقبله حين يشاهد الصور التلفزيونية .وهذا الجانب من عملية القراءة الذي قد نسميه « خلاقاً » Creative فعندما يقرأ الانسان فكأنه يرسم صوراً للشخصيات و للقصص كما يريد و النتيجة تغذية الخيال.

ايضا تستلزم القراءة ممارسات عقلية معقدة، ولذلك فالفارئ مطالب بأن يكون أكثر تركيزاً من مشاهدة التلفزيون اما فيما يخص يتعلق بالوسائل الإلكترونية و السمعية البصرية على غرار التلفزيون فهو الانفتاح openness الذي يتيح للمثيرات السمعية والبصرية المزيد من سهولة الوصول المباشر إلى الدماغ. وعليه إن التهيؤ للتركيز الذي غالباً ما يكتسب من خلال تجارب القراءة قد يجعل المرء مشاهداً

¹ Bruno Bettelheim, "Parents vs. Television," Redbook, November, 1963. 3. Tony Schwartz, The Responsive Chord (New York: Anchor/Doubleday, 1973).

تلفزيونيا غير ملائم، إلا أن من الراجح أيضا أن يتغلب الموقف العكسي، أي أن التهيؤ «للافتتاح» الذي اكتسب عبر سنوات من المشاهدة التلفزيونية قد أثر بصورة عكسية في قدرة المشاهدين على التركيز في القراءة¹.

كما يمكننا مقارنة تجربة القراءة و المشاهدة من حيث سرعة كل من التجريبتين وتحكمنا النسبي في هذه السرعة إن من الواضح أن الفرد حين يقرأ يستطيع ضبط السرعة .فقد يقرأ ببطء أو بسرعة كيفما كان باستطاعته وكيفما كانت رغبته في القراءة.

فإذا لم يفهم شيئا فقد يتوقف ويعيد قراءته أو إذا كان ما يقرأ مثيرا للمشاعر فقد يضع الكتاب جانبا للحظات قليلة ويتكيف مع انفعالاته دون خوف من أن يفوته أي شيء، غير أنه لا يمكنه التحكم في سرعة البرنامج التلفزيوني حينما يشاهده لأن البداية والنهاية فقط هما اللتان تخضعان للسيطرة بتشغيل أو إيقاف عمل الجهاز .وهو لا يستطيع إبطاء برنامج شائق أو تسريع برنامج كئيب، كما لا يستطيع العودة للوراء إذا كانت هناك كلمة أو عبارة غير مفهومة، لذلك لا يمكن تحويل المادة المشاهدة على شاشة التلفزيون الى شكل يلئم حاجات الانسان الانفعالية كما يفعل بالمادة التي يقرأها.

التجربة التلفزيونية مستمرة، بل انها ايضا تجعل التلفزيون يقتحم الشؤون الإنسانية و الاجتماعية على نحو لا تستطيع ان تفعله تجارب القراءة، فإذا دخل أحد الأشخاص الحجره في أثناء مشاهدة التلفزيونية لابد من مواصلة المشاهدة وإلا فقدنا الخيط والا فاتنا البرنامج، أما الكتاب فيمكن وضعه جانبا التفاعل مع الاشخاص عندما يتطلب الامر ذلك.

وفي الاخير تري ماري وين ان التجربة التلفزيونية الى جانب انها تقلل حاجة الاطفال الى القراءة عن طريق شغل ساعات كثيره من يومهم الا انها تؤثر ايضا في الطرائق العملية التي يقرأ بها الاطفال وهي ظاهره تسمى القارئ الكسول، انه يقرأ جيدا لكنه لا يقرأ بانتباه، وذلك بسبب التشتت العقلي التي تسببه المشاهدة التلفزيونية قد يجعل الاطفال الذين امضوا وقتا طويلا امام الجهاز يدخلون عالم القراءة بطريقه اكثر سطحيه واكثر نفاذا للصبر.

¹ ماري وين، نفس المرجع السابق ص 71

5.6.1.2- التلفزيون و المدرسة:

طوال العقدين الماضيين تراكمت الأدلة على وجود علاقة بين مشاهدة التلفزيونية والتحصيل الدراسي فكلما زادت مشاهدة الاطفال للتلفزيون انخفض تحصيلهم الدراسي.

وثبت ان الاطفال الذين سمح لهم بمشاهدة التلفاز يوميا لساعات كثيرة في السنوات السابقة لدخولهم المدارس حصلوا على درجات في القراءة والحساب واختبارات اللغة عند نهاية الصف الاول اقل من الاطفال الذين كانت مشاهدتهم التلفزيونية قليلة خلال سنوات قبل الدراسة.

ففي عام 1959 وفي دراسة مشتركة لباركر و ليل و شيرام Schramm, Lyle, Parker في "التلفزيون في حياة اولادنا" وجد أن أكثر طلاب مدارس الثانوية ذكاءً، هم الأقل مشاهدة للتلفزيون والأكثر نزوعاً إلى القراءة من زملائهم في الدراسة الأقل موهبة¹

وربما يكون إثبات وجود صلة سلبية او ايجابية بين مشاهدة التليفزيونية والتحصيل التعليمي قد طغى على الاعمال السابقة، أكثر من محاولة فهم السبب في وجود مثل هذه العلاقة، الا أن التفكير في السبب الذي يجعل للمشاهدة التليفزيونية عواقب سلبية على دراسة الأطفال اهم من ذلك.

ولعل السبب كما ارجعه بعض العلماء، الى التغيرات السيكولوجية الواقعة في انماط التفكير، التي تحدث بسبب التعرض الشامل للتلفزيون خلال السنوات الاولى من الحياه، حين تكون كيمياء الدماغ عرضة لتغير بيئي، الى الانخفاض الواسع الانتشار في القراءة كنشاط حر، ومن ثم تجاهل ممارسة مهمة ذات مادة لفظية ضرورية لنمو تلك المهارات اللفظية المطلوبة في المدرسة²، غير ان التأثير الذي لا يقل اهمية، يتمثل في كون التلفزيون مصدر الهاء، ووجوده في المنزل يجعل الاطفال خاصة الذين ليسوا تحت اشراف الاباء، يسهرون حتى وقت متأخر مما يؤدي قلة النوم الى ان يجعل الاطفال اقل انتباها في المدرسة.

6.6.1.2- التلفزيون و اللعب:

ان لعب الأطفال نشاط رئيسي ذو اهمية بالغة في حياتهم، ولا بد من تصنيفه على أنه كذلك، فيكون من الضروري عندئذ على العائلة توفير الظروف للعب الملائمة التي يحتاجها الأطفال، بغية تشكيل وتوسيع عمليات التطور المأمولة .

كما يساعد اللعب الجماعي على نمو الطفل من الناحية الاجتماعية وعبره يتعلم النظام ويؤمن بروح الجماعة واحترامها ويدرك قيمة العمل الجماعي والمصلحة العامة. لكن حالياً قلما نجد الاطفال

¹ عبد الرحمان العيسوي، الآثار النفسية و الاجتماعية للتلفزيون العربي، دار النهضة العربية، بيروت، 1984، ص36
² ماري وين، نفس المرجع السابق ص89.

يلعبون العابا جماعية في الاحياء و حتى المنازل، وذلك راجع الى عدة اعتبارات منها كما يرى البعض ان نشاطات الاطفال الترفيهية تركز اكثر حاليا على التكنولوجيا عن طريق العاب الفيديو خاصة تلك التي تلعب عبر شبكة الانترنت مباشرة اون لاین les jeux en ligne و التي زاد انتشارها في وساط الاطفال و المراهقين او القبول امام شاشة التلفزيون.

عن طريق دراسة قام بها كل من ليل Lyle و هوفمان Hoffman قسما الأطفال إلى فئات طبقا لاستخدامهم النسبي للتلفزيون والكتب. وقد اكتشف الباحثون أن الأطفال الذين يشاهدون التلفزيون لفترات قليلة لكنهم يقرأون كتباً كثيرة قد حققوا مستوى من اللعب اليومي أعلى من الأطفال الذين شاهدوا التلفزيون بغزارة و قرأوا كتباً قليلة أو من أولئك الذين استخدموا التلفزيون لفترات طويلة وقرأوا كثيراً. فخرجا بنتيجة هو ان مشاهدة التلفزيون تقلل من وقت اللعب¹.

إن مشاهدة التلفزيون لا تؤدي إلى تقليل وقت اللعب فحسب، بل ثمة دليل في دراسة ماري وين قامت بها بمجرد انتشار التلفزيون في امريكا حيث قامت بالتعامل مع المربين المشهود لهم بالخبرة في رياض الاطفال، لانهم الاقرب الى هؤلاء في فترات لعبهم، لتسألهم عن طبيعة اللعب الذي يمارسونه يوحي بأنها أثرت في طبيعة لعب الداخلي خاصة وليس في الهواء الطلق، كلهم اقرروا بأن طبيعة لعب الاطفال تغيرت، و لاحظوا ان اللعب اتخذ اتجاه سلبي وان الاطفال لا يبدوا ان لديهم من الخيال الشيء الكثير، و لا يريدون التقدم واكتشاف الامر بأنفسهم الا بمرافقة المربين حيث قال احدهم ان الاطفال ينتظرون من المعلم ان يبدأ بنشاط ما، ثم يجارونه فيه ولكن لا يبادرون بنشاط خاص بهم².

إن مشاهدة التلفزيونية تستحوذ بوضوح في حالة الادمان على هذا الجهاز، على مكان الأنشطة الأخرى المشابهة له وظيفيا مثل المطالعة، و الالعاب الفردية و الجماعية، و التي صارت تنازعها من جهة اخرى العاب الفيديو بحيث ان شعر الاطفال بحاجة الى اللعب ذهبوا الى هذا النوع من الالعاب الذي لا يتطلب اي جهد حركي، وجلس الاطفال المطول امام الشاشة سواء التلفزيونية او شاشة الالعاب، قد يسبب مشكلة عدم النمو السليم للعضلات و العظام ومشاكل مباشرة على مستوى العمود الفقري في مختلف المراحل العمرية بالإضافة الى مشاكل صحية بصرية وكذا السمنة.

¹ عبد الرحمان العيسوي، الآثار النفسية و الاجتماعية للتلفزيون العربي، دار النهضة العربية، بيروت، 1984

² ماري وين، نفس المرجع السابق ص 129

3- الانترنت، تكنولوجيا جديدة في مجال السمعى البصرى:

1.3- تعريف شبكة الانترنت:

هناك العديد من المحاولات لتعريف الانترنت، فهناك من يعرفها على انها شبكة الشبكات le réseaux باعتبارها شبكة عملاقة من الكمبيوترات، تقدم تشكيلة متنوعة من الخدمات لاستخدامها في الحواسيب الشخصية للأفراد المتصلة بالشبكة.

و يعرفها كل من Edwards و اخرون في موسوعة العمل الاجتماعى سنة 1997 على انها اكثر وسيلة لتبادل المعلومات بحرية، فهي شبكة عالمية للاتصال تتألف من الملاين من الحواسيب المتصلة ببعضها البعض، و التي تتيح امكانية اتصال البشر ببعضهم البعض و تبادل المعلومات على نقاط اوسع، كذلك فهي توفر ميزة البحث في كافة المجالات و تخزين المعلومات ايضا¹.

ويعرفها بعض الباحثين العرب في هذا المجال كمحمد الحيلة الذي عاد الى مصطلح شبكة الشبكات في تعبيره: "الانترنت عبارة عن شبكة ضخمة من شبكات الحاسوب الممتدة عبر الكرة الارضية بكافة دولها، و هي اتفاقية عملاقة ما بين الحواسيب المرتبطة مع بعضها، و لهذا يطلق عليها شبكة الشبكات فهي عالمية و مفتوحة تجعل المشترك قادر على الوصول الى الآلاف من المصادر و الخدمات المختلفة في مجال المعلومات². في حين تعرفها كريم فريحة بأنها تعبر عن عالم افتراضى عبر جهاز الحاسوب اين ينعزل الفرد عن واقعه، و تضيف انه يمكن تعريفه باعتباره مجموعة من الشبكات المتداخلة تمثل منتدى عالميا لكل الثقافات و الآراء و النشاطات المختلفة و التي تقوم على فكرة تفاعل المعلومات.

2.3- بدايات شبكة الانترنت:

بدأت فكرة إنشاء شبكة معلومات من قبل إدارة الدفاع الأمريكية في عام 1969 ، عن طرق تمويل مشروع من أجل وصل الإدارة مع متعهدي القوات المسلحة ، وعدد كبير من الجامعات التي تعمل على أبحاث ممولة من القوات المسلحة ، وسميت هذه الشبكة باسم أربا(ARPA) اختصار الكلمة الإنجليزية The Advanced Research Project Administration ومعناها إدارة مشروع الأبحاث المتقدمة.

وكان الهدف من هذا المشروع تطوير تقنية تشبيك كمبيوتر تصمد أمام هجوم عسكري ، وصممت شبكة " أربا " عن طريق خاصية تدعى طريقة إعادة التوجيه الديناميكي، وتعتمد هذه الطريقة

¹ محمد السيد حلاوة، رجاء على عبد العاطي، العلاقات الاجتماعية للشباب بين دردشة الانترنت و الفيسبوك، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية 2011، ص33

² محمد محمود الحيلة، التكنولوجيا التعليمية و المعلوماتية، الطبعة الاولى، دار الكتاب الجامعية، 2001، ص16

على تشغيل الشبكة بشكل مستمر حتى في حالة انقطاع إحدى الوصلات أو تعطلها عن العمل تقوم الشبكة بتحويل الحركة إلى وصلات أخرى.

فيما بعد لم يقتصر استخدام شبكة " أربانت " على القوات المسلحة فحسب ، فقد استخدمت من قبل الجامعات الأمريكية بكثافة كبيرة ، إلى حد أنها بدأت تعاني من ازدحام يفوق طاقتها ، وصار من الضروري إنشاء شبكة جديدة ، لهذا ظهرت شبكة جديدة في عام 1983م سميت باسم " مل نت " Milnet لتخدم المواقع العسكرية فقط ، وأصبحت شبكة " أربانت " تتولى أمر الاتصالات غير العسكرية ، مع بقائها موصولة مع " مل نت " من خلال برنامج أسمه بروتوكول "إنترنت"¹.

3.3- وظائف و وسائل شبكة الانترنت:

هناك العديد من الوسائل المتوفرة على الإنترنت والتي تساعد المستخدمين على استخدامها والاستفادة من تسهيلاتهما . وأهم هذه الوظائف هي:

1.3.3- البريد الإلكتروني: E. Mail

البريد الإلكتروني هو وسيلة تسهل عملية الاتصال بملايين الناس من خلال الإنترنت ويعد من أكثر وسائل الإنترنت استخدامًا . إن عملية البريد الإلكتروني تشبه عملية البريد التقليدي، ففي كلتا الحالتين تكتب الرسالة من شخص إلى آخر، وتُعنون، وترسل بالبريد الذي يقوم بتوزيع الرسائل إلى الأشخاص المرسله إليهم. في البريد الإلكتروني يتم تخزين الرسائل في صناديق بريد إلكترونية بانتظار قراءتها. وبعد القراءة يستطيع المستلم رميها، أو الاحتفاظ بها، أو تحويلها إلى شخص آخر، أو طباعتها. ويذكر أن أول خطوة يمر بها المستخدمون من الإنترنت هي البريد الإلكتروني.

2.3.3- التل نت: Telnet

التل نت وسيلة تسمح للمستخدمين من الإنترنت بالدخول مباشرة إلى الحواسيب الأخرى المرتبطة بالشبكة والقيام بالاستفادة من الخدمات والعمليات المتوفرة لهم على الإنترنت مثل تشغيل البرامج ، الاطلاع على الملفات ، البحث في قواعد البيانات، القيام بالعمليات الأخرى المتوفرة على تلك الحواسيب كما لو كانت تلك الحواسيب في مكتب المستخدم نفسه أو منزله. ويستلزم استخدام التل نت وجود ترخيص لدى المستخدم.

¹ شاهين بهاء، شبكة الانترنت، الطبعة 2، العربية لعلوم الحاسب، القاهرة، 1996، ص12

3.3.3 - بروتوكول نقل الملفات: Protocole de transfert de fichier

هذا البروتوكول هو وسيلة تسمح للمستخدمين من الإنترنت الوصول إلى الحواسيب الموجودة في أية بقعة من بقاع العالم والقيام أما بنقل ملفات منها إلى حواسيبهم الشخصية téléchargeement أو تحميل ملفات من حواسيبهم على الحواسيب الأخرى.

تتوفر مئات خوادم les serveurs بروتوكول نقل الملفات منتشرة في أنحاء العالم وتحتوي على آلاف الملفات. ونظراً لوجود عالم من المعلومات على الإنترنت على شكل نصوص، وصوت، وصور متحركة، وبرامجيات، فإن الكثير منها يمكن الحصول عليه مجاناً. كما أن ليس جميع الحواسيب على الإنترنت تسمح لأي واحد بالدخول إليها وأخذ الملفات منها¹.

أما البرامجيات فإنها على ثلاثة أنواع: المجانية (Freeware) والمشاركة (Shareware) التي يمكن نقلها لتجربتها قبل دفع قيمتها، والتجاري (Commercial) وهي التي تنقل بعد دفع ثمنها.

4.3.3 - الويب: le web

الويب (www)² هي مجموعة من الصفحات المخزنة على الحواسيب المنتشرة في أنحاء العالم مرتبطة بوصلات تسهل الوصول إلى مواقع الويب المختلفة. تشكل الويب نسبة كبيرة من الإنترنت، وهي الأكثر غنى بصفحات المعلومات التي تغطي موضوعات شتى تحتوي على نصوص، وصور، ورسومات، وصوت، وأفلام، موزعة على مساحات الإنترنت الواسعة، ومبوبة بشكل يسهل الوصول إليها

وتتربط مجموعات المعلومات على الويب بوصلات تسهل على المستخدم التنقل من معلومة متوفرة على حاسوب في لندن إلى معلومة أخرى مترابطة معها متوفرة على حاسوب في طوكيو، على سبيل المثال

ويتم البحث عن المعلومة في الويب بواسطة كلمات مفتاحية يتم البحث عنها في الملفات من خلال برامج معتمدة في الإنترنت، وبعد ظهور النتائج على شكل قوائم يختار المستخدم منها ما يريد. وعلى الويب تنشأ المواقع (Sites) والصفحات³ (Home Pages) ... أما آليات أو محركات البحث في الويب فهي كثيرة نذكر على سبيل المثال لا الحصر about, bing, Ask MSN, Alta Vista, Lycos, Yahoo, Google.

¹الدركزلي، شذى سلمان، الإنترنت: ثورة المعلومات والثقافة والتعليم، آفاق الثقافة والتراث، العدد 66، 1997م، ص 13-43.

² www معناها بالإنجليزية World Wide Web

³فضل كليب، الإنترنت ودورها التنموي في المكتبات، رسالة المكتبة، المجلد 33، العدد 1، 1998م، ص 29

5.3.3- التواصل الاجتماعي:

مواقع التواصل الاجتماعي Les réseaux sociaux هي مجموعة التقنيات المتاحة على الشبكة العنكبوتية والتي يستعملها الناس لغايات التواصل والتفاعل، وقد تقدم هذا المفهوم مؤخراً ليثير ضجة ضخمة، ويعني هذا المفهوم جميع وسائل التواصل الإلكتروني المتاحة في القرن الحادي والعشرين، ويستعمل بعض الأفراد مفهوم وسائل الإعلام الاجتماعي على نحو واسع، وذلك لوصف مختلف أنواع الظواهر الثقافية التي تتطوي على التواصل، وليس تقنيات التواصل فقط، ففي كثير من الأحيان مثلاً يستعمل الأشخاص مصطلح وسائل الإعلام الاجتماعي للحديث عن المحتوى الذي يقدمه المستخدمين سواء بالكتابة أو النشر أو المشاركة باستعمال وسائل النشر الإلكتروني، وتعطي للمستخدمين القدرة على التواصل والتفاعل مع بعضهم البعض باستخدام أجهزة الحاسوب والهواتف الذكية. الشبكات الاجتماعية كثيرة مثل فيس بوك Facebook، تويتر twitter و غوغل+ Google التي غيرت طريقة تواصل المنظمات و الافراد.

1.5.3.3- فيسبوك Facebook:

يوجد على الانترنت مليارات المواقع، بعضها لديها عدد محدود من المستخدمين، بينما البعض الآخر لديه اعداد كبيرة من المستخدمين، وقد اصدر غوغل Google عام 2011 قائمة بأكثر مئة موقع من حيث عدد مستخدميه على مستوى العالم و حل فيسبوك في المرتبة الاولى بـ 880 مليون مستخدم.

فيسبوك هو احد مواقع التواصل الاجتماعي الذي رغم ان عمره لا يزيد عن عشر سنوات الا انه اصبح الاشهر و الاكثر تأثيرا على مستوى العالم.

موقع فيس بوك ثم انشائه في 4 فبراير 2004 بواسطة ابن التاسعة عشر من العمر مارك زوكبرغ Mark Zuckerberg وذلك بغرفته بجامعة هارفارد، وقد كان الموقع في البداية متاحا فقط لطلاب جامعة هارفارد، ثم فتح لطلاب الجامعات الاخرى، و بعدها لطلبة الثانويات و لعدد محدود من الشركات، ثم اخيرا لأي شخص يرغب في فتح حساب على الفيسبوك¹.

يرى مخترع الفيسبوك، مارك زوكبرغ Mark Zuckerberg ان هذا الموقع هو حركة اجتماعية و ليس مجرد أداة للتواصل، وانه سوف يزيج البريد الالكتروني و يحل محله، و انه سوف يسيطر على كل نواحي النشاط البشري على الشبكة العنكبوتية². و بالتالي فانه يوصف بكونه "دليل سكان العالم". انه موقع يتيح للأفراد العاديين ان يصنعوا لأنفسهم كيانا عاما من خلال الادلاء و المشاركة بما يريدون من

¹محمد السيد حلاوة، رجاء على عبد العاطي، نفس المرجع السابق، ص113
²من المقولات الشهيرة لمارك زوكبرغ حول الفيسبوك.

معلومات حول انفسهم واهتماماتهم و مشاعرهم وصورهم الشخصية و لقطات الفيديو الخاصة بهم. وعليه فان هذا الاختراع هو لجعل العالم اكثر انفتاحا

2.5.3.3- تويتر Twitter:

تويتر هو عبارة عن موقع شبكات اجتماعية مصغر يسمح لمستخدميه بإرسال و قراءة تعليقات لا تتجاوز 140 حرف و رمز هذه التعليقات تعرف باسم التغريدات tweets.

تويتر تم انشاءه في مارس 2006 بواسطة الامريكي جاك دورسي Jack Dorsey ، وقد اشتهر تويتر بشكل سريع عالميا حتى وصلت تغريداته يوميا الى 200 مليون تغريدة، ويصفه البعض بانه موقع رسائل الانترنت النصية القصيرة.

مع التطور الذي لحق به تحول تويتر الى وسيلة تدوين مصغرة فائقة القوة متعددة الاستخدامات من التسويق الى الاعجاب بالمشاهير و نشر و توزيع الاخبار بل و حتى المساعدة في عمليات الانقاذ كما حدث في تسونامي اليابان.

الجدير بالذكر انه ضمن 200 مليون مستخدم لتويتر فان 30 الى 40 مليون فقط يعتبرون مستخدمين نشطاء، في حين ان الاغلبية الباقية هم مجرد مستهلكين لتلك المعلومات¹.

مع ان فيسبوك و تويتر هما اكثر المواقع استخداما في المناطق العربية و شمال افريقيا، الا ان البوادر الاولية لبعض المواقع الاخرى كغوغل بلوس الذي اطلق 28 جوان 2011 تشير الى انه في طريقه لمزاحمة هذين الموقعين و الحصول على جزء من سوق الشبكات الاجتماعية، نتيجة للخدمات التي يوفرها كخدمة البريد الالكتروني Gmail وخدمة الخرائط ومحرك البحث غوغل وغيرها.

ان الشبكات الاجتماعية ليست مجرد ادوات تتيح للمستخدمين نشر صورهم و تعليقاتهم الشخصية و مشاركة الآخرين بها، ولكنها اصبحت للكثير من المستخدمين منصات لنشر الاخبار بحيث تعتبر اليوم الاعلام البديل عن وسائل الاعلام المعتمدة.

4.3- الانترنت و بعض ما قيل عن تأثيره النفسي، الاجتماعي و الثقافي:

هناك إجماع بين العديد من الدارسين والباحثين على أن تكنولوجيا الاتصال السمعي البصري الحديث، وعلى رأسه " شبكة الإنترنت " قد فتحت عصراً جديداً من عصور الإتصال والتفاعل بين البشر، وفي وفرة المعلومات والمعارف التي تقدمها لمستخدميها.

¹ على عبد الفتاح كنعان، الاعلام و المجتمع، دار اليازوري للطباعة و النشر، عمان، 2014، ص173.

ولكن على الجانب الآخر هناك أيضا مخاوف من الآثار السلبية الجسدية والنفسية والاجتماعية والثقافية التي قد تحدثها. و مع تزايد الإقبال على شبكة الإنترنت وسوء استخدامها متمثلاً في قضاء وقت طويل في الإبحار فيها، ظهر ما يسمى " إدمان الإنترنت "، كظاهرة لا يمكن تجاهلها. ولذا فإن هناك اليوم العديد من الدراسات والمؤتمرات العلمية والدوريات المتخصصة، لبحث ودراسة الآثار النفسية والاجتماعية والجسمية لسوء استخدام شبكة الإنترنت.

1.4.3- الانترنت و الادمان عليه:

الإدمان المرضي وظاهرة إدمان الإنترنت حديثة نسبياً، وتتعلق بالاستخدام الزائد عن الحد وغير التوافقي للإنترنت، والذي يؤدي لاضطرابات نفسية إكلينيكية يُستدل عليها بمجموعة من الأعراض. وقد تزايدت في الآونة الأخيرة البحوث النفسية التي تؤكد على أن الاستخدام المبالغ فيه لشبكة الإنترنت يسبب إدماناً نفسياً يشبه نوعاً ما في طبيعته الإدمان الذي يسببه التعاطي الزائد عن الحد للمخدرات والكحوليات. والجدير بالذكر أن " إدمان الإنترنت " لم يصنف بعد ضمن قائمة الأمراض النفسية المعروفة، حيث مازال الغموض يحيط بهذه الظاهرة، إذ لم يتفق أطباء النفس جميعاً على وجود " إدمان الإنترنت " كمرض قائم بذاته، حيث يعتبر البعض أنه اشتقاق من حالات إدمان أخرى مثل الإدمان على الشراء أو المقامرة.

ويذكر أن أول من وضع مصطلح " إدمان الإنترنت l'addiction à Internet ، هي عالمة النفس الأميركية كيمبرلي يونغ Kimberly Young ، التي تعد من أولى أطباء النفس الذين عكفوا على دراسة هذه الظاهرة في الولايات المتحدة منذ عام 1994 .

وتعرف يونغ : " إدمان الإنترنت " بأنه استخدام الإنترنت أكثر من 38 ساعة أسبوعياً. كما أنها قامت عام 1999 بتأسيس وإدارة " مركز الإدمان على الإنترنت " لبحث وعلاج هذه الظاهرة، وقد أصدرت كتابين حول هذه الظاهرة هما " الوقوع في قبضة الإنترنت " ، و " التورط في الشبكة "

كانت يونغ قد قامت في التسعينات بأول دراسة موثقة عن إدمان الإنترنت، شملت حوالي 500 مستخدم للإنترنت، تركزت حول سلوكهم أثناء تصفحهم شبكة الإنترنت، حيث أجاب المشاركون في الدراسة بنعم على السؤال الذي وجه لهم وهو : عندما تتوقف عن استخدام الإنترنت، هل تعاني من أعراض الانقطاع كالإكتئاب والقلق وسوء المزاج

وقد جاء في نتائج هذه الدراسة أن المشمولين في الدراسة قضوا على الأقل 38 ساعة أسبوعياً على الإنترنت، مقارنة بحوالي خمس ساعات فقط أسبوعياً لغير المدمنين. كما أشارت الدراسة أن من يمكن وصفهم بمدمني الإنترنت، لم يتصفحوا في الإنترنت من أجل الحصول على معلومات مفيدة لهم في

أعمالهم أو دراساتهم ، وإنما من أجل الإتصال مع الآخرين والدراسة معهم عبر الإنترنت¹ و تقسم يونغ إدمان الإنترنت إلى خمسة أنواع هي : إدمان الفضاء الجنسي عبر الانترنت addiction Cybersexual أي مواقع الجنس الإباحية، و إدمان العلاقات السيبرية la cyberdépendance des relations en ligne أي التي تتم عبر الفضاء المعلوماتي كالدراسة او ما يطلق عليه الشات. وكذا إلزام الإنترنت Net compulsion وهو نوع آخر من الإدمان كالمقامرة أو الشراء عبر الإنترنت بالإضافة الى نوع آخر هو الإفراط بالمعلوماتي مثل البحث عن المعلومات الزائدة عن الحد عبر الإنترنت ، او ما يمكن ترجمته ب la Surcharge d'information، و النوع الاخير إدمان ألعاب الكمبيوتر الزائد عن الحد la dépendance des jeux vidéo.

أما أعراض حالة إدمان الإنترنت فتشمل عناصر نفسية واجتماعية وجسدية، تؤثر على الحياة الاجتماعية والأسرية للفرد. وقد أظهرت العديد من الدراسات أن تلك الأعراض النفسية والاجتماعية لإدمان الإنترنت تشمل الوحدة، والإحباط، والاكتئاب، والقلق، والتأخر عن العمل، وحدثت مشكلات زوجية وفقدان للعلاقات الأسرية الاجتماعية، مثل قضاء وقت كاف مع الأسرة والأصدقاء.

و الأعراض الجسدية تشمل التعب والخمول والأرق، والحرمان من النوم، وآلام الظهر والرقبة، والتهاب العينين. وعلى وجه الخصوص فإن زيارة المواقع الإباحية يؤدي للإثارة الجنسية والكبت الجنسي وظهور العديد من المشاكل الاجتماعية والأسرية. هذا بالإضافة لمخاطر الإشعاعات الصادرة عن شاشات أجهزة الاتصال الحديثة، وأيضاً تأثير المجالات المغناطيسية الصادرة عن الدوائر الالكترونية و الكهربائية.

2.4.3- العائلة و الانترنت:

لعمد طويلة ظلت الاسرة، المسجد، المدرسة و بعض وسائل التنشئة الاجتماعية الكلاسيكية الاخرى ، تلعب دورا اساسيا في تكوين مذارك الانسان، وتساعد على تشكيل نسق القيم التي يتمسك بها و تحدد ملامح ثقافة الانسان، و مفومات سلوكه الاجتماعي، بما فيها العلاقات الاسرية كونها الكاشف و الحامل الرئيسي للثقافة.

اما اليوم فقد انتقل الجزء الاكبر من هذا الدور الى شبكة الانترنت و الهواتف الذكية و الالعاب الالكترونية، مما فتح الباب امام انماط من التواصل الافتراضي، الذي حل محل الحوار و المحادثة بين افراد الاسرة، و توسيع الفجوة بين الاجيال و تكريس الصراع بين الابناء و الاباء.

لا نستطيع انكار فضل التكنولوجيا في عصرنا الحديث؛ حيث إنها سهلت كثيرًا حياتنا اليومية وجعلتها

¹يونغ كيميرلي في كتاب الاثار الاجتماعية للشباب على الانترنت دراسة ميدانية على عينة من مقاهي الانترنت، اعداد محمد وجيه عبد المجيد و وجدي شفيق عبد اللطيف، دار و مكتبة الاسراء، مصر، 2006

مُيسرة؛ فالفرد يستطيع أن ينجز الكثير من الأعمال في أوقات قليلة، وبسرعة فائقة، كما أنها جعلت العالم مفتوح على مصرعيه امام المستعمل ؛ حيث إنك تكون في أقصى الشمال، ومن الممكن أن تتصل بشخص في أقصى الجنوب، وفي نفس الوقت ان هذه التطورات التكنولوجية افرزت تفاعلات جديدة للعلاقات على صعيد الاسرة ربما تكون ادت الى تعزيز العزلة و التنافر بين افرادها.

لكن السؤال المطروح هنا؛ هل فعلا الانترنت هو السبب المباشر لبرودة العلاقات في الاطار الاسري، وهل تكنولوجيا العصر مطرقة الزمن على جدران العلاقات الاسرية كما يرى البعض ؟ لأنه في الواقع الصراع او الفجوة بين الابناء و الآباء ليس وليد اليوم و لا بعد انتشار خدمة الانترنت داخل البيوت.

يشكو الكثير من الأبناء أن صوتهم غير مسموع، وليس مساحة كافية ومتسع من الوقت للتعبير عن انفسهم داخل الوسط الاسري، أما الآباء فيتهمون أبناءهم بالسطحية والرفض المطلق لآراء الكبار دون الاهتمام بخبراتهم، صراع تقليدي منذ القدم وليس له علاقة بالساعة.

لكن يمكن القول ان مع انتشار التقنيات الحديثة ودخول الشباب عالم الإنترنت والهواتف المحمولة التي أسقطت كل الحواجز أصبح الأمر أكثر تعقيداً، لذلك قد تكون تلك التقنيات قد ساهمت في اتساع وتعميق هذه الفجوة بين الأجيال التي كانت موجودة اصلا.

لان الأجيال الكبيرة و قدرتهم على التعامل مع الكمبيوتر والإنترنت والوسائط الحديثة للاتصال أقل بكثير من أبنائهم والأجيال الحديثة وهذا ما يجعلهم غير قادرين على متابعة انشغالات و اهتمامات أولادهم مما يجهل كل طرف يشعر إن الفجوة زادت، وظهور الاغتراب ليس في اختلاف وتباين في المعلومات ومصادر المعلومات، ولكن أيضاً الشعور بالاغتراب في الوسط الذي يعيشونه. وهذا الاحتمال الاول.

اما الاحتمال الثاني، فهناك الكثير من الاباء و بسبب انشغالاتهم خارج البيت، من الصعب عليهم فتح قنوات للحوار و نقل تجاربهم ومعارفهم الى الابناء مما يجعل هؤلاء في ظل قلت الحضور المادي و النفسي للولدين، يبحثون عن مصادر للمعلومات و ما اسهل ان يستقوها من الانترنت.

الاحتمال الثالث ليس بعيدا كثيرا عن الثاني، يتمثل في الصعوبات و الحدود في الحوار بين الابناء و الاباء بالرغم من وجوده، بحكم العرف و الحياء فهناك طابوهات يستحيل على الاباء فتحها مع الابناء، و يرفضون بتاتا التحدث عنها، و لا يتصلون منها بطريقة تكتيكية، كما يتعذر عليهم الاجابة عنها بطريقة ذكية، بل تكون احيانا جارحة للسائل. حاجات كهذه يبقى الانترنت هو السبيل السهل لتلبيتها.

وهكذا يحل الإنترنت محل الأهل ، ليجدوا فيه متعة لا يجدونها في الحوار مع الأهل و معارف تعذر على الوالدين ايصالها.

وفي حين استبدل الأبناء آباءهم بالإنترنت كمصدر للمعلومات فقد فقدوا معه الترابط الأسري والتصقوا بالحوار مع غرباء في الفضاء الواسع. فتنطور المشكلة عندما يفقد الأب المرجعية و لا تستطيع الأم مواكبة حاجات ابنائها الثقافية. هذه الوضعية من أبرز الأسباب التي أدت إلى حالة الفتور في العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة الواحدة، وتهميش دور الأسرة في أداء رسالتها وتقليصها بصورة كبيرة، و لذلك نلمح شكلا جديد للصراع بين الأجيال فرضته التقنية الحديثة، يطفوا على السطح، بين جيل يبحث عن المعلومة في أي مكان، وجيل يخشى ما يجهله، وليس الرفض والرقابة هي الحل ولكن زيادة مساحة الحوار ومحاولة الكبار الاقتراب من ذلك المجهول.

4-الوسائل السمعية البصرية و الهوية الثقافية:

ان تطور المجال السمعي البصري في القرن العشرين، رافقه تطور في المجال العلمي طال ايضا العلوم الانسانية و الاجتماعية كالأنثروبولوجيا، السوسيولوجيا، وعلم النفس التحليلي. و التي جذدت الكثير من المقاربات الانسانية، خاصة تلك التي تهتم بدراسة الهوية.

فعلى مستوى مقاربات الجماعية او الاجتماعية، ظهر العمل المبكر لاوغست كونت Auguste Comte و هربرت سبنسر Herbert Spencer ، كعلم نفس جماعي و مقارنة جماعية. يقترح أدوات و مصطلحات و مناهج لدراسة الظواهر الجماعية كالهويات التي اعتبرت انها تقوم على قوانين خاصة و ليست مجرد احساس فردي.

ان تصورات الهوية التي خلصت اليها مجهودات الانثروبولوجيا و السوسيولوجيا هي كيفية بناء الهوية الفردية و الهوية الجماعية في مجتمع ما. مع تفسير علاقتها بالذاكرة الفردية و الجماعية و صنع التاريخ. ففي هذا المجال؛ موريس هالبواكس Maurice Halbwachs قدم الكثير لفهم التحولات في القرن العشرين، وعليه فالهوية من وجهة نظر السوسيولوجيا و الانثروبولوجيا مرتبطة من جهة بالذاكرة الاجتماعية كما في دراسات موريس هالبواكس Maurice Halbwachs و آخرون و مرتبطة من جهة اخرى بالتراث كدراسات جون دافالون Jean Davallon .

اما على مستوى المقاربات الفردية خاصة التحليل النفسي التي واكبة بديات المجال السمعي البصري كانت من خلال الترتيب الكرونولوجي لمؤلفات فرويد Freud، التي حاول من خلالها ايضاح كيفية فهم المشاعر الاكثر خصوصية التي تعتمد على اللاشعور، والى اي حد تؤثر على السلوكات الفردية و الجماعية.

ففي قاعات السينما المظلمة، امام الشاشة اين يبقى المشاهد معزولا امامها، و عندما يمضي ساعة او عدة ساعات امام التلفزيون فهذا معناه ان التقمصات تتغير طبيعتها. اما الهوية التي تتطور من خلال الوسائط الاعلامية لاتشبه تلك التي تطورت من خلال الكتابة و السرد الشفهي.

1.4- فرويد Freud و عصر الاتصال الجماهيري:

بدأ فرويد Freud في الكتابات حول الهوية و التقمص -كما ذكرنا في فصل الهوية - خاصة في الجزء الاخير من حياته من 1910 الى 1939 اذن في ظروف و عصر متقدم نسبيا من التقنيات اليومية في مجال الاتصال الجماهيري، فمؤلفات فرويد الاخيرة ك"علم النفس الجماهير و تحليل الانا" *psychologie collective et analyse du moi* نشرت في اطار تقني خاص.

كتب الوليفي برونو في كتابه الهوية و التقمص *Identité et identification* -الذي سوف نرجع اليه كثيرا في هذا الجزء- ان فرويد الناضج لم يعد ذلك التلميذ لشاركو الذي يعالج مرضاه بالتنويم المغناطيسي، فمند 1920 لم يتناول مسألة التقمص و الهوية من خلال الجنسانية الطفلية بل من وجهة نظر علم النفس الجماعي، حيث بدأ بتوسيع مركز تفكيره ابعد من الملاحظة العيادية، وتقديم كتابات تعالج الحشود او الجماهير من زويا متعددة كالدين و الفنون، الثقافة و الانثروبولوجيا هذا المؤلف المعروف بدأ يطور هذا التفكير في القرن العشرين مع الظروف السياسية التي عاشها الغرب في المستوى الاول و مع بداية و نشأة الاعلام السمعي البصري على المستوى الثاني.

في 1921 بدأ الراديو بدخول البيوت وبدأ بملء وظائفه الاساسية، حصص سياسية و اخرى دينية، الثقافة ايضا كانت حاضرة حيث نقلت عبر موجاته لأول مرة من نفس السنة الاوبرا ، وكذلك الحصص الرياضية مع نقل تعليقات مباريات البيزول الملاكمة و التنس. ان مجيء الراديو غير من طرق التقمص، في هذه السنة بالذات كتب فرويد محاولته في "علم النفس الجماهير و تحليل الانا" حيث ظهر فيه محببا امام التحليل العقلانية للسلوكات السياسية الجماعية.

في 1927 نقلت للمرة الاولى صور متلفزة من النسق الاول من نوعه يدعى "الفديو دسك" الذي اخترع آنذاك. فبدأت الصناعة السينماتوغرافية، وفي هذه السنة نشر فرويد "مستقبل وهم" *l'avenir d'une illusion* " مؤلف حاول من خلاله اخذ وضعية المتنبي لمسائل الثقافية و الدينية.

في 1930 تميزت الفترة بصعود كل من موسوليني و ستالين الى السلطة، و اقتراب هتلر منها. بالموازنات بدا التلفزيون بالظهور، اما الراديو في تلك الفترة فقد اكتسح خمسون بالمئة تقريبا من البيوت في الولايات المتحدة، السينما فرضت نفسها ففي هذه السنة وحدها شيدت 200 صالة عرض بسعة

اجمالية 3 مئة الف مقعد. كانت تلك السنة ذاتها التي نشر فيها فرويد "قلق في الحضارة" malaise dans la civilisation" كتاب عبر فيه عن عميق شكوكه حول مستقبل الثقافة التي كبر فيها¹.

ان السنوات التي طور فيها فرويد نظريته حول التقمص الميل للحشود هي تلك التي شهدت تطور سريع و محموم على المستوى التقني في مجال الاعلام السمعي البصري الجماهيري، لاسيما الراديو و السينما المرئية و المتكلمة في تجاربها الاولى حيث بثت الحصص الرياضية المباشرة، المسلسلات، الحصص الدينية، تدخلات وخطابات رجال السياسة، الفن الاوبرالي و الاغاني الشعبية و بدأت بدخول البيوت شيئاً فشيئاً.

1.1.4- السمعي البصري و التقمص (العمودي و الافقي) عند فرويد:

فرويد يشير الى انه منذ الطفولة يمكن ملاحظة اتجاهين للتقمص؛ تقمص في اتجاه عمودي نذكر على سبيل المثال تقمص الام او الاب، الزعيم، النماذج المختلفة، الشخصيات الخيالية او الحقيقية التي تعرضها شاشات السينما او للمشاهير السياسيين، السينمائيين و المغنيين. وهناك تقمص في اتجاه افقي، وهو الذي يجعل الافراد يتقمصون مع اشباههم، اي هاؤلاء الذين يشعرون بنفس ما يشعر اتجاه نفس النماذج ففي الحشد la foule "كل فرد يتقمص كل الاخرين، فالتقمص ممكن بفضل الاتجاهات الموحدة تجاه نفس الموضوع"².

هاذين الاتجاهين مكننا من فهم الكثير عن ظاهرة التقمص المربوطة بالاتصالات الجماهيرية. (الراديو و التلفزيون و السينما) .

و التقمص من منطلق هذا المفهوم يستثمر في علاقة فردية و جماعية، في نفس الوقت عمودية و افقية، عمودياً تخص حب الزعيم، تقمص شخصية معينة، الشغف بنجم مشهور، الانجذاب نحو مقدس معين ...

انا افقياً يجمع كل الافراد اللذين لديهم شعور مشترك الشيء الذي يكون رابط الهوية، فهم يكونون افراد من نفس الجماعة؛ اتباع، معجبين، مؤمنين، هواة.

مع وسائل الاتصال الجماهيري، من الصورة الى السينما، و من الراديو الى التلفزيون. الاشكال المختلفة للتقمص، التي بالنسبة لفرويد Freud لها اصول في الطفولة الصغرى، هي امام احتمالات لا منتهية من البناءات لأنها تتأسس على التكنولوجيا في القرن العشرين.

¹ OLLIVIER BRUNO, identité et identification, sens, mots et techniques, Lavoisier, Paris, 2007, p122

² Freud S, 1968. psychologie des foules et analyse du moi, Édition Payot.

2.4- عصر السمعي البصري هويات و ثقافات ترى و تسمع:

ان التحولات التي حدثت في القرن العشرين هي ذات طبيعة مختلفة من تلك التي طبعت سابقا تاريخ الاتصال، و تاريخ الهويات و التماهي و كل النظريات التي تأخذها بعين الاعتبار.

رأينا كيف طرح فرويد Freud شبكات و نظريات جديدة لضبط هذه الظواهر، لان التراكم السيميائية و التقنية المتصلة بالسمعي البصري، تجعل التماهي او التقمص يأخذ اشكالا متعددة معه.

وسائل الاعلام التي شغلت دورا رائدا في النصف الاول من القرن العشرين هي الصورة الفوتوغرافية، السينما، الراديو و التلفزيون. لكن ما هي التغيرات او التحولات التي تحدثها في بناء الهويات؟

كبدية يجب علينا تحديد النقاط الكبرى التي تتحكم في هذه التغيرات: كخاصية اولية للسمعي البصري ذات ارتباط بنمط منكل او جماعي من المستقبلين له فمواده تبتث على الهواء لتلتقطها الجماهير، كما ان الوصول اليها سهل ولا يحتاج الا لتلفزيون و جهاز تحكم، اي ان التصورات و الهويات ككل تتداول من خلال السمعي البصري بالمعنى الكمي و بصورة اسرع لذلك فانعكاساتها اقوى فعندما نتحدث عن الاتصال الشفهي مثلا و الذي هو ايضا مصدر لنقل التصورات، فنتأجه اقل لان استقباله محدود اذا يجب ان يكون المتكلم و السامع معا، في نفس الوقت و نفس المكان، اما الاتصال الكتابي يجب ان يكون المتلقي متقنا للكتابة و مستعدا لتكليف نفسه عناء القراءة.

وعليه فتوسيع العينة المستهدفة للاتصال، و الامكان او الاحود بالإضافة الى فورية النقل او الارسال، هي الخصائص المشتركة لهذه الهويات التي تنتقل و تنتشر عبر السمعي البصري، بعكس الهويات و الثقافات التي تعتمد على الكلمة الشفهية او المكتوبة، و هذا ما يجعل الثقافة عبر السمعي البصري تنتقل بشكل اسرع و اوسع، و هذا ما ينطبق على جمع الجوانب المكونة للهوية الثقافية سواء تعلق الامر بجانب الإيديولوجي، السياسي، الفني ...

اما الخاصية التالية، بعد القابلية للانتشار و الفورية و اللاحودية للهويات التي تنتقل عبر السمعي البصري، هناك الصورة و الصوت وهي مؤشرات سوف تبني الهويات في عصر السمعي البصري اساسا سمعية و بصرية و عليه فسيرورتنا التقمص التي تحدث عنهما فرويد Freud و التان تترسخان على الصورة و الصوت.

ف نجد التقمص العمودي identification vertical لكل الافراد على القائد، المسير او الشخصية المشهورة في السينما و التقمص الأفقي identification horizontal الذي يربط المتقمصين لنفس

الشخصية مع بعضهم البعض و اعطائهم احساس بالانتماء لنفس الجماعة. لاحظ فرويد ان السيرورات السياسية و النفسية في فترة ما بين الحربين العالميتين قد عممت مع انتشار السمعي البصري¹.

3.4- السمعي البصري، وسائل للتقمص:

كما رأينا، بالنسبة لفرويد Freud القصص او السيناريوهات و نجوم السينما يشكلون وسائل لتحمل الضيق، و من هذا المنطلق فان السينما و التي هي فن في تمام الانطلاق و الهروب من الضيق. فكتب فرويد Freud ان السينما تمكن المشاهدين من نوعين من التقمص.

يوضحها برونو اوليفي Bruno Ollivier في كتابه "الهوية و التقمص، معاني، كلمات و تقنيات": بطبيعتها، السينما تفرض على المشاهدين في البداية تقمص اول او مبدئي من وجهة نظرها، فالمشاهد يرى ما تزيه اياه الكاميرا فيعجب بالشخصية التي تحدها السينما و هذا المستوى الاول من التماهي هو مشترك بين كل المتفرجين.

اما المستوى الثاني من التقمص التي تستحدثه السينما للمشاهد او التقمص الثانوي يعتمد اكثر على علاقة المشاهد بالوضعيات و ظروف القصة التي يراها، و بالتالي يتقمص شخصيات اخرى حسب العوامل السردية للقصة من خلال البروفيل او الملامح التي تكون الشخصيات و الظروف التي يتعرضون لها وهذين المستويين يدخلان ضمن التقمصات العمودية.

وفيما يخص المستوى الثالث، كل التقمصات السابقة يمكن ان تنتج عنها ما دعاه فرويد Freud بتقمصات افقية identifications horizontales فالمشاهدون الذين يتماهون مع نفس الشخصية و الذين من الممكن ان يحولوا هذا التماهي الى الممثل نفسه بدل الشخصية التي يمثلها يمكن ان يصلوا الى هذا النوع الافقي من التقمص الذي تنتج عنه هوية جماعية يتقاسمونها مع باقي المتفرجين، ومن هنا نفهم لماذا حظيت السينما بهذا النجاح خاصة عندما تسرد قصصا، تقدم عناصر سردية، ملامح لشخصيات و احداث تجعل المشاهدين يتماهون معها.

ولعله منذ اختراع التلفزيون كانت الحصص الاكثر نجاحا هي الحصص الرياضية و بث المقابلات التي تمكن المتابعين من التماهي الاول و الثانوي و التي تسمح فيما بعد بالتماهي الافقي² (مثلا الانتماء لفريق المشجعين للفريق).

فهذا النوع من التماهي الاول يكون عندما يرى المشاهد بعين الكاميرا الحركات التي يقوم بها

الابطال على الملاعب، كما يتماهي افقيا مع كل من يشاهدون نفس الفريق و يحبون و يتماهون مع نفس البطل.

¹ اوليفي برونو، نفس المرجع السابق، ص131

² OLLIVIER BRUNO, identité et identification, sens, mots et techniques, Lavoisier, Paris, 2007, p150

اما التماهي الثانوي في هذا المثال فيكون عندما يتم التماهي على مستوى الابطال او الفريق ككل بمساعدة الظروف التي تحبك قصة الفريق كالمجهودات المبذولة، شدة الاحتمال و المقاومة بالإضافة الى النجاح و الفشل فهنا التماهيات الاولية نحو الفريق او البطل لكل مشاهد على حدى سوف ينتج عنها تماهي ثانوي الذي تسفر بكل سهولة عن مجموعة من الظواهر التي تمس الحشود و الجماهير، كالتقاءات الفزيائية في نفس المكان و نفس الوقت كالملاعب. كما نراهم يحتفلون في الطرقات، يتابعون المقابلات، يحتشدون حول شاشات كبيرة في الشوارع لمتابعة المباريات معا.

اذن فمند البداية منذ بداية وعي الانسان تشكل الوسائل السمعية البصرية و على رأسها التلفزيون مناسبات متعددة للتقمص او التماهي، لذلك فالاختلاف في التنشئة الاجتماعية يكمن ايضا في نوع البرامج التي تمر عبرها الايديولوجيات و الثقافات.

4.4- السمي البصري، وسائل للانتماء بالصوت و الصورة:

مع وسائل السمي البصري خاصة التلفزيون استطاع الانسان لأول مرة ان يرى و يسمع في نفس الوقت مع الآخرين حتى لو كانوا في بقاع مختلفة من العالم، ولذلك فالشعور بالانتماء و سيرورات التقمص بالمعنى الفرويدي يجد اذن هنا اساليب جديدة للبلورة elaboration و الارسال transmission.

يدكر برونو اوليفي Bruno Ollivier مثلا عن هذه النقطة بالذات في المجال السياسي حول صورة القائد، شكله، طريقة لباسه و كلامه (لهجته و وتيرة خطاباته) كلها نقاط اساسية لترسيخ التماهيات و التقمصات. لذلك تعمل النظم على تحقيق هذه الاحتمالات من خلال تجميل صورة الرئيس المادية و المعنوية. فهم يطورون منذ القرن العشرين مذاهب للشخصية ترسوا على التقمص الجماعي لشخصية القائد او الرئيس. و صورته يمكن ان تظهر من خلال صورة فوتوغرافية، او من خلال السينما، الراديو او التلفزيون.

اما في الماضي فالصورة الوحيدة للقائد الموجودة عند عامة كانت على قطع او اوراق نقدية ربما يمكن اعتبارها الوسيلة الوحيدة التي تنقل صورته بين ايادي كل افراد الشعب. و على نحو مفاجئ تظهر صورة الوصي و يسمع صوته في كل البيوت، صوت روزفلت، ستالين، موسوليني و ديغول...

اصبح الزعماء دعائم محتملة للتقمص، يلجون كل البيوت عن طريق شاشات التلفزيون. في السمي البصري كل شيء مبني على الصورة و ما يرى لا يحتاج لدليل فنحن نرى "الحقيقة" التي تصورها الكاميرا.

اما النتيجة الثانية للسمعي البصري التي يمكن ادراجها تحت هذه النقطة، انه لأول مرة الجماعات الاجتماعية، الاثنية و الدينية يمكنهم رؤية و سماع بعضهم مع بعدهم عن بعضهم، ان السمعي البصري يسمح بتطوير مشاعر بينهم و مطالب في توحيد الهوية، مما يلفت الانتباه لبعض مكونات الهوية كتوحيد اللغة و العادات.

ومن جهة اخرى، و بما ان الامر متعلق بالصورة، نرى حاليا المتشابهات و من الامور و المختلفات منها . السينما في المكسيك مثلا، تحافظ على نمط اللباس المكسيكي و الوجوه النمطية وهذا ما يسمح ببناء هوية وطنية مكسيكية و هذا ما يسمى بالنمط الظاهري le phénotype اي مجموع الخصائص الظاهرة المشتركة بين الافراد (لون البشرة، شكل الوجه...) اما الازياء فهي في الترتيب الاول. ومن هذا المنطلق وسائل السمعي البصري تسمح بظهور و تطور المشاعر الطائفية المبنية على لون البشرة و طريقة الكلام.

بشكل جوهري يمكن الاشارة في هذا الصدد حول طريقة الكلام و لون البشرة الى سنوات الخمسينات و بالتحديد 1950 في الولايات المتحدة الامريكية، مع بداية تطور المطالب ذات العلاقة بالهوية الغير مبنية على التقارب الجغرافي بل على الشكل الخارجي، طريقة الحديث و الممارسات الثقافية، اذن ففي وقت سابق كانت الجماعات تتعرف على نفسها وتتحدد من خلال مؤشرات بصرية و سمعية، و عليه هذه التحديدات للهوية لم يكن في الامكان فهمها و تفعيلها الا بتطور الصورة السينماتوغرافية في البداية، وكخطوة ثانية صناعة الانتاجات الثقافية (السينما، الاغنية، التلفزيون، الراديو) فهذه الاخيرة سوف تخاطب كل من هذه المجموعات بطريقة استهدافية بحيث تظهر لهم افراد لديهم نفس الخصائص التي لديهم¹.

في الحقيقة، ان الشعوب الأفرو-امريكية و كذا الهنود الحمر الامريكيين كانوا موجودين قبل السمعي- البصري، و لكن بواسطته طوروا مشاعر انتمائية مشتركة على مستوى القارة لانهم و اخير استطاعوا المشاهدة عن بعد، بعضهم البعض و وضع انفسهم تحت نفس الممارسات الدينية، الثقافية و الموسيقية...

هذه المطالبات ذات الاتجاه الهويي بدأت بالتطور منذ 1950 بأشكال جديدة طاغية من السمعي البصري الى زمن ظهور الشبكات منذ التسعينات و التي اعطت لهذه المطالبات امكانيات جديدة.

¹ برونو اوليفي، نفس المرجع السابق ص 153

5.4- هويات و ثقافات مرئية و مسموعة عبر السمعى البصري:

يسمح المجال السمعي البصري بتطوير سيرورات لبناء هويات مبنية على مؤشرات مرئية و صوتية في اطار نطاق التغطية الاستقبالية، و التي هي في البداية محلية او جهوية ثم وطنية قبل ان تصبح على مستوى الكوكب بأكمله مع شبكات الاقمار الصناعية.

ان النسق الإرسالي للمجال السمعي البصري يقوم على مبدأ الكل يرى و يسمع نفس الشيء في نفس الوقت، و هذا يرتبط ارتباطا مباشرا بالسيرورات التي وصفها فرويد Freud في بداية القرن العشرين وهي التقمصات العمودية و الأفقية اي اننا نتماهي مع من نراه، و مع من يتماهون معه ايضا.

وعليه اذا كان هذا هو المبدأ و كنا نتماهي مع من نراه، فهذا معناه اننا نتقمص ايضا افعاله و ما يقوم به، وهذا يؤدي بطبيعة الحال الى حدوث تحولات في معنى كلمة الهوية.

اذن فالهوية سوف تفهم منذ 1950 كمارسات ثقافية، وهذا المعنى المضاف، يضاف دون ان يحل محل التعاريف الاخرى و هذا ما يفسر تعدد المعاني الآن في مفهوم الهوية، وعليه فاحترام الهوية اصبح احترام للممارسة الثقافية للفرد او للجماعة سواء تعلق الامر بممارسة ثقافية دينية، فنية، طريقة اكل او لباس او حديث.

يرى برونوا اوليفي ان "احترام الهوية" ليس له اي معنى اذا نظرنا اليه بالمفاهيم الكلاسيكية للهوية (الهوية الوطنية كسيرورة تاريخية) او بالمعنى الفرويدي (الهوية كسيرورة تبدأ مع الانفصال عن الام)، فهي محرك للحوار السياسي في الوقت الذي نعتبرها معادلة للممارسة الثقافية. وهذا ما يجمع افراد الجماعة، وينمي احساسهم بالانتماء، فالممارسة الثقافية يمكن ان تسمع عبر الراديو او ترى عبر التلفزيون كارتداء لباس معين يعكس الثقافة او طبق خاص باهل المنطقة، او يمكن ان تكون تسريحة للشعر او طريقة للحديث كل هذه الممارسات تضع مسألة الهوية في الواجهة.

اذن فالسمعى البصري -اذا نظرنا له من هذه الزاوية - يلعب ادوارا مختلفة، فهو يعرض اشخاصا يتكلمون مثل جماعتي المرجعية، وبهذا المعنى فاللغة التي يتحاثونها على الشاشة او اي كان من وسائل السمعي البصري هي عامل مساعد على التقمص. و يمكن ان تعرض ايضا اشكالا لغوية خاصة او استثنائية كلهجات الشباب، لهجات اجتماعية محلية او وطنية او حتى لغات مضطهدة و مقموعة. وسائل الاعلام تخرج كل انواع هذه اللغات و اللهجات خارج المجال الذي تستعمل فيه و الخصوصية اللغوية التي تظهرها هذه الوسائل، تطرح مسألة الاختلاف الهويى.

كما تطرح مسألة التشابه ايضا، بحيث يمكنها ان تظهر للعيان و تسمع الآذان اشخاص يفكرون،

يتحدثون و يلبسون مثلي و بهذا المعنى تظهر و سائل السمعي البصري شرعية ممارساتي الثقافية و تعطيها وضعية الهوية، فهي تلعب دور المرآة.

وفي الاخير يمكن القول ان الوسائل السمعية البصرية تعطي للأفراد فضاء زماني يمكنهم من الاسقاطات المختلفة، فهي تطرح قصصا تجعلهم يتقمصونها، و من هذا المنطلق فالسينما، الاخبار، الرياضة و المسلسلات، وحتى برامج الواقع télé-réalité تقدم بطريقة مستمرة قصصا للتماهي. في القديم و حتى القرن العشرين، كان هناك ما يمكن تسميته "القصص الكبيرة" كالماركسية مثلا، و التي اقترحت انساقا تفسيرية للعالم و التي كل كان يجد فيها ضالته، مكانته و هويته. اما الآن هناك نقص في تأثير وهيمنة هذه "القصص الكبيرة"، التي حلت محلها "القصص الصغيرة المجزأة"¹ التي تقترحها وسائل الاعلام، و التي يمكن استثمارها من طرف الجماهير كمواد للهوية حسب سيرورتي التماهي الالفية و العمودية، ومن هنا فان المشاهير او النجوم الغنائيين "كستار اكاديمي"، او الرياضيين، او السينمائيين هم حوامل للهوية، لكنهم قاصرون وغير قادرين على اعطاء معنى شامل للعالم على عكس "القصص الكبيرة"، ولكن على الرغم من ذلك نتقمصهم و نتماهي مع من يتقمصونهم.

6.4- تطورات السمعي البصري و طروحات الهوية:

وضحنا سابقا، كيف ان الهوية مع السمعي البصري، اصبحت متصلة اكثر بما يرى و ما يسمع في القرن العشرين، وكيف انها اصبحت اكثر و اكثر تعرف على اساس الممارسات الثقافية و ليس على الاصول او مكان الاقامة. فمند 1990 ومع الشبكات و التدفقات، تشتد النقاشات حول الهوية.

التحولات التي ظهرت منذ سنوات التسعينات، اربكت الممارسات و الحوارات التي لها علاقة بالهوية كما غيرت استراتيجيات التقمص. فنحن اليوم امام تدفق سريع للمعلومات المسموعة و المرئية وبدون مواعيد محددة كنشرة اخبار الثامنة على سبيل المثال و انما بطريقة مستمرة لامتناهيته. فاليوم هناك قنوات مختصة للأخبار و اخرى للمنوعات 24 ساعة على 24 بالإضافة انها صالحة لإعادة المشاهدة حسب الطلب.

هذه الوسائل الارسالية، يمكنها ان تبعث بنماذج، اوامر و معالم للهوية ابتداء من مراكز انبعاثها، فمثلا الراديو مكن من خلق ما يسمى ب"القبائل الصوتية" او الجماعات المتناثرة على الاقاليم المستقبلية للإذاعة، فهم يلتقون مجازيا في الحصص الغنائية او الحوارية، فهم يتعارفون ففيمما بينهم لانهم يستمعون لنفس القناة و نفس نوع البرنامج المعروف فيها، كما لو انها هوية تجمعهم.

¹Xavier de la Vega, Jean-François Lyotard (1924-1998) - La fin des grands récits, cinq siècle de la pensée française, sciences humaine,num06, octobre-novembre 2007

اما التلفزيون يرسلنا من جهته الى جماعات ثقافية، دينية، اثنية. صورة مرئية تلعب دور المرآة كما اسلفنا. فقد سرعت عملية الوعي بالخطوط المشتركة التي يتقاسمها افراد الجماعات و في هذا الصدد ذكر اوليفي Olivier مثالا عن السود الامريكيين.

لقد عدلت التحولات الحاصلة على مستوى النماذج الارسالية التلفزيونية منذ سنوات من التلفزيون عن طريق الكابل الى التلفزيون الفضائي بالاقمار الصناعية العلاقة بين التلفزيون و الهوية. اما الانترنت فهو عالم افتراضي يمنح لكل فرد عالم متوافق مع تقمصاته وهذه العلاقة و التحولات في مجال السمعي البصري هو ما سوف نحاول شرحه في العناوين اللاحقة.

1.6.4- تلفزيون الكابل la télévision câblée و الهويات :

ان التلفزيون بالكابل يتموقع في نصف المسافة من نسق الشبكات، فقد وفر امكانيات جديدة في الحديث عن الهوية، بتجزئة الجمهور، بتك التلفزيون العام او الذي يخاطب كل المواطنين. التلفزيون الكابلي يختار أهدافا غير محدودة، فهي تطرح نقاشا اكثر حول مسألة الهوية الوطنية. فالتلفزيونات الوطنية تخاطب كل مواطني البلد. فالنقطة المشتركة بين مشاهديها هي المواطنة، فالهوية المطروحة هنا بشكل صريح او ضمني هي الهوية الوطنية التي يشترك فيها كل مشاهديها¹.

لكن الوصول الى ما يسمى بالتلفزيون الكابلي، الذي يوفر ما بين ثلاثين و الف برنامج حسب الطلب، يمكنها تحديد جماهيرها من خلال تخصيص حقوق المشاهدة لمن يشتريها، ولكن هذا التغيير في النسق مقارنة بالنسق الاول اي التلفزيون الوطني له نتائج الظاهرة على مفهوم الهوية. فالجمهور يمكنه مشاهدة قنوات متخصصة، فهناك قنوات للموسيقى، واخرى مخصصة للجنس، واخرى للديانات، و اخرى للسباقات (السيارات، الخيل...)، لذلك فالجمهور لم يعد يشترك في البرامج التي يشاهدها على عكس التلفزيونات الوطنية التي كانت تعمل عمل المرآة بالنسبة للمشاهد ليرى نفسه و يرى ايضا من يشبهونه وهذا ما كان يعزز الهوية الوطنية، لذلك فالتلفزيون بالكابل اعن نهاية التعزيز التلفزيوني للهويات الوطنية. بل تعزز و بكل بساطة الاهتمامات الخاصة سواء كانت دينية، رياضية، موسيقية، جنسية...

وعليه ادى التلفزيون الكابلي الى تشتيت الجمهور وانغماسهم في اهتماماتهم الشخصية المختلفة من متفرج الى آخر مما ادى الى اختفاء البث العاكس للهوية الوطنية الموحدة و المرآة التي كانت يوما ما ممدودة للجمهور لكي يرو افرادا من نفس المجتمع يشبهونهم و يعبرون عنهم بحكم هذا الشبه.

¹ THIESSE ANNE-MARIE, La création des identités nationales, paris, le Seuil, 1999.

2.6.4- التلفزيون الفضائي (الاقمار الصناعية) والهويات:

ان التلفزيون الفضائي شكل آخر من اشكال البث الواسع، فالدخول في عصر الاقمار الصناعية غير بشكل عميق كفة الرسائل التي اكتسبت امكانية جديدة وهي الانتشار الواسع و الفوري على مستوى كوكب الارض بأكمله.

ان الهوائيات المقعرة التي تلتقط اشارات الاقمار الصناعية و الشبكات قد هيكلت من جديد نظريات الهويات. فكل حدث في اي منطقة من العالم يمكن ان تكون له ارتكاسات و نتائج فورية في اماكن متعددة و غير متوقعة.

هذه التحولات اصبحت حساسة في سنوات التسعينات اي مع تطور السمعي البصري، ومع اعتبار الهوية -كما اسلفنا- ممارسة ثقافية وربطت بمفهوم احترام الهوية اي احترام الممارسة الثقافية. وهنا بدأت الصراعات المرتبطة بالهوية تأخذ منحى العنف.

ذكر برونو اوليفي مثالا حيا حول الارهاصات الاولى لهذه التحولات و الصراعات التي زادت بها وسائل السمعي البصري حدة، حيث كانت بدور الصراع في لندن اين نشر سلمان رشدي¹ رواية باللغة الانجليزية تحت عنوان "الآيات الشيطانية" "the satanic verses" في سبتمبر 1988 بواسطة ناشر انجليزي، القصة الخيالية تذكر نبي الله اسمه ماهوند او محمود الذي يقحم في كتاباته نصوص مقدسة و اخرى شيطانية، منعت هذه الرواية بعد شهر من صدورها في الهند و في افريقيا الجنوبية، و بأسلوب اثار ضجة كبيرة وفي ايران صرح اية الله الخميني، عبر ترددات الراديو بطهران ان من واجب مسلم القاء الحد على سلمان رشدي وناشري الكتاب، وعرض ثلاث ملايين دولار لمن يقتله و ان هذه الفتوى سارية المفعول الى الابد.

ان الامثلة من هذا النوع كثيرة ومنها صور مسيئة للأنبياء و الاذيان على غرار حوادث الاساءة المتكررة للنبي محمد (صل الله عليه وسلم) و ردادات الفعل التي تتبعها، وعليه لا يمكننا ان نفهم هذا التسلسل في الأحداث دون الأخذ بعين الاعتبار ابعادها المتصلة بالهوية، وابعادها المتصلة بالتقنيات السمعية البصرية و الاعلامية. فجزء من المجتمع الاسلامي شعر بهويته تهان.

الاعلام الفضائي يمكنه تأجيج الصراعات حول الهوية و العنف بسرعة فائقة، ان الارسل عبر الاقمار الصناعية ووصولاً الى شاشات التلفزيون او الكمبيوترات هو الذي يؤدي الى التظاهر وكل ما ينجر عنها من عنف، وليس كتاب من ورق ليس منشورا في الدول التي حدثت فيها ردادات الفعل.

¹ سلمان رشدي كاتب بريطاني دو اصل هندي صاحب رواية مثيرة للجدل سنة 1988 معنونه ب "الآيات الشيطانية".

في سنة 2005 ايضا نشرت كاريكاتيرات مسيئة لرسول المسلمين محمد (صل الله عليه وسلم)¹ اثارت احتجاجات وسط الشعوب الاسلامية ومشاكل دبلوماسية وكذا مقاطعة اقتصادية مرورا بمظاهرات عنيفة خلفت عدة قتلى، و توالى هذه الإساءات في حوادث اخرى في السنوات الاخيرة.

هذه التفاعلات التي توالى، تعتبر كردود فعل على الهجوم ضد الهوية الاسلامية. وقد تجاوزت هذه التفاعلات مدى الجرائد و المجلات التي نشرت الكاريكاتيرات، التي لم تنتشر الا في بعض الدول، ولكن التصريح عنها عبر الوسائل السمعية البصرية، حتى وان لم تظهر هذه الرسوم عبرها الا ان مجرد التصريح كان كافيا لنشوب ردود افعال قوية.

اذن فالأقمار الصناعية ومعها الشبكات الاعلامية، غيرت شكل البث للهويات و الحديث عنها، انها الاقوى على الاطلاق لان كل ما يكتب وكل ما يرسم، وكل ما يصور من افلام وثائقية و سنيماية و اخبار يمكنه ان يمس الكرة الارضية جمعا.

بمعنى آخر لم يعد الامر متعلق لا بكتاب حقيقي ولا برسوم حقيقية فقد فقدت ماديتها لم يقرئها احد بشكل ملموس ليكون عنها فكرة و انما نرها بمنظور وسائل الاعلام على نطاقات شاسعة و يمكن ان تصبح في الكثير من الاحيان ايقونات سب للهويات وهذا ما يفسر تهافت الانظمة على امتلاك الاعلام. انها قوة الاعلام و هيمنتها.

هذه الصراعات حول الهوية تذكرنا بظاهرة وصفها عالم الاجتماع الامريكي روبرت كنج مارتون Robert King Merton منذ 1950، في دراسته حول الشبكات المؤثرة في مدينة نيوجرسي، حيث توصل الى ان هناك نوعين من الزعماء.

النوع الاول منهم له تأثير يسميهم عالمي النزعة Cosmopolites ، لديهم نقاشات ذات توجه عالمي، يربطون نجاحاتهم بثقافتهم العامة و معرفتهم بالعالم، ويطورون هوية مبنية على فضاء عالمي.

النوع الثاني الذي له تأثير ، يسيرون مدنهم بصفة خاصة مارتون Merton يسميهم محليي النزعة Autochtones ، يعملون على معرفة كل افراد المدينة ومنهم يستمدون اسس هويتهم، و بالتالي يطورون هوية مبنية على فضاء محلي.

هذان النوعين من الزعماء لديهم ادوار مختلفة، وجهات نظرهم و اسس هويتهم ايضا مختلفة، وعليه فالتسارع في التطور الذي شمل وسائل النقل و وسائل الاعلام و الاتصال لم يعمل منذ ذلك الا

¹ هي رسوم قامت صحيفة يولاندس بوستن الدانماركية بنشرها في 30 سبتمبر 2005. حيث نشرت 12 صورة كاريكاتيرية للرسول محمد بن عبد الله، وبعد أقل من أسبوعين قامت الصحيفة النرويجية Magazinet والصحيفة الألمانية دي فيلت والصحيفة الفرنسية France Soir و صحف أخرى في أوروبا بإعادة نشر تلك الصور.

على تعزيز و تمثين الاختلاف بين من يتكئون على الهوية المحلية و من يطالبون بهوية عالمية. وهذه العملية تحمل في ذاتها بذور الصراع القوي بين الهويات¹ و عليه فالمجتمع الذي تتدفق في الشبكات تخفي و تزول فيه الهوية الكلاسيكية جزئياً، التي كانت تتمحور حول نموذج زمني و مكاني و تحولت الى نموذج جديد يخترق الحدود.

3.6.4- شبكة الانترنت le réseau internet و الهويات:

من جهتها تعيد شبكة الانترنت وبطريقة مختلفة رسم الهوية فيظهر ما يسمى بالهوية الافتراضية.

1.3.6.4- الانترنت و الصور الزائفة او الهويات الافتراضية:

ان الامكانية الجديدة التي جاء بها الانترنت، هي اوصول رسائل مع القابلية للتكرار، كالفنوع الذي كان يوضع في الكرنفالات و الحفلات التكرية. و امكانية الهويات المتعددة ايضاً على الانترنت تمكن الفرد من التكرار قصد التعارف و عيش حالة من الهويات المتعددة.

البريد الالكتروني، المنتديات، الدردشات او الشات هي بامتياز اماكن افتراضية لهذه الصور الزائفة. اين يمكن للفرد تغيير جنسه، عمره، وظيفته وكذا اصله... ان عملية خلق هويات افتراضية سهلة وليس لها حدود، على الاقل في اعين الشخص المستقبل، اما الشبكة و موظفوها يمكنهم دائماً تحديد هوية المستعمل او المبحر على الانترنت l'internaute و طبيعة استعماله، ومن هذا المنظور فان العلاقة الى الهوية وكما يرى رواد التحليل النفسي تغيرت في علاقات افتراضية قدمتها لنا الشبكة التي اصبحت فضاء للحوار و التكرار الهويي.

لعبة الادوار هذه في شبكة الانترنت، تمكن الفرد من الاستثمار على المستوى الخيالي في شخصية اخرى، و التعرف على جماعة في عالم افتراضي حيث يختار كل فرد فيها لاعبين آخرين في لعبة الادوار، شخصيات اخرى مختلفة. وكل لاعب يعرف عن نفسه من خلال اسم مستعار un pseudonyme وكلمة سر يختارهما بحرية و يحدد تحت هذا الاسم المستعار معلومات خاصة كالسن و الجنس... بدون اي ضغوط.

ان الهوية و لعبة الادوار هذه صنعت حولها هي في قلب هذه الوسائل السمعية البصرية و خاصة الانترنت، فمن جهة يمكن للفرد العيش في مدة الاتصال هذه la connexion تحت هويات اخرى، و من جهة اخرى هوية جماعة تتطور افقياً بين اللاعبين الذين يقررون الاستثمار معاً لنفس العالم الافتراضي.

¹ MERTON KING ROBERT, social theory and social structure, in identité et identification, sens, mots et techniques, par Ollivier B

2.3.6.4- الانترنت يوفر لكل شخص عالم مناسب لهويته و تقمصاته:

في هذا النسق الذي يعتبر الاحداث في وسائل السمعي البصري، هناك نوع من اللامركزية، فكل مستعمل يختار الصفحات التي تهمة في الوقت الذي يريد، وفي نفس الوقت يصبح ايضا منتجا للرسائل و الصفحات.

هذه الظاهرة بدأت بشكل محتشم في بداية ظهور الانترنت، مع البريد الالكتروني، ثم المنتديات و الشات، ثم دُعم بعد ظهور المدونات les blogs و بصفة واضحة مع ظهور اشكال التفاعل الاجتماعي عن بعد او ما يسمى بمواقع التواصل الاجتماعي.

وصار من الممكن للمستعمل ان يختار مواضيعه المفضلة، الصفحات و التطبيقات التي تهمة، وكذا محاوريه من خلال خط المعلومات المستمر او ما يرمز له ب(RSS) التي تعني بالإنجليزية Really simple syndication ، بالإضافة الى الاشعارات التي يبرمجها بنفسه كالمدونات كما صار من الممكن ايضا ان يرصد المستعملين الذين لهم نفس نشاطاته او اهتماماته.

ان وجود هذا المجتمع الافتراضي الذي يقوم على قيم متبادلة لأفراد قد لا يتعارفون الا على المستوى الافتراضي، يقوم ايضا على مبدأ امكانية تشكيل كل واحد لهذا العالم حسب دائرة اهتماماته، و التي يمكنه بفضل ادوات تقنية، تقاسمها مع الغير.

وعليه كل مستعمل يمكنه بناء عالمه الثقافي بنفسه و الذي يرتاده على شبكة الانترنت، يرى اوليفي Ollivier "ان هذا العالم هو افتراضي بحكم انه انعكاس لنتيجة اختيارات المستعمل و رغباته لا توجد فيه تناقضات. لان الشبكة يمكنها ان تصل كل الناس من كل الثقافات اذن من هويات متعددة من الناحية التقنية. لكن في الحقيقة هي تنتج تواسلا حقيقيا الا بين الافراد من الجماعات الذين يصنفون انفسهم متفقين على نفس الاهتمامات و الذين لهم نفس العالم و يتقاسمون نفس الهوية"¹ فهناك حظوظ ضئيلة ان يلتقي شخصان من اهتمامين مختلفين على شبكة الانترنت بالرغم من ان لقائهما- ان حدث- لا يشكل اي مشكل تقني في الشبكة.

الانترنت ككل تطلع تكنولوجيا يمكن كل سكان العالم من التواصل اذن فهو يعرض هويات مختلفة، لكن في الحقيقة و بالرغم من هذه الامكانية لا ينتج تواسلا حقيقيا مع شخص مختلف بشكل قاطع و راديكالي.

¹ اوليفي برونو، نفس المرجع السابق، ص183.

وفي نفس السياق ترى نوارك دومينيكا Nowak Dominika ان الانترنت هو فضاء ووسيلة جديدة لتأكيد آليات الهوية، فهو يركز على التماهي مع الجماعة متحررا من الحدود المكانية¹ حيث تستبدل جملة انا عضو في جماعة ب "انا مبحر في منتدى internaute " .

و بهذا المعنى، يخلق الانترنت عالم افتراضي اين يتواصل المستعمل مع اشباهه بالمعنى الثقافي، اين يلتقى افراد الجماعة التي اختارها.

3.3.6.4- ظواهر متصلة بالانترنت و ذات علاقة بالهوية:

ان خط المعلومات المستمر (RSS) الذي تحدثنا عنه في العنوان السابق، من مهمته انه يضع مباشرة على مكتب الكمبيوتر او الهاتف الذكي للمستعمل معلومات او صفحات تشبه تلك التي اختارها او تتفق مع اهتماماته. ان ادوات حفظ البيانات و نشرها جعلت عدد الصور، الفيديوهات و الوثائق يتضاعف، و هذا الانفجار التكنولوجي يمكننا من ملاحظة عدد من الظواهر المتصلة بالهوية في ظل هذا الانفجار جمعناها تحت فكرتين اشار اليهما اوليفي:

الاولى: الاختفاء و الضعف التدريجي الواضح للحدود بين ما هو شخصي و ما يتم نشره على النت، الصور الشخصية و حتى الحميمة، معلومات حول العمل، المذكرات اليومية كلها على الخط اليوم من خلال صفحات التواصل الاجتماعي، فهي اليوم تحفظ على الخادم الجماعي للواب les serveurs internet اكثر من وسائل حفظ البيانات الشخصية.

وعليه فالهوية الشخصية اليوم مطالب بها revendiquée لا يتم التحفظ عليها بل هي معروضة امام الجميع يتم تشاركها عبر الانترنت exhibée et partagée .

في سنة 2011 ظهر مؤلف تحت اشراف كل من كلودين هاروش Claudine Haroche و نيكول ابيرت Nicole Aubert تحت عنوان تعسف الظهور ان صحة الترجمة² عبر وسائل التواصل الاجتماعي، تطرقت المؤلفتان الى مصطلح الظهور او البروز الذي يأخذ اليوم في مجتمعاتنا ذات الوقت الضيق و الوتيرة السريعة للحياة، التي يسيطر عليها السمع البصري و الصورة الرقمية بعدا آخر، فالرغبة في الظهور و المرئية جعل مجموع الممارسات الاجتماعية تعرف اليوم تعسف الظهور اللامتناهي عبر وسائل الاعلام وخاصة وسائل التواصل الاجتماعي كونها منابر لبث صور لكل انسان، فعصرنا يقلب او يعارض أسطورة كهف افلاطون mythe de la caverne de Platon ، فبالنسبة لأفلاطون، الصور الخيالية التي تدور في جدران الكهف لا تمثل الا اوهام، اما بالنسبة لنا اليوم الصور هي الحقيقة

¹ Nowak Dominika, Problèmes d'identité, in Ethique et internet sous la direction de Patrick J. Brunet, les presses de l'université laval, Canada, 2002, p57.

² CLAUDINE HAROCHE et NICOLE AUBERT, " Les Tyrannies de la Visibilité", Éditions Eres. 2011.

الوحيدة، و الوجود من الان فصاعدا بعني ان تكون مرثيا، مشاهدا و من هنا تأتي الرغبة تضاعف صورنا و آثارنا في الانترنت.

هذه الحوافر التي تجعلنا نحب الظهور و ان نكون مرثيين على الانترنت، تجعلنا نعيش في سجل شبه حصري على الانا و الذي يتطور الى "انا الواجبة" un moi de façade، نوع من الذات الخاطئة faux self بمفهوم فينيكوت Winnicott و التي لا نسقط من خلالها مثالية داخلية un idéal intérieur بل مثالية اجتماعية idéal sociétal متفق مع متطلبات المجتمعات المعاصرة.

اذن فمع الصورة و الفيديو الرقمي، وجودنا يمكن تسجيله و تكرير تسجيله الى ما لانهاية، وفي هذا الصدد جمع توما زوبار Thomas Zuber و الكسندر ديزينارد Alexandre des Isnards في كتاب اسمه " قتلني الفاييبوك " ¹ مجموعة تجارب الناس امام الفاييبوك في قالب فكاهي و مقلق في نفس الوقت بقولهما البارحة سهرة شخصية عائلية كانت كذلك، اما اليوم كل الاقرباء الحاضرين هم مصورون صحفيون، جاهزون لنشر الصور.

فنحن نوثق حياتنا يوما بعد يوم بحثا عن الابدية الرقمية للتحقق من وجودنا على الساحة الاجتماعية الافتراضية، لأنه اليوم ان لم تظهر او تترك اثرا على النت فهذا مريب . ثم ذهبنا في خلاصة الكتاب الى ان ثقافة الفاييبوك قد طالت كل الاجيال و زعزعت علاقات الصداقة و العائلة و الحب بالعزف المستمر لمقطوعة السعادة و بكلمات لا تعبر عن المشاعر متعارف عليها في الكتابة النصية لمواقع التواصل الاجتماعي ك " LOL التي تعني انا اضحك ، hugs و تعني عناق افتراضي...".

الثانية: تقوية الطابع الشخصي للعالم الافتراضي لأنه يطرح صفحات و معلومات استنادا الى ابحاث المستعمل السابقة و على بروفيله.

ان الابحار العشوائي للبحث عن معلومة معينة في الشبكة، يمكن المستعمل من التعرف على مواقع غير مألوفة بناء على المعلومة التي يبحث عنها وبناء على بروفيله، و التي تظهر على شاشته، فالعالم الذي يتعرف عليه عبر الانترنت يتشكل حسب الابحارات السابقة التي قام بها، وعليه فان العالم الافتراضي للمستعمل لا يخرج عن اطار اهتماماته او ما بحث عنه سابقا. ماعدا الرسائل الدعائية او الاشهارات التجارية لأنها تظهر كروابط معروضة للمستعمل له حرية اختيار ما يناسبه.

¹ ALEXANDRE DES ISNARDS et THOMAS ZUBER, Facebook m'a tuer, Nil, 2011

4.3.6.4- انتشار وتزايد سبل التعمص عبر الانترنت:

ان الشبكة توفر حاليا طرقا جديدة لاستقبال و تخزين الرسائل، سواء كانت موسيقية، تلفازية او مقاطع من الراديو، في صفحة الوب على الهواتف الذكية، مما غير طرق استقبالها و متى و اين يتم استرجاعها.

وعليه فعالم الاعلام يتكيف تماما مع ما يمكن ان نطلق عليه بروفيل هوية هائم nomade لان المستقبل يمكنه تغير المكان و الزمان الذي يستقبل فيه هذه الرسائل او يسترجعها. فعلى سبيل المثال اذا حدث و ان لم يحضر برنامج المفضل، يكتفي فقط بالبحث عنه مسجلا في الانترنت. فله ان يختار متى الفضاء الزماني و المكاني لعالمه الثقافي، وهويته بذل ان يتكيف هو مع الاعلام، كما كان في القرن العشرين حيث على المشاهد ان يتكيف مع اوقات و مكان البث الممنوح له¹.

فالمستعمل يجد من خلال الانترنت، في كل الاماكن و الاوقات ضالته او عالمه الثقافي الذي يعكس خياراته الثقافية و هويته التي تشخصه عن الاخرين.

كما ان استعمال الانترنت كما اشرنا سابقا، يجعل ابحارات المستعمل وبحوثه تحفظ و تعود للظهور عند كل استعمال مماثل. يحصره في خانة ثقافية معينة و يضعه كعضو في جماعة الاشباه او من يشاركونه اختياراته الثقافية و بالتالي الهوية.

هذه التشخيصية، و تكيف العالم الافتراضي و الاعلامي مع هوية كل فرد، ترسوا على ابتكارات تقنية. فهي موضوعة على تفاعل متزايد. لا يتعلق الامر فقط بالرسائل المستقبلية خاصة و انه في الانترنت كل مستعمل يصبح مرسلا لأفكاره و برامجه التي تعكس علاقاته و وعيه بالعالم، تقمصاته و ما ينجر عنها(الهوية)، و التي على اساسها خاصة يتعرف على افراد آخرين يشاركونه نفس الهوية.

¹اوليفي برونو، نفس المرجع السابق

الخاتمة:

ان النقاشات حول الهوية تشغل الفضاء العام. فهي تعبئ الطاقات، و تخلق الانشاقات، وتنظم عددا من النقاشات السياسية، مع ان هذا النقاش كثيرا ما يبني على اسس مغلوبة.

كثيرة هي النزاعات في الفضاء العام حول الهوية، كثير من الخلط و سوء الفهم، التصورات الخاطئة و النمطية.

السبب الاول المسؤول عن ذلك، هو ان الكثير من المفاهيم تكتلت في لفظ واحد وهو الهوية. كل عصر اضاف مفاهيمه، بدون ان يمحي مفاهيم الزمن الذي سبقه. فالمفهوم الكلاسيكي يحمل معاني الهوية الوطنية، اما في العصر الروماني، الذي يحكي قصص الخيارات الشخصية اضاف مفهوم جديد للهوية الا وهو الهوية الشخصية التي ترسو على تقمصات هي الاخرى.

فالهوية بالمفهوم التقليدي تقوم على اصول مشتركة حقيقية او اسطورية¹، فبحكم اننا نعيش في نفس القطر او الاقليم و نشترك في نفس المعتقدات لدينا كما لو ان هناك شيء يفوق الانسان، الدم و الاسم المكان المشترك، المعتقد هي اسس تقليدية للهوية.

لكن منذ ظهور الكتابة الدولة تغيرت الهوية حيث صار الانسان يتماهى من خلال اجهزة مادية و مؤسساتية تمارس السلطة، هذه السلطة تنتج تقمصات لها تصنيف مختلف عن الاول.

التقمصات التي يمكن ملاحظتها عند قراءة رواية، مع فلم، امام النموذج الابوي، في تجمع ، في المسرح، مع نجم مشهور، اثناء مباريات كرة قدم، او تظاهرة سياسية يمكن تصنيفها في شكلين من التقمص و بتالي من الهوية.

تقمص افقي، يربط كل من يشعرون بنفس التعلق العاطفي ، و الذين يكونون مجتمعات يعلم افرادها انهم يتقاسمون هوية جماعية.

تقمص عمودي، يسمح بإسقاط الفرد لنفسه على نموذج الزعيم، النجم المشهور او الشخصية الرياضية و التعلق بهذه النماذج يساهم في بناء هوية من نوع آخر.

¹ KOZAKAÏ TOSHIKI, LAURENS STÉPHANE, Le mythe du « lien du sang » : une interprétation psychosociale de l'identité ethnique. in Nouvelle revue de psychosociologie, Edition érès, 2006/2 (no 2)

مع ظهور السمعي البصري، تستند الهوية على الصوت (عناصر سمعية كالموسيقى على سبيل المثال) وعلى الصورة(عناصر بصرية كلون البشرة، الثياب او الحركات. التلفزيون خاصة هو مرآة الافراد تساعد على بناء جماعات.

و تصبح الهوية ممارسة ثقافية، وهذا معناه انها شيء يمكن المطالبة به، نتصارح من اجله و نفرض احترامه حيث تصبح موضوعا للفخر.

للغة علاقة وطيدة بالهوية، وفي النصف الثاني من القرن و الذي شهد تطورا على مستوى وسائل النقل وكذا التواصل عن طريق الاقمار الصناعية و شبكات الاعلام الآلي. تحول كبير وسريع طال الهويات التي لا تتحكم في التكنولوجيا الناتج عن عدة مستويات مرتبطة ببعضها: ففي المقام الاول التكنولوجيا و وسائلها لنقل اللغة. اما الثاني فبسبب طبيعة الجماعات الاجتماعية و طابعها الهويي، و الثالث راجع للسيرورات الفردية في تكوين الهوية من خلال الرسائل التي يتناقلها الشارع و الممارسات الثقافية التي لديه، وراجع ايضا الى التماهيات الفردية و الجماعية، من خلال وسائل تقنية - سيميائية.

سيميائية لأنها تعطينا معاني متعلقة ربما بلون البشرة، الموسيقى المسموعة، ثياب، كتاب او تسريحة شعر. وتقنية لأنها تنقل و تنشر هذه المعاني اي ان هذه المعاني تستعمل اسس وطرق للإرسال نسميها الادوات التقنية او بالأحرى الوسائل السمعية البصرية.

للهوية من هذا المنظور اساس مادي، يتكون من مظاهر ثقافية مرئية و وسائل لإيصالها و نشرها.

لكن كل ذلك يوجب الصراعات بين الجماعات التي ليست معدة بعد لاستقبال صور اخرى من الهوية التي تختلف عن هويتهم.

الجانب التطبيقي:

الفصل السادس:

منهجية البحث

و عرض الحالات و النتائج

1- منهجية البحث:**تمهيد:**

ان كل بحث علمي قائم على نية الوصول الى الحقيقة، يخضع لحتمية الاستناد على منهجية و طريقة يتبعها الباحث لخوض المغامرة العلمية لكشف الظواهر ودراستها بطريقة موضوعية قدر المستطاع. لذلك سوف نحاول من خلال هذا الجانب شرح الطريق الذي سوف نسلكه للوصول الى نتائج للكشف عن الاشكالية المطروحة و التي تربط الهوية الثقافية للمراهق بالوسائل السمعية البصرية.

1.1- اطار البحث:

تدور فحوى هذه الدراسة حول الهوية الثقافية الجزائرية، لذلك فالبيئة الجزائرية هي الاطار المكاني الطبيعي لها، وبما ان المراهق هو المقصود بها ارتأينا ان نبحت عن العينة في المجتمع الجزائري، في اكثر الاماكن التي يتجمعون فيها و يسهل علينا التردد عليهم و ايجادهم كلما اردنا لقائهم و العمل معهم ولذلك توجهنا الى الثانويات.

وقع اختيارنا على ثانويتين من وهران حيث وجدنا تسهيلات من طواقمها بعدما قدمنا لهم الرخصة من مديرية التربية لمزاولة التربص الميداني، احدى الثانويتين تموقعت في شرق وهران و الثانية بغرب المدينة.

اما مدة الدراسة الميدانية فكانت مفتوحة بحيث زودتنا المديرية الوصية برخصة مفتوحة طول السنة الدراسية 2014-2015 لكننا لم نجد مانعا من الدخول حتى بعد انتهائها.

2.1- مجتمع الدراسة:

اعتمدت دراستنا على التقاط مجموع التصورات التي لدى المراهقين حول مسألة الهوية الثقافية و كيفية تأثير الوسائل السمعية البصرية عليها.

لذلك تكون مجتمع الدراسة من مراهقين متمدرسين بالطور الثانوي في مؤسستين تربويتين، مع التركيز على 300 حالة وزعت عليهم استقصاء لجمع المعلومات عنهم حول كيفية و مدة استعمال الوسائل السمعية البصرية، مفروقة باستبيان مفتوح يحمل بعض الاسئلة حول تصور الهوية الثقافية.

1.2.1- عينة الدراسة:

بعد الاطلاع على الاجابات التي تحصلنا عليها من خلال الوسائل التي ذكرناها في العنصر السابق اخترنا اكثرها اثارة للاهتمام، فستخرجنا عينة الدراسة العيادية المكونة من خمس حالات تتراوح اعمارهم بين 17 و 21 سنة

3.1- منهج الدراسة:

اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج الكيفي معتمدين على طريقة سرد الحياة لتنسيق و تحليل المعلومات التي يتم جمعها عن الفرد و عن البيئة و الثقافة التي يعيش فيها من حلال ، خاصة و اننا نطمح للوصول الى تصورات افراد العينة حول الهوية الثقافية و كيفية مساهمة الوسائل السمعية البصرية في بناء هذا التصور، و يعتبر المنهج الكيفي على دراسة بعض الافراد في السياق و الموقف الطبيعي يمكن اعتبارهم نماذج من المجتمع لكن لا يمثلون المجتمع كله.

4.1- ادوات الدراسة:

ان الطريقة التي سطرناها لهذا العمل تطلبت منا اختيار ادوات مناسبة تعالج موضوع الهوية و لم نجد احسن من سرد الحياة le récit de vie كطريقة يمكنها ان توصلنا الى الهدف المنشود بالإضافة لبعض الوسائل الاخرى التي اعتمدناها لاختيار العينة التي طبقنا عليها طريقة سرد الحياة و التي تمثلت فيما يلي:

1.4.1- سرد الحياة Le récit de vie:

سرد الحياة هي طريقة للدراسة الكيفية، ملائمة للتحكم في معاني الظواهر الانسانية من خلال مسارها الزمني، كبناء الهوية الفردية، مساراتها الاجتماعية، التغيرات الثقافية...وذلك بالاستعانة بخطاب الحر في سرد قصة الحياة او التركيز على فترة منها حسب مقتضيات الدراسة.

اخترنا سرد الحياة كونه طريقة منهجية تستعمل في العلوم الاجتماعية، و انه يُمكن الحالة من بناء هوية سردية، اين يمكن للفرد من خلال سرد حياته، من التعبير عن نسق تصورات، عن مجموع القيم و النظرة للحياة او معنى الوجود. سرد الحياة يوضح جليا توجه الهوية و اتجاهات الانسان في ظل معاشه و الظروف التي مر بها.

يقوم هذا الأسلوب على مقابلة افراد العينة كل على حدى، نطلب منهم تذكر حياتهم و سرد خبراتهم الشخصية، الطريقة ليست مبنية على الثنائية سؤال/جواب من خلال دليل مقابلة، بل على تعليمة وحيدة تدعو الراوي الى العمل على سرد كرونولوجي شامل لحياته او جزء منها حسب الأهداف المسطرة من طرف الباحث. ويمكن للباحث ان يوجه السرد من خلال العودة الى نقطة معينة و احيائها، الاستفسار و طرح الاسئلة حول نقاط مهمة للدراسة او مبهمة، مع مراعاة سير سرد الحياة حسب اتجاهات الراوي.

فمن خلال السرد " يُوضع الراوي نفسه و يسجلها في ظواهر اجتماعية، في شكل متسلسل من المسببات و النتائج"¹.

وعليه سرد الحياة يمكن من تسليط الضوء على سيرورات التطور و التحول و التغيير، ولذلك بدت لنا هذه الوسيلة هي الانسب للبحث في مجال الهوية الثقافية باتجاهاتها و تحولاتها .

وفي لقائنا للحالات عرضنا عليهم التعليمة الخاصة بسرد قصة حياتهم، حتى تتوضح هويتهم و توجهاتهم الثقافية، مع الاشارة الى تموضع الوسائل السمعية البصرية في هذه التوجهات، مع التسجيل الصوتي لسرد قصة الحياة بعد شرح الدوافع للحصول على اذن افراد العينة.

حرصنا في كل مرة، على العودة و التعرّيج على بعض المحطات كمعاش المراهق و حكايته مع الوسائل السمعية البصرية، الأسرة و العلاقات بين افرادها وادوارهم، تصور الجنس الاخر، المسألة الجنسية، مشروع الزواج ثم الايديولوجيا بما فيها اللغة، الطقوس الثقافية و الدينية.

2.4.1- الملاحظة العيادية:

ان الملاحظة العيادية ليست بالأداة الهينة، فهي الخطوة التي ترافق الباحث خلال كل فترة بحثه، ان لم نقل حياته كلها لأنها الوسيلة الاولى التي تجعله يطرح الاسئلة و يصوغ الفرضيات حول الظواهر التي يشاهدها في بيئته، اذ تعرف على انها مشاهدة دقيقة و عميقة للظواهر .

ان مفهوم الهوية الثقافية يبني على مجموعة من التراكيب تدور حول اتجاهين احدهما معنوي و الاخر مادي كاللباس و الطعام و الحركات و طريقة الكلام و كلها تصب في توظيف الملاحظة كونها تعكس شيئاً عن الهوية الثقافية للمراهقين.

¹ Pruvost Geneviève, « Récit de vie », in Paugam Serge (dir.), *Les 100 mots de la sociologie*, Paris, Presses universitaires de France, coll. « Que Sais-Je ? », pp. 38-39.

كما انها ساعدتنا في اكتشاف مواطن التوتر و الارتياح و توجيه المقابلات لصالح ما يخدم البحث.

3.4.1- استقصاء لجمع المعلومات: (حول استعمال العينة للوسائل السمعية البصرية):

قبل البدا في العمل مع عينة الدراسة، كان لابد لنا من اختيار افرادها على اساس ارتباطهم القوي بالوسائل السمعية البصرية كونه المتغير المستقل في هذه الاشكالية لذلك وجب التحكم فيه، وذلك لمعرفة تأثير هذا الارتباط القوي مع هذه الوسائل على الهوية الثقافية للمراهقين.

تمثل هذا الاستقصاء في مجموع اسئلة مغلقة حول ساعات المشاهدة التلفزيونية او وسائل السمعي البصري الاخرى او الابحار في الانترنت بالإضافة الى اسئلة حول السبل و الدوافع و الأهداف المرجوة من هذه الوسائل.

وزع هذا الاستقصاء على اكثر 400 مراهق استرجعنا منها 300 قمنا بمراجعتها احصائيا عبر الحاسوب بمساعدة برنامج التحليل الاحصائي spss و الهدف منه لم يكن دراسة احصائية و انما تسهيل استخراج الحالات الاكثر استعمالا للوسائل السمعية البصرية بدقة في وقت قصير.

4.4.1- استبيان مفتوح:

الاستبيان الغير مقنن او المفتوح كما يسمى، هو وسيلة تجعل الباحث يجمع أكبر قدر ممكن من المعلومات لتوضيح النقطة محل الدراسة، و يتم استخدامه في الأبحاث التي تدرس آراء المبحوثين واتجاهاتهم ودوافعهم تجاه قضايا معينة، باستخدام أسئلة مفتوحة عن الظاهرة المراد دراستها، لا يعقبها أي نوع من الاختيارات ويطلب من المستجيب تسجيل الاجابات برمتها وتترك مساحة أو عدد الأسطر الإجابة على الأسئلة المفتوحة تساعده على تحديد طول أو اكتمال الاستجابات التي يمكن التوصل اليها .ولذلك تتمثل (الميزة الرئيسية للسؤال المفتوح) في الحرية التي يتيحها هذا النوع من السؤال أمام المستجيب فيترك أفكاره تتساقب في حرية تمكننا من التعرف على أفكاره كما يعبر عنها بلغته الخاصة وبطريقة تلقائية.¹

في بحثنا هذا، قمنا بتصميم بعض الاسئلة للتعرف على آراء عينة الدراسة وتصوراتها حول هويتهم الثقافية، لكي يساعدنا هذا الاخير على الحصول على معلومات مبدئية يمكن استخدامها لتوجيه سرد الحياة و الوقوف عند بعض النقاط المهمة.

¹ زياد بن علي بن محمود الجرجاوي، القواعد المنهجية التربوية لبناء الاستبيان، الطبعة الثانية، مطبعة أبناء الجراح، غزة، 2010، ص32.

عرضناه على بعض المحكمين قصد تحسين صياغة الاسئلة و الحصول على افكار اضافية، دون اخضاعه للتقنين كون هذا النوع من الاستبيانات لا يحتاج لحساب الخصائص السيكمترية.

قمنا بتوزيع هذا الاستبيان، مع الاستقصاء المخصص لجمع المعلومات حول استعمال الوسائل السمعية البصرية في مطبوعة واحدة، لنتمكن من الحصول على معلومات كافية حول عينة البحث تجاه متغيري الدراسة (الوسائل السمعية البصرية و الهوية الثقافية).

خاتمة:

ان العمل الميداني بقدر ما يتطلب من جهد، يتطلب خطة للوصول الى نتائج دون الضياع في الموضوع او الخروج عنه، و كانت هذه هي جل الخطة التي عمدنا اليها في العمل الميداني لهذا البحث، وعليه سوف نقوم في الجزء الثاني من هذا الفصل الى تقديم الحالات و عرض النتائج.

2- عرض سرود الحياة و تحليل المضمون:

1- الحالة رقم 01: رضا.

رضا 19 سنة، تلميذ بطور الثانوي، مقبل على شهادة البكلوريا، الابن البكر لأسرة صغيرة متكونة من الوالدين وولدين ذكرين. رضا فتى وسيم حسن ذو ملامح شقراء، يلبس على الطريقة الشبابية العصرية، صريح الى درجة كبيرة، اسلوبه في الحديث يعتمد على النكتة وخفة الدم.

اظهرت اجاباته على الاستقصاء الذي صممناه لجمع المعلومات حول عينة البحث انه يستخدم جهاز الهاتف الذكي خاصته الموصول بشبكة الانترنت اليوم بأكمله و ذلك بصفة يومية، لا يحب برامج التلفزيون و لا يشاهدها ولا يتردد على دور السينما و لا المسرح.

وافق رضا على سرد حياته بعدما اطلعناه على موضوع الدراسة. اجريت المقابلة بقاعة الاعلام الالي التي كانت شاغرة بالثانوية التي يدرس فيها.

1.1 سرد قصة الحياة:

انا رضا(الاسم الكامل) المولود بشهر نوفمبر من سنة 1996 بوهران، الاصل من تلمسان انتقل والداي منها قبل ان اولد بسنة، "راجل" لدي اخ واحد اصغر مني، من عائلة غنية والداي في الاربعينات من العمر يمتلك والدي شركة استيراد و امي مُدرسة، متزوجان منذ 21 سنة نعيش بمسكن مستقل عن العائلة الكبيرة.

اقضي يومياتي في غير فترات الامتحانات بين التسكع مع الاصدقاء في المقاهي و بين الابحار في شبكة الانترنت "تحس روجي trop connecté" سواء في داخل البيت عن طريق الويفي wifi او خارجه عن طريق خدمة الجيل الثالث 3G فانا استغرق اليوم بطوله انقل من موقع الى اخر فالانترنت بالنسبة لي و لجيلي متعة كبيرة تمكننا من البقاء على اتصال مع الشلة و الاصدقاء اينما ذهبنا.

لذلك فانا لا اتخيل نفسي ان اعيش يوم بدون انترنت. عندي اصدقاء كثيرين يفوقون 500 اكثر من نصفهم بنات، لكن هناك من اعرفهم و هناك من اصفتهم لمجرد انهم ارسلوا إلي طلب إضافة. لدي رصيد في كل مواقع التواصل الاجتماعي، Facebook, twitter, Instagram, viber.... لكن مثل كل الجزائريين اعتمد اكثر على الفايسبوك. اضع كل صوري فيه اينما ذهبت للسياحة التقط الصور لأضعها هناك لدي البومات عديدة لكل منطقة سياحية ازورها فحسابي على الفايسبوك اعتبره ارشيفا لكل صوري التي التقطها في كل مكان و زمان. اما صورة البروفيل فيجب ان تكون ملتقطة بشكل لائق، لا استعمل الفوتوشوب لكن اختارها جميلة لكي تجذب الفتيات و تمتلني بشكل مناسب.

الانترنت عالمي بعد الخروج من المدرسة، لكن احيانا لا اتحمل الانتظار فالقي نظرة من وقت لآخر ما يرد على مواقع التواصل الاجتماعي، ابحت عن كل جديد صور و فيديوهات طريفة، احصل على المعلومات دون عناء، اكتشف اماكن دون السفر اليها و اشخاص مختلفين "عباد شابيين" لديهم ثقافة راقية¹.

ان الأنترنت تملء وقتي و لا يمكنني الاستغناء عنها، اشعر بالقلق ولا اتحمل احدا عندما ينقطع الاتصال، اشعر انه نوع من الادمان لكنني ارتاح فعلا عندما اكون موصولا بالشبكة حيث اشعر انني موجود كفرد فعال في مواقع التواصل الاجتماعي و لا يفوتني شيء فباستعمال الانترنت يكون كل شيء

¹بعد التقصي عرفنا انه يقصد الاجانب الغربيين

في تناول يدي حيث استمع الى الموسيقى، احب اغاني الراي و اسمعها كثيرا لكن عندما يتعلق الامر بمشاهدة الاغاني المصورة "الكليبات" فانا افضل الاجنبي، فهم يدفعون ميزانيات عالية على السيناريو و العمل ككل مما يجعلها ناجحة، بقدر افلام "هوليوود" التي احبها و التي تحمل قصص غير تقليدية، هم يقدرون العمل و يتقنونه لديهم اخلاق في كل المجالات حتى في صناعة السينما "ماشي كيما الجزائريين.

أُحْمَلُ عادة الافلام والاغاني من الانترنت بدون عناء، ونادرا ما اشترى اقراسا مضغوطة DVD فالآن كل شيء صار في تناول اليد في كبسة زر فقط.

فمن ميزات هذه الشبكة العنكبوتية، انها خفت عنا نحن مستعملو الانترنت عناء انتظار مشاهدة البرامج و الاعمال السينمائية حتي يتم بثها في التلفزيون او السينما التي تعرضها بعدما تصبح قديمة، فكل ذلك نجده موثقا في الانترنت على اليوتيوب YouTube او غيره، بحيث ارى الاعمال السينمائية و الفنية الجديدة قبل بثها في التلفزيون او السينما، كما ارجع اليها ان فاتتني رؤيتها، مواقع التواصل الاجتماعي تمكنني من مشاركة اصحابي لما أشاهده من خلال ارسال الروابط لهم عبر صفحاتهم لنبقى على مطلعين كلنا على الجديد و نكون في نفس الصورة، لذلك فانا استغني تماما على جهاز التلفزيون، فانا أشغله دون النظر اليه لأنني اما ادرس او اظل موصولا بشبكة الانترنت، ولا اشاهده الا في بعض المناسبات القليلة كمباريات كرة القدم المهمة و البطولات الاوروبية. اما السينما فلا مكان لها في حياتي، اذكر انني ذهبت بضع مرات مع اصدقائي، لا كنها تعرض افلاما منتهية الصلاحية "périme" لا علاقة لها بما يعرض في صالات السينما العالمية، بعكس الانترنت تبقى مواكبا لما يحدث في العالم الذي انا جزء منه. اما المسرح فافضل ان لا اتحدث عنه ابدأ لأنه ليس في دائرة اهتماماتي ابدأ. بالنسبة لي لولا شبكة الانترنت لكنا معزولون عن العالم.

هذا عن يومياتي و طريقة عيشي. اما ان اردت ان احكي لكي عن اسرتي، فانا اعيش في اسرة صغيرة مكونة من اربع افراد بحي صديقية، بيتنا كبير، كان عبارة عن قطعة ارض للبناء، انتقلنا اليه بعدما بنينا عليها بيت مكون من طابقين وحديقة.

ابواي مسكينان عندما احتاجهم اجدهم الى جانبي لكن عندما يحتاجونني لا يجدونني دائما. والداي يعتمدان على اسلوب مرن في التربية لكن بحدود مثلا عندما اخرج لا يحاسبني احد لادن هذا لا

يعني ان ادخل البيت على الواحدة صباحا. "رباونا مليح مساكين" و كل ما يفعلونه لمصلحتي. انا و ابي لسنا منفتحين ابدا انا اميل لأمي و ابي يتفق مع اخي الاصغر و هذا لا يهمني.

ماما طيبة جدا معي و قريبة مني و لكن في بعض الاحيان تعطيك الأمان و عندما تصارحها تحاسبك، تسمعي و تحاسبني. اما ابي فنحن غير مقربان تماما "سلام سلام"¹ ولا اكلمه الا لطلب المصروف او لشراء ما يخصني "تحكي معاه غير كي يخصني دراهم" ينتقني طوال الوقت لكن في الحقيقة لم يحرمني يوما من شيء و يشتري لي كل شيء و يعيرني السيارة عندما احتاجها المشكل اننا لا نتفق ابدا.

ابي يبدو لي من النوع الذي يحب الانفراد باتخاذ القرارات و عندما يخطئ لا يعترف بالخطأ لو كان يستشيرنا لكننا افضل "كون جا يدبر علينا كون رانا ملاح" امي تناقشه لكن في بعض الاحيان تسكت عندما تعلم انه لا فائدة من الكلام معه وتتصرف حسب ما تقتنع به دون اثاره المشاكل، بالرغم من ان شخصيتها قوية. انا ايضا اجتنبه لكن عندما اشعر انه لا يمكنني التحمل اقول له ما يستحق.

انا عندما ابلغ من العمر 26 سنة فما فوق سوف افكر في الزواج و لن اكون مثل ابي سوف احاول ان تكون هناك مشاورات بيني و بين شريكة حياتي لأن الانسان لا يملك الحقيقة المطلقة. ليس دائما الزوج من يملك سلطة القرار، نحن في 2015 تبدل الزمان، المرأة اليوم لديها مؤهلات دراسية و هي ايضا عاملة و انا افضل ان تكون كذلك.

علاقتي مع الجنس الآخر علاقة جيدة اشعر انني افهمهن جيدا من خلال اختلاطي اليومي بهن فلدي صديقات كثر سواء في الثانوية او في وسائل التواصل الاجتماعي و لدي ايضا صديقات حميمات فالاختلاط بهن يجعلك تعرف طريقة تفكيرهن، واضن ان بنات هذا العصر اجمالا هن ماديات و لديهن اكثر من علاقة حب واحدة "خلاطات" انا لا اثق بهن و لكن هناك بنات العائلات و لو بنسبة قليلة لذلك لا يجب التعميم.

انا اعيش علاقة مع فتاة "je suis en couple"، و لا اعلم ان كنت سأخرج من هذه العلاقة بنتيجة ايجابية او سلبية لكن لا يهم، انا اعلم ان العلاقات في هذا السن مجرد تسلية و ملاً للفراغ "تقوات وقت" و ايضا تجارب قليلا ما تكون هناك جدية عند الطرفين او احدهما "النية و le sérieux ماكانش".

¹معناه لا نتحدث غير افشاء السلام بيننا

اخرج احيانا انا و صديقتي بالسيارة و نبتعد لكي لا يتعرف علينا احد من معارفنا تجنبنا للمشاكل، انا شخصيا يمكنني ان اعرف العائلة على حبيبتي لكن عندما تكون صادقة و مناسبة اما الفتاة التي معي الآن لا مستحيل- لدي صورتها على هاتفي هل تريدون رؤيتها¹ - لكن اصحابي يعلمون بقصتي معها. اما هي فأمها على علم بعلاقتنا انا اعرف ذلك، و تضع صوري على صفحتها في حسابها على الفايسبوك.

اتمنى ان تكون لنا الجرأة لوضع كروتنا فوق الطاولة "Les cartes sur table" مثل الغرب فيما يخص الحرية الجنسية، عندما تتوفر الحرية تقل المشاكل كل شيء يصبح شفاف و مكشوف، على الاقل الاولاد و البنات يصبحون صادقين مع انفسهم و مع الاخرين لان العلاقات الجنسية موجودة على كل حال، لكن حبذا لو يكون هناك توعية للشباب حول الامور الجنسية و الاخطار الناجمة عنها "المرض راه غير يتسبب". لكن في الحقيقة ممارسة العلاقة الجنسية في اطار شرعي يبقى هو الافضل.

انا اشعر انني بعيد عن الدين في بعض الاحيان، لا اصلى حاليا لكنني متهاون عليها فقط، سوف اصلي عندما "يهديني ربي" بصح الصوم خط احمر كل الجزائريين يصوموا. المسلم يجب ان يكون مقتنع بتعاليم الدين و ممارس للشعائر. و لكنني بصراحة لا احب النساء المتحجبات اشعر بانني لا ارتاح لهن و افضل ان لا ترتديه شريكة حياتي المستقبلية لكن ان كانت مقتنعة بوضعه اضن انه ليس من حقي ان ارفض "حرام عليا".

لكن لا ارى مشكلا لو تقدمنا قليلا و اصبحنا مثل الدول الغربية في بعض الاشياء "في شي صوالح" هم متحضرون و متحررون لقد ابتعدوا عنا كثيرا في تطورهم "راهم هاربين علينا بزاف". نحن² و العرب كلنا نعيش في تخلف كبير اننا متعصبون و نقتتل فيما بيننا، اما انا فأجد عقليتي قريبة منهم³ و انا مرتاح كما انا، وان أتاحت لي الفرصة سوف اهجّر لأي مكان بعيد عن هنا. وانا ادرس اللغات تحضيرا لذلك، احببت الانجليزية مند صغري و اتقن الفرنسية ايضا. لكن مع من يمكنك الحديث بالإنجليزية هنا، فانا لن استطيع استعمالها الى ادا سافرت الى لانها اللغة التي يتحدث بها كل العالم. اريد الذهاب و الهجرة الى اوربا بشدة فبصراحة هنا الشبيبة "راهي ضايعة" الجزائري "يبغي يعيش غاية و ما يخدمش".

¹ هم للإخراج الهاتف من جيبه ليريني ايها

² الجزائريون

³ بعد الاستفسار فهمنا انه يقصد العالم الغربي

2.1- تحليل المضمون:

لشبكة الانترنت مكانة مميزة في حياة رضا، فهي عالم افتراضي يحجز له مكانة في الفضاء العالمي الذي يعتبر نفسه جزء منه، لدرجة ان شعوره بالوجود *le sentiment d'existence* يتحقق عبر هذه الوسيلة (الانترنت) التي تغنيه عن باقي الوسائل السمعية البصرية.

لقد عبر رضا من خلال سرده لحياته بعبارات صريحة على انه موجود كفرد في مواقع التواصل الاجتماعي، و ليس في الحياة الاجتماعية الواقعية التي تسجل غيابه الشبه التام فيها، حتى ان هذا الفضاء الاجتماعي ان وجد، فيفعل من خلال شبكة الانترنت في التواصل مع الاصدقاء و المعارف عبر وسائل التواصل الاجتماعي.

كما ان توجه رضا في المشاهدة و المتابعة هو توجه غربي، من خلال اهتمامه بالبرامج الغربية سواء تعلق الامر بالأفلام او الاغاني او التعرف على الثقافة الغربية التي يشاهدها عبر اليوتوب YouTube او يحملها من الشبكة العنكبوتية، التي يرى من خلالها نماذج ايجابية يعود في حديثه كثيرا الى مقارنتها بثقافته الاصلية التي يضعها في المرتبة الثانية مستعملا آلية المقايسة و الترتيب الثقافات حسب منطق الافضلية *hiérarchisation des cultures*.

1.2.1- مراهق نشط في العالم الافتراضي (تقمص افقي تحت اطر جديدة و مفتوحة)

في ما يخص حياته اليومية و نشاطات التي يقوم بها في اوقات الفراغ، يذكر انه يقضى معظم وقته في الابحار في شبكة الانترنت و الاتصال عبر مواقع التواصل الاجتماعي، و هذا ما يتطابق مع استجاباته في استبيان جمع المعلومات، وقد كشف انه يقضي في هذا العالم الافتراضي اكثر مما يعيش في بيئته الاجتماعية سواء كان ذلك داخل البيت او خارجه كون هاتفه موصول بتقنية الجيل الثالث التي تسمح له بالبقاء متوصلا حتى عندما يكون خارج نطاق الويفي، ان الوقت الطويل الذي يقضيه المراهق امام شبكة الانترنت لا يمر دون ترك اثر على تنشئته الاجتماعية وهنا يمكن ان نشير الى يوجين منكوفسكي Eugène Minkowski حينما بين في كتابه "الزمن المعاش"¹ ضرورة الاهتمام بوقت الفراغ كونه ليس مرادفا للراحة و لكنه لا يمنع الانسان من التفكير المستمر في المحيط و الضياع فيه. فالوقت

¹ MINKOWSKI EUGÈNE(1933), Le temps vécu, paris, PUF collection Quadrige, 2013

الذي يقضيه المراهق على الانترنت كونها وسيلة من وسائل التنشئة الاجتماعية على حساب الوسائل الاخرى تؤثر على طرق نقل القيم الاجتماعية و الثقافية المحلية.

فقد ذكر ان الانترنت عالمه بعد الدراسة الا انه لا يستطيع التحمل في بعض الاحيان حتى الخروج من المدرسة ليلقي نظرة على المستجدات الواردة على مواقع التواصل الاجتماعي، وهنا نلمس ظهور طرق غير تقليدية للتواصل بين جماعة الاقران و الاصدقاء الذين يعكفون على التواصل عبر الشبكة، فالانترنت فتح لهؤلاء امكانية الاتصال من بيوتهم، من صالات الدراسة، من الشارع او من اي مكان دون بدل اي مجهود، من خلال الدردشات الفورية بين صديقين او مجموعة من الاصدقاء في نفس الوقت.

ذكر رضا انه في حسابه فايسبوك فقط يحصى اكثر من خمسة مئة صديق و اكثر من نصف هذا العدد هن من الجنس الآخر، فالانترنت في الحقيقة قد فتح مجال آخر للعلاقات ما بين الجنسين وعبر الحواجز التقليدية التي كانت تميز الثقافة الجزائرية التي كانت قبل مبنية على الفصل بين الجنسين، تم على الاختلاط المشروط في اماكن الدراسة فقط في مرحلة لاحقة.

لقد اثار رضا من خلال سرد حياته نقطة جوهرية في فترة المراهقة، وذلك عندما تحدث عن موضوع وضع الصور في مواقع التواصل الاجتماعي و كذا جمع و توثيق البومات صورها كلها هناك، خاصة عندما اشار انها يجب ان تكون جميلة و تمثله بشكل لائق، اذ ان من مميزات فترة المراهقة ان يولى المراهقون اهتماما مبالغا فيه بالشكل و صورة الجسد، وهذا ما يعكس النرجسية و التمرکز حول الذات، بحيث يعطي لمظهره الخارجي جل اهتمامه باعتبار ان هذا هو ما يحقق له التقبل الاجتماعي، كما يعاني المراهقون عاداتا من القلق من عدم ترك اي انطباع و المرور بدون لفت الانتباه في البيئة التي يعيشها و هذا ما لمسناه في قوله **"اختار الصور جميلة لكي تجذب الفتيات و تمثلني بشكل لائق"**.

يبين ذلك جليا اهمية اراء الاخرين في بنائه لتصور حول ذاته و في ذلك اشارة الى وينيكوت Winnicott ، الذي يرى ان الاخر ما هو الا مناسبة او امكانية للبحث عن الذات. كما يؤكد كودول Codol بان هناك فرقا بين شعور الفرد بهويته كما يعيشها هو و مدى تصورها من طرف الآخر اي ان هناك فارق " écart " بين صورة الفرد عن ذاته و بين الصورة التي تكون عند الآخر عن هذه الذات. الامر الذي يدفع بالفرد الى اللجوء الى اساليب و سلوكات جديدة قصد تحسين صورته لدى

الآخرين حتى تصير مطابقة لصورته عن ذاته وهذا ما يفعله رضا من خلال محاولة الظهور في احسن صورة في مواقع التواصل الاجتماعي باعتبارها الوسيلة المعتمدة لديه لممارسة الصداقات والعلاقات بينه وبين الجنس الاخر.

اظهر المراهق من خلال سرده لحياته وعيه و ادراكه التام بإدمانه على الانترنت¹ بقوله الصريح "اشعر انه نوع من الادمان لكنني ارتاح فعلا عندما اكون موصولاً بالشبكة... و لا يفوتني شيء" حتى انه يشعر بالقلق و تغير المزاج عند انقطاعها و بالراحة عندما يكون موصولاً بالشبكة فهو يشعر بلهفة و حاجة الى زيادة استعمال شبكة الانترنت و التواجد الدائم على مواقع التواصل الاجتماعي وهو ما صنفته كيمبرلي يونغ Kimberly Young بإدمان العلاقات او الصداقات السيبرية، اضافة الى ان الانترنت من ابرز نشاطاته اليومية و اهمها بل نشاطه الوحيد في ايام العطل.

ان الانترنت تعني لرضا الكثير بحيث ربطها بوجوده و لعل اكبر دليل على ذلك قوله " اشعر انني موجود كفرد فعال في مواقع التواصل الاجتماعي" اي ان الشعور بالوجود يتحقق عبر هذه الوسيلة السمعية البصرية، و لعل هذا الوجود الشبه دائم في المجتمع الافتراضي الذي يعتبر نفسه فرد منه يتصف بالفعالية، يعكس عجزا في الوجود على ارض الواقع و كأن علاقاته الاجتماعية تأتي في المستوى الثاني من اولوياته بعد الدردشة على النت خاصة و انه عبر فيما بعد عن ندرة في الاوقات التي يقضيها مع العائلة وقلة الحضور و الفعالية، وهذا يصف بشكل واضح قوة العلاقة التي بناها مع شبكة الانترنت و هذا العالم الافتراضي، وهذا ما يشير الى تعديل على مستوى الوسائط الناقلة للثقافة من الاسرة و الوسائط التقليدية الى وسيط مفتوح على عالم افتراضي لا يمكن تأطيره.

2.2.1- مراهق يعمل على تدخيل و تميمين القيم الغربية التي تعرضها الوسائل السمعية البصرية امام ثقافة محلية يراها بمنظور سلبي:

يعتمد رضا بشكل حصري على الانترنت على حساب الوسائل السمعية البصرية الاخرى، فهو يراها الوسيلة الاسهل للحصول على الترفيه و المعلومات و بديل عن كل الوسائل السمعية البصرية

¹ كان اول ظهور لمصطلح ادمان الانترنت سنة 1995 عندما نشر اونييل O'Neill مقالة بعنوان سحر و ادمان الانترنت و لم يحضى هذا المصطلح بالقبول الفوري الا بعد دراسة لكمبرلي يونغ Kimberly Young في السنة الموالية فظهر ادمان الانترنت كاضطراب اكلينيكي جديد أضيف الى الدليل التشخيصي و الاحصائي للاضطرابات العقلية الطبعة الرابعة.

الآخري، فانشغاله بها جعله لا يهتم بالتلفزيون و يعتبر الذهاب الى السينما او المسرح مضيعة للوقت امام الوثيرة السريعة التي تسير عليها حياته.

فهو يعتمد على تحميل "le telechargement" كل ما يرغب في مشاهدته من الموسيقى الاجنبية التي تستحق المشاهدة بالنسبة اليه، لأنها ذات ميزانيات عالية و لأنها متقنة التصوير وكذا الافلام الاجنبية الجديدة التي يُحملها من الشبكة قبل بثها في بقية الوسائل السمعية البصرية، بدريعة انها تتأخر في تقديم ما استجد من الافلام و الاغاني المصورة، ولا تواكب الجديد، كما يعيد مشاهدة كل ما فاته من خلال اليوتيوب كما يدعو اصدقائه الى رؤية كل ما هو جديد من خلال ارسال دعوات عبر مواقع التواصل ليبقي هو ورفقائه على اطلاع على كل جديد.

ان توجه رضا في المشاهدة و المتابعة هو توجه غربي، ويبدو ذلك من خلال اهتمامه بالبرامج الغربية سواء في الافلام و الموسيقى او في الرياضة كما يهتم كثيرا بالتعرف على ثقافات اخرى من العالم، لكن تُظهر طريقة كلامه عن الغرب نوعا من الاعجاب بعقلياتهم و تثمين ثقافتهم التي يصنفها ثقافة راقية اذ يمكننا الاستعانة بعبارته الصريحة "اكتشف اماكن دون السفر اليها و اشخاص مختلفين **"عباد شابيين لديهم ثقافة راقية"**، كما انه معجب بما يقدمونه على المستوى الثقافي و الفني الناتج عن قيم ثقافية يرى انها مفقودة في مجتمعه كالإتقان و الاخلاق في العمل.

لم يعبر رضا عن الاعجاب و الميل للثقافة الغربية فحسب و انما هناك اشارة الى التأثير القوي و الاعجاب بها و القرب منها و الرغبة في تبنيها؛ **"اما انا فأجد عقليتي قريبة منهم و انا مرتاح كما انا"**. و شبكة الانترنت هي سبيله لتجسيد هذه الرغبة في الانتماء في قوله " **الانترنت تبقي مواكبا لما يحدث في العالم الذي انا جزء منه**" و امنيته ان يصير مجتمعه محاكيا و مشابهها للمجتمع الغربي في بعض الامور لا سيما في التقدم و الحرية التي يعيشونها.

يمكن ادراج كل ما قيل تحت آلية التقمص. تقمص نموذج ثقافي غربي تعرف عليه و الفه من خلال شبكة الانترنت و من خلال السينما و الفن الذي يتابعه باهتمام عبر هذه الوسائل التي لديها القدرة على النشر الفوري و لا محدود لنماذج ثقافية تنتقل عبرها بالصوت و الصورة.

اشار فرويد الى شكلين من التقمص، التقمص العمودي وهو هنا تقمص للنموذج الغربي بشكل عام و تقمص افقي، يجمع كل اصدقائه اللذين يشاركونه نفس الاهتمامات و يربطه بمجموع الرفاق

المتخصصين لنفس النماذج بحيث يكونون مجموعة مستعنيين بوسيلة التواصل الاجتماعي عبر المواقع المتاحة في الانترنت، و نلاحظ ذلك من خلال قوله "مواقع التواصل الاجتماعي تمكنني من مشاركة اصحابي لما أشاهده من خلال ارسال الروابط لهم عبر صفحاتهم لنبقى على مطلعين كلنا على الجديد و نكون في نفس الصورة."

نشعر بالمقابل بنظرة سلبية dévalorisation للثقافة الاصلية في محاولته للمقارنة بينها و بين ثقافة الغرب. عبر رضا بكل صراحة عن تخلف مجتمعه الذي يعيش التعصب و الصراعات التي تشوبه بقوله: "لا ارى مشكلا لو تقدمنا قليلا و اصبحنا مثل الدول الغربية في بعض الاشياء في شي صوالح هم متحضرون و متحررون، لقد ابتعدوا عنا كثيرا في تطورهم "راهم هاربين علينا بزاف، نحن و العرب كلنا نعيش في تخلف كبير اننا متعصبون و نقتل فيما بيننا".

وعليه فهو كثيرا ما يلجأ إلى استراتيجية المقايسة (المقارنة) بين الثقافتين الغربية و المحلية مع ترتيبها وفق مبدأ الأفضلية hiérarchisation des cultures كما انه كشف في نهاية السرد انه يحضر لمشروع الهجرة منذ الآن و يعمل على تسليح نفسه بتعلم اللغات الاجنبية بالإضافة الى ان لديه نظرة سوداوية لمستقبل الشباب في الجزائر.

3.2.1- المراهق وغياب التأطير العائلي في نقل القيم الثقافية امام تحديات الانترنت (العولمة):

فيما يخص علاقته بوالديه، يدرك رضا انه بعيد عنهم و نادر الحضور في البيت ، بحيث يبدأ حديثه عنهما بقوله " ابواي مسكينان عندما احتاجهم اجدهم الى جانبي و عندما يحتاجونني لا يجدونني دائما"، لكن على المستوى النظري من مميزات فترة المراهقة، ان المراهق يسعى الى اقتحام المجتمع خارج نطاق الاسرة، و هذا ما يجعله يحدث تعديلا في علاقاته و تقمصاته، يرى روجيه بيرون Perron, R ان الهوية تبرز في سياق تحولات النماذج و القيم، ففي المراهقة ترتيب القيم الشخصية حسب الاهمية hiérarchie des valeurs يتغير تحت تأثير المحيط متزامنا مع تطور الفرد و تقدمه في العمر.

فالنموذج يتحول من الالاء الى المعلمين الى الرفقاء الى نماذج اخرى¹، و هنا نشير الى ان محيط رضا يغلب عليه الانترنت لذلك فهو يلعب دورا هاما في نقل القيم الثقافية و عرض النماذج المختلفة من غير النماذج الاسرية التي طبعت مرحلة الطفولة.

¹ Perron Roger, Modèles d'enfants, enfants modèles, Paris, PUF, 1971

من مميزات فترة المراهقة ان المراهق يقوم بإعادة النظر في تقمصاته السابقة و العدول عن أمثلة *désidéalisation* الصور الابوية باحثا عن نماذج اخرى التي تعددت حاليا وخرجت عن اطرها المحلية بتعدد الوسائل التي تطرح هذه النماذج كالأنترنترنت او التلفزيون التي تأتي من خلفيات ثقافية و إيديولوجية مختلفة وهذا ما يعقد المسألة كونها مفتوحة.

ففي السابق كان المراهق يخرج من البيت للقاء جماعة الرفاق، و الاغلب انهم مراهقون معروفة اسرهم، يتجمعون في مكان ما من الحي قصد اللعب او التسلية ليعود كل منهم الى بيته عندما ينتهي اللقاء. اما الآن فهذه الزمرة من الرفاق يصعب تحديدها، نظرا لانهم يتواصلون طوال الوقت عن طريق شبكة الانترنت بعيدا عن الاشراف الاسري، فلا يمكن للأسرة باعتبارها الوصي على هذا المراهق التعرف على رفقاء ابنائها وهذا يطرح اشكالا حول مسألة جماعة الاقران التي تلعب دورا كبيرا في مسألة التنشئة الاجتماعية بالنسبة لهذه الفترة (المراهقة).

فعلى سبيل المثال ذكر رضا ان لديه عدد ضخم من الرفاق هناك من يعرفهم و هناك من لا يعرفهم، ولا يتوقف عن الاتصال بهم عبر مواقع التواصل الاجتماعي.

رضا ككل المراهقين يعيش هذه التحولات في نمط التنشئة الاجتماعية، لكن ما يزيد التعقيد هنا هو غياب التأطير الابوي، بحيث اشار الى برودة في علاقته مع ابيه وغياب هذا الأخير في حياته و الذي يفترض ان يكون حاملا لموازين السلطة في البيت.

4.2.1- بين علاقة فاترة مع الاب/ وقوية مع الام و اختلال السلطة الابوية:

في الماضي كان الاب يتمتع بمكانة مميزة فهو من يضع الحدود و هو صاحب سلطة القرار و كانت له صورة ايجابية و مهابة في تصورات الابناء، اما في حالة رضا ومن خلال سرد القصة فالاب ليس نموذجا بالنسبة له و الدليل الصريح قوله "لن اكون مثل ابي"، وهذه احدى المؤشرات للتحول الثقافي، وهو تغير مكانة الاب بين الماضي و الحاضر .

اشار رضا اكثر من مرة الى علاقة سالبة و فارغة تجمعه بالآب، حيث كشف ان الاتصال بينه و بين ابيه شبه منعدم و انه لا يبالي، فالآب غائب تماما في حياته النفسية، بالإضافة الى انعدام الحوار بين طرفي العلاقة، لا توجد كلمات بين رضا و والده الا عند الحاجة فعبر عن هذه الوضعية بقولة بنوع

من عدم الاكثرات "اما ابي فنحن غير مقربان تماما سلام سلام" و الواضح انه بالنسبة له ابوه مجرد دعم ماذي او جيب يمه بالمصروف او يعيره السيارة اذا ما احتاجها ليس الا: "تحكي معاه غير كي يخصني دراهم". كما انه لا يجد مشكلا في مواجهته بكلام جارح اذا ما شعر بالغضب: "انا ايضا اجتنبه لكن عندما اشعر انه لا يمكنني التحمل اقول له ما يستحق".

شعرنا في هذا الجزء من السرد وفي عبارات اخرى متفرقة ان هناك نوع الادوار المعكوسة Rôles inversés في عائلة رضا، فمن جهة هناك اب لا يمتلك السلطة و من جهة أخرى هناك تحالف بين الام و الابن مسيطر و اب تحت السيطرة.

الاب ليس مصدرا للسلطة في البيت مما جعل الابن يسعى الى اخذ دور الاب و امتلاكها بمعية الام، ويظهر ذلك واضحا في قوله: "لو كان يستشيرنا لكنا افضل،كون جا يدبر علينا كون رانا ملاح" هذه الاستجابة التي تحدث عادة من الابناء في الوسط العائلي عندما لا يكون هنالك تسلسل هرمي واضح للسلطة.

على عكس العلاقة الباردة التي تجمعها بأبيه، علاقة رضا بأمه تبدوا وطيدة، لاحظنا اسرة رضا من خلال سرد القصة ان الزوج "ام -ابن" اقوى من الزوج "اب - ام" او بالأحرى "زوج-زوجة"، فهناك تواطؤ كبير بين الام و الابن مع استبعاد الاب من كلا الطرفين، هذه الوضعية معروفة في الثقافة الجزائرية و العربية الاسلامية على العموم، فقد شبّهت Helena Deutsch علاقة الام العربية بأطفالها ب"الحبل السري السيكولوجي"، و وضحت ان العلاقة ام- طفل تعلق على كل من العلاقتين زوج - زوجة و طفل-اب وهي تعكس قوة الحبل السري الذي يربط الانسان بأصوله الحقيقية كما ان العلاقة ام طفل هي وحدة نفسية مطولة بل ابدية.

وعليه يمكن رسم المثلث في العلاقة الاودية بضعل متقارب بين الابن و الام و ضلعين متباعدين بين كل منهما و الاب. اي ضعف في العلاقة بين الابن و الاب، قوة علاقة بين الام و الابن وضعف في العلاقة ام الاب.

رضا يرى امه جد قريبة منه و حنونة بدليل "ماما طيبة جدا معي و قريبة مني" كما ان بينهما نوع من التواطؤ. ثقافيا سواء في الثقافة المغاربية و حتى العربية العلاقة مع الام مميزة فالام ليست امرأة في حياة الابناء فهي مقدسة لا تشبهها امرأة و مصنفة على انها خارج الجنس hors sexe

وقد يكون السبب راجع الى التصور الجماعي للام في الثقافة العربية و المغاربية، انها ليست انثى عادية فهي مقدسة. كما ان حب الام في هذه الحالة عائق امام علاقة الحب الافقية ولقد تطرق الكثير من الانثروبولوجيين التحليلين عن نماذج من هذه الوضعيات، حتى ان بوحدبية Bouhdiba ذهب الى طرح بديل عن الاوديب في الثقافة المغاربية وهو "جودر" الذي يمثل نموذجا نمطيا في الثقافة العربية و المغاربية.

لكن التحول الملاحظ هنا، ان الاب الذي يعتبر رمز السلطة في الثقافة الجزائرية كما يصفها عدة أنثروبولوجيين جزائريين كالهواري عدي Lahouri Addi و غيره كثيرون و كذلك غريون نذكر على سبيل المثال و ليس الحصر؛ كاميلوي Camilleri Carmel و كامى لاکوست دوجاردان C. Lacoste Dujardin، هذه السلطة يفتقدها الاب في عائلة رضا، فمن خلال سرده لقصة حياته لاحظنا ان الام هي التي تلعب جل الادوار المنوطة بالأب، لأنها من يراقب الاولاد ويعمل على وضع الحدود بدلا منه، وهي من يحترمها و يخشاها بدل الاب الذي لا يحتسب وجوده و يتناول عليه احيانا ، اما امه فقد اشار انها من النوع الذي يستمع اليه و يحاسبه، و ذكر ايضا انها قوية الشخصية و تتصرف و فق قناعاتها و ليس بموجب قرارات الاب دون الدخول في جدال معه، وهنا يمكننا القول انها ام محبة لكنها مهيمنة. فهي فرد ذو تأثير في الاسرة اكثر من الاب.

اشار رضا ايضا في حديثه عن امه ايضا انها شريكته مستودع اسراره، وانها تسمعه حين يحكي لها عن علاقاته التي لا ترقى الى ان تكون جدية بعد، فهناك حوار حر بين الابن و امه، سبق لكميلوري Camilleri ان اشار الى هذا التواطؤ للام العربية و العلاقة الوطيدة بينها و اطفالها خاصة الذكور الذي يمجذ العلاقة الرحمية *la relation utérine* الملموسة و المطولة عند الطفل حتى و ان اصبح راشدا¹

4.2.1- مواقع التواصل الاجتماعي برغم من انها تطرح نوع مختلفا من الاختلاط والتقارب بين الجنسين لكنها لا تغير التصورات و القوالب النمطية:

رضا ككل الشباب يعيش مسألة الاختلاط بالجنس الآخر بشكل يومي سوء كان ذلك في المدرسة، في الشارع، او حتى في موقع التواصل الاجتماعي التي فتحت مجال العلاقات -ايا كان نوعها- بين

¹CAMILLERI CARMEL, Jeunesse, famille et développement : essai sur le changement socio-culturel dans un pays du tiers monde (tunisie), éd CNRS, Paris, 1973

الجنسين في شكل مختلف أكثر سهولة و غير خاضع للرقابة، الا ان هذا الاختلاط لم يكون لديه تصور ايجابي حولهن.

بحيث انه و الرغم من قوله انه ضليع او خبير بمسائل الفتيات كونه قريب منهن في اماكن الدراسية و غير الدراسية اضافة الى مواقع التواصل الاجتماعي التي تعتبر فضاء جديدا يعمل على التقارب بين الجنسين الا ان الغرابة l'étrangeté و التوتر بينه و بين الجنس الآخر لا يزال قائما عنده. كما يتخذ وضعية الحذر و الكره امام البنات و نلمس ذلك من خلال قوله: "اضن ان بنات هذا العصر اجمالا هن ماديات و لديهن اكثر من علاقة حب واحدة (خلطات) وانا لا اثق بهن" ولعل هذا ناتج عن التصورات و القوالب الجماعية والنمطية les stéréotypes sociaux التي لا تعبر دوما عن الواقع و تؤثر على الفرد و توجه تصوراته حول مسألة العلاقة بالجنس الآخر بحيث يقول انه يعرفهن لكن هذه المعرفة ناتجة عن تمثلات ذهنية جماعية راسخة و مترسبة من المخيال الجماعي، اذ تعبر Camille Lacoste-Dujardin في مقدمة كتابها المعنون بالأمهات ضد النساء، عن العلاقة بين الرجال و النساء بالتناقضات في تصرفات الرجال امام النساء فهي مليئة بالكره السخرية، القمع و الاطراء، التقديس و الولع لكن دائما مع الحذر منهن كما يشير الى ان القلق الدائم نحو الجنس و الفصل الصارم بين الجنسين¹.

وعليه بالرغم من ان الممارسات الاجتماعية تغيرت بحيث اصبح هناك مجال واسع للاختلاط المادي بين الجنسين في الواقع، لكن التصورات التقليدية مازالت قائمة و لم تتماشى مع هذه التغيرات بقدر كبير.

يجزم رضا انه يعرف البنات جيدا و انه يفهمهن جيدا بحكم اختلاطه اليومي بهن، سوء في الثانوية في الشارع او في مواقع التواصل الاجتماعي وهذا جزء من ما يهمننا في هذا البحث، فمسألة الاختلاط التي كنا نتحدث عنها فيما سبق، كالدراسة في مؤسسات تعليمية و جامعية مختلطة او نوادي رياضية تغيرت مع التطور التكنولوجي و خاصة مع ظهور شبكة الانترنت بما فيها مواقع التواصل الاجتماعي.

1.2.5- مواقع التواصل الاجتماعي، مجتمع افتراضي يعج بقصص المراهقين الموثقة بالصور:

ان العالم الافتراضي الذي يعيشه الانسان في مواقع التواصل الاجتماعي هو عالم جميل لطيف

¹ CAMILLE LACOSTE-DUJARDIN, Des mères contre les femmes, maternité et patriarcat au Maghreb, Paris, La Découverte, 1996, Essai.

و مضحك، تغلب عليه الانتشاءات على النشاطات المصورة و التعابير بالأعجاب بالصور و التهاني بالمناسبات. المعايير الاجتماعية تغيرت كما تغيرت طريقة التعبير عنها. في مواقع التواصل الاجتماعي هناك نوع من الشفافية المفرطة l'hyper transparence عبر عنها مؤسس فيسبوك نفسه Mark Zuckerberg كما وصف الحياة الشخصية و الخصوصية بالمبتذلة. حيث المراهقين هم الاكثر تسابقا على اكتساب الشهرة من خلال تعرية حياتهم بكل تفاصيلها في صفحات التواصل الاجتماعي.

ان هذه الوسائل الجديدة امتلأت بقصص هؤلاء المراهقين، وهي قصص موثقة بالصور التي يلتقطونها في كل مكان لنشرها على مواقع التواصل الاجتماعي، وهذا مؤشر آخر على تحول جديد حدث في الثقافة الجزائرية؛ ففي الماضي كان هم الانسان ان يحافظ على خصوصياته وان يتوارى عن الانظار "les gents se cachent" اما الان فعلى العكس، نلمس نزعة نحو الظهور و عدم التحفظ في الحياة الاجتماعية وايضا على مواقع التواصل الاجتماعي "les gents s'affichent" وهذا تحول جديد.

ولقد لاحظنا ذلك بوضوح في هذا السرد لقصة رضا، حيث ذكر انه على علاقة " *je suis en couple* " و انه يضع كل صوره على موقع الفايسبوك الذي يعتبر ارشيفه الخاص بدل البومات الصور التي كانت تستعمل لهذا الغرض ، حتى صارت مواقع التواصل الاجتماعي تعج بالصور و بالقصص التي تنتشر في العلن.

كما اثار نفس النقطة عندما تحدث عن صديقتها الحميمة حيث قال: " و تضع صوري على صفحتها في حسابها على الفيسبوك" و التحول هنا واضح لان الفتاة لم تعد تخفي و تفتخر انها في علاقة علنا و على صفحات التواصل الاجتماعي، وهنا تعود للواجهة مسالة التصور الذي تبنيه الاجيال الحالية حول العذرية المعنوية و بعض القيم المتعلقة بالعائلة كحرمة الحشمة الشرف و العفة التي بنيت عليها الثقافة الجزائرية.

مسالة تقبل بعض الامهات بالعلاقات بين ابنائهن و الجنس الاخر، ليس الذكور فقط بل حتى الاناث ايضا تحول آخر في المجتمع الجزائري ،فقد جاء في هذا السرد عبارات تدل عليه؛ "اما هي فأمها على علم بعلاقتنا انا اعرف ذلك". فالعبء الذي كان على كاهل الفتاة المتمثل في العفة كونها تحمل شرف عائلة بأكملها لم يعد يؤرق الامهات بدرجة نفسها التي كانت عليه في السابق، فالامهات صرن يكتفين بتوعية الفتيات بدل منعهن من الدخول في علاقات مع الشباب واقامة حدود مادية فاصلة.

قام جورج موردوك Georges Murdock بمقارنة -تبننتها المرنيسي Memissi فيما بعد وقامت بتوسيعها- حول تنظيم الغرائز الجنسية في كل من المجتمعات الغربية و المجتمعات التقليدية المسلمة، فوجد ان الغرب يعمل تدخل الموانع و القواعد التي تحكم الجنس بشكل معنوي من التنشئة الاجتماعية، اما في المجتمعات الاسلامية التقليدية هناك حدود مادية تمنع الوقوع في المحرم على راسها الفصل بين الجنسين، طريقة اللباس و الرقابة الشديدة التي تسلط عليهما، في هذه الحالة و من خلال سرد الحياة، ام الفتاة على علم بالعلاقة "العاطفية" وهنا نلمس تقارب في طرق التفكير و المنطق بين المجتمع الغربي و المجتمعات العربية، لعل الوسائل السمعية البصرية ساهمت بقدر كبير في خدمة هذا التقارب تحت ما نسميه بالعوامة، فهناك العديد من التحولات في الثقافة الجزائرية تساهم فيها هذه الوسائل السمعية البصرية على رأسها الانترنت.

6.2.1- المراهق و التناقض الوجداني؛ بين مغريات النموذج الغربي و بقايا القوالب النمطية للمجتمع المحلي:

سجلنا من خلال سرد رضا لقصته، وفي مرات عديدة تبنيه للمواقف المترددة و المتناقضة les attitudes alternantes¹ بين مغريات الحياة الغربية و المقدسات العربية، لمسناها في نظرتة الى الاختلاط بين الجنسين و رغبته في الحريات خاصة الحرية الجنسية لكن في نفس الوقت مع تواجد تصورات جماعية نمطية les stéréotypes sociaux حول الفتيات الاتي يمارسن هذا المطلب، مطلبه في الحرية الجنسية. المراهق ليس الوحيد الذي يعيش هذا التناقض الوجداني L'ambivalence فمن وجهة نظر نور الدين طوالبي TOUALBI التناقض الوجداني "حتمية نفسية" عند كل افراد الذين يعيشون في ظل المجتمعات تسودها تعددية ثقافية اذا يخلص الى التصرفات و تصورات يوظفها الفرد في حياته اليومية ليتمكن من السيطرة على توازنه النفسي و تبادلاته و تعاملاته الاجتماعية و صراعاته امام القيم و النماذج الثقافية التي يواجهها.

لقد عبر رضا بكل صراحة ووضوح حول رأيه في مسألة الحرية الجنسية، حيث يشيد بنجاعة النموذج الغربي في طريقة تناوله لهذه المسألة ، لأنه و حسب تعبيره، العلاقات الحميمة موجودة في مجتمعه علنا، او في الخفاء حفاضا على الصورة العامة للأفراد و عدم رغبتهم في السير ضد تيار القيم الاجتماعية المتعارف عليها، لكن هذا لا ينفي وجود حرية المجتمع، فهو يؤيد الحرية الجنسية مع ضرورة

¹هي اساليب نمطية للتناقض الوجداني الناتج عن العيش في ظل الازدواجية الثقافية.

توعية الشباب حول مخاطر هذه علاقات، ونعتمد في هذا التحليل على قوله: "تمنى ان تكون لنا الجرأة لوضع كروتنا فوق الطاولة" *Les cartes sur table* " مثل الغرب فيما يخص الحرية الجنسية، عندما تتوفر الحرية تقل المشاكل كل شيء يصبح شفاف و مكشوف... العلاقات الحميمة موجودة على كل حال، لكن حبذا لو يكون هناك توعية للشباب حول الامور الجنسية و الاخطار الناجمة عنها" لكن المفارقة انه لا يقبل الزواج الا من بنت جدية و محترمة: "انا شخصيا يمكنني ان اعرف العائلة على حبيبي لكن عندما تكون صادقة و مناسبة اما الفتاة التي معي الآن لا مستحيل" فهو مع مسألة الحرية وفي نفس الوقت يرى ان ممارسة العلاقات في اطار شرعي يبقى هو الافضل، ونسجل هنا؛ ان هناك فتاة للهو وخوض التجارب الجنسية و فتاة للزواج و حفظ النسب و النسل، ولا يمكنه ان يتزوج من فتاة من النوع الاول: الغير وفيات او "خلطات" كما عبر هو في سرد قصته، ولو توقفنا هنا لشعرنا ان الحالة في حالة تناقض او تجادب وجداني، يقاذفها "المقدس و المحرم"¹ اذا ما استعنا بمقولة نور الدين طوالي TOUALBI، لكن نظرة رضا الى المسألة الجنسية لا تمت للنمط لغربي حول الحياة الجنسية بأية صلة، فالغرب عندما يتبنى الحرية الجنسية لا يبحث و لا يحكم على ماضي طرفي العلاقة عندما يقران الزواج.

يعود هذا التناقض الوجداني للظهور مجددا عند حديثه عن مسألة الحجاب، فهو يفضي بعدم الشعور بالارتياح للمحجبات لأنهن يعطينه شعورا بالغموض وعدم الارتياح، و انه ضد هذه المسألة، لكن المقدس هنا موجود دائما "افضل لا ترتديه شريكة حياتي المستقبلية لكن ان كانت مقتنعة بوضعه اذن انه ليس من حقي ان ارفض" وعدم الرفض هنا يشير الى فتحة تمر عبرها ثقافة المجتمع و الدين المكتسب، فهو نابع من داخله من الانا الاعلى الذي يعكس بصمة المجتمع الذي يعيش فيه و الموروث الثقافي و الديني، و الدليل الثاني قوله "حرام عليا".

وكذلك في مسألة الصلاة و الصوم، فهو لا يصلي حليا لكنه يبرر بكونه متكاسل عن اداء الصلاة و ليس رافضا لها. اما الصوم فقد اشار انه يصوم ككل الجزائريين لأنه خط احمر في تصورهم للمسلم، فمن لا يصوم لا يعتبر كذلك.

ومباشرة تعود الرغبة من جديد، لتبني نمط الحياة الغربية بحجة تطورهم و تخلف العالم الذي يعيش فيه، "راهم هاربين علينا بزاف..."، "...نحن متخلفون متعصبون و نقتتل فيما بيننا" يعمد رضا في

¹استعانة بمقولة نور الدين طوالي التي استعارها من MIRCIA ELIADE.

مرات عديدة الى ترتيب الثقافات حسب الافضلية و التفوق *hiérarchisation des cultures*، هم افضل منا "راهم هارين علينا بزاف".

كما يعمل على تدخيل القيم الغربية في حياته، و الميل لها، من خلال استراتيجية *la strategie d'adaptation*، من خلال اسلوب حياته و حتى نظرته الى الواقع، كون الثقافة الغربية تحتل مرتبة ارقى من الثقافة المحلية في ترتيبه، فهناك جاذبية قوية و اغراء يدفعه لتبني النمط للغربي *l'attrait de l'occident* كثيرا ما تؤدي هذه الحالة الى شعور الفرد بالاعتراب في وسطه الأصلي، أو يمكن ان يطرح ذلك بعض المشاكل على مستوى علاقاته بمجتمعه الواقعي، لكنه قد اجاب عن هذا الاشكال عندما استفسرنا حول ما اذا كان يشعر بالتوافق النفسي، وهو يعمل على تبني النمط الغربي في مجتمع جزائري بقوله "انا مرتاح كما انا" وقد يكون ذلك راجعا الى تقيمه السلبي لمجتمعه، كونه لا يرقى الى مستوى تطلعاته، فنحن هنا في صلب محاولة البحث عن الهوية، في ظل نماذج براقاة و جميلة، تثبت عبر وسائل عديدة قريبة من الشباب ومحبية لهم كالأنترنيت في حالتنا هذه، وكذا السمعي البصري، حاملتا افكار و تصورات جديدة و غريبة عن الثقافة الاصلية لرضا، خاصة و انه مراهق متفتح كثيرا على التكنولوجيات الحديثة.

حتى انه لم يعد يجد لنفسه مكانا هنا بل هناك "إن أُتيحت لي الفرصة سوف اهجّر لأي مكان بعيد عن هنا" وذلك بالرغم من انه محصن ماديا و معنويا، كما وانه يعمل على هذا المشروع، مشروع الهجرة بتعلم اللغات الاجنبية و اتقانها.

وهكذا يعيش رضا وهو نموذج من المراهقين الجزائريين، في قلب التعددية الثقافية التي تتبع من الانفتاح على العالم من خلال مختلف الوسائل التكنولوجية التي تتطور بوتيرة سريعة لتحدث تحولات ثقافية، كل يعيشها حسب شخصيته و حسب قناعاته.

2- الحالة الثانية: نرجس

نرجس 18 سنة ، تدرس في القسم النهائي بالثانوية ، مرشحة لاجتياز امتحان البكالوريا ، تعيش مع امها، زوج امها و اخوتها الغير اشقاء .

نرجس فتاة جميلة بيضاء ذات ملامح داكنة، شعر طويل وجسم ممتلئ، ترتدي ملابس شبابية على الموضة وتهتم بأناقيتها.

يتأرجح حديثها بين الصراحة والدعابة احيانا والتكتم احيانا اخرى، حديثها كان كله بالدارجة التي يغلب عليها الفرنسية بشكل ملحوظ .

في استقصائنا لجمع المعلومات عن العينة، اظهرت اجاباتها انها تبقى على الأنترنت جل يومها وتشاهد برامج التلفزيون بشكل مكثف ايضا، ونادرا ما تذهب الى المسرح الا عندما يبرمج الحفلات الموسيقية خاصة الاندلسية منها.

عندما شرحنا لنرجس دوافعنا من لقاءها واهداف بحثنا وافقت على الفور ان تكون جزء من هذا العمل ، اجريت مقابلات بمكتبة الثانوية في الاوقات التي لا تستقبل فيها للتلاميذ بدعم من الطاقم الاداري لتوفير الجو المناسب لإجراء المقابلات.

1.2- سرد قصة الحياة :

انا (الاسم الكامل) ولدت بوهران سنة 1997 واعيشت بها في حي (كارطو) ،اصلنا من الغرب الجزائري بالضبط من مدينة مسيردة، وكما يبين اسم عائلتي (...). فنحن ننحدر من اصل تركي.

والداي في الاربعينات مطلقان منذ ان كان عمري ستة سنوات تقريبا، قيل لي انهما لم يتفقا معا لانهما كانا صغيرين في السن عندما تزوجا. يعمل ابي اعمالا حرة هو تاجر، اما امي فهي مأكثة بالبيت حاليا، لدي خمس اخوة ذكركين من امي يعيشان معي اكبرهما يبلغ من العمر 8 سنوات ، وثلاثة من ابي ، بنتين وولد ، زوج امي رجل طيب " Morceau de sucre " اتفق معه جيدا .

تعيب علي امي انها لم تراني يوما احمل كتابا اطالعه من غير الكتب المدرسية وتقول ان الكتب تتقف الانسان، واجيبها دائما اننا جيل التكنولوجيا وثقافتنا مستمدة من الانترنت، لسنا جيل كتب ولا مضطرين لقراءتها لأننا نحصل على المعلومات في اي مكان من خلال تصفح محركات البحث في شبكة النت.

ثقافتنا غير مبنية على العناء و"الميزيرية" المكتبات و الكتب، وهذه اكبر نقطة اختلاف بيني وبين امي بالإضافة الى انها تراقب كل ما افعل وتتجسس علي اينما اذهب.

انا اعني تماما خطورة الانترنت، فهو عالم افتراضي جعلنا ننسى حياتنا الواقعية « c'est un monde virtuel qui nous a fait oublier toute notre vie réelle »

لكنه اصبح طريقة لعيشنا « c'est notre manière de vivre » ان لم يصبح حياتنا كلها، انا مثلا عندما ادخل الى البيت، ارمي حقيبي واغراضي ومباشرة افتح هاتفي الذكي على النت اتصفح مواقع التواصل لساعات طويلة، حتى ايام الامتحانات ابقى ساهرة مع النت حتى وقت متأخر من الليل، انا ادرك تماما ان الأنترنت قد غيرتني كثيرا، في السابق -اقصد قبل دخول الأنترنت الى بيتنا- كنت من النجباء كنت احب الدراسة اما الان صرت لا ادرس الا وانا مرغمة، أوجل كل شيء حتى تتراكم علي الامور. حياتي صارت فوضوية لكن لا استطيع التوقف عن استعماله تحت اي ظرف، لان الانترنت بالمقابل يجعلني استطيع السيطرة على حياتي لأعيشها كما احب « le net me permet de vivre comme je veux » انه مكان للحرية حيث انتفس c'est un lieu de liberté dans lequel je respire » فهو المكان الوحيد الذي لا تستطيع امي الوصول الي فيه ، انها تحكم سيطرتها علي في

كل مكان تأخذني وتعيدني من الدراسة ترافقتي اينما اذهب الا عندما ادخل هذا العالم - عالم النت - لأنها لا تتحكم فيه ولا تعرف كيفية استعماله . فتحاول السيطرة على الوضع بفصل جهاز استقبال الإنترنت عن الكهرباء عندما ادخل البيت " كي ندخل للدار elle le débranche وتقول لي ابنتي ماكاش وبي wifi، راني نقولها لك . بغيتي تقري بغيتي تقعدى " فأقول لها امي لا بأس اطفئه فلدي تقنية الجيل الثالث على هاتفي "معلش طفيه ماما عندي 3G" .

اضافة الى الحرية التي ابحت عنها في الانترنت كما قلت لكي، فانا دائمة البحث عن اصدقاء جدد . احب التواصل وانا دائما على الخط je suis toujours en ligne، اقبالي على هذه المواقع هو مواكبة للعصر وطريقة للعيش هذه حياتي ويومياتي التي اعيش ثلاث ارباعها على النت .

فلدي فيسبوك Facebook ، يوتوب YouTube انستغرام Instagram ، تويتر twitter ، فايبر viber، وات ساب WhatsApp ، سكاى بلوغ Skyblog

انا استعمل الفيسبوك، الانستغرام و الفاير للمكالمات المجانية بشكل دائم . هي ليست مجانية لأننا ندفع بالمقابل اقساط الانترنت. لكن يضل دفع قسط واحد يفتح لنا عدة طرق للتواصل شيء ايجابي. اما الباقي فهي مجموعة من المواقع المتواصلة ونحن نتبع كل جديد ونشترك c'est des réseaux « qui se suivent, et nous on suit et on s'abonne »

هي ايضا مسالة حداثة ومودة « c'est une question de modernité, une mode » ، وبقاء على اطلاع دائم على الجديد بيننا نحن الشباب ، بحيث تقول لي احدى صديقاتي مثلا : عندي انستغرام ، فأقول علي ان اشترك انا ايضا حتى و ان كنت لا احتاجه.

تتساءلين عما اذا كنت اضع صوري ؟ طبعا اضعها دون اي تحفظ في بروفيلاي صورة البروفيل تعني هذه انا ، وعندما يراها الاخرون يقولون: آه نحن نعرف هذه الفتاة، بعض الناس يضعون صور لمناظر، اشياء ، ممثلين او اطفال وهذا سخيف، البروفيل دوره التعرف على صاحب الحساب او الصفحة، و يشترط في الصورة التي استعمالها ان تكون جميلة تعبر عني لأنني كذلك . وما يجعلها جميلة الاضاءة الجيدة ، لا استعمال تطبيقات لتجميل الصور كثيرا، لكن الاضاءة مهمة بالنسبة لي في اخذ صور السالفي selfie التي اشاركها (partager) على الانستغرام او فيسبوك، وطبعا لا تأخذ الصور عندما يكون الانسان قد استيقظ للتو من النوم.

احب التواصل مع اصدقائي الذين اعرفهم، اطلع على مضمون صفحاتهم و اعبر عن اعجابي بها بوضع j'aime و اعلق على بعضها. واحب التعرف على اشخاص من بلدان اخرى، قصد التفتح على العالم، لدي بعض الاصدقاء من لبنان ، سوريا ، والاردن، لدى شبابهم طريقهم في التعامل مع المرأة ، قدرة على التواصل والتعبير لا يمتلكها الجزائريون ، ولديهم جاذبية فريدة تشعرني ان العالم هو هناك، الحضارة تظهر في تصرفاتهم. انا ايضا من محبي الاكل والسينما الشرقية .

لدي ايضا اصدقاء من فرنسا واسبانيا ، و التحدث معهم يجعلني اقوي لغاتي الاجنبية.

يعتبر التلفزيون ايضا من بين اهتماماتي اليومية، لكن ليس بقدر الانترنت، لا احب القنوات الوطنية لان معظمها لا يعرض الا الاخبار. لكن اشاهد مع امي بعض الحصص والمسلسلات، ربما هي فرصتي لقضاء بعض الوقت معها احب المسلسلات التركية المدبلجة كحريم السلطان، مهند، سنوات الضياع... وغيرهم من المسلسلات الدرامية التي اشتهرت على القنوات العربية وحتى قنواتنا الوطنية و التي شاهدت معظمها، قصصها مثيرة و ابطالها رائعون في الشكل في الشخصية و في كل شيء، احب ايضا المسلسلات والافلام العربية ذات الانتاج المشترك بين عدة بلدان من المشرق العربي والتي عادة ما تعرض في MBC و أبوظبي اشعر انها اقرب الينا بحيث يجمعنا بهم نفس الدين والقيم. انا اميل قليلا الى الثقافة الشرقية انها مميزة في كل شيء الاكل اللباس طريقة الحديث في العادات... اما الثقافة الجزائرية فلم نعد نراها الا في الاعراس التي صارت مكلفة على الشباب بسبب العادات. اما في المشرق العربي فيحافظون عن الاصالة و لديهم حضارة ذات ماضي بعيد. لكن برغم من ذلك فما اقله عنهم ليس الا نوعا من الفخر و الحنين *une sorte de nostalgie* لسحر الشرق او المشرق العربي والافتخار بأصالتها وجمال نسائها المحجوب وعقلية رجالها المسيطرة فان حدث و ان خيروني الى اين اذهب اذا اردت الاستقرار بعيدا عن هنا فسوف اختار اوروبا ، لان العالم العربي حاليا ضعيف غارق في الحروب وفي هبوط مستمر .

عن حياتي في البيت ، كما قلت لكي اقضي بعض الوقت مع امي حتى وان قضينا نتجادل او امام التلفزيون فإني احبها كثيرا، لقد تعبت بعد طلاقها من ابي، لكن ربتني دون ان تحتاج لاحد من عائلة ابي ، كانت تعمل معلمة الى ان تزوجت بعد 6 سنوات من الطلاق .

زوج امي يعمل ما بوسعه ليكون ابا لي ، الحمد لله هو رجل طيب ، ينصحنى ويهتم لأمرى j'ai
de la chance, parce que c'est rare d'avoir un beau-père aussi gentil que le
mien

امى من النوع الذي يحب السيطرة على الامور، لا تترك شيئاً للصدفة منذ ان كبرت اصبحت
تدقق كثيرا في امور الخروج من البيت والدراسة وصديقاتى ، امى تحشر نفسها في كل معارفى وتقول ان
من حقها ان تتعرف عليهم لتحكم ما اذا كانوا مناسبين لى، على ذكر المثل الجزائري الذي طالما تكرر
امى وحفظته عنها " خالط العطار تنال الشموم وخالط الحداد تنال الحموم "

تغيرت معاملة امى لى منذ دخلت الثانوية ، احيانا اشعر انها لا تثق بى بالرغم انى لم اتغير،
من حقى ان اكون جميلة واهتم بنفسى j'ai le droit d'être belle et coquette ومن حقى ان يكون
لى معارف و اصدقاء لا تعرفهم امى، انا افهمها تماما فهى تريدنى مثالية وعندما اضع نفسى مكانها
افهمها لأنها كانت وحيدة عندما كنت صغيرة وتعتبرنى دائما مسؤولة ثقيلة عليها ، لكنها تخنقنى وعندما
اتضايق ألجأ الى عالمى الذي لا يمكنها دخوله -الانترنت- انا احاول ان اعيش سنى وان اتخذ قراراتى
بنفسى وابنى ذاتى و لو على نتائج اخطائى.

اما ابى فلا احب التحدث عنه . فهو متزوج من امرأة اخرى ولديه عائلة ، اتحدث معه مرتين او
ثلاث اسبوعيا عبر الهاتف وكنت امضى بعض نهايات الاسبوع فى بيته عندما كنت صغيرة لكنه ليس
قريب منى.

زوج امى لطيف كما اخبرتك، يتكفل بالبيت ماديا ، لكن امى هى المسؤولة المباشرة عن اتخاذ
القرارات فيه.

خارج البيت ، فى ثانويتى او عبر مواقع التواصل الاجتماعى لى اصدقاء من الجنسين لكنى
افضل الذكور فى مسألة الصداقة، ارتاح لهم اكثر لانهم نية naïfs فى الصداقة أما البنات فلهن نوع
من الغيرة من بعضهن و خبث، لذلك فمصادقة الاولاد يريحنى اكثر، الاختلاط معهم يثقفنى ويجعلنى افهم
كيف يفكرون avoir des amis garçon me cultive et me donne une idée sur leurs
manière de pensé

لكن فيما يتعلق بالحب فهم فاشلون تماماً ، الحب بالنسبة لهم مرادف للجنس فسذاجتهم التي تلمسنيها فيهم عن الصداقة تتحول بدرجة 180 عندما يتعلق الامر بحبيباتهم لا يعملون سوى على ابقاعهن في الفخ ثم يرفضون العلاقات الجدية معهم بعد ذلك. وهم فاشلون تماماً في التعبير عن الحب .

كما سبق وان قلت لكي لديهم نقص في التعبير بالأقوال والافعال عن مشاعرهم " مانقارعش منهم يقولو الشعر بصح عندهم ازمة تعبيرية" وهذا بعكس المشاركة لديهم عمق في الاحساس ويختارون كلمات تعبر عنهم بأسلوب راقى، طريقة كلامي ولهجتي الجزائرية تعجبهم ايضا ، يعجبهم ذلك المزج بين الجزائرية والفرنسية ، بالرغم من انهم لا يفهمونني دائما واضطر الى الترجمة.

انا اتجنب الوقوع في علاقة لمجرد تضيية الوقت او لتكون لي شعبية pour que je sois populaire لا احب ان اكون محط الانظار من هذه الزاوية ، بالرغم من ان هذا هو المعمول به حاليا في مجتمعنا " فلانة تخرج مع فلان بوه عنده كذا وكذا " وعندما اخرج مع احدهم يكون ذلك في سرية ، وعليه ان ياخذ ظروف في بعين الاعتبار كمجيء امي لإيصالني واقتالي من المدرسة طوال الوقت وعدم امكانية خروجي بدون اسباب ، لذلك لا تطول علاقاتي مع الشباب، فهم يفضلون الفتيات المتحركات.

اما فيما يخص المسائل الجنسية ، او الثقافة الجنسية بما انك تسالين، فانا احاول ان اناقش بعض الامور مع صديقاتي كنوع من الثقافة الجنسية اللازمة لكي تتمكن من المحافظة على انفسنا في اللحظات الحميمية، فمسالة العذرية مهمة جدا عندي وفي المجتمع لأننا في بلد مازالت لديه عاداته وتقاليده، و العلاقات الجنسية قبل الزواج يجب ان تتوقف عند بعض الحدود

اتمنى ان اتزوج يوما ما عندما انهي دراستي الجامعية واطن ان العمر المناسب للزواج بالنسبة للبنات هو 23 سنة، لكن العمر غير مهم، المهم ان احظى في النهاية بالرجل المناسب un bon morceau ومن شروط ان يمتلك بيتا خاصا ، لأن من المستحيل ان اتمكن من العيش مع عائلة كبيرة ، لا اضن اني اتحمل ان تملي علي "عجوزتي" واخوات زوجي ما علي فعله وتتدخلن في حياتي. ولكن حلمي الاكبر هو الذهاب الى الخارج لإكمال دراستي، وربما اجد هناك نصيبي.

وفي الاخير ولك اوضح توجهي الثقافي بما ان الامر يهملك؛ اقول ان الجزائريون عندهم ازمة ثقافية، يفعلون كل ما بوسعهم للوصول الى حياة تشبه حياة الغربيين. نحن لسنا مقتنعين تماما بثقافتنا، ولكن اذا اردنا ان نظورها اعتقد ان المشرق العربي يشبهنا و قريب منا اكثر.

2.2- تحليل المضمون:

نرجس هي البنت البكر لأسرة تفككت عندما كانت صغيرة السن، بنى كل من والديها حياة مستقلة عن الآخر حيث عاشت هي مع امها بالرغم من انها تزوجت من جديد، كما انها على اتفاق مع زوج والديها و بعيدة عاطفيا عن والدها و اهله.

عندما نقرأ سرد حياة نرجس، نستنتج انها تقسم حياتها الى مرحلتين، مرحلة ما قبل الانترنت و مرحلة ما بعد دخول الأنترنت الى البيت "في السابق قبل دخول الأنترنت الى بيتنا كنت... اما الآن صرت...". كما تصف سلسلة التغيرات التي حدثت لها بداية من ادمانها عليه كونه عالمها الذي تبتعد من خلاله عن الاسرة و عن سيطرت امها، حيث تقضي ثلاثة ارباع يومها امام شاشة الأنترنت وهو وقت طويل جدا للبناء النفسي، تحضي به هذه الوسيلة من وسائط التنشئة الاجتماعية المنفتحة على العالم، الى وصف تأثيراته على دراستها و على حياتها الاجتماعية ونظرتها الى الثقافة.

ان الانترنت و ان كانت وسيلة لها امتيازات كبيرة لدى نرجس، الا انها تُقبل ايضا على التلفزيون الموجه الى القنوات العربية و الجزائرية، حيث تهتم بالبرامج ومسلسلات الشرق اوسطية و التركية بشكل خاص، بحيث يظهر بشكل واضح تأثير الابطال السينمائيين عليها باعتبارهم نماذج جذابة، جعلها تميل الى الثقافة الشرقية و تتقرب منها من خلال وسائط التواصل الاجتماعي و تدخل في الوقت ذاته في مجموعة من المقارنات لصالح النماذج الشرقية -التي يطرحها الانترنت و يقربها منها و التي يعرضها التلفزيون الفضائي و حتى القنوات الوطنية- على حساب النماذج المحلية. وعليه فالوسائل السمعية البصرية تساهم عند هذه الحالة على تبني ثقافة الآخر او مايسمى التثقاف acculturation مع التقليل من قيمة الثقافة المحلية او النظر اليها من زاوية سلبية وتقول في هذه المناسبة عدة جمل صريحة: " لديهم¹ جانبية فريدة تشعني ان العالم هو هناك، الحضارة تظهر في تصرفاتهم. انا ايضا من محبي الاكل والسينما الشرقية" مع الغاء الثقافة المحلية او النظر اليها بسلبية نحن لسنا مقتنعين تماما بثقافتنا، ولكن اذا اردنا ان نطورها اعتقد ان المشرق العربي يشبهنا و قريب منا اكثر" كما يصعب عليها تحديد او رؤية الثقافة الجزائرية "اما الثقافة الجزائرية فلم نعد نراها الا في الاعراس التي صارت مكلفة للشباب".

¹تقصد المشرق العربي

1.2.2- مُراهقة تسعى للخروج من تباعيه الاسرة لتقع في تباعيه الشاشة (الانترنت)

نرجس فتاة تعي و تعترف انها تعاني من ادمان الانترنت، كما تحب مشاهدة التلفزيون و تقوم بتشغيله في كل الغرف اينما تجولت في البيت، يتفق كل ما قالته عن شغفها بهاتين الوسيلتين السمعية البصرية مع نتائج الاستبيان الذي اجابتنا عليه قبل سرد الحياة، فقد بين هذا الاخير انها تمضي جل فترة يقظتها امام الشاشات المتعددة (كمبيوتر، هاتف دكي، تلفزيون...).

"تصفح مواقع التواصل لساعات طويلة" كما انها على وعي تام بخطورت هذا الادمان على حياتها الاجتماعية و الدراسية بحيث تقول "انا اعني تماما خطورة الانترنت، فهو عالم افتراضي جعلنا ننسى حياتنا الواقعية *c'est un monde virtuel qui nous a fait oublier toute notre vie réelle* و الاهم من ذلك انها تعتبره طريقة للعيش "لكنه اصبح طريقة لعيشنا *c'est notre manière de vivre* ان لم يصبح حياتنا كلها".

نعلم جيدا بان فترة المراهقة هي الفترة التي يعمل فيها المراهق على التحضير لمشروع للحياة، كما ان المراهقة في حد ذاتها يمكن اعتبارها اول فرصة يمنحها المجتمع للمراهق، حتى يتمكن من اختيار طريق شخصي، هوية او مهنة، فهي اذن مرحلة ديناميكية لبناء الفرد بامتياز. هذه الفرصة هي حق من حقوق المراهق، حيث يبدأ بالابتعاد عن الاسرة باحثا عن الاستقلال الذاتي تدريجيا، بتقص الادوار التي تقربه من الراشد خارج النموذج الطفولي (الوالدين)، لذلك يعمل المراهق على اعادة النظر في تقمصاته السابقة (عمودية)، الى تقمصات اخرى (افقية) و هذا مطلب اساسي من مطالب هذه الفترة من العمر، و النظر الى الذات على انها مختلفة.

لكن والدة نرجس تركز بشدة عليها باعتبارها البنت التي انجبتها من زواجها الاول، و كانت المسؤولة الوحيدة عنها لذلك تنتظر منها الكثير، و هذا ما عبرت عنه نرجس في جملة حاولت من خلالها ان تنظر بمنظور امها لها حيث تقول " انا افهمها تماما فهي تريدني مثالية وعندما اضع نفسي مكانها افهمها لأنها كانت وحيدة عندما كنت صغيرة وتعتبرني دائما مسؤولة ثقيلة عليها".

هذا الخوف و التوجس من النتيجة التي سوف تحملها لها الفتاة في هذه الحياة، تحاول الام الا تترك شيئا للصدفة، كما تسعى لتكون على علم بكل ما يدور في حياة ابنتها.

تعتبر نرجس عن هذه الحالة بالاختناق، ورفضها لهذه التدخلات التي لا تجد لها داعيا. كما ترى انه من حقها ان تعيش و تتعلم ولو على انقاض اخطائها.

نأخذ بعض العبارات على سبيل المثال و التي تكررت كثيرا في هذا السرد حتى توحى انها عقدة حياتها:

"امي من النوع الذي يحب السيطرة على الامور، لا تترك شيئا للصدفة منذ ان كبرت اصبحت تدقق كثيرا في امور الخروج من البيت والدراسة و صديقاتي ، امي تحشر نفسها في كل معارفي وتقول ان من حقها ان تتعرف عليهم لتحكم ما اذا كانوا مناسبين لي".

"احيانا اشعر انها لا تثق بي بالرغم انني لم اتغير، من حقي ان اكون جميلة واهتم بنفسي *J'ai le droit d'être belle et coquette* ومن حقي ان يكون لي معارف و اصدقاء لا تعرفهم امي". - " انا احاول ان اعيش سني وان اتخذ قراراتي بنفسي وابني ذاتي و لو على نتائج اخطائي".

اذن فإن من وجهة نظرها امها لا تمنحها فرصة لعيش اي تفصيل من مراقبتها دون تأطير و تدخل عائلي، او على الاقل هذا ما تشعر به هي نفسها و ما تصرح به.

ولان لكل فعل رد فعل، يزيد ادمان نرجس على الانترنت لكونه المكان الوحيد الذي لا تستطيع امها لحاقها اليه لأنه خارج سيطرتها كونها لا تتحكم في هذه التكنولوجيا " انها تحكم سيطرتها علي في كل مكان تأخذني وتعيدني من الدراسة ترافقتي اينما اذهب الا عندما ادخل هذا العالم - عالم النت - لأنها لا تتحكم فيه ولا تعرف كيفية استعماله".

ان شبكة الانترنت التي ترى فيها البنت متنفسها و المكان الوحيد الذي يجعلها تسيطر على حياتها، ونلمس ذلك في عبارة صريحة " انه مكان للحرية حيث انتفس *c'est un lieu de dans lequel je respire liberté* فهو المكان الوحيد الذي لا تستطيع امي الوصول الي فيه"

اما بالنسبة للام خارجا عن السيطرة " لأنها لا تتحكم فيه ولا تعرف كيفية استعماله . فتحاول السيطرة على الوضع بفصل جهاز استقبال الانترنت عن الكهرباء". لكن و مع توفر تقنيات متعددة للحصول على خدمة الانترنت اليوم، تلجأ اليها نرجس غير مبالية بأمها كونها تمتلك خدمة الجيل الثالث على هاتفها الذكي "معليش طفيه ماما عندي 3G".

ينكرر هذا السيناريو عند الكثير من الشباب المراهق الذي يعبر عن الرفض للواقع الاجتماعي او الساعي لإثبات الذات كأنهم يقولون نحن الشباب ضدهم هم الاباء بمحاولتهم بناء عالم في شبكة الانترنت لكن هل الانترنت حرية او تباعيه من نوع آخر؟

ان الانسان خلال مراحل حياته المختلفة، يقضى سيرورة نموه و بحثه عن الهوية في عملية التقمص ثم الغاء التقمصات identification/ désidentification، بعد اعادة النظر في تقمصاته السابقة للخروج في الاخير بهويته الخاصة، المشكل هنا يكمن في انه في السابق كانت النماذج المطروحة للتقمص من بيئة المراهق نفسها، اما الآن فالنماذج متعددة ووسائل عرضها اكثر تعدادا. و هنا يمكننا الاسترشاد ببرونو اوليفي Bruno Ollivier عندما و صف الوسائل السمعية البصرية بانها آلات للتقمص¹ des machines à s'identifier، اذن فهروب نرجس من قبضة امها l'emprise maternel و سعيها للاستقلالية يدخلها في تباعيه من نوع آخر وهي تباعيه الآلة أيا كانت (انترنت، تلفزيون ...).

لكن هناك مفارقة مثيرة للاهتمام في هذه الحالة حيث ان ما يفرقه الانترنت في علاقة نرجس بأماها يجمعه التلفزيون، فالانترنت يبعدها عن امها و مصدر خلافها معها اما التلفزيون فيقربها منها **"التلفزيون ايضا من بين اهتماماتي اليومية، لكن ليس بقدر الانترنت، اشاهد مع امي بعض الحصص والمسلسلات، ربما هي فرصتي لقضاء بعض الوقت معها"** كما تقول في وقت لاحق من سردها لحياتها **اقضي بعض الوقت مع امي حتى وان قضيناها نتجادل او امام التلفزيون فإني احبها كثيرا**. قد يرجع هذا التقارب الى ان التلفزيون مألوف للأجيال السابقة اكثر من الانترنت من جهة، كما يوجد اتفاق بين الام و ابنتها على البرامج التلفزيونية من جهة اخرى و هذا ما يبعث على التقارب. بحيث خرج فرويد في كتابه "علم نفس الجماهير و تحليل الانا" بفكرة حول الجماعة يمكن قياسها على هذه الحالة. حيث كل فرد يتقمص كل الاخرين، فالتقمص ممكن بفضل الاتجاهات الموحدة تجاه نفس الموضوع² فعندما يكون هناك موضوع موحد كالبرامج و القنوات التلفزيونية التي تجمع بين نرجس و امها و نحن هنا امام مركز تلفزيون الشرق الاوسط mbc و كذلك قنوات أبوظبي وحتى القنوات الجزائرية التي تشاهدان من خلالها المسلسلات الدرامية التركية المدبلجة و الافلام العربية ذات الانتاجات المشتركة.

¹ OLLIVIER BRUNO, identité et identification, sens, mots et techniques, Lavoisier, Paris, 2007, p149

² Freud S, 1968. psychologie des foules et analyse du moi, Édition Payot.

ان وسائل السمعى البصرى هى مناسبات متعددة للتقمصات المختلفة، لذلك فالاختلاف فى التنشئة الاجتماعىة يكمن ايضا فى نوع البرامج التى تمر عبرها الايدىولوجيات و الثقافات.

2.2.2- ما قبل و بعد الانترنت (معادلة الانترنت و الاهمال الدراسى):

نرجس فئات ممتدرسة و فى السنة النهائية بالطور الثانوى و عليها اذن اجتياز امتحان البكلوريا فى السنة الجارىة للقائنا بها، تشعر تماما بحجم المسؤولىة الملقاة على عاتقها، لكنها بالرغم من هذا الوعى لم تعد تستطيع التحكم فى الوضع، فقد صرحت انها لم تعد كما كانت فى سابق عهدا اين كانت من النجباء مند ان دخل هذا الوافد الجديد الى بيتها (الانترنت).

ان الساعات الطويلة التى تقضيها نرجس امام شاشة الانترنت و التلفزيون بمجرد دخولها البيت جعل حياتها فوضىوة و لم يترك لها فرصة تنظيم اوقاتها لا سيما تلك التى عليها تخصيصها للدراسة، "انا مثلا عندما ادخل الى البيت، ارمى حقيبتي واغراضى ومباشرة افتح هاتفى الذكى على النت اتصفح مواقع التواصل لساعات طويلة "

ما عبرت عنه نرجس لا يختلف ابدا مع نتائج الدراسات التى خلص اليها مختصون، ركزوا على البحث فى العلاقة الكامنة بين الوسائل الترفيهىة كالتلفزيون و الانترنت مع التحصيل او الاداء الدراسى.

فطوال عقدين من الزمن تراكمت ادلة عديدة على وجود علاقة ايجابية بين هذين المتغيرين، اذ انه كلما زادت مشاهدة الطفل الممتدرس للوسائل السمعية البصرىة كلما انخفض تحصيلهم الدراسى و العكس صحىح، ولعل اهم دراسة نشرت فى كتاب ل لباركر و لىل و شيرام Schramm, Lyle, Parker فى "التلفزيون فى حياة اولادنا" خلصت الى ان اكثر طلاب المدارس الثانوىة ذكاء هم الاقل مشاهدة للتلفزيون. ناهيك عن الارهاق الذى يتعرض له المراهق الممتدرس، الذى يقضى وقت فى تصفح الانترنت حتى ساعات متأخرة من الليل و هذا ايضا ما تعاني منه نرجس حيث تقول انها اعتادت على السهر فى الابحار على شبكة الانترنت حتى فى ايام الامتحانات "حتى ايام الامتحانات ابقى ساهرة مع النت حتى وقت متأخر من الليل، انا ادرك تماما ان الأنترنت قد غيرتني كثيرا، فى السابق -اقصد قبل دخول الأنترنت الى بيتنا- كنت من النجباء كنت احب الدراسة اما الان صرت لا ادرس الا وانا مرغمة، أوجل كل شىء حتى تتراكم على الامور. حياتى صارت فوضىوة لكن لا استطيع التوقف عن استعماله تحت اى ظرف. إذ ترى كيمبرلى يونغ Kimberly Young صاحبة مصطلح ادمان الانترنت، ان هناك

اعراض جسدية مصاحبة لهذا الادمان تشمل الخمول، التعب، الارق، و الحرمان من النوم و آلام الرقبة و التهاب العينين.

لذلك فمن الضروري ان يخضع استعمال الانترنت و المشاهدة التلفزيونية الى التأطير العائلي، و هذا ما تسعى له والدة نرجس، لكن الظاهر ان حاجة المراهقين تعودهم على هذه الوسائل كثيرا ما يدخلهم في صراع للخروج من الاطار الذي يحاول الآباء فرضه.

3.2.2- تحول في مصادر الثقافة من الكتاب الى الوسائل السمعية، النتيجة غياب رصيد الثقافي مشترك:

ليست الرقابة هي نقطة الاختلاف الوحيدة بين نرجس و امها و انما هما تختلفان في نقطة اخرى، فالأم تحاول ان تحت ابنتها على المطالعة بدل تصفح الانترنت اليوم بطوله " تعيب علي امي انها لم تراني يوما احمل كتابا اطالعه من غير الكتب المدرسية وتقول ان الكتب تثقف الانسان".

هذه النقطة لا تمس نرجس وحدها و انما هي احدى التحولات التي حدثت في الثقافة و ميزت بين جيلين متواليين اذن ان علاقة الجيل الحالي بالكتاب ليست قوية¹ بقدر ما كان عليه جيل آباؤهم الذين يفضل اغلبهم حتى الآن الى اقتناء الكتب الورقية.

هذه نقطة تحول ثقافي مهمة جدا، ولعل ما قالته نرجس احدى دلائل هذا التحول " واجيبها دائما اننا جيل التكنولوجيا وثقافتنا مستمدة من الانترنت، لسنا جيل كتب ولا مضطرين لقراءتها لأننا نحصل على المعلومات في اي مكان من خلال تصفح محركات البحث في شبكة النت".

فهناك تغير في التصورات بحيث ان الكتاب الذي يوصف " بخير جليس في الزمان " يدل اليوم على انه درب من " العناء او الميزيرية " بتعبير نرجس،

ولعل اسباب هذا التدني، ظهور وسائط عديدة نافست الكتاب على غرار الأنترنت وانخفاض القدرة مما جعل الانترنت جليس جديد بامتياز بالإضافة الى الاقراص المضغوطة و التلفزيون، لان هذه الوسائل لا تتطلب أي جهد و تكلفة للحصول على المعلومة بعكس القراءة التي تتطلب فوق المشاهدة التركيز و عناء اقتناء الكتب و الصحف.

¹ كشف تحقيق ميداني سنة 2007 بأن نسبة المقرئية في الجزائر لا تتعدى 6.8 بالمئة. المصدر مجلة ايلاف، يومية إلكترونية الصادرة من لندن، آخر تحديث يوم الاربعاء 11 مارس 2009 على الساعة 19:02

فالقراءة تستلزم عمليات عقلية معقدة، لذلك فعلى القارئ ان يكون اكثر تركيزا من مشاهدة الوسائل الالكترونية السمعية البصرية، وهذا ما تراه ماري وين، حيث ترى ان هذه الوسائل تجعل العقل يوظف آلية الانفتاح للمثيرات البصرية و السمعية، بينما القراءة تتطلب من العقل التركيز. فخلصت الاستنتاج هو ان الانسان المنكب على القراءة هو مشاهد تلفزيوني غير ملائم و ليس له صبر لمتابعة البرامج ، اما الانسان المنكب على الاجهزة الإلكترونية على غرار التلفزيون يعاني مع مرور الوقت من عدم القدرة على التركيز على القراءة¹.

اذن فالتشتت العقلي الذي تسببه الوسائل السمعية البصرية قد يجعل الشباب المراهق باعتباره الاكثر احتكاكا بهذه الوسائل يدخلون عالم القراءة او المطالعة بطريقة سطحية و اقل نفاذا للصبر وهذا ما يسمى بظاهرة القارئ الكسول.

وبالتالي فالوسائل السمعية البصرية قد احدثت تغيرا آخر في الثقافة الجزائرية التي كانت تعتمد على القصص الشفوية وعلى قراءة الكتب لتحل محلها ثقافة المشاهدة بالصوت و الصورة بحيث نتج عن ذلك استحالة تكون رصيد ثقافي مشترك كما كان عليه سابقا، حيث بعض الكتب و الروايات الشهيرة التي كان يقرأها جل الجزائريين و بالتالي تقاربت وجهات نظرهم و ثقافتهم مما خلق نوعا من الانسجام بين افراد المجتمع، اما الآن فهناك تعدد و اختلاف اذا لم نقل فوضى في المعلومات و الاتجاهات الثقافية التي تطرحها هذه النواقل الثقافية و القيمة الجديدة.

4.2.2- مواقع التواصل الاجتماعي وراء حاجة ملحة لمكانة بين جماعة الرفاق

تواظب نرجس على ان تكون على الاطلاع على كل جديد، و تحب ان تكون مواكبة للعصر، فتربط هذه الحاجة بالإقبال على مواقع التواصل الاجتماعي التي تعتبرها كما تقول في سردها لحياتها " هذه المواقع هو مواكبة للعصر وطريقة للعيش هذه حياتي ويومياتي التي اعيش ثلاث ارباعها على النت".

لذلك فلها اشتراكات في عديد المواقع "لدي فيسبوك *Facebook* ، يوتوب *YouTube* ، انستغرام *Instagram* ، تويتر *twitter* ، فايبر *viber*، وات ساب *WhatsApp* ، سكاى بلوغ *Skyblog* " بالرغم من انها لا تعتمد فعليا الا على موقع او اثنين.

¹ ماري وين، الاطفال و الادمان التلفزيوني، ترجمة عبدالفتاح الصبحي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد 247، جويلية 1999

ان حاجة نرجس الا هذا الكم من المواقع يرجع لعدة اسباب، منها ان هذه المواقع بحذ ذاتها تروج لبعضها البعض من خلال الدعاية و تقترح على المشترك في احداها ان يشترك في الاخرى. اما السبب الاهم فهو كيف تنتظر نرجس الى هذه المواقع و ما الذي تنتظره منها؟

ان التصورات او التمثلات الذهنية التي تربطها نرجس بمواقع التواصل الاجتماعي هي كالتالي:

- موقع التواصل الاجتماعي ذليل على الحداثة

- موقع التواصل الاجتماعي مُودة *une mode*

- موقع التواصل الاجتماعي للبقاء على اطلاع على كل جديد للشباب او الشلة.

ان التصورات الثلاثة التي عبرت عنها نرجس حول كيفية نظرتها لمواقع التواصل الاجتماعي، و التي تشرح بها سبب اشتراكاتها العديدة يمكن تلخيصها في نقطة واحدة، وهي حاجة المراهق الى مكانة اجتماعية وسط جماعة الرفاق و خارج النطاق الاسري.

ان المراهق الذي هو في رحلة البحث عن هوية يبحث عن نموذج خارج الاطار العائلي، و غالبا ما يتحول البحث عن الهوية في نماذج من جماعة الرفاق، و للحصول على القبول عليه مشاركتهم فيما يفعلون و يفضلون، وهذا ما يسمح بتعميق الصراع بين الاجيال، و الدليل على ذلك قولها " **وبقاء على اطلاع دائم على الجديد بيننا نحن الشباب**" اي ان نرجس وضعت لنفسها انتماء في جماعة "نحن الشباب"

كما ان المراهق يعمل على تقليد ما يفعله الرفاق، حتى و ان لم يكن مقتنعا بذلك، لان المراهقين من صفاتهم التوافق او التكيف *les adolescents sont des accommodateurs*، فنرجس مثلا تشترك في بعض مواقع التواصل الاجتماعي التي تشترك فيها صديقاتها و افراد الشلة، بدون حاجتها اليها و لا قناعة منها بضرورتها، بل حبا بمجاراتهن و منافستهن على ما يفعلن لتكون دائمة الاطلاع على كل جديد و لتكون فرد من جماعة الرفاق الذين يتواصلون عب مواقع التواصل الاجتماعي.

5.2.2- تحول جديد؛ مواقع التواصل الاجتماعي، جداريات تغذي نرجسية المراهقين:

يسعي المراهق ايضا من خلال وسائط التواصل الاجتماعي الى اظهار نفسه على ارقى صورة ممكنة، نجد ذلك من خلال صور البروفيل، الالبومات المنشورة على صفحاتهم، و صور السالفي selfie، التي تعج بها مواقع التواصل الاجتماعي، بحيث يدخل المراهقون في سباق على اكتساب الشهرة عبرها. من خلال الدعاية لأنفسهم بالنقاط الصور من كل الزوايا و في كل الاماكن، مما يغذي نزعتهم الى حب الظهور و التميز.

صرحت نرجس انها تضع صورها في المكان المخصص للصورة البروفيل، كي يتعرف عليها من يعرفها في مواقع التواصل الاجتماعي، و ترى انه من السخافة الا تكون صورتها هي التي تمثلها في هذه المواقع، كما يجب ان تكون الصورة جميلة و معبرة عنها لأنها جميلة بالأساس، و تهتم بمضرها كثيرا و كيف تبدو في الصور التي تعتمد على التقاطها مراعيًا الاضاءة الجيدة و عدم اخذ الصور في موافق غير مناسبة وحين لا تكون جاهزة.

كل ذلك يشير الى نرجسية و اهتمام بصورة الجسم التي تتيح له حجز مكان له في الحياة الاجتماعية و تحديد ميزاته، حتى Meucchielli.R يرى ان "اول ظاهرة تمس شعور المراهق البالغ هي النرجسية"، وهذا ما يدخل في اطاره الطبيعي، بحيث انه متوافق و المرحلة، لكن الجديد الذي لمسناه على هذا المستوى بالذات هو تحول مواقع التواصل الاجتماعي الى جداريات تعلق عليها الصور التي تشبع نرجسية المراهقين، فيتنافسون على اعداد المشاهدات للصور التي يضعونها وعلى التفاعلات les commentaires عدد الإعجابات "les j'aimes" فيبدو كأن مواقع التواصل الاجتماعي تحل محل المرأة العاكسة، و التي يحصل من خلالها المستعملون بعد عرض صورهم على انطباعات و اعجابات و تفاعلات الاخرين، لان رأي الاخر مهم في بناء الذات و الهوية.

ان وسائل التواصل الاجتماعي تشبه بركة الماء التي اسرت نرجس ليست حالتنا هذه، و انما نرجس الاسطورة le mythe de Narcisse فهي تغذي النرجسية ، كونها بمثابة عامل محفز لهؤلاء المراهقين، ومنصة مثالية لتسهيل نزعة حب الظهور، واستحسان الذات التباهي بها و الدعاية لها.

اذ ان مواقع التواصل الاجتماعي قد تسمح لهم بالشعور بأهميتهم من خلال التفاعلات التي ينتقلونها بعد نشرهم للصور المعبرة عن الجمال الخلقى، او جمال الاماكن التي يقطنونها كبيوتهم و كذا

روعة الاماكن التي يزورونها، او ما يدخل في اطار ما يمكن تسميته الدعاية للسعادة التي يعيشونها la propagande du bonheur التي قد يعيشونها في الواقع او فقط على العالم الافتراضي.

التفاعلات التي يبديها المتفرجون لكل ما ينشر عبر وسائط التواصل هذه، تجعل المراهقين يشعرون بان هناك من يهتم بهم، هذا ما يرفع من معنوياتهم و يغدي نرجسيتهم خاصة اذا تلقت الصور تفاعلات و تعليقات ايجابية.

اذن فمشاركة الصور على مواقع التواصل الاجتماعي على غرار صور السالفي التي تلتقطها نرجس ينتظر منها تغذية راجعة، تغذية النرجسية لذى المراهقين، والدخول في المنافسة على الصورة الاكثر حصولا على الاعجاب.

صور السالفي selfie ايضا ممارسة جديدة غزت العالم كله بما فيه الجزائر فهي ظاهرة عولمية، فالنقاط الصور يرجى منها الاحتفاظ بالذكرى عن المكان و اللحظة و السياق، الغرض منها الاحتفال باللحظة و تخليدها من خلال الصورة. لكنها صارت تؤخذ بشكل مبالغ فيه من جهة، كما انها طريقة للتأكيد على الحضور و اطلاق الاخرين عن كون الفرد في مكان معين. كما انها تغدي النرجسية خاصة مع امتزاج التصوير بالهواتف الذكية مع تطبيقات ضبط و تجميل الصور و ايضا مع امكانية الصورة الرقمية التي يمكن اعادة التقاطها عدة مرات للوصول الى الصورة المطلوبة، مما يسمح للمراهق بنشر الصور كما يريد لها ان تكون.

6.2.2- فراغ ثقافي محلي في الوسائل السمعية البصرية (بين تلفزيون فضائي و وطني يبث نماذج ثقافية اجنبية براقية و انترنت تجعلها تحتك مع هذه النماذج):

تشغل الوسائل السمعية البصرية جزءا كبيرا من يوميات نرجس لأسباب متعددة، لعنا دكرنا سابقا انها تُقْبَل على الانترنت كوسيلة هروبية من السلطة الامومية l'autorité maternelle الى عالم زمرة الرفاق "نحن الشباب" لكن زمرة الرفاق هذه تخترق الحدود الجغرافية. و بالمقابل هي ايضا شغوفة بالتلفزيون الذي يقربها من امها، كنتيجة لتقارب ذواقيهما، بحكم انهن تميلان الى نفس البرامج التلفزيونية التي تتمثل في المسلسلات التركية المدبلجة و العربية ذات الانتاج المشترك. هذا في غياب منافسة سنيمائية وطنية التي لا تطرح اي نموذج جزائري جذاب، عدا عن انها لا تشاهد القنوات الوطنية كونها

ليست في مستوى تطلعاتها فهي تحب الدرامج السينمائية و المسلسلات الدرامية. مما يجعلها تتعرض يوميا الى نماذج ثقافية شرقية و تركية.

ان الدراما و السينما في حد ذاتها هي قنوات للتقصص، فالمشاهد عندما يرى من خلف الشاشة ما تريد الكاميرا ان تريه اياه، يعجب بالشخصيات التي تحدها السينما او بالأحرى كاتب السيناريو، الذي يعطي البطل شخصية جذابة ينقصها المتفرج، خاصة اذا كان في سن المراهقة وفي دروة البحث عن نموذج يهتدي به. وفي هذا الصدد ذهب برونو اوليفي الى حد القول "ان المشاهير و نجوم السينما و الفن هم حوامل للهوية"¹، و هذا ما يفسر تهافت الدول على امتلاك الاعلام و الاهتمام بالسينما.

يحدث ذلك في غياب ملامح واضحة لنموذج جزائري براق عبر والوسائل السمعية البصرية، في ظل غياب الارادة لإنتاج افلام و مسلسلات محلية يمكنها ان تنافس السينما الاجنبية. لا يوجد حاليا ما ينشر الثقافة المحلية بشكل ممنهج يربط الشباب بثقافتهم سوى بعض الممارسات الفردية للعائلات الجزائرية. او من خلال طقوس الزواج كما اشارت نرجس و التي ترى انها ليست في صالح الشباب كونها تكلفهم شقاء سنوات عديدة من العمل، مما يجعل الثقافة الجزائرية غير واضحة المعالم عند الشباب المراهق الذي يعتمد بشكل كبير على الاعلام و الوسائل السمعية البصرية في بناء ثقافته و تصوراته و التي ليست في صالح الثقافة المحلية بقدر ما تنشر الثقافة الاخر و النتيجة هناك فراغ ثقافي في محيط الشباب، وعليه فالثقافة المحلية لا تظهر لهم و ان ظهرت ينظر اليها بنظرة سلبية .

اشارت نرجس ايضا الى وجود تقارب إيديولوجي (الدين و اللغة) بين الثقافة المحلية و الاجنبية (الشرقية)، قد يكون سببا في غياب الاغتراب و التناقض الوجداني بالمقارنة مع الثقافة الغربية. ان مسألة الخلط بين اللغة و الهوية شائعة في الجزائر ، فالجزائري طلق على نفسه عربي لأنه يتكلم العربية، فهذه اللغة "العربية" اكثر من غيرها مُدركة كنوع من التجذر في الهوية القاعدية، وهذا ما لا نجده في بلدان اخرى، ففي البرازيل مثلا الدين يتحدثون البرتغالية لا يعتبرون انفسهم اوروبيون او برتغاليون.

كما ان نرجس تشعر ان ما تشاهده في المسلسلات التركية و الافلام العربية لا يختلف كثيرا عن ما تعرفه من الناحية القيمية و الإيديولوجية، لكن في الحقيقة هناك اختلاف لم تشعر به نرجس بسبب الانفتاح التي تعيشه الجزائر و كل دول العالم التي تزامنت مع سيرورة التنشئة الاجتماعية للمراهقين

¹ OLLIVIER BRUNO, identité et identification, sens, mots et techniques, Lavoisier, Paris, 2007.

الحالين، التي تتميز بالتدخل الطاعي للوسائل السمعية البصرية. التي تُغيب حقيقة ان للثقافة الجزائرية خصوصياتها التي لا تجعلها تشبه الشرق ولا الغرب.

شعور نرجس بالقرب و الالفة للنمط الثقافي الشرقي، جعلها تبحث في الانترنت عن نماذج يمثلون هذا النمط من خلال الدردشة عبر وسائل التواصل الاجتماعي و التحول الجديد هنا، ان الأنترنت ليس مناسبة للاختلاط مع الجنس الآخر فحسب و انما من جنسيات و ثقافات مختلفة اذن فنحن في قلب ما بين الثقافات.

يعرف عن شبكة الانترنت قدرتها على ربط كل مستعمل في بقعة من هذا الكوكب مع مستعمل آخر للشبكة العنكبوتية في بقعة اخرى منه، اينما وجدت و اي كانت ثقافتها و معتقداتها. لكن في الاخير لا يتواصل الانسان الا مع ذلك الآخر الذي له نفس اهتماماته و افكاره، يؤكد على ذلك برونو اوليفي " لان الشبكة يمكنها ان تصل كل الناس من كل الثقافات اذن من هويات متعددة من الناحية التقنية. لكن في الحقيقة هي تنتج توصالا حقيقيا الا بين الافراد من الجماعات الذين يصنفون انفسهم متفقين على نفس الاهتمامات"¹

قد يكون هذا ما حدث مع هذه الحالة، فكأن التلفزيون الفضائي كان وسيلة لتقصص النموذج الشرقي، لعله كان النموذج الذي انتقته من خلال النماذج الثقافية المتعددة التي يعرضها امامها التلفزيون يوميا. ومن تم تبحث عن الانتماء من خلال التواصل مع اشخاص يمثلون الثقافة الشرقية، بما ان الانترنت يوفر لكل شخص عالم مناسباً لهويته و تقمصاته.

كما انها تعمد للمقارنة بين النماذج الثقافية المحلية و النماذج الشرقية مع تصور الافضلية للصالح الثقافة الشرقية و مع الغاء الثقافة المحلية او النظر اليها بسلبية . كما اسلفنا في بداية هذا التحليل.

نظرة نرجس الى الثقافة الشرقية هي نظرة شاعرية idyllique رومنطيقية فهي تحن الى سحر الشرق و الافتخار بأصالته و تنظر الى الثقافة الشرقية من منظور الحكايا و القصص التي تروى عنه وعن نسائه و رجاله من خلال الروايات السينمائية التي تمجد النظام الابوي المسيطر.

¹ OLLIVIER BRUNO, identité et identification, sens, mots et techniques, Lavoisier, Paris, 2007, p183

وبرغم من ذلك نراها تريد الحرية و تريد التغيير، وعليه التناقض الوجداني حاضر هنا ايضا في حياة هذه مراهقة التي تسعى الى التغيير النسق الابوي و معجبة به في ذات الوقت.

ان التحولات التي تحدث اليوم في الثقافة الجزائرية، ليست دائما ناتجة عن عوامل خارجية وحدها و لكنها نابعة ايضا من داخل الافراد الذين يكونون هذه الثقافة. فعندما تطالب نرجس بالحرية و تقول " **من حقي ان اكون جميلة واهتم بنفسى *j'ai le droit d'être belle et coquette* ومن حقي ان يكون لي معارف و اصدقاء لا تعرفهم امي**".

فهذا دليل على ان بعض التغييرات، يمكن ان تأتي من الداخل ايضا و ليس من الخارج دائما. يحاول المراهقون فرض منطقهم على المجتمع عندما لا يتوانون عن التعبير عن مطالبهم الشخصية.

وبين العوامل الخارجية و العوامل الداخلية تتعرض الثقافة لتغيرات ديناميكية تمس مجالات عدة منها ايضا:

7.2.2- الممارسة الجنسية اكثر قبولا في اوساط المراهقين:

ان اختلاط نرجس بالجنس الآخر جعلها تكون عنه تصورا لافتا للاهتمام، فهي تفضل صداقتهم بدل صداقة البنات من سنها، كونهم يؤدون مهمة الصداقة افضل من البنات بالنسبة لنرجس " **افضل الذكور في مسالة الصداقة، ارتاح لهم اكثر لانهم نية *naifs* في الصداقة أما البنات فلدنيهن نوع من الغيرة من بعضهن و خبت، لذلك فمصادقة الاولاد يريحني اكثر**". لكن بمجرد حديثها عن العلاقات العاطفية بين الجنسين، يختفي ذلك الارتياح لتعود النمطية في التصورات السلبية حول الجنس الآخر لتطفو على السطح.

وهذا دليل على ان مراهقي اليوم يمكنهم بناء علاقات صداقة بين الجنسين، لكن في العلاقات العاطفية يعود التوتر و النظرة الحدة للجنس الآخر.

نرجس تملك تصورا سلبيا نحو اصدقائها الذين ترى انهم يفقدن كل ميزاتهن الايجابية بتصورهم للحب كونه مرادفا للجنس. لكن بالرغم من كل هذه التمثلات السلبية و بالرغم من انها ترى كذلك انهم يتهربون من العلاقات الجدية مع من يقعون في الفخ كما عبرت في سردها للحياة " **الحب بالنسبة لهم مرادف للجنس فسذاجتهم التي تلمسينها فيهم عن الصداقة تتحول بدرجة 180 عندما يتعلق الامر**

بحببياتهم لا يعملون سوى على ايقاعهن في الفخ ثم يرفضون العلاقات الجدية معهم بعد ذلك". هذا لم يمنع المراهقات من خوض في المجازفة، خاصة و انهن يتحدثن في الوقت ذاته بينهن عن المسائل الجنسية كنوع من التعلم عن كيفية حماية بكارتهن في اللحظات الحميمة، دليل على ان الممارسة الجنسية تلقى قبولا في اوساط المراهقين، في حالة من التناقض الوجداني التي توضح ان هذه الممارسات بالرغم من وجودها وتعاضها نسبيا، الا انها لا تلغي تماما المجتمع و نسقه القيمي. يمكن ان نلمس ذلك في حديثها عن بحث المراهقات عن حل وسط متمثل في الممارسة الجنسية و لكن بحدود تضمن عدم المساس بغشاء البكارة.

كما ان العلاقات بين الجنسين هذه، صارت تمارس في اطر اقل سرية عما كانت عليه و نلمس ذلك في حديثها عن شعبية الفتيات اللاتي يقمن علاقات مع الشباب، هذه الشعبية تحددتها عدة اعتبارات منها المكانة الاجتماعية للطرف الآخر.

8.2.2- تصور للحياة الزوجية المستقبلية في قلب الاسرة النووية و الانترنت يزيد من فرص الزواج من خارج النطاق العائلي:

تصف نرجس خطة مستقبلية او شروطا اولية للزواج، فتتحدث عن حدود تنفيذ هذا المشروع بعد الدراسة الجامعية لكنها يمكن ان تؤجله الى ان تقع في الرجل المناسب "المهم ان احظى في النهاية بالرجل المناسب *un bon morceau*"

وتعريفها او وصفها للرجل المناسب لا يعتمد الا على كونه يمتلك بيتا خاصا، وهذا غريب عن تصورات فتاة في سن المراهقة، سن الخيال و الاحلام التي تقوم على الحب و البساطة.

لكن نرجس تعول على رجل يمتلك بيتا حتي لا تترك امه و اخواته فرصة للتدخل في حياتها، هذا قد يكون نتاج التصورات النمطية الجماعية عن الزواج و للعلاقة المشحونة التي تقوم على الصراعات بين الزوجة و ام الزوج، و الذي لا يشجع الفتيات على الاقامة مع العائلة الكبيرة. و يدفعهن او اهلهن الى شرط اقامة الزوجين في بيت مستقل عن العائلة الكبيرة.

فنحن هنا امام تغيرات ثقافية واضحة بين نسق تقليدي كان يمجذ زواج الاقارب *endogamie* يجمع كل افراد العائلة في بيت واحد يحكم بينهم ويسيرهم كبيرهم. كانت فيه ام الابناء المتزوجين صلاحيات كبيرة مستمدة من الثقافة المغاربية التي تمجد الامهات، كونها المرأة الوحيدة التي يمكن للرجل

ان يحبها دون ان يتعرض لانتقادات المجتمع و التي عليه ان يعترف بجميلها طيلة حياته، حب لا يفتر
ليمكن الرجل من اقامة علاقة حقيقية مع زوجته¹.

اذن فتصورات مثل تصور نرجس يذهب بنا اكثر و اكثر الى نضام الاسرة الزوجية او النووية،
التي تسعى فيه الفتيات الى تراجع دور الام و تجريدها من صلاحياتها وسلطتها التي تؤول اليهن
بالمقابل. كما ان الانترنت هو وسيلة للتعرف بين الجنسين المتباعدين في الاصول و الجغرافيا و بالتالي
هو مناسبة لتعزيز زواج الابعاد exogamie وجعله اسهل و في متناول الشباب

¹ المرنيسي فاطمة، ما وراء الحجاب، الجنس كهندسة اجتماعية، ترجمة اوزيل فاطمة الزهراء، المركز الثقافي العربي، نشر الفنك، الدار البيضاء، 2005، ص 131

3- الحالة الثالثة: (سيف)

سيف الدين يبلغ من العمر 19، سنة معيد للبيكالوريا، ماكث مع امه المطلقة و مع اخ اصغر منه سنا .

سيف شاب متوسط الطول، اسمر ذو قصة شعر شبابية وغريبة. بسيط في ملابسه، يرتدي عادتاً سراويل جينز مع قمصان فوقية T-shirts عليها رموز وكتابات صينية . تحدث بوثيرة سريعة تخفي نوعاً من الخجل و الاجتنابية لكنه سرعان ما يسترسل في الحديث بعد اطلاعه على الموضوع الذي اثار اهتمامه بشكل كبير .

اجاب عن الاستقصاء لجمع المعلومات بانه على شبكة الانترنت من خلال هاتفه الجوال او الكمبيوتر خاصته طوال الوقت. كما انه يعرج على مواقع التواصل الاجتماعي مرات عديدة في اليوم. اما التلفزيون فيشاهد ما يجب من البرامج من حدود الساعتين و حسب المناسبات كالمقابلات و المحافل الكروية و الرياضية. لم يذهب الى المسرح منذ ان كان طفلاً. اما السينما يحب سينما 7 ابعاد و يتردد عليها في بعض الاحيان عندما تكون متوفرة.

بمجرد ان شرحنا له الغاية من اللقاء الذي يندرج ضمن بحث اكاديمي وافق سيف على المشاركة . فجرت اللقاءات في الثانوية التي يدرس فيها بمكتب مستشار التوجيه.

1.3- سرد قصة الحياة:

اسمي سيف (الاسم الكامل) من حي USTO بوهران. اصولنا من مدينة بجاية، جاء ابي للدراسة هنا ثم استقر نهائيا بعدما تزوج امي التي تنحدر من ولاية مستغانم .

والدي في العقد السادس من العمر، ابي اطار متقاعد من شركة وطنية و امي طبيبة اسنان . اعيش حاليا معها انا واخي الاصغر بعد طلاقهما منذ ان كان عمري 10 سنوات. والدي يعيش في وهران ايضا، اذهب اليه نادرا في عطلة نهائية الاسبوع عندما يتسنى لي ذلك. اخي يدرس معي بنفس الثانوية في السنة الاولى .

واجهت مراهقة صعبة، لدى مشاكل كثيرة مع والدي اللذان اصبحا اكثر خوفا علي بعد ما اصبحت نخالط ابناء الحي "quartier" و "تدور بزاف في Réseaux Sociaux وقتي قاع رايح في الانترنت".

منذ ان بلغت و اصبحت شابا، اعتبر نفسي مسؤولا عن البيت الذي تركه ابي، لذلك لا اسمح له بالتدخل في شؤوني خاصة عندما يُعلق على قصة شعري او نتائج الدراسية، عندما انفصل مع امي مررت بظروف صعبة كنت في العاشرة، لكن و عندما وصلت الى هذه السن " وليت ندابز معاه بزاف " عندما يحاول التدخل.

حدث الطلاق سنة 2005 اتذكر ذلك جيدا، و السبب هو انها لم يكونا متفقين على ماديا، ابي لم يكن يجيد التصرف في المال يفقده مباشرة في اشياء غير ضرورية. حدث هذا منذ زمن، و انا الان مسؤول عن عائلتي ليس لدي مدخول لكني اساعد امي في ترتيب شؤون حياتنا.

هوياتي تنحصر على المطالعة و الرياضة، احب الاطلاع على مجلات القصص المصورة Les bandes dessinées الأمريكية و خاصة اليابانية المسماة بالمنغا ¹ Les Mangas عندما اتمكن من الحصول عليها من الخارج، عن طريق خالتي التي تسكن بفرنسا، هذا هو سبيلي الوحيد الى القراءة.كنت امارس ايضا بعض الرياضة كالسباحة، ثم سجلت بعدها بنادي لتدريب الكونغ فو -Kung fu بعدما احببت الفنون القتالية اليابانية، التي اشاهدها عبر اليوتيوب او السينما الاسيوية.

¹ هي قصص مصورة يابانية، او الغير اليابانية مع احترام قوانين الانتاج اليابانية.

لكن البكالوريا حاليا اخذت مني كل وقتي. الانترنت ايضا من بين هواياتي استخدمها كل الوقت خاصة في الايام العطلة اقضي فيها اليوم كله.

انها تسلبني عقلي، عندما ادخل مواقع التواصل الاجتماعي لا استطيع الخروج بسهولة و في نفس الوقت هي وسيلة جيدة للتواصل بدون تكاليف مادية استطيع من خلالها ايضا القيام بالبحوث المدرسية احسن من البحث عن كتب في المكتبات اقوم بالبحث عن المعلومة في محركات البحث او تحميل الكتب.

شبكة الانترنت ايضا هي وسيلتي لتحميل الالعاب الالكترونية التي ادمن عليها في العطل و في اوقات الفراغ او تلك التي اتلقي دعوات للعب الجماعي عليها عبر الفايسبوك.

اعتمد على فايسبوك Facebook و انستغرام Instagram فقط للتواصل الاجتماعي استعمل ايضا اليوتوب YouTube لمشاهدة الفيديوهات .

انستغرام موقع محدود يقتصر على نشر الصور اما الفيسبوك فهو ما يناسب احتياجاتي بشكل كامل. فهو يمكنني من التعليقات على كل جديد اراه، و التعبير على اعجابي كما انه يمكنني ايضا الدردشة الكتابية و المصورة عن طريق الكاميرا، هو ايضا وسيلة اعرض فيها صوري التي التقطها في البيت او في الاماكن السياحية "باش نزوخوا شوية لأن العربي يليق "تقريمي" عليه مهما كنت محطم "باش تبان" و يحسب لك الف حساب. لازم مشاكلك تخليهم في السر keep secret بينك و بين روحك و تبينلهم غير بلي راك مليح. باش تتجنب الشماتة نتاع الناس.

مواقع التواصل الاجتماعي بقدر ما ترفهنا و تصل بيننا لا تدعنا نرتاح، لأنه يجب ان تكون دائما حاضرا على مواقع التواصل، و الا اذ غبت يوما " التليفونات ما تحبش يقولوك ياخويا و ين راك وما عندك والوا.

و يلا خرجت hors connexion يقولو لك وين كنت و شا صرالك" هذا معناه ان لا ترتاح ابدا من الضجيج .

لكنني تعودت على هذه الحياة الصاخبة رغم ذلك، و اذا حدث ان انقطع الارسال او حدثت خطب ما بالانترنت، أُجن اشعر ان حياتي فارغة و لا اعرف ماذا افعل بوقتي، واسعى جاهدا لاسترجاعها .

لدى خالة تسكن بفرنسا، هي الوحيدة التي تفهمني و تفهم حاجتي للإنترنت ككل الناس المتحضرين لذلك فهي من يهتم بدفع فواتير الانترنت . بعكس والدتي التي لم تفهم لحد الان ان الاتصال بالشبكة ضرورة من ضرورات الحضارة .

اصبح العالم كله قرية واحدة، بفضل الانترنت يمكنك ان توسع دائرة معارفك انا مثلا عندي على حسابي بالفايسبوك 400 صديق.

حصلت عليهم عن طريق وسيلة البحث عن اصدقاء في الفاييسبوك او خدمة قد تكون تعرف هذا الشخص، منهم من داخل الجزائر من اعرفهم شخصيا ومن لا اعرفهم الا من خلال الشبكة. وعندي كذلك اصدقاء من الخارج فرنسا . امريكا و حتى أسيويين خاصة من اليابان احدهم بالانجليزية.

لغتي الانجليزية احسن من الفرنسية و الفضل يرجع لأول استاذ علمني مبادئ اللغة الانجليزية كان معلما في المستوى، الله يذكره على خير. اتحدث العربية الفصحى لكن ليس بشكل جيد، و في حياتي اليومية اتحدث الدارجة و اعرف القليل من اللهجة القبائلية، حاول ابي التواصل معنا بها لتتعلمها عندما كنا صغارا لكن لم اتعلم الكثير لأنني لم احبها، لكن ذلك غير مهم ان اللغة بالنسبة لي ليست اللغة التي تحدث بها اجدادي بل تلك التي استطيع التعبير و التواصل بها مع كل العالم ففي النهاية هي أداة تواصل و يهمني ان لا اجد صعوبة في التواصل مع كل الناس كما هو الحال مع الانجليزية و ليس مع قلة من الناس المحليين في الجزائر. ساعدتني اللغة الانجليزية كثيرا في صداقاتي عبر مواقع التواصل الاجتماعي الكل يفهمها و يتحدث بها فقد قريتني من اصدقاء بعيدون جدا عنا في المسافة و التاريخ والثقافة في اسيا الشرقية.

الآسيويون، شعوب رائعة و ثقافتهم عظيمة يكفي ان الرياضة عندهم ثقافة و عبادة خاصة في الصين و مع ذلك هم مسالمون. أتعرفين؟ حلمي ان اعيش في اليابان، فما كتبته على الاستمارة لم يكن نكتة انا فعلا اطمح لذلك، و اخطط له بعد اجتياز البكالوريا و ادرس بالجامعة. هنا "غير المعروفة تاكل، تقرى و لا متقراش كيف كيف" . اما اليابان تعطى للإنسان المتعلم حقه و تحترمه لذلك اريد ان اكون صاحب شهادة جامعية و ارحل، لأنني متأكد انهم عندما يرون الانسان القاري يقيموه و يعطوه بلاصة مليحة.

اتابع اعمالهم الدرامية و السينمائية التي تعرض في التلفزيون التي بدا اهتمامي بها منذ اربع سنوات تقريبا لكن الدراما الآسيوية المتاحة في التلفزيون، هي الدراما الكورية التي تطورت كثيرا في الآونة الاخيرة حتى أنني اسعى لمعرفة كل جديد عن الفنانين الكوريين من خلال الانترنت منذ ان بدأت تتوسع هذه الانتاجات التلفزيونية اعجبت كثيرا بنمط حياتهم و كيف انهم شعب بسيط وعملي.

تبث هذه الاعمال التي تطورت كثيرا، و صارت تتنافس السينما الامريكية في MBC4 التي تركز على المسلسلات العاطفية.

كما انني اتابع افلام Animation على القانتين الفرنسيين Mangas و J-One و كذلك على اليوتيوب YouTube، اما الافلام الرعب الصينية و اليابانية فهي المصنفة من الاوائل عالميا، اطلع عليها من خلال تحميلها من الانترنت او اشتري اقرصا مضغوطة DVD التي اسهر عليها في عطل نهاية الاسبوع مع اصدقائي في البيت .

عن حياتي الاجتماعية، يمكن ان اصفها بانها بدأت تتحسن في الاوان الاخيرة، عندما رحل ابي كان صعبا جدا علينا لكن الان كبرنا و عرفنا كيفية العيش بدونه انا المقرب الى امي الان، هي متفهمة و حنونة لكنها ممكن تقلب عليك البيت راسا على عقب كون تغضب "تنتارفا" عندها ارتفاع في الضغط و السكري، كرسيت كل حياتها لنا واخي و الان تحاول ان تكون صديقة لنا لا اما.

ابي ايضا لم يتزوج بعد الطلاق كنت ازوره في عطلة نهاية الاسبوع انا واخي لكنني الان اتحجج في كل مرة حتى لا اذهب لم اعد صغيرا و لدي مشاريعي لأيام العطل .

ككل الشباب في عمري طبعا لدي اصدقاء كثيرون لكنني ارتاح اكثر للبنات خطت الاولاد جابلي مشاكل، اما البنات يسمعون لك و يعطوك الاهتمام و النصائح ماشي كيما الاولاد يبدوا يضحكوا عليك، حتى ولو راك تحكي Sérieux خرجت مع بنات من قبل كاين لي ملاح و كاين La Plupart ماشي ملاح خاصة هادوك لي يخرجوا مع اصحاب السيارات "التشحاب و اللوطا" Des Matérialistes رنا نشوفوهم. شوهو الصورة نتاع وهران راهم يتبعوا غير الحديد و الملاح منهم تستناك تجي تخطبها و تهدر مع دارهم و انا ما عنديش باش ندير مستقبل و عايلة.

لذلك قررت بان علاقات الحب في هذا العمر مضیعة الوقت انا عندما تبغي نحب وحدة نديها ماشي نقعد ندور معاها غيرهاك بدون هدف .

بالإضافة الى انني لا انوي البقاء هنا في الجزائر سأبدل جهدي لكي اذهب لليابان ربما سوف اتزوج هناك بفتاة يابانية اروبا عربية او غربية ربي عالم . اظن انني لن اجد صعوبة في التأقلم مع المجتمع الياباني عمليا.

لدي فكرة عن كيفية عيشهم من خلال مشاهدتهم في التلفزيون و الانترنت، فلم يسبق لي ان ذهبت الى هناك الى انني كونت فكرة لا بأس بها عنهم الى الان، الصعوبة الوحيدة التي سوف اجدها هناك هو كيفية تربية اولادي .

ليس الثقافة الجزائرية هي من يهمني، فهي لا تعني لي كثيرا، ما يهمني هو الدين، المهم ان احافظ عليه في تربيتي اولادي على التعاليم الاسلامية.

فاليابان كونها تحتوي على اكثر من ديانة، امر غير منطقي عندنا نحن المسلمين، نحن عندنا لا اله الا الله محمد رسول الله و لا شيء غير ذلك. اما الثقافة لا تهتم انا مثلا اتصور ثقافة الشباب الجزائري حاليا دومينو، دخان، لاكوست، و الواي واي .

بالإضافة الى ان كم شخص يعيش في الجزائر ثقافته مختلطة بثقافات اخرى، الثقافة يمكنها ان تتغير وكل حر في ثقافته، بالنسبة لي انا على سبيل المثال الثقافة الاسيوية ايضا عريقة كلشي راه مخطط دورك اختي.

و الدولة كي يهدروا على الثقافة يهدروا على التراث، واش من تراث ربي يهديهم رانا 2015. ويهدروا على المهرجانات ياو غير ضياعة الدراهم على الرقص. انا عمري ما شفت ثقافة كي تتطور تطور للواي واي .

لم تعد الثقافة عندنا طريقة للعيش يا اختي، هنا كل طير يلغي بلغاه كل واحد يمشي كيما يبغي لا ضوابط ثقافية و لا ثقافة واضحة الثقافة لم تعد واضحة الا في الطعام ،كي نقولي المطعم الجزائري نقولك الكسكس (الطعام) يوم الجمعة، قصعة البركوكس كي يزيد مولود جديد، نقولك المحاجب، المسمن و الدوارة. لم نعد نمارس الثقافة الا من هذا الجانب لكننا لم نطور ثقافة راقية و قوية تقوم على العلم و التكنولوجيا، نحن نبيع البترول لنستورد التكنولوجيا، الثقافة ماشي جيب شوية منا و شوية من هناك لصقهم و قولي ثقافة جزائرية نعيب على الآسيويين اكلمهم الغريب جدا . يقال انهم يأكلون كل ما يتحرك و

نحن ناكل الحلال، و نتمتع بمطبخ رائع، اكلنا لذيذ لكن هنا توقفنا full stop و بدأنا نترجع، اما هم فقد تطور جدا في كل المجالات، و صلوا لي ما هم عليه بتقديس العمل يطبقون تعاليم ديننا بدل عنا.

2.3-تحليل المضمون:

سيف يعيش مع عائلته المتكونة من ام مطلقة و ولدين بحيث هو الابن الاكبر، تعليمهم الام ماديا. يعتبر سيف نفسه المدير لشؤون أسرته بمعوية الام و بدل الاب الذي يرفض تدخلاته على كل الاصعدة حتي على الصعيد التربوي و الإرشادي.

وهو شاب قارب على دخول العقد الثاني من العمر، متعلق بشكل لافت بالوسائل السمعية البصرية، سواء تعلق الامر بالانترنت، التلفزيون، السينما في بعض الاحيان وكذا قراءة مجلات القصص المصورة Les bandes dessinées و الموجهة كلها الى استقطاب خارجي نحو آسيا الشرقية.

يرى سيف ان الانترنت يوسع من دائرة معارفه و اصدقائه برقم كبير و الذين يتجاوز بعضهم الحدود الى شرق القارة الآسيوية. فهي بالنسبة له ضرورة من ضرورات الحياة العصرية، بل ضرورة حضارية ملحة لا يمكنه الاستغناء او الانفصال عنها فهي و سيلته للتواصل و الترفيه و الوسيلة التي تبقي الشلة على اتصال دائم في هذال الفضاء الافتراضي، فضلا على الترفيه و اللعب على الشبكة من خلال العاب الفيديو الذي اصبح بديلا على التفاعل الاجتماعي المباشر.

هذا ما طرح حتمية شعوره بالضيق و فقدان sentiment de perte ان حدث ان حرم من الانترنت، على الرغم من انها تحرمه الراحة و الهدوء، نظرا لصخب الموجود على مواقع التواصل الاجتماعي خاصته. انها قبضة الانترنت بحيث وصف سيف نفسه دون شبكة الانترنت بالمجنون، ذالا على اعراض تدل على التبعية و الادمان l'addiction à internet كالشعور بالفراغ و الضيق و فقدان "أجن اشعر ان حياتي فارغة و لا اعرف ماذا افعل بوقتي، واسعى جاهدا لاسترجاعها".

اما التلفزيون فهو ايضا من بين الوسائل الترفيهية التي يقبل عليها ويفضل منها الافلام السنيمائية اليابانية و المسلسلات الكورية التي يعرف كل جديد عن ابطالها، الرسوم المتحركة اليابانية منغا على قنوات منغا Mangas و جي وان J-One، بالإضافة الى الرسوم المصورة في المجالات ورياضات

الفنون القتالية الصينية les arts martiaux ، كل هذه الوسائط مكنته من تكوين فكرة ايجابية عن الشعوب الآسيوية العملية و البسيطة كما يتصورها.

ان التعمص للنماذج الثقافية الآسيوية واضح على سيف في لباسه التي تحمل رموزا و كتابات صينية، ممارساته البدنية و الرياضية، كما ان اعجابه بالمجتمعات و الثقافات الآسيوية واضح ايضا من خلال سرد هذه القصة، كما انه يسعى لتطوير اللغات لاسيما الانجليزية التي تمكنه من التواصل مع ذلك الآخر خارج النطاق المحلي الذي يقابله ضعف في اللغة العربية مع رفض تعلم اللهجة القبائلية التي تعتبر لغة أجداده.

كما ان تصوره للثقافة المثالية مربوط بالتقدم، فهي تلك الثقافة التي تواكب العصر و التطور التكنولوجي و انتاج التكنولوجيا على غرار الثقافات الآسيوية على رأسها المجتمع الياباني الذي يريد الهجرة و الاستقرار فيه و ليست الثقافة التي تقف عند حدود الماضي و الفلكلور الفني و الغذائي. خلال هذا السرد نلاحظ لجوء الراوي كثيرا الى استراتيجية المقارنة و المقايسة بين الثقافتين المحلية و الآسيوية، و الترتيب حسب منطق الأفضلية لكنه يقف عند الذين الاسلامي الذي يعتبره المقوم الوحيد للهوية و العائق الابرز امام مشروع هجرته الى اليابان.

1.2.3- المراهقون و بالرغم من بقائهم في البيت الا انهم في جماعات باستمرار على الفضاء الافتراضي او السيبري (cyberespace)؛ الذي يعطيهم امكانية التواصل و اللعب و هذا ما يجعلهم في قبضة الأنترنت:

ان مرحلة المراهقة مرحلة حساسة، تطراً عليها تغيرات هيكلية تظهر على المراهق اهمها على الصعيد الاجتماعي؛ نقل الاهتمام من الاطار الاسري او بالأحرى من النموذج الابوي الى نماذج اخرى، عبر اعادة النظر في التقمصات الطفولية السابقة و نقلها من المستوى العمودي الى مستوا الافقي، اين تلعب جماعة الرفاق دورها في هذه المرحلة من النمو، فيستبدل الالباء بالأقران. حيث تزود جماعة الاقران او العصابة هذا المراهق بنماذج اخرى و تقوم بدور وسيط بين المراهق و المجتمع.

لذلك فمن المستحيل ان نجد مراهق بمفرده فهم دائما في جماعات، و هذه هي السيرورة الطبيعية في هذه المرحلة، لكن حاليا ومع الثورة التكنولوجية التي طالت كل شيء لاسيما الوسائل السمعية البصرية

كونها الاقرب الى الشباب، اصبحت هذه الوسائل هي ما يجمع المراهقين في جماعات، افراد

حقيقيين في فضاء افتراضي.

وعليه فجماعة الاقران انتقلت من ازقة الحي "الحومة" و اماكن الترفيه حيث كانت تجتمع الى فضاء سيبري cyberspace او افتراضي، اد ان الروابط الافقية التي تطراً على هذه المرحلة و هي ضرورية للتطور لم تتغير، المراهقون كانوا و لازالوا في جماعات انما اسلوب التواصل بينهم هو ما طراً عليه التغير، حيث اصبحوا يتواصلون بقوة عبر مواقع التواصل الاجتماعي في الفضاء الافتراضي، حيث عنصر المكان لا اهمية له.

مع ظهور الانترنت وانتشار استخدامها في كل المعمورة ، ظهر نوع جديد من الجماعات والمجتمعات الإنسانية والتي أصطلح على تسميتها بالمجتمعات الافتراضية أو الرقمية ، وتتشابه هذه المجتمعات مع المجتمعات الواقعية في وجود الأفراد والتفاعل بينهم وتقاسمهم الروابط والمشاعر والزمان إلا أنه في المجتمعات الافتراضية يغيب عنصر المكان ، فالمكان لم تعد له أهمية ، وتكنولوجيا الاتصال عن بعد امتصت كل أراضي العالم (المكان الحقيقي) وقلصت العالم إلى نقطة تقاطع هي الزمن الحقيقي. من هنا تتبع فكرة ماكلوهان مارشال McLuhan Marshall "القرية العالمية" المتولدة عن زوال المكان واختصار الزمن¹.

قياساً على هذا التطور التكنولوجي، لم يعد المراهقون في حاجة الى الخروج من البيت للهروب من القبضة الاسرية او الابوية لأنهم حتى و هم في البيت يمكنهم التنصل من هذه الروابط العمودية و الالتحاق بجماعة الرفاق حيث يبحث المراهق عن تقمصات افقية و يمكنه الخروج عن حصرية التأطير العائلي عبر هذا الفضاء الافتراضي حتى و هو جالس امام والديه، يحرك هاتفه الذكي براحة يده و الاجهام، او وراء شاشة الكمبيوتر او التلفزيون الذكي.

خاصة المراهقين اللذين على غرار سيف، فهم يرتبطون بهذه الوسائل و لديهم علاقة قوية بالتكنولوجيا و كذا اقبال عليها و تمكن منها يفوق اوليائهم و هذا ما اصبح عاملاً مساعد في تعميق الفجوة بين الاجيال، لاسيما ما يتعلق بالثقافة الرقمية و استعمال الانترنت و تقبل التكنولوجيا بشكل عام، نقطة لمح اليها سيف في حديثه عن امه "والدتي التي لم تفهم لحد الان ان الاتصال بالشبكة ضرورة من ضرورات الحضارة" فالكثير من الناس اللذين لا يتمتعون بميزة استخدام هذه الوسائل اصبح ينظر اليهم بمنظور التخلف مما يساعد على تطوير نموذج من الصراع الاجتماعي والثقافي بين الأجيال أو شرائح المجتمع أو بين الصغار والكبار أو الأبناء والآباء.

¹ماتلار (أرمون وميشال ،) تاريخ نظرية الاتصال، ترجمة العياضي نصر الدين، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ص 140.

لكن الانترنت و ان كانت ضرورة حضارية بالنسبة لسيف و غيره من الشباب اللذين يدمنونها، و ان كانت ايضا و سيلة هروبيه من التآطير الاسري و القبضة الوالدية الا انها توقعهم في قبضة الانترنت قبضة الأنترنت هذه بالرغم من انها تسبب ضغطا على المستعمل الا انه يصعب الهروب منها، فقد اشار سيف ان مواقع التواصل الاجتماعي خاصته هي مواقع صاحبة تعج بالأصدقاء اللذين يتجاوزون الاربعة مئة باعتبارها وسائط توسع من دائرة المعارف و الصداقات يصعب الهروب منها اليوم بكل بساطة فهناك واجبات وبرتوكولات اجتماعية في العالم الافتراضي.

اذ يجب ان يجيب النشطاء في مواقع التواصل الاجتماعي هذا وذاك و ان يكون المستعمل موجودا على الساحة الافتراضية لأنه غاب عنها او بقي خارج الخط hors connexion لمدة معينة يثير الشكوك وهذا ما يجعله محل تساؤل؛ "يجب ان تكون دائما حاضرا على مواقع التواصل، و الا ان غبت يوما " التليفونات ما تحبشش يقولوك ياخويا و ين راك وما عندك والنوا. و يلا خرجت hors connexion يقولوك لك وين كنت و شا صرالك" هذا معناه ان لا ترتاح ابدا من الضجيج".

هذه الحالة لا تنطبق على سيف وحده فقد اشار كل من توما زوبار Thomas Zuber و الكسندر ديزينارد Alexandre des Isnards في كتاب اسمه "قتلني الفاييبوك"¹ مجموعة تجارب الناس امام الفاييبوك في قالب فكاهي و مقلق في نفس الوقت نماذج مشابهة "نحن نوثق حياتنا يوما بعد يوم بحثا عن الابدية الرقمية للتحقق من وجودنا على الساحة الاجتماعية الافتراضية، لأنه اليوم ان لم تظهر او تترك اثرا على النت فهذا مريب".

لكن بالرغم من كونه لا يستطيع الراحة من ضجيج نشطاء الفاييبوك كونه يعتمد عليه بشكل حصري، الا انه لا يستغني عنها و عن تحقيق وجوده على الساحة الاجتماعية الافتراضية.

استخدام الانترنت اصبح بديلا للتفاعل الاجتماعي المباشر و الصحي مع الرفاق، و حتى افراد الاسرة، و اصبح المراهقون يقضون الساعات الطوال في التردد على مواقع الانترنت المتعددة المكيفة للتواصل أو المعدة لهدف الترفيه و اللعب كألعاب الفيديو خاصة تلك التي تلعب عبر الشبكة (اون لاين)² المنتشرة في اوساط الاطفال و المراهقين و حتى الراشدين، و هي نقطة اشار اليها سيف الذي يدمن على هذا النوع من الالعاب شبكة الانترنت ايضا هي وسيلتي لتحميل الالعاب الالكترونية التي

¹ ALEXANDRE DES ISNARDS ET THOMAS ZUBER, Facebook m'a tuer, Nil, 2011

² الالعاب اون لاين هي الالعاب تلعب عبر شبكة الانترنت تقوم على مبدأ التنافس بين آلاف المشتركين في اللعبة فيما بينهم، وأهم أنواع الالعاب اون لاين تلك التي تلعب على مواقع التواصل الاجتماعي مباشرة كألعاب فيسبوك.

ادمن عليها في العطل و في اوقات الفراغ او تلك التي اتلقي دعوات للعب الجماعي عليها عبر الفايبيوك".

هذا تحول طغى على النشاطات الشبابية في المجتمع الجزائري، حيث شغلت العاب الفيديو حيزا كبير من الممارسات اليومية هذه الفئة و هذا ما قلص نسبيا من اللعب الجماعي، الذي من مميزاته انه يساعد الفرد على التفاعل، و من خلاله يتعلم النظام و حقوق الاخر كانتظار الدور و يؤمن بروح الجماعة و قيمة الانجازات الجماعية، اليوم و مع التطور التكنولوجي، ظهرت اساليب ترفيهية جديدة ترتكز اكثر على التكنولوجيا عن طريق العاب الفيديو خاصة تلك التي تلعب عبر شبكة الانترنت les jeux en ligne المطلوبة كثير من طرف المراهقين كعبة Pokémon GO ! و غيرها من الالعاب التي نالت شهرة واسعة، التي تحد حركتهم و تجعلهم قابعين اليوم بطوله امام الشاشات.

هذا ما يؤدي الى تغير في منظومة القيم الاجتماعية للأفراد بما يعزز استخدام مفرط للقيم الفردية بدلا من القيم الاجتماعية، ويعزز الرغبة والميل للوحدة و العزلة، و يقلل من فرص التفاعل والنمو الاجتماعي ويقضي على كل أشكال التكامل والتضامن التي عرف بها الشارع الجزائري، نظرا لتحول هذه الوسائل إلى "الصديق الوحيد المقرب" فهي تقوم بمصاحبتهم يوميا وتسد أوقات الفراغ والوحدة عندهم، خاصة وان جزء كبير من هذه الوسائل الحديثة يعتمد فكرة بناء عالم افتراضي خاص (العاب الفيديو، الابحار في الشبكة، مشاهدة الفيديوهات...)

3.2.3- الحاجة الى الظهور في صورة ايجابية في مواقع التواصل الاجتماعي (الهوية الافتراضية/الهوية كما هي في الواقع):

ان مواقع التواصل الاجتماعي مناسبة للتعرف على احوال الناس و الاصدقاء وللتفاعل الاجتماعي، لكنها لا تعكس حقيقتهم و اوضاعهم دائما، لانهم في الغالب لا يظهرون الا الجانب الايجابي من حياتهم كونهم يعتبرون هذه المواقع وسائل دعائية لحملات التباهي و التفاخر و اظهار السعادة، هذا ما عبر عنه سيف "لازم مشاكلك تخليهم في السر *en secret* بينك و بين روحك و تبينهم غير بلي راك مليح. باش تتجنب الشماتة تاع الناس" مما يجعل الحياة الاجتماعية في الواقع الافتراضي باعتبارها فضاءات اجتماعية جديدة مبتذلة و مشحونة.

كما انها لا تخلوا من الصور التي تؤكد على الرفاهية و السعادة الا منتهية او السرمدية، بحيث عبر سيف وهو نموذج و فرد من افراد مجتمعات الشبكة العنكبوتية المتعددة لاسيما مواقع التواصل الاجتماعي، ان الغرور ضرورة من ضرورات البيئة الحقيقية و الافتراضية عبر الشبكة بإظهار كل ما هو ايجابي وتوثيقه بكبسة زر التصوير مع التستر و اخفاء ما هو سلبي، لان الصورة هي الحقيقة الوحيدة في عصر السمعي البصري " هو ايضا وسيلة اعرض فيها صوري التي التقطها في البيت او في الاماكن السياحية باش نزوخوا شوية"

ان ما يقوله سيف ليس بعيدا عن الثقافة الجزائرية، فمن طبع افرادها ان يظهروا كل ما هو جميل و ايجابي فيهم و حولهم(في اللباس، المسكن و اثاثه و حتى المركب) ليس علينا الى النظر لكيفية الاهتمام بغرفة الضيوف او الصالون لنرى كم يهتم الجزائري بنظرة الآخر له، فما قاله حول الغرور في الفضاء الافتراضي و عبر عنه بكلمة عامية جزائرية "نزوخوا"¹ ليس الا توظيفا لهذا الفضاء (الانترنت) لما هو راسخ في الثقافة و المجتمع.

ان الانسان بشكل عام اجتماعي بطبعه، لذلك فنظرة الآخر مهمة، هذا ما اكده بولبي Bowlby في نظريته حول التعلق ان الاهتمام الاجتماعي دافع إنساني متميز وأولي مثله مثل الاهتمامات والدوافع البيولوجية.

لكن من الملاحظ عند سيف ان الحياة الافتراضية تغطي على الواقع، هذا ما نلاحظه في حضوره الدائم على مواقع التواصل الاجتماعي للظهور في احسن صورة حتى في احلك الاوقات، نلمس ذلك بشكل واضح عندما يقول "لان العربي مهما كنت محطم يلينق تفريمي عليه باش تبان ويحسب لك الف حساب".

في هذا الصدد، ترى Nicole Aubert و Claudine Haroche في مؤلف تحت عنوان "تعسف الظهور" ان صحة الترجمة ل Les Tyrannies de la Visibilité ان تعسف او السهر على الظهور في وسائل التواصل الاجتماعي و رغبة الافراد في تضاعف صورهم و آثارهم في الانترنت تأتي من التعويض الناتج عن الشعور بالدونية.

¹"نزوخوا" كلمة في اللهجة العامية الجزائرية معناها التباهي.

وسائل التواصل التي هي منابر لكل الناس، تمكنهم من تحقيق الرغبة بالدعاية لأنفسهم، فيعبرون عن دواتهم بإظهار كل ما هو ايجابي، اسرة رائعة، سياحة و عطل مثالية... لان الصورة في عصر السمعي البصري هي البرهان و الدليل على ذلك، حتى ان لم يكن كذلك، مما يجعلهم يطورن ما قد تصح تسميته ب"أنا الواجهة un moi de façade بالنسبة لهاتين المؤلفتين و التي لا نسقط من خلالها مثالية داخلية un idéal intérieur بل مثالية اجتماعية idéal sociétal

في هذا الصدد اشارت المؤلفتان لهذا الكتاب ان عصر الانترنت، يقرب او يعارض أسطورة كهف افلاطون mythe de la caverne de Platon ، فبالنسبة لأفلاطون، الصور الخيالية التي تدور في جدران الكهف لا تمثل الا اوهام، اما بالنسبة لنا اليوم الصور هي الحقيقة الوحيدة، و الوجود من الان فصاعدا بعني ان تكون مرئيا، مشاهدا و من هنا تأتي الرغبة تضاعف صورنا و آثارنا الايجابية في الانترنت¹.

4.2.3- دور التلفزيون في نشر الثقافات الخارجية المتعددة يفتح باب المقايسة (بين ثقافة محلية ترى بمنظور سلبي و بمفهوم راكد، و ثقافة آسيوية بمنظور ايجابي و مفهوم ديناميكي مواكب للتطور:

إن معظم المواد و البرامج المعروضة على الشاشات الفضائية و المحلية الحالية، تجعل الفرد في البيئة المحلية يستهوي الاحتكاك المباشر بالثقافة الخارجية، وتقريبها مهما كانت بعيدة في أشكالها و مضامينها عن الثقافة المحلية التي يبدأ بالانسلاخ منها تدريجيا.

يحدث ذلك في ظل الغياب الجزائري في مجال الإعلام الثقافي على المستوى العالمي و حتى المحلي، وهذا ما يجعل القنوات الجزائرية لا تحضي بمشاهدات كبيرة و اهتمام بقدر ما توجه الانظار الى الفضائيات الاجنبية، و الادهى من ذلك، ان القنوات الجزائرية تلجأ الى استيراد الاعمال الخارجية لسد الفراغ، وهذا ما جعل القيم المحلية غير مرئية و ضعيفة لا ترى امام السيل الجارف من القيم العالمية للدول المسيطرة على المجال السمعي البصري، الذي يعطيها امكانية الاختراق الثقافي، الذي يجعل الشباب المراهق يشعر بالاغتراب الثقافي و معاناة ثقافية وهو داخل مجتمعه الاصلي المحلي.

فحب سيف للسينما و البرامج الآسيوية على غرار المسلسلات العاطفية الكورية التي جعلته يعجب بأبطالها هذه النماذج تعكس له صورة ايجابية عن الشعوب الآسيوية عبر الشاشات العربية و

¹CLAUDINE HAROCHE et NICOLE AUBERT, "Les Tyrannies de la Visibilité", Éditions Eres, 2011

الوطنية، كما يحاول التقرب من هؤلاء الأبطال و يتعرف عليهم اكثر من خلال البحث عن معلومات و كل جديد عنهم في الانترنت " حتى أنني اسعى لمعرفة كل جديد عن الفنانين الكوريين من خلال الانترنت منذ ان بدأت تتوسع هذه الانتاجات التلفزيونية اعجبت كثيرا بنمط حياتهم و كيف انهم شعب بسيط وعملي".

أضافتنا الى متابعته لقناتي منغا Mangas و جي وان J-One التي تعرضان الافلام الكرتونية اليابانية بانتظام، و افلام الفنون القتالية الصينية، كل هذه المواد التي تعرض في التلفزيون تقوم بتمرير رسائل ثقافية في قالب دو تأثير وجداني وعاطفي ومعرفي، مما يؤدي الى تقمص نماذج مختلفة و اتجاهات غير مألوفة و غريبة بشكل واضح على ثقافة المجتمع المحلي.

هذه الفكرة و التصور الايجابي الذي كونه حول المجتمعات و الثقافة الآسيوية خاصة تلك التي في اليابان، يقابلها تصور سلبي حول المجتمع المحلي على انه يعيش فوضى ثقافية، دكر سيف ان كل شخص يمارس ثقافته و يفكر بمعزل عن الاخر، و ان الثقافة في الجزائر تنحصر على يوم الجمعة و المأكل او المطبخ التقليدي "الثقافة لم تعد واضحة الا في الطعام ،كي تقولي المطعم الجزائري نقولك الكسكس (الطعام) يوم الجمعة، قصعة البركوكس كي يزيد مولود جديد، نقولك المحاجب، المسمن و الدوارة. لم نعد نمارس الثقافة الا من هذا الجانب"، وهذه ليست وحدها مؤشرات الثقافة و انما يعطي للثقافة مفهوما ديناميكيا قائما على التطور التكنولوجي على غرار اليابان التي تطورت في كل المجالات لان ثقافتهم مبنية على التقدم بتقديس العمل.

الثقافة المحلية مدركة من طرف سيف بشكل جد سلبي لأنه يراها تعاني فوضى عارمة " في الجزائر ثقافته مختلطة بثقافات اخرى، الثقافة يمكنها ان تتغير وكل حر في ثقافته، بالنسبة لي انا على سبيل المثال الثقافة الآسيوية ايضا عريقة كلشي راه مخلط دورك اختي"

راكدة لا تواكب التكنولوجيا "لم تطور ثقافة راقية و قوية تقوم على العلم و التكنولوجيا"،

بل ومراجعة " انا عمري ما شفت ثقافة كي تتطور تطور اللواي واي"

كما يتصور الثقافة الجزائرية على انها استهلاكية و غير منتجة " نحن نبيع البترول لنستورد

التكنولوجيا"

يظهر هنا ان الثقافة الجزائرية ترى بمنظور سلبي في كل جوانبها لأنها لم تتطور و لم تواكب التكنولوجيا التي استحوذت على الشباب المراهق الذي يحاول اللحاق بركب الحضارة، فهي عقبة في طريق التقدم حاصتا و انه ينظر الى ثقافة المحلية من منظور الفلكلور و الوقوف على الاطلاع باعتبارها النقاط التي يركز عليها القطاع الوصي على الثقافة في الجزائر " **الدولة كي يهدروا على الثقافة يهدروا على التراث، واث من تراث ربي يهديهم رانا 2015. ويهدروا على المهرجانات ياو غير ضياعة الدراهم على الرقص**".

ان للوسائل السمعية البصرية في حالة سيف الدور الابرز في تقديم ثقافة بديلة له بتصويرها و إظهارها من زواياها المشرقة، التي لا يمكن للثقافة المحلية بلوغها لأنه يعيشها بتناقضاتها و سلبيتها التي عبر عنها بوضوح من خلال هذا السرد و لأنها لا ترسم له بنفس الجمال كونها لا تتحكم في تكنولوجيات السمعي البصري باعتبارها سفير يخدم الثقافات التي تمتلكه ،يرى Baylon و Mignot بأننا نعيش في "حضارة اتصال" *une civilisation de communication* ، أي أن العصر الحالي يتميز بالاتصالات المتعددة الأشكال و الوسائل و التقنيات الحديثة، و بالتالي فإن الوسائل متوفرة لنقل كل أشكال المضامين و المحتويات و المعلومات الثقافية، و بطبيعة الحال تكون هذه الثقافات مرتبطة غالبا بمُصنع هذه الوسائل الاتصالية¹

هذا ما يجعل المراهقين كونهم من يدمنون علي الوسائل السمعية البصرية يوظفون استراتيجية المقايسة بين ثقافتهم و ثقافة الآخر باستمرار.

5.2.3- الدين وحده ما يساهم في الهوية و المرجعية الثقافية بالنسبة لمراهق ينظر الى الممارسات الثقافية المحلية بشكل سلبي:

وضحنا في العنصر السابق كيف ساهمت الوسائل السمعية البصرية خاصة التلفزيون و شبكة الانترنت في بناء تصور ايجابي عن الثقافة الاسيوية. و بالمقابل انعدام او عدم تواجد نموذج ثقافي مرجعي *repère identitaire* جذاب في المواد التي تبثها هذه الوسائل.

ما جعل المراهق يتعلق بالنماذج و الثقافة الآسيوية مستخدما استراتيجية المقايسة التي تفتح باب المقارنة بين هذه الاخيرة و الثقافة المحلية مع تصنيف الثقافة الآسيوية ذات افضلية على الثقافة الجزائرية

¹ Christian B., Xavier M. : la communication, 2em édition, paris :Nathan,1999.

التي ينظر اليها بمنظور سلبي تجوبها الفوضوية و الركود و التراجع من منظور هذا المراهق و بالتالي الوصول الى مرحلة الانسلاخ الثقافي *déculturation*.

هذا الاغتراب الثقافي الذي يشعر به وهو في مجتمعه الاصلي الذي لا يرقى الى مستوى تطلعاته و تصوره عن الثقافة، يدفعه الى حلم الهجرة و العيش في اليابان حاملا معه مجموعة من التمثلات الذهنية التي لا يمكن وصفها الا بالإيجابية في مجملها و بناها من خلال الوسائل السمعية البصرية " *لدي فكرة عن كيفية عيشهم من خلال مشاهدتهم في التلفزيون و الانترنت، فلم يسبق لي ان ذهبت الى هناك الى انني كونت فكرة لا بأس بها عنهم الى الان*". *اظن انني لن اجد صعوبة في التأقلم مع المجتمع الياباني عمليا "*

كل التصورات التي عبر عنها في السرد عن المجتمع الآسيوي لاسيما مجتمع الياباني كانت عبارة عن تصورات واعدة بالحياة السعيدة، فقد فصل سيف في وصف مجموعة قيم يقوم عليها هذا المجتمع كالعادلة و تقدير اصحاب الشهادات، يقوم بتدخليها *intériorisation des valeurs* بعد الحكم عليها بالايجاب.

هذا ما يجعله يسعى الى الانتماء الى هناك خاصة انه ينظر الى القيم السائدة في مجتمعه تقوم على منطق الرشوة و المحسوبية "غير المعرفة تاكل، تقري و لا متقراش كيف كيف. اما اليابان تعطي للإنسان المتعلم حقه و تحترمه لذلك اريد ان اكون صاحب شهادة جامعية و ارحل، لأنني متأكد انهم عندما يرون الانسان القاري يقيموه و يعطوه بلاصة مليحة".

وبناء على كل ما سبق من مقارنات و تصورات ايجابية عن الثقافة الآسيوية التي الصقها بصفة الديناميكية و التقدم حيث يعمل على تدخليها *intérioriser* ، مقابل نظرة و تصورات سلبية ساخرة تعكس ازدرائه لثقافة المحلية، و التي يرى انها راكدة لم يعد لها اي معنى "الثقافة لا تهتم انا مثلا اتصور ثقافة الشباب الجزائري حاليا دومينو، دخان، لاكوست، و الواي واي"

وعليه فان القيم و الممارسات الثقافية التي نشأ عليها، و الثقافة المحلية بصفة عامة ليست بالقوة التي تجده للوطن كونها لا تساير التقدم الذي يصبوا اليه، لكن الدين و هو واحد من مقوماتها هو وحده مهم في مسألة الانتماء لمحيطه الاجتماعي المحلي، لأنه يوفر له امكانية الحفاظ على هويته الايديولوجية و انتماء ديني لابنائه المستقبليين.

نلمس من سرد قصة الحياة انه لا يمكنه التجرد من البعد الديني لهويته، لذلك فهذه النقطة التي طرحها هي الصعوبة الوحيد التي تقف امام مشروع هجرته و زواجه هناك، حفاظ على التعاليم الاسلامية له و لأبنائه. فسيف يجد انه من غير المنطقي عنده كونه مسلم موحد ان يستوعب تعدد الديانات الموجودة في اليابان¹ " فاليابان كونها تحتوي على اكثر من ديانة، امر غير منطقي عندنا نحن المسلمين، نحن عندنا لا اله الا الله محمد رسول الله و لا شيء غير ذلك"

ترى الممارسات الثقافية عند هذا الشاب بمنظور سلبي لا يتماشى مع التطور، و بالمقابل هناك اليابان التي لها ثقافة ينظر اليها من زاوية ايجابية، لكن مسألة الدين هي المسألة الوحيدة المهمة بالنسبة اليه هو ما يجعله مترددا في حلم الهجرة، لا يقبل المساومة عليه حتى و ان كان غير مقتنع بالثقافة المحلية و لا يعترف بها الا في بعدها الديني او الايديولوجي.

6.2.3- ازدهار اللغات الاجنبية في اوساط المراهقين دليل على حاجتهم للانفتاح و التواصل كونهم يعيشون في فضاء العولمة.

اللغة على غرار الدين ايضا هي احدى مكونات الهوية الثقافية، بل تصنف من أهم هذه المقومات، فاللغة هوية، وليست "الهوية" لغة، كون أن اللغة ليست المقوم الوحيد للهوية، وإن كانت من أهم هذه العناصر، لأنها الجامعة لمقومات الانتماء، وذاكرة الشعوب الوعاء الحاضن لمنجزات الحضارة، و تاريخ الأمة ، هويتها ومسار تطورها لذلك تكتسب اللغة نوعا القداسة و مكان مميز عند الشعوب المتحدثة بها.

في مساحة من هذا السرد تحدث سيف عن اصوله القبائلية، عندما تعرض لمسألة اللغات، حيث اشار الى انه رفض تعلم اللهجة القبائلية بالرغم من محاولة والده التواصل معهم بها، كما انه لا يتحدث اللغة العربية بشكل جيد لأنه يعتبر اللغة اداة للتواصل هدفها ان تجعل الانسان يستطيع التواصل مع اغلب سكان العالم عبر الانترنت او في اي مكان خارج النطاق المحلي يمكن ان يذهب اليه، اما لغته الاصلية او لغة الاجداد كما اشار اليها لا تحقق له هذه النزعة لأنها تربطه بالمكان الذي هو فيه وحسب، تثبته على صعيد محلي، و لا ترقى الى مصاف اللغات الاكثر انتشارا في العالم على غرار الانجليزية،

¹ تمارس في اليابان عدة ديانات بحيث تدين الاغلبية بديانة الشنتو: (ليس لهذه الديانة تعاليم محددة، و ليس لها مؤسس فهي مفتوحة على العادات الدينية الأخرى بدون أن تؤثر هذه في خاصيتها وتأصلها الفريدين، ديانة الشنتو والتقاليد التي تلازمها هي متواجدة دائما في مظاهر الحياة اليومية اليابانية) تم تأتي البوذية من حيث الترتيب، تتبعها المسيحية، و الباقي يتبعون ديانات اخرى

فاللغة الانجليزية لغة عالمية وهذا ما يناسب سيف كونه ذو نزعة عالمية cosmopolite لذلك فالإنجليزية هي ما يحقق له هذه النزعة "حاول ابي التواصل معنا بها لتتعلمها عندما كنا صغارا لكن لم اتعلم الكثير لأنني لم احبها، لكن ذلك غير مهم ان اللغة بالنسبة لي ليست اللغة التي تحدث بها اجدادي بل تلك التي استطيع التعبير و التواصل بها مع كل العالم ففي النهاية هي أداة تواصل و يهمني ان لا اجد صعوبة في التواصل مع كل الناس كما هو الحال مع الانجليزية و ليس مع قلة من الناس المحليين في الجزائر" .

هنا يمكن الاشارة الى نقطة تحول تلعب الوسائل السمعية البصرية دورا فيها، خاصة شبكة الانترنت كونها تحت مستعملها على تعلم اللغات الاجنبية حتى يتمكنوا من مجارات هذا الانفتاح على الاخر و على ثقافات العالم "ساعدتني اللغة الانجليزية كثيرا في صداقتي عبر مواقع التواصل الاجتماعي الكل يفهمها و يتحدث بها فقد قربتني من اصدقاء بعيدون جدا عنا في المسافة و التاريخ والثقافة".

مما يجعل من بعض لغات العالم المنتشرة و المرتبطة بالتطور التكنولوجي لغات مزدهرة بالمقارنة مع اللغات المحلية و الاصلية للشعوب التي لا تتحكم في هذا التطور و تحاول اللحاق بالركب التكنولوجي، لغات اقل جاذبية لهؤلاء المراهقين المنفتحين على العالم الخارجي من خلال الوسائل السمعية البصرية، كونهم يشعرون ان لغاتهم الاصلية لا ترقى إلى مصاف اللغة الأجنبية المهيمنة وبذلك يبدأ العزوف عن اللغة الأصلية واحتقارها فتفقد قداستها عند شعوبها مما يعمل على إضعاف الارتباط باللغة المحلية وأحيانا يؤدي هذا إلى اندثار اللغة وموتها.

ومن الطبيعي ان تطغى اللغة المهيمنة على الطابع الهويي لمستعملها، فالهوية و اللغة تُمتزج في رابط واحد لان اللغة تمتلك خصائص تضرب في العمق و في رمزية المجتمع¹. فكما ان الهوية تعطي مدلولاً للمجتمع، فإن اللغة تعبر عنه ان اللغة هي تعبير عن الهوية سواء كانت هوية فرد او مجتمع و عن العلاقات التي تجمع الافراد الذين يكونونه.

¹ FSIAN HOCINE, l'école algérienne : Enjeux psychiques de la politique d'arabisation et souffrance identitaire in l'école dans un monde en crise coordonné par CLAUDE CARPENTIER, Ed l'Harmattan

4- الحالة الرابعة: فاطمة الزهراء

زهراء فتاة سمراء تبلغ من العمر 17 سنة، تدرس بالمستوى الاول من الطور الثانوي، تعيش مع اسرتها المكونة من والديها و سبعة اخوة.

هي فتاة متحجبة سمراء البشرة، ذات ملامح داكنة، ترتدي عادة حجاب على شكل اثواب طويلة و عريضة داكنة اللون، بسيطة و غير لافتة للأنظار. تتحدث بالدارجة مع استعمال اللغة العربية الفصحى، يتميز حديثها و نظراتها بنوع من الجدية و الحذر الذي زال بعد تعرفها على طبيعة عملنا، واختصاصنا و الهدف من وراء هذا البحث.

اجاباتها على الاستقصاء الذي صممناه لجمع المعلومات حول ساعات المشاهدة، اظهرت انها من المستعملين الدائمين على شبكة الانترنت و المنكبين عليها بشكل مكثف. التلفزيون ايضا من بين اهتماماتها اليومية لكن ليس بقدر الانترنت.

رحبت زهراء بالفكرة، و كانت متحمسة للعمل معنا منذ ان اطلعناها على دوافعنا من لقائها و العمل معها. اجريت المقابلات بغرفة صغيرة هادئة مخصصة للاجتماعات التابعة لمكتب المستشار، و بموافقة من الادارة.

1.4- سرد قصة الحياة:

انا فاطمة زهراء (الاسم الكامل) من حي الحاسي بمدينة وهران التي ولدت فيها 1998، انتقل والدي اليها في العشرية السوداء، هروبا من الارهاب الذي ضرب ضواحي مدينة غليزان فأصلنا من هناك.

ولدي يبلغ من العمر خمسة و خمسين سنة يعمل في بيع الخضر في سوق التجزئة اما امي التي تصغره بخمس سنوات فهي مأكثة بالبيت.

اعيش معهما في بناء ارضي مستقل وغير مكتمل، برفقة اخوتي السبعة، في الواقع لدي ثماني اخوة، لان امي كانت متزوجة من قبل و لي اخ منها هو البكر لكنه بقي مع اعمامه. اما اخوتي الاشقاء فكلهم يعيشون معي عذا اخت لي متزوجة. انجبت امي خمسة بنات إحداهن مطلقة و ولدين اصغر من البنات و انا هي الاصغر بينهم جميعا.

عندما كان عمري خمسة عشرة سنة عشت تجربة صعبة، بعدما احببت شخصا اكبر مني سنا بفارق عشرين عام، تمردت على اهلي، احسست بتغير في نفسي و عقليتي، اصبحت اطالب بالحرية و اواجه ردود فعل اهلي و نصحهم لي بعصبية، حاولوا منعي من العلاقة به لكن عنادي و ضني انهم يقفون ضد سعادتي ادخل البيت كله في دوامة من المشاكل، لم اكن في مكانهم و لم استطع الرؤية من وجهة نظرهم انني اصغر من ان ادرك انه استغلالي وعندما اكتشفت ذلك صدمت، فقدت الثقة في نفسي و في الناس، ولم يعد الهدوء الى البيت الا بعد مدة طويلة.

استقرت اموري بعد ذلك، اصبحت اكثر هدوء و تقريبا من امي، استشيرها و آخذ نصائحها بعين الاعتبار "وليت نحكيها و نساغفها"، كما امرني ربي اقوم بما يترتب علي من فرائض، اصوم و اصلي في البيت.

اصبحت من النوع الذي لا يحب الخروج الى الشارع الا للضرورة او بالأحرى الا للدراسة، فوجدت في شبكة الانترنت انيسا فأدمنت عليها. احاول ان اقرأ من الكتب عندما تتعب عينايا من شاشة اللوحة الالكترونية، احب قراءة القرآن او سماعه و كتيبات الادعية، هذا ما جعلني احب البقاء وحيدة و اكره ازعاج اخوتي لي.

الانترنت مفيدة جدا لكنها سلاح ذو حدين حسب استعمالاتها، هي تجمع بين الناس لتغيير الافكار و الاستفادة و تحمل كما هائلا من المعلومات، لكنها ايضا تفسد الشباب في الاتصالات المباشرة بالكاميرا مثل سكايب skype خاصة بين الاولاد و البنات وكذلك المواقع الاباحية.

لذلك احاول دائما الاستفادة من جانبها الايجابي، اقوم ببحوثي المدرسية، كما انني اتصل بصديقاتي عن طريق مواقع التواصل الاجتماعي، عندي حساب بالفيس بوك Facebook، فايبر Viber، تويتر twitter.

عندي ما يقارب عشرين صديق في الفايس بوك، بين اقارب و اصدقاء، صديقات بنات اجمالا، و اشتراكات في صفحات و مواقع علمية و صفحات رسمية لائمة ودعاة الخليج العربي خاصة السعودية لأنني احب فهم الدين. استعمل مواقع التواصل الاجتماعي لهذه لأغراض، و لا اضع صوري، الحرمة مازال كاينة انا افكر بأسلوب قديم "عقلي تاع بكري"، عادت اضع صور بنات اخواتي الصغار في صورة البروفايل.

اما التلفزيون اشاهده مع اخواتي، اجد نفسي مرغمة على مشاهدة ما يحبين فنحن ستة اخوات و لدينا تلفزيون مشترك في الصالون، عادت انا نشاهد المسلسلات تركية في قناة ام بي سي mbc او قنوات عربية اخرى، اشاركهم ما يشاهدونه من باب التسلية و التعرف على ما يجري في العالم.

لكن انا شخصيا فأفضل القنوات الدينية، كقناة اقرأ التي لديها برامج دينية مختلفة، قناة الصفا¹ نعم اشاهدها، و لا ابدأ لا أراها اكبر من سني، لأنني احب ان ارى كيف يتغلب صاحب الحق على الباطل لان لديه الحجة و البرهان من السنة النبوية و القرآن، قناة الناس و ايضا رسالة الاسلام، اشاهد ايضا قنواتي السعودية قرآن و السعودية سنة عندما احب ان استمع الى القرآن و السنة و مشاهدة البقاع المقدسة فهي تريحني كما ان لها فضل الرقيا² للبيت و اصحابه.

انا اتفق معكي ان هناك ايضا بعض القنوات الجزائرية مختصة في الدين احداها وطنية، انا احترمها لكنني لا اشاهدها، انا افضل القنوات الفضائية لان أئمتها و دعائها اكثر شهرتا، برامجهم مفيدة و متنوعة اكثر لا تشعرني بالملل، عندهم برامج نشطة و تفاعلية يمكنك المشاركة بها من خلال التدخل او طرح الاسئلة على المباشر وليست تلك التي تعودنا عليها في الاستوديو، طاولة و كراسي امام الكاميرا

¹ قناة تطرح مناظرات و حوارات بين السنة و الشيعة
² تقصد الرقيا الشرعية وهي قراءة القرآن بهدف الشفاء

بأسلوب اسئلة و اجوبة او فتاوي على الهواء فقط، بل لديهم تحقيقات في وسط المجتمع مع الناس، مناظرات حصص مختلفة، افكار و الاهم من ذلك انهم ناشطون على الانترنت، اكثرهم منفتح على شبكة الانترنت لديهم صفحات رسمية على غرار عمرو خالد، العريفي، عائض القرني... عبر مواقع التواصل الاجتماعي تجد نفسك قريب منهم وتستطيع التواصل معهم.

هذه الصفحات الدينية على الفايسبوك يخلوك متفكرة دينك، في كل صباح عندما تحلي الفايسبوك تلقي معلومة دينية، ولا منشور publication يفكرك بالصلاة، بالتسبيح ولا بالأخلاق الاسلامية، ترين ايضا قصص السلف الصالح و السنة النبوية.

هذه هي عقليتي و قصتي مع ادمان الانترنت و التلفزيون، يراني الكثير ممن يعرفونني فتاة معقدة و غريبة "bizarre" لكن لذي قناعاتي لأرى المجتمع انه هو الغريب وليس انا، انه آخر الزمان كما يقال. علاقات غير شرعية منتشرة، مخدرات بين الشباب، خيانات كل الآفات و المحرمات موجودة.

و السبب هو الاستعمال الخاطي للانترنت و التلفزيون و الاختلاط بين البنات و الاولاد، هناك بنات يعتقدن ان هذه الوسائل في صالحهن حتى يتعرفن على فارس الاحلام من خلال الانترنت و يحلمن بأشياء الممثلين، ليس هناك علاقات حب صادقة من خلال التواصل الاجتماعي، كل ما يريدونه هو التعارف تم تضييت الوقت بدون هدف او بهدف لا اخلاقي. الولاد تاع دورك ماش ملاح انا اتفق مع امي عندما تقول لي بلي هاذ "الولاد لي راهم طالعين ماشي ملاح، ماشي كيما تاع بكري كانوا رجال تروا على الحرمة ودروك ربي يستر".

مند سنتين فقط كنت مقتنعة انني سوف اتزوج من احببت فارس احلامي لكنني تعلمت من التجربة، اذا مشينا في الحرام بعكس ارادة الله نخسر و نشقى في الحياة، الآن غيرت نظرتي لفارس الاحلام يجب ان يكون انسان صالح متشبع بتعاليم الدينية انسان "مدين".

اغلب العلاقات العاطفية لا تنجح ما تخلص بزواج، حنا ماشي كيما الاجانب، "الثور" يعيشوا الحب قبل الزواج او متزوجون لأنها عقليتهم و ثقافتهم تتماشى مع هذا السلوك، اما نحن نحب تقليدهم الى ان نصل الى طريق مسدود لان ديننا و تقاليدنا ليست كذلك. لهذا يقيمون علاقات قبل الزواج حتى نهار لي يجي يتزوج يقول لامه "روحي شوفيهالي و لا انت جيبيهالي" او ينتهي به الامر الى اختيار واحدة لم يعرفها من قبل.

شوفي التناقض؛ اولاد اليوم لي يقرأوا معايا او كلهم بصفة عامة يفكرون بهذه الطريقة "لي خاطيها يقولك خطينا منها يجري مور البنات لي "يصاحبو و يخرجو" بصح كي يجي يتزوج بيدل عقليته يولى يحوس على لي خاطيها"

لذلك الفساد الذي وصلنا اليه سببه ابتعادنا عن الله، وسببه الاختلاط بين الجنسين الذي نهانا عنه الله، الاختلاط "مشي مليح" كنت افضل لو ان للذكور مدارسهم و للإناث مدارسهم.

الحرية الزائدة مضرّة، المجتمع تلزمه ضوابط كمحاربة سوء وفساد الاخلاق، اللباس المحتشم بالنسبة للنساء و الرجال هذا هو رأي.

حياتنا في البيت عادية عايلة كي الناس، لا اخرج كثيرا من البيت، ولذلك انا دائمة البقاء مع امي و اخواتي لكن تواجدي في البيت في اغلبه ليس الا حضور جسدي لأنني اقضي معظم وقتي في تصفح الانترنت او في مشاهدة التلفزيون، لكن ومع ذلك علاقتي بعائلي جيدة، خاصة امي التي اوصانا بها الرحمان، امي هي الاقرب الى قلبي، كما انها صديقة لي، ربي يخليلي امي دائما واقفة معنا، عيبيها الوحيد انها تفضل الذكور على الاناث فعندما يتعلق الامر بأولادها الذكور فإنها تفتخر بهم ان قاموا بشيء صائب و تتستر عليهم دون عتاب ان قاموا بشيء خاطئ.

اما ابي فهو مسكين دائم الشقاء، يعمل طول اليوم في بيع الخضروات في سوق التجزئة، لذلك هو دائم التعب، يصل الى البيت كل يوم في حالة من الانهالك، لذلك لا اكلمه كثيرا كلنا نتجنب ازعاجه لأننا "حاسنين عونه".

اشعر انه دائم الشقاء و الحزن، فقد الكثير من اقاربه و ترك امواله وكل شيء خلفه سنة 1994 خلال سنوات الارهاب، ليجد نفسه في مدينة كبيرة كوهران، مجبرا على العمل الشاق في مكان لا يعرفه فيه احد ليؤمن لنا البيت و الطعام.

انا و اثنين من اخوتي ولدنا في وهران وحتى من لم يولدوا هنا يشعرون اننا ننتمي الى هنا و مستقبلنا هنا و لهذا يستمر ابي بالعيش هنا.

يتعب كل منهما من اجلنا ابي و امي يعملان كل ما بوسعهما لتربيتنا على احترام العادات و التقاليد و الحشمة، لكنني لن اربي اولادي على نفس الطريقة، سوف احاول تربيتهم على التعاليم الدينية فقط، لان العادات و ما تسمينه انت ثقافة كثيرا ما يتعارض مع الدين، سوف أعطيك امثلة:

والداي مثلا يفضلان الذكور على الاناث، يعطون للذكور دائما الاعذار و الافضلية و يفتخرون بهم. ولدت امي عدة اناث قبل ان تلد الذكركين، وعندما كانت تأتي بالأولاد اقصد الذكور لا تسعها الدنيا من الفرحة، لذلك تسخرنا الى اليوم لخدمتهما، هذه العادات و التقاليد تتعارض مع الدين الاسلامي الذي لا يفرق بين البنت و الولد في التعامل.

كما تشتكي امي طول العام اننا قنابل متفجرة تقصد طبعا الشرف و الفضيحة، اذا اخطأت احدانا و تقول "لي عندها الشيرات ف الدار عندها البومبات les bombes" لكن عندما "يجونا الخطابين" لطلب الزواج تفتخر بنا امامهم و امام الناس "تقريمي بينا" و تغلي في الطلبات و المهر، هذه ايضا ثقافة تتعارض مع الدين الاسلامي، لذلك اقول لكي الثقافة الجزائرية مبنية في جزء كبير منها في التعارض مع الدين لذلك لا بد من الغائها و اتباع الدين و الشريعة الاسلامية.

مجتمعنا لازم يطبق الشريعة الاسلامية مثل المجتمع السعودي مثلا كل القوانين و السلوكات مستمدة من الدين عندهم. نحن مخطئون كثيرا "رانا ضالين بزاف" نقوم ببدع بحجة الثقافة مثل الاعياد (المولد النبوي، النايير، عيد الام...) فمعدا العيدين الفطر و الاضحى كل الباقي بدع.

ايضا هناك تصرفات جاهلية في الثقافة الجزائرية و هي بدع وضلالات مثل الاولياء الصالحين و القعب¹، زيارة و الاستعانة بالطببة² للعلاج لماذا يذهب الناس اليهم و قد اعطانا الله الرقيا الشرعية. هناك ايضا الحمام وهو حرام، ومن عاداتنا بعد الزفاف حمام العروسة هذه كلها عادات سيئة محرمة و بدع خارجة عن الدين.

في مجتمعنا ايضا هناك ناس تتحدث و تفتخر باللغة الفرنسية، يشعرون انهم افضل ممن يتحدثون العربية لكن اللغة العربية هي لغة القرآن، لغة رائعة. لذلك اقول لكي انا لغتي هي العربية و منهجي في الحياة هو المنهج الاسلامي.

¹ تعني الاضرحة و زيارتها

² جمع طالب أي المشعود

2.4- تحليل المضمون:

زهراء فتاة في سن السابعة عشر، تعيش مع اسرة كبيرة، نازحة الى مدينة وهران مند العشرية السوداء في سنوات التسعينات.

مرت في بداية سن المراهقة بتجربة، جعلتها تتطوي في البيت لتعتزل العالم الخارجي و تتكبد على العالم الافتراضي من خلال شبكة الانترنت التي ادمنتها.

ترافق شبكة الانترنت زهرة اليوم بطوله، فتمضي وراء الشاشات وقتا طويلا لتغدي فضولا دو توجه ديني، يطغى على استعمالها لشبكة الانترنت، حيث تركز على المنشورات في الصفحات الدينية في مواقع التواصل الاجتماعي و المواقع و النوادي الاسلامية، كما تركز على التواصل مع أئمة الخليج العربي النشطاء على الشبكة العنكبوتية، لأنها ترى انهم يساعدونها على تعلم امور دينها و الشريعة الاسلامية.

زهراء تقبل ايضا على التلفزيون و بنفس التوجه، حيث تفضل مشاهدة القنوات الفضائية المتخصصة في الدين و التي لها ايدولوجيا و مرجعية ثقافية و مذاهب مختلفة عن تلك التي في وطنها، السبب ترجعه لكونها تلمس ضعفا واضحا في القنوات المحلية التي تؤدي نفس الغرض.

كونت هذه الفتاة موقف وتصورات سلبية من الثقافة الجزائرية، لأنها و من خلال محاولتها للإلمام بالدين معتمدا في ذلك على الوسائل السمعية البصرية، تتأثر بالثقافة الدينية لدول الخليج العربي وهذا ما جعلها ترى ان الثقافة الجزائرية تتعارض مع الشريعة الاسلامية في مسائل عديدة، حاولت استعراض بعض منها من خلال هذا السرد، الذي تعود فيه في كل مرة الى مفاضلة و مقايسة الثقافة الجزائرية بدول الخليج العربي، و التي ترى مجتمعاتها مبنية اكثر على توظيف و تطبيق احكام الشريعة الاسلامية.

1.2.4- الازمة طريقاً الى الشخصية و التفرد، الصدمة، ثم العودة للامتثال الاجتماعي : conformisme

يبدوا جليا من خلال قراءة هذا السرد انه مع بداية المراهقة، مرت هذه الفتاة بأزمة حيث كانت تبحث عن الحرية خارج النطاق العائلي ، لعيش تجربة عاطفية مع شخص اكبر منها سنا انجرت عن هذه الرغبة ثورة عاصفة هزت جدران البيت الذي عاش صراعات عديدة امام تمرد زهرة و تمسكها برئها " عندما كان عمري خمسة عشرة سنة عشت تجربة صعبة، بعدما احببت شخصا اكبر مني سنا بفارق

عشرين عام، تمردت على اهلي، احسست بتغير في نفسي و عقليتي، اصبحت اطالب بالحرية و اواجه ردود فعل اهلي و نصحهم لي بعصبية، حاولوا منعي من العلاقة به لكن عنادي و ضني انهم يقفون ضد سعادي ادخل البيت كله في دوامة من المشاكل " ، هذه المسار الذي سلكته يظهر بشكل واضح كيفية عدول المراهق عن بناءات السابقة للفرد التي تقوم على ازالة المثالية عن الصور الوالدية -dés idéalisation des figures parentale و اعادة النظر في المثل الاعلى للذات، بما أنها الطريق الوحيد المؤدي إلى تكوين مواضيع جديدة¹، هذا التغير في سلوكها الذي يعد مقدمة للوصول للفردانية او الشخصية و البحث عن الذات في مرحلة المراهقة.

لكن ادركت فيما بعد انها لم تكن موفقة بعلاقتها العاطفية التي جرت الخيبة و الصدمة و كذا الاحباط. لم اكن في مكانهم و لم استطع الرؤية من وجهة نظرهم انني اصغر من ان ادرك انه استغلالي وعندما اكتشفت ذلك صدمت، فقدت الثقة في نفسي و في الناس، ولم يعد الهدوء الى البيت الا بعد مدة طويلة". هذا ماجعلها تغير المسار و تبحث عن الامتثال و التوافق الاجتماعي le conformisme social و التبعية للأسرة، فبعدها كانت نائرة اصبحت هادئة تسعى لإرضاء والدتها و تمثل للمطالب الاجتماعية "استقرت اموري بعد ذلك، اصبحت اكثر هدوء و تقريبا من امي، استشيرها و آخذ نصائحها بعين الاعتبار "وليت نحكيها و نساغفها"، كما امرني ربي اقوم بما يترتب علي من فرائض، اصوم و اصلي في البيت".

و الاهم من ذلك انها انعزلت و صارت تلازم البيت و لا تخرج الا للضرورة، و هذا معناه انه عليها ان تجد بديلا عن نشاطاتها السابقة، و لذلك لجأت الى شبكة الانترنت و الى التلفزيون لملء الفراغ الذي ترتب على اسلوب جديد للعيش، حيث تقضي اوقاتها في البيت لكن وراء الشاشات تشاهد التلفزيون او تتجول في شبكة الانترنت " اصبحت من النوع الذي لا يجب الخروج الى الشارع الا للضرورة او بالأحرى الا للدراسة، فوجدت في شبكة الانترنت انيسا فأدمنت عليها".

هذه الوسائل السمعية البصرية اصبحت من اولوياتها التي فوظفتها لأغراض وصفقتها زهرة بانها ايجابية حيث سعت من خلالها الى اشباع فضول ديني " الانترنت مفيدة جدا لكنها سلاح ذو حدين حسب استعمالاتها... لذلك احاول دائما الاستفادة من جانبها الايجابي".

لكن ماذا عن هذه الثقافة الدينية التي ترسمها الوسائط السمعية البصرية الخارجة عن الإطار

المحلي؟

¹ BLOS PETER in adolescence, par un Collectif d'auteurs Ed SARP, alger,2001.

2.2.4- "مراهقوا السمعى البصرى" غائبون مع التزام البيت (الحاضرون الغائبون)، فمن اذن المساهم الاكبر في غرس الهوية الثقافية؟

ذكرنا في العنصر السابق كيف ساهمت التجربة التي اختبرتها بداية سن المراهقة في انعزال زهرة و التزامها البيت، حيث انكبت على شبكة الانترنت كوسيلة ترافقها في البيت. كما ان لها ميولا في مشاهدة البرامج و القنوات التلفزيونية تختلف عن كل افراد عائلتها.

ان الوسائل السمعية البصرية تستهلك من وقتها زمتا طويلا، و اهتمام اكبر خاصة انها تجد لاستعمالات هذه الوسائل اهدافا تصنفها في خانة ايجابية، لذلك فهي مستعملة لها فئات بأل الوسائل السمعية البصرية تصب في الفائدة كونها تأخذها من جانبها الايجابي.

كل هذه العوامل التي في مقدمتها العزلة الاجتماعية و الاسرية التي تعيشها زهرة وهي مراهقة ملازمة للبيت، بسبب اهتمامها المفرط بالوسائل السمعية البصرية على حساب علاقاتها الاسرية، حتى انها وصلت الى تفضيل الوحدة و اعتبار التفاعلات الاسرية انها ضرب من الازعاج "هذا ما جعلني احب البقاء وحيدة و اكره ازعاج اخوتي لي"

تشهد العائلات الجزائرية الآن في عصر السمعى البصرى، ظاهرة عزلة افرادها حتى وهم متواجدون في البيت، حيث اصبحوا اقل تفاعلا و اكثر انشغالا بالوسائل السمعية البصرية مما يضعف العلاقات و التماور و تبادل الخبرات و المشاعر بين افراد الاسرة التي من المفروض انها الوحدة الاجتماعية الاولى التي ينشأ فيها الانسان كونها محيطه الاول الذي يتلقى فيه تنشئته الاجتماعية، فهي الأداة الوحيدة تقريبا التي تمد الطفل بالمهارات والاتجاهات والقيم السائدة في مجتمعه، لكنها اصبحت تشهد انحسارا حيث اصبحت الوسائل السمعية البصرية اكثر تشجيعا على العزلة التي لا تحت على التعامل المباشر بين افراد الاسرة و تفعيل العلاقات الاجتماعية، هذا الواقع عبر عنه جورج جارنر Gerbner George في مقولة شهيرة في كتابه؛ العيش بمعية التلفزيون "ان التلفزيون أصبح عضوا رئيسيا في الأسرة ، وهو الذي يروي معظم القصص في معظم الوقت" كما يرى في ذات الكتاب ان التلفزيون هو وسيلة للتنشئة الاجتماعية لمعظم الناس في أدوار موحدة وسلوكيات، وتتمثل مهمته في كلمة، "التثقيف"، الذي كان من شأن وسائل اخرى على غرار الاسرة و المدرسة و دور العبادة.

ان الوقت الذي يقضيه المراهقون - هؤلاء الحاضرون الغائبون - امام الشاشات سواء التلفزيونية او شاشة الانترنت ليس بريئا، فوقت الفراغ ليس مرادفا للراحة بل يؤثر في الانسان اكثر مما نتوقع، و هنا تكمن اهمية الاوقات التي تمر على المراهق في استخدام الوسائل السمعية البصرية كونها نواقل للثقافة موازية للأسرة، تقدم مضامينها في شكل جذاب و لا يحتاج لعناء لارتباط الصورة بالصوت و هذا ما يجعلها تتفوق على وسائط التنشئة الاجتماعية كلها، و اكثرها تأثيرا في الهوية الثقافية.

وقد اشار جارنر Gerbner صاحب نظرية الغرس الثقافي la théorie de la cultivation مع غروس ومورغان "أنه سابقا كان للدين أو التعليم أكبر تأثير على الاتجاهات الاجتماعية والعادات، ولكن الآن التلفزيون هو مصدر معظم الصور والرسائل المتبادلة على نطاق واسع" كما وجد أن المشاهدين بمعدلات كبيرة للمشاهدة تكون معتقداتهم وآرائهم مماثلة لتلك التي صورت على التلفزيون بدلاً من العالم الحقيقي¹.

فعندما نعود الى حالتنا هذه نجد ان ما تتلقاه من الوسائل السمعية البصرية سواء شبكة الانترنت او التلفزيون ليس محليا، حتى و ان كان يغدي اهتماماتها الدينية الا انه يحمل ثقافتا دينية و إيديولوجيا أخرى اصبحت اقرب الى واقع زهرة من مجتمعها و واقعها الاصلي و هذا ما سوف نركز عليه لاحقا.

3.2.4- جيل قريب من التكنولوجيا السمعية البصرية هو جيل قريب من ذلك الآخر المتحكم فيها، ولو كان مختلفا ثقافيا و ايديولوجيا:

تمثل زهراء نموذج من الشباب المراهق المتعلق بالتكنولوجيا، خاصة تلك التي لها علاقة بالاتصالات و المعلومات، لاسيما شبكة الانترنت و التلفزيون. و بحكم عولمة هذه الوسائل تمر عبرها افكار و تصورات عديدة من خلفيات ثقافية و ايديولوجية مختلفة .

تحاول زهراء استغلال هذه الوسائل "للثقافة الدينية" حيث تركز كلا من شبكة الانترنت و التلفزيون لهذا الغرض.

فعبير مواقع التواصل الاجتماعي، الفيسبوك على الخصوص تتواصل مع قلة من صديقاتها، لكنها تشترك صفحات علمية و دينية، وحسابات للائمة و دعاة السعودية و الخليج العربي الناشطون على موقع الفيسبوك رغبة منها في فهم الدين.

¹ جارنر جورج في كتاب: نظريات الاتصال من اعداد المزاهرة، منال هلال، ، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان 2012.

التلفزيون تستعمله زهراء ايضا لنفس الغرض، حيث تقبل على القنوات الفضائية المتخصصة في الدين، هذا التفضيل في المشاهدة و هذا الاقبال على القنوات له مبررات دينية و ايمانية لخصتها بقولها " انا شخصيا فأفضل القنوات الدينية، كقناة اقرأ التي لديها برامج دينية مختلفة، قناة الصفا، قناة الناس و ايضا رسالة الاسلام، اشاهد ايضا قناتي السعودية قرآن و السعودية سنة عندما احب ان استمع الى القرآن و السنة و مشاهدة البقاع المقدسة فهي تريحني كما ان لها فضل الرقيا للبيت و اصحابه".

تعتمد هذه الشابة على الوسائل السمعية البصرية لفهم الدين اعتمادا على ذلك الآخر الذي يحمل ايدولوجيا و مذهباً مختلفاً عن الافكار المرجعيات المحلية، فضولها الديني كله تحاول ان تجد له اجابات من خلال الوسائل السمعية البصرية الموجهة الى الخارج الى الخليج و السعودية على الخصوص، حيث نلمس عزوفاً عن مشاهدة القنوات الوطنية الاسلامية، كون ما هو محلي و يتم عرضه على التلفزيون ممل و لا يرقى الى مستوى تطلعاتها " هناك ايضا بعض القنوات الجزائرية مختصة في الدين احداها وطنية، انا احترمها لكنني لا اشاهدها"

ان ما هو محلي، فهو محدود، تقليدي و ممل "تلك التي تعودنا عليها في الاستوديو، طاولة و كراسي امام الكاميرا بأسلوب اسئلة و اجوبة او فتاوي على الهواء فقط"

اما ما هو خارجي و ما يبث في القنوات الفضائية ذات الطابع التفاعلي مستحدث و ممتع، "عندهم برامج نشطة و تفاعلية يمكنك المشاركة بها من خلال التدخل او طرح الاسئلة على المباشر وليست ، بل لديهم تحقيقات في وسط المجتمع مع الناس، مناظرات حصص مختلفة، افكار"

كما ان هنالك اشارة الى الدعاة و الائمة الاكثر شهرتا و استعراضا، شهرة استمدوها من القنوات التلفزيونية الفضائية الخليجية المتخصصة في الدين، و الذين لهم اثر و بصمة واضحة على الشبكة العنكبوتية وقد اشارت في سردها لبعضهم "انا افضل القنوات الفضائية لان أئمتها و دعائها اكثر شهرتا، برامجهم مفيدة و متنوعة اكثر لا تشعرني بالملل ، و الهم من ذلك انهم ناشطون على الانترنت، اكثرهم منفتح على شبكة الانترنت لديهم صفحات رسمية على غرار عمرو خالد، العريفي، عائض القرني... عبر مواقع التواصل الاجتماعي تجد نفسك قريب منهم وتستطيع التواصل معهم".

و لذلك فهذه التكنولوجيا الحديثة تقرب من يتحكم فيها من الشباب المراهق كونه متعلقا بالشبكة حيث تحتل هذه الاخيرة اهمية بالغة في حصوله على معلوماته و بناء تصوراته.

و عليه تعتبر الوسائل السمعية البصرية وسائط قوية في استقطاب المراهقين و تكوين تصوراتهم التي لا تخلوا من بصمة الآخر المختلف ثقافيا الذي حتى لو اشترك في الدين، لكن بثقافة دينية و إيديولوجيا مختلفة و الذي يوظف هذه الوسائط لصالح افكاره و ايديولوجيته و زرع ثقافته من خلالها.

4.2.4- ثقافة دينية مبنية على معطيات مستمدة من الوسائل السمعية البصرية، يفتح باب المقارنة و المفاضلة (hiérarchisation) بين الثقافة الجزائرية و بلدان الخليج العربي:

زهراء كما سبق و ان وضحنا، فتاة مهتمة بالجانب الديني، تحاول فهمه و استيعاب الشريعة الاسلامية من خلال الوسائل السمعية البصرية الخارجية، اي ان المصادر التي تعتمد عليها في محاولة بناء معلوماتها و الاستجابة لفضولها الديني تتمثل في شبكة الانترنت و التلفزيون الفضائي.

من خلال التصورات التي قامت ببنائها حول الدين كمركب من مركبات الثقافة على هذا الاساس اي من خلال الوسائل السمعية البصرية الاجنبية و ليس بقراءة الكتب او حضور الجلسات الدينية، جعلها تعيش حالة من الاغتراب الثقافي، "الاغتراب الثقافي مفهوم يكمن ابتعاد الفرد عن ثقافة مجتمعه و رفضها و النفور منها و وانبهاره و محاكاته لكل ما هو غريب و أجنبي من عناصر الثقافة و خاصة أسلوب حياة الجماعة و النظام الاجتماعي و تفضيله على ما هو محلي"¹، فزهراء فتاة ترى ان المجتمع على خطأ و ان الثقافة المحلية و الممارسات الثقافية الجزائرية تتعارض مع تصوراتها حول الدين لذلك يجب الغاء هذه الثقافة و عزم تفعيل ممارساتها التي تتعارض مع الشريعة و بالتالي تطرح نموذجا آخر ترى فيه الصواب و تحاكيه و هو النموذج السعودي او الخليجي بشكل عام.

فهي تضع نفسها اكثر انسجاما مع الثقافة السعودية و مختلفة مع الثقافة الجزائرية، ففي الجزء الاخير من سردها، عبرت زهراء عن نظرة السلبية واضحة للثقافة المحلية، حيث حاولت طرح مجموعة البراهين و الاسباب التي جعلتها تبني هذا التصور و الحكم السلبي و التي تتلخص في تعارض ثقافة الجزائريين في بعدها الممارس كالعادات و التقاليد مع البعد الديني.

¹ زهران، سناء حامد: إرشادات الصحة النفسية، القاهرة، عالم الكتب، 2008، ص 111.

وطرحت امثلة لبعض العادات و الممارسات التي تلتصق بالثقافة الجزائرية كبدع دخيلة لا تقبلها الشريعة، على غرار الاحتفالات الخارجة عن الاعياد الاسلامية " مثل الاعياد (المولد النبوي، النايير، عيد الام...) فمعدا العيدين الفطر و الاضحى كل الباقي بدع".

اشارت ايضا الى الحمّام في الثقافة الجزائرية، و الحمّام يحمل معاني اساسية في الثقافة الجزائرية، حيث يمكن ان نعرفه من منظور المرنيسي Mernissi ذلك المكان الذي يستقبل الباحث عن الطهارة و المستفسر عن الاخبار و الباحثة عن عروس، فالحمّام في المجتمع مركز اتصال نشط كما وصفه بوحديبة¹Bouhdiba، بالإضافة الى الطرق التقليدية في التداوي و التي لا تقابلها بالطب الذي يقوم بالعلم بل بالطب النبوي حيث ذكرت ان "هناك تصرفات جاهلية في الثقافة الجزائرية و هي بدع وضلالات مثل الاولياء الصالحين و القيب، زيارة و الاستعانة بالطلبة للعلاج لماذا يذهب الناس اليهم و قد اعطانا الله الرّقى الشرعية. هناك ايضا الحمّام وهو حرام، ومن عاداتنا بعد الزفاف حمام العروسة هذه كلها عادات سيئة محرمة و بدع خارجة عن الدين".

هذه التصورات السلبية حول الثقافة الجزائرية ساعدت على تراكمها الوسائط السمعية البصرية مما جعلها تعيش حالة من الاغتراب الثقافي، كما فتح امامها المجال لتوظيف استراتيجية المقايسة و الترتيب hiérarchisation بينها و بين السعودية او المجتمعات الخليجية بشكل عام، حيث صنفتها وفق مبدأ الافضلية قبل الثقافة المحلية، التي اقترحت تعديلها لتصير مشابهة و تحاكي الهوية الثقافية الخليجية و السعودية على وجه الخصوص "مجتمعا لازم يطبق الشريعة الاسلامية مثل المجتمع السعودي مثلا كل القوانين و السلوكات مستمدة من الدين عندهم. نحن مخطئون كثيرا رانا ضالين بزاف نقوم ببذع بحجة الثقافة".

وعليه حتى و ان استعمل المراهق الوسائل السمعية البصرية بنية حسنة و لأهداف ايجابية كمحاولة فهم الدين عند هذه الحالة، فهذا لن يقلل من تأثيرها على الثقافة و الهوية المحلية لأن هذه الوسائل تحمل خاصية و بصمة ثقافية للبلدان و المجتمعات التي تبثها و هذا ما لا يحسب حساب خصوصيات الثقافات المحلية بتصوراتها، اعرافها و تقاليدها و طبيعة ممارساتها ، حتى مع الثقافات التي تشترك في ابعاد مهمة كالدين و اللغة.

¹BOUHADIBA, la sexualité en islam.

5.2.4- تقارب مع الثقافة الدينية الخليجية (السعودية) كما تقدمها الوسائل السمعية البصرية كاف لإقصاء الثقافة المحلية (الاغتراب الثقافي (Aliénation):

ترجيح زهراء لكفة الدين على كفة الثقافة الجزائرية في شكلها الممارس واضح من خلال سردها لقصة الحياة، كما انها ترى هذه الاخيرة في تناقض مع الدين كون بناءها لتصوراتها عن الدين الاسلامي تتم وفق الطريقة التي تقدمه بها القنوات الفضائية الدينية التابعة لسعودية و دول الخليج العربي بشكل عام، وكذا فضاءات الانترنت تحت تأثير دعاة و أئمة ذوى شهرة، انطلاقا من هذه التلفزيونات و ناشطون على مستوى الشبكة من خلال منابر قريبة من فئة الشباب و المراهقين تدعي مواقع التواصل الاجتماعي.

انطلاقا من هذه العوامل، قامت زهرة بتكوين تمثلات ذهنية و تصورات دينية بخلفية ايدولوجية مختلفة عن ثقافتها الاصلية كونها تحمل ثقافة اصحابها، هذا ما جعلها تتوصل الى قناعة سلبية الثقافة المحلية و وبجوب الغائها و اتباع الشريعة الاسلامية او تعديلها لتشبه ثقافة الآخر كونه من وجهة نظرها قد بنى ثقافته على اسس الشريعة "مجتمعا لازم يطبق الشريعة الاسلامية مثل المجتمع السعودي مثلا كل القوانين و السلوكات مستمدة من الدين عندهم".

الدين و ان كان جزءا من الثقافة يشغل مساحة اكبر عند الشباب الذين لم يعودوا مرتبطين بالعادات و التقاليد و القيم التي كانت تحكم المجتمع الجزائري الذي عرفت سابقا بان لها قوة تحرك المجتمع و فق اعراف متفق عليها تفوق قوة المحرك الديني.

كل هذه الممارسات الثقافية فقدت شيئا من ترسخها منذ ظهور التيارات الاسلامية في الجزائر و الفضائيات التي تبث مختلف الاستراتيجيات و التحولات في العالم وهذا عامل من العوامل التي ساهمت في الكثير من التغييرات الثقافية في الجزائر.

كل هذا، نلمسه في خطاب هذه الفتاة المتشبع بالثقافة الدينية المختلفة عن الثقافة الدينية المحلية، وهذا ما يجعلها رافضة للجانب الممارس من الثقافة الجزائرية "هناك تصرفات جاهلية في الثقافة الجزائرية و هي بدع و ضلالات"

كذلك عندما نقرأ جملة أخرى تودي نفس المعنى ؛ "هذه العادات و التقاليد تتعارض مع الدين الاسلامي" و ايضا في قولها "سوف احاول تربية أولادي على التعاليم الدينية فقط، لان العادات و ما تسمينه انت ثقافة كثيرا ما يتعارض مع الدين".

يرى اريك فروم Erich Fromm في كتابه المترجم "ثورة الامل" أن الفرد يكف عن أن يصبح نفسه عندما يعتنق نوعا من الشخصية المقدمة له من جانب النماذج الحضارية الاخرى ولهذا فإنه يصبح تماما شأنه شأن الآخرين وكما يتوقعون منه أن يكون¹، وهذا ما يمكن الاشارة اليه بالاغتراب الثقافي.

حتى ان زهرة و من وراء متابعتها و تقصيتها لفحوى برامج هذه القنوات الفضائية، كقناة الصفا المتخصصة في طرح مناظرات و مناقشات بين اهل السنة و اهل الشيعة تقم نفسها في صراعات غير مطروحة في المجتمع الجزائري كالصراع السني الشيعي " قناة الصفا ايضا اشاهدها، و لا ابدا لا أراها اكبر من سني، لأنني احب ان ارى كيف يتغلب صاحب الحق على الباطل لان لديه الحجة و البرهان من السنة النبوية و القرآن"

ان الصراع السني الشيعي، و مختلف الطوائف التي يسمع عنها المجتمع الجزائري اليوم لم يكن مطروحا في الجزائر من قبل، حيث كان الجزائريون على المستوى العامي وليس النخب يعرفون البلدان الاسلامية بانهم مسلمون و فقط، لكن هذه المعطيات الجديدة و الصراعات القائمة بين مختلف الفرق الايديولوجيات طرحتها وسائل الاعلام و التواصل مند انتشارها و استقطابها للجمهور.

كما ان فهم الدين بالطريقة التي يطرحها ذلك الاخر المختلف مع تجاهل المرجعية الدينية الخاصة بالبلد يزيد من تعقيد مسألة الهوية الثقافية، لذلك فالاعتماد على الوسائل السمعية البصرية التي لا يمكن فصلها عن خاصية العولمة في فهم الامور و بناء القنوات و التصورات مما يطرح تعقيدات في معاش هؤلاء الشباب المتعاطين مع التكنولوجيات الحديثة في مجتمعاتهم المحلية و هذا ما لمسناه عند هذه الحالة التي اصبحت تشعر بصعوبة بين التوفيق بين قناعاتها الدينية و الواقع الاجتماعي و الثقافي الذي تعيشه.

¹أريك فروم، ثورة الامل، ترجمة ذوقان قرقوط، دار الآداب، بيروت، ص150

5- الحالة الخامسة: وهيب

وهيب يبلغ من العمر واحد و عشرين سنة، في السنة الثانية من مشواره الدراسي الثانوي، يعيش مع والديه و اخوين اصغر سنا منه.

يمكن وصفه بطول القامة، اسمر ذو جسم رياضي، و بقصة شعره الغريبة طويلة من وسط الرأس و قصيرة ما دونه، ثيابه على النمط الشبابي، سراويل عريضة ذات الموديل النازل و المتدلي مع وشم على الكتف لديه اسلوب خاص باللباس

يتحدث بنوع من الثقة، و كأنه يعرف كل شيء و خبير في كل مسائل الحياة، كلماته و حديثه مرفوق اغلب الاوقات بحركات يديه التي تحاكي طريقة شباب الراب و الهيب هوب في التعبير .

استنتجنا من اجاباته عن الاستقصاء الذي سلمناه له قبل مقابلته قصد جمع المعلومات عن استعمالاته للوسائل السمعية البصرية، بانه يستخدم الشبكة العنكبوتية بشكل متواصل طيلة اليوم تقريبا.

اما مشاهدته للتلفزيون فهي مشروطة بنوع البرامج المعروضة و تقتصر على بعض القنوات، كونه يحب الاغاني الاجنبية لاسيما نوع الراب Le rap و الهيب هوب Le hip hop، كما يحب قنوات الرياضة خاصة باقة بين سبورت bein sport. يعرج على السينما احيانا لمشاهدة افلام الحركة الامريكية، لكنه يعتمد اكثر على الاقراص المدمجة DVD للاستمتاع بالأفلام متى اراد.

لم يبدي اي مانع في ان يكون جزء من هذا البحث، بعدما شرحنا له نوعه و هدف الدراسة.

جرت اللقاءات في الثانوية التي يدرس بها في قاعة الاعلام الآلي عندما تكون شاغرة.

1.5- سرد قصة الحياة:

انا عبد الوهاب (الاسم الكامل) يناديني الجميع وهيب، من قدام هذه الثانوية، لأنني كررت عدة مرات، من وهران، اصولنا من هنا ايضا من منطقة طفراوي بالتحديد، لكن امي من الشرق الجزائري عنابية.

لذي اخوين يصغراني سنا، ولد و بنت هي آخر العنقود، بعمل ابي كنائب مدير عام في مؤسسة خاصة، اما امي فهي ربت بيت و نعيش كلنا في شقة في حي الزيتون انتقلنا اليها من البيت الكبير "دار جدي" بعدما توفي هو وجدتي.

انا رجل يحب الحرية، لذلك اجد نفسي اعاني من المشاكل باستمرار فانا كالمغناطيس اجتذب المتاعب خاصة مع "الشيباني تاعي" اقصد ابي لأنه صارم و لايزال بعقلية قديمة "تاع بكري راكي شايقة؟" هذا ما جعلني مؤخرا لأكثر لحد، افعل ما يمليه علي عقلي "ندير لي في راسي" نحن الشباب نعيش على طريقتنا، في لباسنا كلامنا و تصفيفة الشعر او اللوك look . تقصدين هذه التسريحة؟! انها دارجة هي آخر صيحات لاعبي البارسا Fc Barcelone هذي التسريحة خاصة تاع نيمار Neymar¹.

من نقاط الخلاف الكبيرة بيني الشباني تاعي هذا الوشم الذي على دراعي، اخترت هذا الرمز² لأنه يعبر عن الحرية.

لكنني مع مرور الوقت، استنتجت ان علي اجتناب الشجارات العائلية مع ابي على الخصوص، لكن ان افعل ما اريد في نفس الوقت، لذا صرت اتجنب الظهور و التسكع في البيت قدر المستطاع حتى ان كنت فيه الازم غرفتي مع "الانترنت ريفيقي الدائم هههه" حيث اختفي لساعات و احيانا لا اري ابي لأيام، و لا احد يهتم المهم ان لا ازعجهم.

تأخذ مني الانترنت وقتا طويلا ترافقني اليوم بطوله و ساعات متأخرة من الليل كما أشاهد التلفاز كثيرا؛ قنوات بين سبورت bein sport هي المفضلة لذي، اتابع مباريات و اخبار فريقي المفضل برشلونة Fc Barcelone، لأنني اعشق لاعبيها على غرار ميسي ليونيل احسن لاعب على المستوى العالمي، نيمار داسلفا وبيدرو رودريجز، احتفل مع اصحابي عندما "تربحوا النوادي الاخرى و فرحتنا تتعاضم عندما

¹ لاعب بفريق نادي برشلونة

² رسم لطير جارج (نسر) فاتح جناحيه.

نريحوا ريال مدريد"، نحتفل بفوزنا حيث نخرج الى الشارع او المقاهي كما نقوم بإغاضة مشجعي الريال. عندما نخسر المقابلات في الدوري الاسباني نحن من يحزن و نلزم البيوت حتى لا نتعرض للإزعاج و السخرية في الشارع فوق همنا ، كرة القدم ربح و خسارة.

و بما انني من محبي الاغاني المصورة خاصة اغاني الراب و الهيب هوب في بعض الاحيان فإنني اشاهد كثيرا MTV music ,MTV music hit ,M6 music و NRJ اما الراب الجزائري فإنني اتابعه احيانا على يوتيوب لأنه لا يوجد قنوات تلفزيونية تعرضه.

ارى ان الأنترنت هو اعظم اختراع على الاطلاق، مناسب جدا لنا نحن جيل هذا العصر، انا اقضي على شبكة الانترنت احدى الاوقات و لا منافس لها في الترفيه عن النفس، لقد صارت من اولويات حياتي، لا استطيع البقاء طويلا في مكان ليس فيه تغطية لشبكة الانترنت، لا اخفي انني مدمن عليها حتى ان كل الناس يعيشون في الواقع و يدخلون لإلقاء نظرة في النت، الا انا، اعيش في عالم النت و اخرج مرة على مرة لإلقاء نظرة في العالم الواقعي.

استعمل الشبكة مثل كل الناس، اتواصل بها عن طريق مواقع التواصل الاجتماعي الذي استغرام Instagram اما فايسبوك Facebook خاصتي يحتوي على حوالي الفى صديق موزعين على 3 صفحات احداها صفحة قديمة لا افتحها الا نادرا، الثانية مخصصة للشلة و للأصدقاء المقربين وفي بعض الاحيان الاقارب اما الحساب الثالث فقد فتحته خصيصا للأصدقاء الاجانب بعضهم من اوروبا و الباقية كلهم من القارة الامريكية؛ الولايات المتحدة و خاصة كندا، كندا ارض احلامي الموعودة، جل الاصدقاء في هذا الحساب هم من الجنس اللطيف. ممكن تنشأ علاقة حب بيني و بين كاش قاورية "بالاك تحكم لي مع كاش وحدة تصنع لي les papiers" و نروح لكندا " كندا راني جاي!" انا ما نتهنش حتى نروح، خاصة ان لذي الجمال و الجسم الرياضي "مع خوك شباب و فورما بزاف الله يبارك".

...نعم بتأكيد اضع صوري في بروفيلاتي مرات اضع صوري في البحر او في سيارات مرة تاع الشيباني او تاع صحابي خاصتا "le matériel الخشين"¹ وطبعا الصورة يجب ان تكون جميلة full hd من كميرا توفر صور ذات جودة عالية كما اعيد التقاط الصورة اربع او خمس مرات لاختار افضلها، يا اختي يجب ان ابدوا رائعا "ماكانش الزعاقعة l'avenir est en jeu" الاجنبيات يحبوننا نحن الشباب العربي.

¹ يقصد السيارات الفخمة و الغالية

هنا يا اختي "ماتلقيش روحك" يجب ان تكون نسخة عنهم، والا ينظرون اليك بنظرة الاستغراب و السخرية، هنا يحكمون عليك من شكلك و لباسك، ناس تاع مظاهر، لا توجد حرية لنا نحن الشباب جماعة من المسنين "تاع شوابين" يحكمون كل شيء في هذا البلد، قاعدين على رؤوسنا لا يعطوننا اي فرصة، يريدون ان نكون copier-coller عليهم، نحن لا نشبههم لسنا نسخة عنهم، زماننا غير زمانهم، عقليتنا متفتحة ليست كعقليتهم.

انا مثلا بمجرد ان يروني tatoué و البس لباسا مختلف يصنفوني مع les voyous ، انا لست كذلك، فقط عندي نظرة وطريقة مختلفة للحياة، انا مختلف فقط، اعيش حياتي كما احب هذا كل شيء ثقافتني -بما انكي مهتمة بموضوع الثقافة- تختلف عن الجزائريين خاصة اللذين و صفتهم لكي الآن، اجد ثقافتني و عقليتي كعقلية الاجانب اكثر. "القاوري و القاورية" لا يحكمون عليك، يعاملونك باحترام مهما يكن شكلك.

اما الجزائريين "هادو الميعراب تاعنا" منافقون des hypocrites كل واحد يظن انه مثالي هو le top يهدر معاك تحسبه إمام و هو "خاربها" مع ربي.

ذلك افضل الاجانب، و اكثر من يعبر عن ما اشعر به هم مغنو الراب لان لديهم رسالة و هدف، فكأنهم يغنون عن واقعي من دون تصنع لذلك هم اقرب لي من الناس الذين هم من بلادي لم اعثر على نفسي هنا يا اختي بصراحة.

في بيتنا في كل غرفة يوجد تلفزيون لان لكل دوقه الخاص، امي تحب قنوات الطبخ خاصة قناة سميرة tv، الشيباني يبغي الاخبار خاصة France 24، اختي عندها الادمان الاتراك في قنوات mbc، اما انا فأشاهد قنوات الرياضة و الموسيقى كما أخبرتك سابقا، واحب مشاهدة الافلام فور خروجها الى قاعات السينما الأمريكية اشاهدها في عروضها الاولى، "عندي une source عمله نسخ الافلام الجديدة على اقراص مضغوطة يجيبلي غير الجديد".

حكايتي مع موسيقى الراب قديمة، حتى انني اكتب الاغاني، لدي جماعة من اصدقائي ايضا يغنون الراب و منهم راقصو شوارع break-dancer's ولاكن الشيباني هو الذي وقف في طريق موهبتي، "الشيباني حاطني في راسه" ينتقني دائما، ولهذا اتجنب الجلوس معهم في البيت، امضي يومياتي في غرفتي "باش ما يهبلونيش"، اكبر خلاف وقع بيني و بينهم يوم وضعت الوشم كنت انا و

بعض من افراد الشلة، ردت فعل ابي كانت غير متوقعة فقد طردني من البيت لعدة ايام، ولكن لست نادما، هذا ستايلى c'est mon style و لازلت اريد وشم رموز أخرى اكثر بروزا، في الدراعين و الظهر لوحات فنية كالتي يضعها Eminem .

" الشيباني تاعي" متسلط ولكنني احترمه لأنه حاضر في البيت، دائما اجده الى جانبي في المشاكل التي أوجهها مازيا و معنويا حاضر معنا في البيت، ولكن الله غالب عقلي و عقله مختلفين، كما تعرفين "Problème entre les générations" وقتنا و وقتهم ماشي كيف كيف" . هو "الشاف تع الدار"، خاصة عندما ارتحلنا الى البيت الذي نحن فيه الآن، لأنه قبل هذا كنا نساكن في البيت الكبير كان جدي هو صاحب القرارات في كل صغيرة و كبيرة، جدي رحمه الله هي من رباني في طفولتي لان امي كانت عاملة، بعدما توفي كلاهما انتقلنا للعيش وحدنا لان البيت الكبير من حق الورثة.

اما امي فهي ام رائعة، نختلف في بعض المرات و أخطئ في حقها احيانا لكنها حنونة لذلك تتنازل تسامحني دائما، لديها الكثير من الايجابيات، لكن عيبتها الوحيد انها لا تثق بي، خوفها من ابي يجعلها تخبره بكل شيء اقله لها او تكتشفه عني ولهذا لا ائتمنها على سر ، فهي تابعة له، مسلوية الارادة و ليس لها اي رأي.

الزواج ليس مشروعا وارد عندي، الا في حالة ارتباطي بأجنبية، تصنع لي les papiers و تأخذني معها لكندا او الولايات المتحدة الامريكية، ربما سوف تتجح احدى علاقاتي على مواقع التواصل الاجتماعي و يتحقق الحلم.

...بالطبع لذي علاقات مع فتيات هنا، و لكني صريح و اخبرهن منذ البداية، ان هذه العلاقة هي للهو و لن تكون ابدأ جدية. اغلبهن يقبلن على كل حال، هناك من تطمعن في ان اغير رأي يوما ما و هناك من تقبل الخروج من اجل تمضية اوقات جميلة، "البنات راهم معولين... ابدأ ماشي ساهلين".

الجزائر بلاد التناقضات تشوف العجب بلاد يقولو ناسها حنا عرب و مسلمين حنا ولاد حرمة بصح كي تخرجي للشارع في الليسيات، في البحر و تشوف مناظر تاع بنات ليس لها علاقة بالحرمة و الاسلام، و زادو لهم الشبكات الاجتماعية، تدخل لي بروفيلاهم في فيسبوك او غيره، تجد وحدة متصورة كيما les stars du cinema متبرجة مع فستان السهرات مع انها متحجبة في الواقع، هذه تصرفات فيها الكثير من التناقض بالنسبة لي المفروض "يا هاك يا هاك ماشي مرة هاك و مرة هاك". مرة دير

statut في الفايبيوك en couple مرة célibataire... كل واحدة حرة في حياتها لكن المشكلة "يلعبوها لك بنات فاميليا".

هذا المجتمع hypocrite و هذا ما يشجعني على الذهاب، نروح عند الجمال الغربي فيه الفائدة، اما هنا الزواج غير "توسويس" و مشاكل، سنوات من العمل لازمك باش دير العرس، الشروط و المهر غالي و مستحقات الحفلة تكلف اكثر من مئة مليون هذا اذا كان عرس بسيط، و في الاخير تدخل في دوامة من المشاكل، و كأني اشترى المشاكل بدراهمي.

"الهرية من هذي البلاد" احسن ما يفعله الانسان، نروح نعيش مع وحدة اجنبية و لا نتزوج بعيد على هذ البلاد يا لطيف. هناك يبحثون فقط على الراجل، اما هنا في مجتمعنا طغت الماديات.

ليس صعبا التعرف على الآخر في هذا الزمن مهما كان بعيدا، هذا جوابي على تساءلك حول الطريقة التي كونت بها نظرتي عن كندا و عقلية الغرب بصفة عامة .

نحن في 2015 هناك الانترنت و ملايين القنوات التلفزيونية وسائل الاتصال تتطور بشكل كبير و سريع.

السفر لم يعد شرطا للتعرف على العالم و ثقافة البشر، في القديم لما كان يسافر احد ما الى مكان معين، حتى الى الحج مثلا يتجمع حوله الناس، ليسمعوا قصصه و حكاياته حول المكان الذي ذهب اليه فيكتشفونه كما يصفه لهم، اما الآن يمكننا التعرف على كل العالم، بقعتا بقعة بتحريك اصبع فقط نكبس زرا لنسافر الى المكان عبر شبكة الانترنت و نرجع، دون ان نتحرك، كما ان القنوات التلفزيونية تعددت و تنوعت و انفتحت على بعضها البعض، الان يمكننا ان نعرف كيفية عيش الاوروبي، الامريكي، الهندي، الافريقي و الآسيوي فقط من خلال البرامج التلفزيونية.

كما ان هناك امكانية لتخالطهم فلا تكتفي بمشاهدتهم فقط، يمكنك الآن ان تتعرف عليهم من قريب بالصوت و الصورة في شبكات التواصل الاجتماعي.

لذلك انا متأكد انه لن يصعب علي العيش هناك و ان اتأقلم، الصعوبة تكمن هنا، حيث اشعر بالاختناق من الناس.

2.5- تحليل المضمون:

بمجرد التعرف على وهيب و هو شاب في بداية العشرينات، امكننا ملاحظة حبه و قربه ان لم نقل هوسه بالتكنولوجيا السمعية البصرية.

فهو يقضي امام شاشات الانترنت وقتا طويلا يشير الى الافراط في استعمال الشبكة و الادمان عليها، هذا ما عبر عنه بشكل صريح من خلال سرد الحياة؛ "تأخذ مني الانترنت وقتا طويلا ترافقتي اليوم بطوله و ساعات متأخرة من الليل"

فهو نشط في العالم الافتراضي اكثر من الواقع حيث عبر عن ذلك بأسلوب ساخر و معبر " لا اخفي انني مدمن عليها حتى ان كل الناس يعيشون في الواقع و يدخلون لإلقاء نظرة في النت، الانا، اعيش في عالم النت و اخرج مرة على مرة لإلقاء نظرة في العالم الواقعي".

لذلك يعيش منعزلا في غرفته متجنباً الاحتكاك بأفراد العائلة لتجنب الصراعات، يقضي وقتا طويلا امام شاشة التلفزيون لترفيهه عن نفسه، بمشاهدة برامجه المفضلة و التي حصرها في برامج التي تقدمها القنوات الموسيقية لاسيما تلك التي تعرض اغاني الراب Rap و البوب Hip-hop التي تعبر عنه، اضافة الى القنوات الرياضية التي تسمح له بمتابعة كرة القدم خاصة الدوري الاسباني و فريقه المفضل برشلونة. ان النماذج التي تطرحها هذه البرامج لها تأثير واضح عليه، حيث تفتح المجال واسعا امام آلية التقمص.

اما الانترنت، فلا يعتبرها و سيلة للترفيه و حسب بل ايضا وسيط للتعرف، حيث يسعى من خلال مواقع التواصل الاجتماعي التحضير لتحقيق مشروع الحياة projet de vie المتمثل في حلم الهجرة الى كندا او الولايات المتحدة الامريكية، بعقد صداقات مع فتيات اجنبيات قصد الارتباط، وهذا ما يجعل صفحاته عليها مليئة بالصور التي تظهر امكانياته الجسدية و المادية التي يعول عليها للحصول على الاعجاب في سبيل تحقيق هذا المشروع.

كل هذا يشير الى ان الزمن الذي يقضيه هذا الشاب في استعمال الوسائل السمعية البصرية طويل، يجعله معرضا للمواد المعروضة فيها مدة تنافس تفاعلاته الاجتماعية في وسطه الاجتماعي او مجاله الواقعي هذا ما يفتح منفذا للانفتاح على الثقافات الاخرى لاسيما الثقافة الغربية، و يرى العالم الغربي باللون الوردي كما تصوره هذه الوسائط.

لذلك يمكن القول ان لديه روابط ثقافية مع ذلك الآخر المختلف ثقافيا اكثر من الافراد من نفس وسطه الاجتماعي، حيث يلعب بحثه عن الفردانية، الاختلاف، الحرية و رفضه للتمائل الاجتماعي *conformisme*، والامتثال للمتطلبات و القواعد الاجتماعية دورا بارز في ميله للعالم الغربي كما يتصوره في قبوله للاختلاف على عكس المجتمع المحلي بقيمه و ضوابطه الاجتماعية. هذا ما يجعله يقم مقارنات عديدة في سرده لقصة الحياة بين الثقافة الغربية لاسيما تلك الخاصة بأمريكا الشمالية (كندا و الولايات المتحدة الامريكية) و بين الثقافة المحلية مرتبا اياها على اساس استحسان و التمجيد الاولى مع استهجان و ازدراء الثانية.

1.2.5- الصراع القيمي بين جيلين: (الاب ليس نموذجا بالنسبة للمراهق و الثقافة التي يحملها الكبار لا تناسب عصر الانفتاح الذي يعيشه الشباب)

من خلال قراءة مضمون سرد وهيب لقصة الحياة نلاحظ ان مسألة الصراع بينه و بين القوى الاجتماعية تحتل مساحة كبيرة منه، لاسيما الصراع بينه و بين الاب الذي يعتبره بعقلية قديمة و متسلطة لينقل هذا الصراع الى صراع بين جيله و بين الاجيال السابقة.

فمند البداية نلمس هذه الثورة التي يثيرها هذا المراهق بحثا عن الحرية و تقدمه في مسار او سيرورة الشخصية و الهوية بشكل عام لكن هذه الثورة تصطم بطبيعة الحال بالسلطة الوالدية و هذا ما يخلق الأزمة و الصراعات في البيت حيث عبر عن ذلك في البداية حيث قال " *اجد نفسي اعاني من المشاكل باستمرار فانا كالمغناطيس اجتذب المتاعب خاصة مع الشيباني تاعي*"

كما عبر في عدة مناسبات ان عقلية والده قديمة و طريقة نظرتة للأمور لا تنتمي الى جيله و لا تناسب زمانه " *ابي لأنه صارم و لايزال بعقلية قديمة "تاع بكري راكي شايقة؟"*. و هذا ما يجعله لا يكثر له كون القيم التي يحملها و الاب او جيل الوالدين بشكل عام لا تصلح له حيث يقول " *هذا ما جعلني مؤخر لأكثر لاحد، افعل ما يمليه علي عقلي "ندير لي في راسي" نحن الشباب نعيش على طريقتنا، في لباسنا كلامنا و تصفيقة الشعر او اللوك look*" ان وهيب يرفض الامتثال للقواعد الاجتماعية يرفض التماثل *conformisme* و يطالب بفردانيته و هويته المختلفة عنهم (يقصد اصحاب العقلية القديمة) و لكنه في تماثل مع جماعة الشباب عندما يقول (نحن الشباب)

في هذه الجملة اشارة الى انه ليس و حده المعني بالثورة للسعي للحرية و ليس وحده من يعتبر نفسه غير معني بالقيم الثقافية الوالدية، في هذا الصدد ترى هلين دوتش Helene Deutsch ان في مرحلة المراهقة كل فرد يمر بما يشبه ثورة شخصية لخدمة الـ"انا" و في نفس الوقت نحن امام محاولة قوية لتحويل هذه الثورة الشخصية الى ثورة عامة اكثر بتغيير "انا" الى "نحن"¹

يشير وهيب الى ان ولده صارم و دوا عقلية قديمة لا تناسب جيل الشباب فهو ليس نموذج بالنسبة له، و مرحلة المراهقة هي مناسبة لإعادة النظر في التقمصات السابقة حيث يحدث رفض او استيقاظ التقمصات القديمة، و الانقلاب الجذري للانا المثالي، البحث عن تقمصات جديدة.

هذه العملية الطبيعية في نمو الفرد تتعد نسبيا في المجتمعات التي تشهد تحولات سريعة، فنتغير القيم الثقافية و الاجتماعية بشكل مستمر، اين يرى المراهق اباة على حقيقته المحدودة، بسبب تغير العادات و القيم الثقافية التي ما تنفك تضعف الاب او بالأحرى صورة الاب و تفقده قيمته، مما يوسع الفجوة بين جيل الاباء و الابناء،

ففي مقال لفسيان حسين Fsihan Hocine حول مسألة الاب في المراهقة و تنامي العنف في الجزائر² اظهر كيف لا يعود الاب يقدم صورة ايجابية امام تغير وانهايم القيم حيث لم يعد الاب قادرا على ان يمثل دعامة حقيقية لإسقاطات النرجسية للأبناء.

وفي نفس الصدد يرى دافيز Davis ان وجود فجوة بين جيلين، اي جيل الاباء و جيل الابناء، امر حتمي في مجتمع سريع التغير، فالآباء يلقتون ابنائهم القيم بناءً على خبراتهم الشخصية، و لكن هذه الخبرة سرعان ما تصبح شيئاً عفا عنه الزمن، اي ان الاباء يعدون ابنائهم للعيش في مجتمع يصبح لا وجود له عندما يصير هؤلاء الابناء كباراً³.

بعدها عبر وهيب عن صراعه بين قيم النسق القديم و قيم النسق الحديث، يعمم هذا الصراع عندما ينتقل في سرده من والده او "الشيباني" كما يسميه، الى مجموعة كبار السن "الشوابين" الذين يمتلكون السلطة و زمام الامور في تسير البلاد " لا توجد حرية لنا نحن الشباب جماعة من المسنين

¹ HELENE DEUTSCH, problème de l'adolescence, traduit par CLAUDE-ANTOINE CICCIONE, Petite Bibliothèque Payot, paris, 1991.

² FSIAN HOCINE, y'aurait-il une question du père à l'adolescence dans l'éclosion de la violence en Algérie, laboratoire de recherche en psychologie et science de l'éducation, université d'Oran p33

³ محمد عماد الدين اسماعيل، النمو في المراهقة، دار العلم، ط1، الكويت، 1982.

"تاع شوابين" يحكمون كل شيء في هذا البلد، قاعدين على رؤوسنا لا يعطوننا اي فرصة، يريدون ان تكون *copier-coller* عليهم، نحن لا نشبههم لسنا نسخة عنهم، زماننا غير زمانهم، عقليتنا متفتحة ليست كعقليتهم".

هنا نشعر صراعه منقسم على قطبين؛ الصراع الذي بينه و بين والده وهو رمز السلطة في الجماعة الاولية او الاسرة و الصراع مع القوي الاجتماعية في المجتمع او السلطة في المجتمع.

2.2.5- تقمص الاسلوب الغربي كنتيجة لرفض التماثل الاجتماعي و المتطلبات و القواعد الاجتماعية المحلية و بمعية الاقبال على الوسائل السمعية البصرية :

مضمون سرد وهيب لقصة حياته يبرز بشدة اقباله على الوسائل السمعية البصرية، وعليه فان من الطبيعي ان الساعات الطويلة التي يقضيها متصفحاً للإنترنت و متابعاً لبرامج التلفزيون لا تمر دون ترك اثر، خاصة ان ذلك متزامن و فترة المراهقة و البحث عن الهوية و بالتالي فان لديه استعداد كبير لتقمص نماذج خارجية عن نطاق الاسرة.

حدد وهيب نوع مشاهداته، سواء على التلفزيون او اليوتيوب في مجالين هما الموسيقى و الرياضة "أشاهد التلفاز كثيرا؛ قنوات بين سبورت *bein sport* هي المفضلة لذي... و بما انني من محبي الاغاني المصورة خاصة اغاني الراب و الهيب هوب في بعض الاحيان فإنني اشاهد كثيرا *MTV*, *M6 music hit music* و *NRJ* اما الراب الجزائري فإنني اتابعه احيانا على يوتيوب لأنه لا يوجد قنوات تلفزيونية تعرضه".

هذا النوع من القنوات المتخصصة هي التي يفضلها وهيب، حيث تسمح له بمتابعة البرامج التي تروق له و التي تحدث عنها و حدها في موسيقى الراب و نجومه، و كذا مباريات النوادي الاسبانية او الدوري الاسباني الذي يعيش من خلالها نجاحات و فشل ناديه المفضل "برشلونة"، ولأعبيه الذين يستعلم عن اخبارهم من الانترنت و البرامج التلفزيونية " اتابع مباريات و اخبار فريقي المفضل برشلونة *FC Barcelone*، لأنني اعشق لاعبيها على غرار ميسي ليونيل احسن لاعب على المستوى العالمي، نيمار داسلفا و بيدرو رودريجز"

ان نجوم الراب و الرياضة هي نماذج و انماط ثقافية تبثها هذه الوسائل ذات اثر واضح في تنميط الشباب المراهق بثقافات تختلف عن الثقافات المحلية لهؤلاء، ففي هذه الحالة وهيب نجد ذلك متجسدا في شكله الخارجي و عقليته و ثقافته بشكل عام.

حيث تلعب آلية التقمص identification دورا اساسيا هنا، بداية من بتأثر المظهر او الشكل الذي يحاكي الانماط النابعة من مواد السمعي البصري، كالتسريحة او قصة الشعر المميزة و المستوحاة من ابطاله المفضلين في رياضة كرة القدم و التي انتشرت في الاوساط الشبابية " هذه التسريحة!؟ انها دارجة هي آخر صيحات لاعبي البارسا Fc Barcelone هذي التسريحة خاصة تاع نيمار Neymar¹ مرورا باللباس الذي يعكس ثقافة غربية واضحة، وهي ثقافة الراب و الهيب هوب، لاسيما سرواله العريض النازل او المتدلي، مع طريقة الكلام و التعابير الجسدية، التي توحى بشكل واضح التقمصات و يضعنا امام هذه الثقافة الغربية التي اتسعت رقعتها في العالم بواسطة الوسائل السمعية البصرية و العولمة التي عملت كمحرك ساهم في تنقلها الى كل مكان.

و وصولا الى الوشم الذي يفتخر وهيب كثير بحمله و يهتم بإظهاره و شرح المعنى الذي يشير اليه، على خلاف ما ذكرناه من اشياء مستحدثة في اللباس و المظهر كونه الجزء المادي من الثقافة، فان الوشم ليس بالشيء الجديد على الثقافة الجزائرية، فالوشم بأشكاله و طقوسه جزء اساسي من الثقافة المحلية في الجزائر تحت ما يسمى بالوشم التقليدي الذي بدأ يتلاشى شيئا فشيئا مع اختفاء امور اخرى و عادات من صميم الخصوصية المحلية لأسباب اجتماعية، ثقافية و دينية، بحيث اصبح الوشم نادرا و ينحصر على المنحرفين و مرتادي السجون بعدها، ليعود من جديد اليوم الى اوساط الشباب بمفهوم و ثقافة مختلفة، خاصة عند هؤلاء الذين هم في صدد البحث عن نماذج تقمصية جديدة و البحث عن طرق لتمييز أنفسهم عن آبائهم ونظرائهم وأحيانا عن مجتمعهم بشكل عام. فهم يعتبرون هذا التميز طريقة لإثبات وجودهم و تميزهم، وفرصة لسبق الغير إلى شيء غير مألوف على غرار وهيب الذي يسعى الى تحقيق الحرية التي حاول تجسيدها من خلال وشم الطير الجارح بجناحيه الذي وصفه كرمز للحرية.

و لكن هذا الاسلوب و السلوك الذي اتخذه بقدر ما هو تمرد على الاب و السلطة و تحقيق للذات و التميز هو نوع من خضوع في الوقت ذاته للنماذج يطرحها السمعي البصري بوسائله المختلفة و جماعات ثقافية أخرى يتقمصها حيث اشار في حديثه الى واحد من نجوم الراب " *لازلت اريد وشم رموز أخرى أكثر بروزا، في الدراعين و الظهر لوحات فنية كالتي يضعها Eminem*"

ان الوسائل السمعية البصرية مناسبات و وسائل للتقمص كما يرى برونو اليفي Bruno Ollivier² و هذا ما نلمسه بالفعل في حالة وهيب الذي يتماهى مع من يفضل من نجوم الموسيقى و يتقمص نجوم

¹ لاعب بفريق برشلونة² OLLIVIER BRUNO, identité et identification, sens, mots et techniques, Lavoisier, Paris, 2007, p131

فريقه المفضل برشلونة بل يضع نفسه معهم في الخانة و الهوية عندما يقول؛ *اتابع مباريات و اخبار فريقي المفضل برشلونة Fc Barcelone*، *لأنني اعشق لاعبيها على غرار ميسي ليونيل احسن لاعب على المستوى العالمي، نيمار داسلفا وبيدرو رودريجز، احتفل مع اصحابي عندما نربحوا النوادي الاخرى و فرحتنا تتعاضد عندما نربحوا ريال مدريد، نحتفل بفوزنا حيث نخرج الى الشارع او المقاهي كما نقوم باغاضة مشجعي الريال. عندما نخسر المقابلات في الدوري الاسباني نحن من يحزن و نلزم البيوت حتى لا نتعرض للازعاج و السخرية في الشارع فوق همنا"*

عندما نقرأ هذا المقطع حيث يشير وهيب الى نفسه و الى مشجعي برشلونة بشكل عام يستعمل عبارة "نحن" باعتبارهم هم البرشلونين كما يستعمل عبارة "هم" للإشارة الى خصوم هذا النادي الاسباني، هنا نستحضر اشارة لهذا المؤلف برونو اليفي Bruno Ollivier في نفس الكتاب الى انه منذ اختراع التلفزيون كانت الحصص الاكثر نجاحا، هي الحصص الرياضية و بث المقابلات لانها تمكن المتابعين من التماهي.

لانه عندما يرى المشاهد بعين الكاميرا الحركات التي يقوم بها الابطال على الملاعب، هذا النوع من التماهي يكون اوليا ، فيتقمص "افقيا"¹ مع كل من يشاهدون نفس الفريق و يحبون و يتماهون مع نفس البطل.

اما التماهي الثانوي في هذا المثال فيكون عندما يتم التماهي على مستوى الابطال او الفريق ككل بمساعدة الظروف التي تحبك قصة الفريق كالمجهودات المبذولة، شدة الاحتمال و المقاومة بالإضافة الى النجاح و الفشل فهنا التماهيات الاولية نحو الفريق او البطل لكل مشاهد على حدى سوف ينتج عنها تماهي ثانوي الذي تسفر بكل سهولة عن مجموعة من الظواهر التي تمس الحشود و الجماهير، كالتقاءات الفزيائية في نفس المكان و نفس الوقت كالملاعب. كما نراهم يحتفلون في الطرقات، يتابعون المقابلات، يحتشدون حول شاشات كبيرة في الشوارع لمتابعة المباريات معا. هذا نفسه ما يجعل وهيب يتقمصهم و يحاكيهم من حيث الشكل الذي اشرنا اليه في بداية هذا العنصر.

هنا يتجسد و تظهر لنا جليا قوة الوسائل السمعية البصرية في تنميط المراهقين بخصائص النماذج التي تبثها فهي من خلال عملية التماهي، خاصة هؤلاء الذين يميلون الى اظهار الاختلاف و الفردانية ويطالبون بالحرية امام متطلبات و قواعد المجتمع الصلبة لذلك فهي وسائل قوية من حيث التأثير على الهوية الثقافية.

¹ مصطلح مأخوذ عن فرويد

3.2.5- الوسائل السمعية البصرية و سيلة هروبيه تحد من التفاعلات الاسرية و تقسم افرادها حسب نوع المشاهدة:

في مرحلة المراهقة يتسارع نزوع المراهق للانفصال عن الأسرة و البحث عن الحرية وهذا ما نلمسه في حالة وهيب، لكن المراهق يبقى في بحاجة لدعم اسرية و تأطير و حضور والدي، لكن امام انتشار وسائل السمعية البصرية التي ادمنها الابناء -هذه الوسائل الجديدة التي اخذت مكانا الى جانب المؤسسات التشيئية الرسمية نتج عنها تغييب دور الوالدية- حيث نلاحظ هنا في هذه الحالة انعزال وهيب في الغرفة مستأنسا بالانترنت و التلفزيون لاجتباب الحوارات و الصرعات مع أبيه "مع مرور الوقت، استنتجت ان علي اجتناب الشجارات العائلية مع ابي على الخصوص... لذا صرت اتجنب الظهور و التسكع في البيت قدر المستطاع حتى ان كنت فيه الازم غرقتي مع "الانترنت رفيقي الدائم هههه" حيث اختفي لساعات و احيانا لا ارى ابي لأيام"

كما ان اصعب ما يواجه الوالدين ولا يوجد ما هو أكثر إحباطا بالنسبة لكولمن Coleman و هوسن Husen¹ من التعامل مع مراهق يشكو في لحظة ما من تدخل والديه الدائم في شؤونه كإسداء النصح له، ومن ثم يشكوا بمرارة على أن لا احد يهتم به وينصحه " و لا احد يهتم المهم ان لا ازعجهم".

هذا معناه انه بحاجة الى دعم و مرافقة اسرية لم يجدها كون الاسرة لم تستوعبه و لذلك اختار الهروب من الصرعات و الانعزال عندما يكون متواجدا في البيت، يملأ الفراغ بالتلفزيون و تصفح الشبكة العنكبوتية.

ان ندرة تفاعلات وهيب مع افراد اسرته لا يقتصر عليه وحده بل على كل العائلة، حيث و كنتيجة للأقبال الذي يلقاه كل من التلفزيون و الانترنت من طرف افراد الاسرة قد عمل على تقسيمهم حسب نوعية المشاهدة و الأذواق المختلفة في اختيار القنوات "في بيتنا في كل غرفة يوجد تلفزيون لان لكل دوقه الخاص، امي تحب قنوات الطبخ خاصة قناة سميرة tv، الشيباني يبغى الاخبار ، قناة France 24، اختي عندها الادمان الاتراك في قنوات mbc، اما انا فأشاهد قنوات الرياضة و الموسيقى"

¹COLEMAN JAMES S, HUSEN TORSTEN, Devenir adulte dans une société en mutation, Paris, CERI, 1985

4.2.5- استخدام مواقع التواصل الاجتماعي كأداة لمشروع الحياة (الهجرة)

عبر وهيب في سرده انه مدمن للإنترنت وهذا الادمان يتجسد في المدة التي يقضيها متصفحاً للشبكة و التي تعتبر طويلة بشكل ملحوظ حيث ذكر في سرده " تأخذ مني الإنترنت وقتاً طويلاً ترافقتي اليوم بطوله و ساعات متأخرة من الليل"

كما يتجسد في شغفه بها و عدم قدرته على ارتداد الامكان التي لا تغطيها الشبكة أرى ان الإنترنت هو اعظم اختراع على الاطلاق، مناسب جدا لنا نحن جيل هذا العصر، انا اقضي على شبكة الإنترنت احلى الاوقات و لا منافس لها في الترفيه عن النفس، لقد صارت من اولويات حياتي، لا استطيع البقاء طويلاً في مكان ليس فيه تغطية لشبكة الإنترنت، لا اخفي انني مدمن عليها".

و الابرز من ذلك كله ان وهيب يصرح انه نشط في العالم الافتراضي اكثر من الواقع حيث عبر عن ذلك بأسلوب فريد و معبر " حتى ان كل الناس يعيشون في الواقع و يدخلون لإلقاء نظرة في النت الا انا اعيش في عالم النت و اخرج مرة على مرة لإلقاء نظرة في العالم الواقعي"

و جل الوقت الذي صرح بانه يقضيه في العالم الافتراضي، يقضيه على مواقع المحادثات و التواصل الاجتماعي خاصة فايسبوك، اين يفتح حسابات او صفحات يستخدمها حسب الاغراض التي اوجدها لها، احداها للتواصل و الاخرى للتعارف مع الاجانب من الجنس اللطيف خاصة سعياً للارتباط و تحقيق مشروع الحياة المتمثل في حلم الهجرة لذلك فهو يستعمل الإنترنت كأداة سعياً وراء هذا المشروع " اما فايسبوك **Facebook** خاصتي يحتوى على حوالي الفى صديق موزعين على 3 صفحات احداها صفحة قديمة لا افتحها الا نادراً، الثانية مخصصة للشلة و للأصدقاء المقربين وفي بعض الاحيان الاقارب اما الحساب الثالث فقد فتحته خصيصاً للأصدقاء الاجانب بعضهم من اوروبا و الباقية كلهم من القارة الامريكية؛ الولايات المتحدة و خاصة كندا، كندا ارض احلامي الموعودة".

ان مواقع التواصل الاجتماعي بإمكانياتها و الخدمات التي تقدمها كإمكانية وضع الصور و الفيديوهات و التعليقات و حتي الشات على المباشر تجعل منها المنبر المناسب لهذا الشاب لعرض امكانياته الجسدية و الجمالية.

فقد باتت مواقع التواصل الاجتماعي على غرار الفيسبوك منصات لمرجسية المراهقين يسعون من خلالها الى اظهار انفسهم في اجمل صورة "وطبعاً الصورة يجب ان تكون جميلة **full hd** من كمير

توفر صور ذات جودة عالية كما اعيد التقاط الصورة اربع او خمس مرات لاختار أفضلها" هذه الصور التي يعرضونها بشكل يومي على جدارياتهم تغدي النزعة النرجسية النابعة من طبيعة المرحلة، والتي تكثر فيها التغيرات خاصة التي تمس الجانب الجسمي، فالمرهقون يهتمون في هذه المرحلة لصورتهم و شكلهم الجسدي.

يسعى المرهقون ايضا الى اظهار امكانياتهم المادية من خلال هذا العالم الافتراضي. فيلتقطون صوراً تظهر الامتيازات المادية و الترف الذي يعيشون فيه؛ كالأماكن الراقية، المنازل الفاخرة و السيارات الفخمة سواء كان ذلك حقيقيا او افتراضيا فقط، التي تعتبر وسائل لجلب الاهتمام بين المرهقين و تغذية نزعة حب الظهور و التميز و التباهي " بتأكيد اضع صوري في بروفيلاي مرات اضع صوري في البحر او في سيارات مرة تاع الشيباني او تاع صحابي خاصتا *le matériel* الخشين".

لكن هدف في الظهور بشكل مميز على مواقع التواصل الاجتماعي يفوق حدود المحلي (الشلة و الاصدقاء) كونه يسعى الى الارتباط بفتات غريبة تفتح له مجال الخروج من البلد و تحقق حلمه بالهجرة بشكل قانوني " جل الاصدقاء في هذا الحساب هم من الجنس اللطيف. ممكن تنشأ علاقة حب بيني و بين كاش قاورية بالاك تحكم لي مع كاش وحدة تصنع لي *les papiers* و نروح لكندا " كندا راني جاي!" انا ما نتهنش حتى نروح، خاصة ان لذي الجمال و الجسم الرياضي "مع خوك شباب و فورما بزاف الله يبارك".

فهو يوظف الانترنت في عرض امكانياته على مواقع التواصل الاجتماعي و الخدمات التي تقدمها، التي يرى انها الطريق الى الهجرة و ضمان مستقبله في المكان الذي يحلم بالعيش فيه " يجب ان ابدوا رائعا ماكانش الزعاقه *l'avenir est en jeu*" بحيث ان لوهيب مستوى عال من النرجسية، و هذا ما يجعله متأكد انه سوف يلقي قبولا و اعجابا من قبل النساء الغربيات وهذا التصور عبر عنه من خلال هذا السرد الاجنبيات يحبوننا نحن الشباب العربي".

وهذا ما يجعل الوسائل السمعية البصرية من هذه الزاوية من خلال الأهداف التي سطرها وهيب لخدمة مشروع الحياة لا سيما الانترنت وسيلة هروبية ليس من البيت و الاسرة فحسب بل ايضا من البلد و المجتمع المحلي الذي يرفض الانتماء اليه.

5.2.5- الروابط الأفقية في مرحلة المراهقة، الأذواق الموسيقية و مسألة الهوية الثقافية (الموسيقى كفاعل مساهم في عملية التنشئة الاجتماعية و الثقافة):

يُظهر سرد القصة لوهيب في عدة مناسبات منه، تعلقه بالموسيقى و يتمحور دوقه على الراب le rap و اسلوب الهيب هوب hip-hop ، اضافة الى قراءة مضمون السرد فالملاحظة هي الاخرى تُظهر بشكل صريح تأثيره بهذا النوع الموسيقي، من حيث الشكل و لغة الجسد او التعبيرات لاسيما حركاته التي ترافق احاديثه و التي تعكس تماهياته مع محترفين هذا الفن، حتي لأفكاره و نصرته المتمردة على المجتمع تقترب من فحوى و مضمون اغانيهم.

عندما نجمع كل ما ذكرناه، فنحن لم نعد نتحدث عن مجرد ذوق موسيقي بل ثقافة لدي اصحابها اسلوبهم الخاص في التعبير، النظرة المتقاربة الى الواقع وحتى لباسهم المميز، ففي احدي المقالات التي جمعتها جنييف فين سونو Geneviève Vinsonneau في كتاب تحت اشرافها معنون بالسياق المتعدد الثقافات و الهويات؛ شرحت اسلوب شباب الراب le rap او المتمين لوسط الهيب هوب-hip hop انهم يتبنون لباس الشارع street-wear وهو عبارة عن لباس عريض و سراويل متدلالية مكيف للحياة المدنية، ومن الاحسن ان يكون مريحا و ملفتا للانتباه قدر المستطاع، كما يميلون للألبسة و الاحذية الرياضية ذات الماركات العالمية¹.

نجد عادتاً هؤلاء الشباب في جماعات، يعبرون عن اختلافهم و استيائهم من الواقع الدين يعيشون فيه و يغنون عنه، و جلهم من المراهقين، الذين يتقمصون نمط او نموذج موحدا جاء مع هذا النوع الموسيقي وهذا ما هو ملحوظ بشكل طاغ عند و هيب " اكثر من يعبر عن ما اشعر به هم مقنو الراب لان لديهم رسالة وهدف، فكأنهم يغنون عن واقعي من دون تصنع لذلك هم اقرب لي من الناس الذين هم من بلادي لم اعثر على نفسي هنا يا اختي بصراحة".

موسيقى الراب كما يراها و هيب ذات هدف عندها القابلية للتعبير عن رسالة جماعة و تمريرها للمجتمع وهذا ما يسعى اليه هؤلاء المراهقون. هذا ما يؤيده Lagree عندما يقول ان كون الفرد مستمعا او ملقظا لهذا الفنان او ذاك، هذا النوع من الموسيقى او ذاك، ليس فقط تأثر بنوع موسيقى و لكن

¹ LAFFORET C, ROSSE E, préférences musicales et procédé identitaires chez les jeunes : exemples des cultures gothiques et hip-hop in contextes pluriculturels et identités, collection psychologie des dynamiques interculturelles, sous la direction de GENEVIÈVE VINSONNEAU, éd SIDES, Bayeux, 2005, p187.

خاصة ان يكون الفرد في استماع الى جماعة اجتماعية تتحدث و تعبر عن ما يريده هذا الفرد و يتمنى سماعه¹.

في المراهقة تغلب الروابط و التماهيات الافقية (جماعة الرفاق) على الروابط و التقمصات العمودية و ان و جدت هذه التقمصات تكون خارج النطاق الاسري لصالح نماذج من محيط المراهق لكن خارج "اسوار البيت" في عصر التكنولوجيا الذين نعيشه اليوم نرى انها تفوق النطاق المحلي.

تحتل الوسائل السمعية البصرية مساحة كبيرة و حظا معتبرا من هذه المسألة حيث تطل من خلالها نماذج لنجوم غناء (ايدول) نجوم في السينما و الرياضة يتقمصها المراهقون فيتشبهون بهم و يقلدونهم بشكل لا شعوري عبر آلية التقمص.

في حالة وهيب اشرنا الى لباسه و قصة شعره و كذلك الوشم الذي يتنافس عليه هؤلاء المغنون ليرسموا لوحات عملاقة تغطي الجسم كله " هذا ستايلي *c'est mon style* و لازلت اريد وشم رموز أخرى اكثر بروزا، في الذراعين و الظهر لوحات فنية كالتي يضعها *Eminem* ".
 من التقمصات هذه التي و ان تجاوزت الالباء الى نماذج محببة اكثر لذي المراهقين في هذا السن

يمكن ان نلاحظ تجمع المراهقين الذين يتقمصون نفس النموذج و الاهتمامات و التقافهم في جماعات (عصبة) " انني اكتب الاغاني، لدي جماعة من اصدقائي ايضا يغنون الرب و منهم راقصو شوارع *break-dancer's* ان من طبيعة المراهقة انها توطد هذه الروابط الافقية و تعززها، فمن المستحيل ان نجد مراهقا بمفرده، انهم طوال الوقت في جماعات نادرا ما يتحركون بشكل انفرادي "يوم وضعت الوشم كنت انا و بعض من افراد الشلة"

ان العصبة او جماعة الرفاق في فترة المراهقة، تمكن من القطيعة مع العائلة و باقي المؤسسات مع خلق ثقافة غريبة عن الثقافة المحلية و فضاء دخيل على الواقع الثقافي كما في حالة وهيب و رفاقه الذين تعدت الموسيقى عندهم كونها مجرد دوق موسيقي، بل مسألة هوية ثقافية حيث تساهم و تؤثر هذه الموسيقى -التي تحتل مكان مميّزا في ممارسات الشباب- في عملية التنشئة الاجتماعية. ان دور الموسيقى كفاعل في عملية التنشئة الاجتماعية اثار اهتمام الكثير من المؤلفين الانجلوسكسونيين الذين اهتموا بالعلاقات بين الشباب و الموسيقى من بينهم جيمس لول James Lull (1988) الذي يوضح

¹ LAGREE, des jeunes est des musiques, paris, l'Harmattan, 1982

خطوات تأثير الموسيقى على الجماهير، النقطة الاولى: التعرض (l'exposition)؛ الذي يعني التعرض للموسيقى بالمعنى الكمي، اي الوقت المستغرق في الاستماع لها.

النقطة الثانية: الاستهلاك (la consummation)؛ وهو ما ندخله و ما نتوصل اليه بعد التعرض للموسيقى اي انها ثمرة المرحلة السابقة. اما النقطة الاخيرة سماها التطبيق (la pratique)، و هو تأثير او نتيجة الموسيقى على المستوى الفردي و الاجتماعي اي مجموع الممارسات و السلوكات الناتجة عن التعرض و الاستهلاك¹.

لذلك فحبه للموسيقى قربه من النماذج الاجنبية و الغربية بالتحديد كما عمل في الوقت ذاته على ابعاده عن النماذج المحلية. و بذلك يبني هوية ثقافية متعارضة مع المحيط الذي يعيشه فيه و متقاربة مع ما يراه و يسمعه عبر الوسائل السمعية البصرية.

6.2.5- مساهمة الوسائل السمعية البصرية في الترويج للثقافة الاجنبية، التي يبني عليها المراهق تصورات ما يضعه في موقف المفاضلة لصالحها على حساب ثقافته الاصلية:

عند قراءة مضمون هذا السرد نجد ان وهيب قد عمد في عدة مناسبات، الى المقارنة بين الثقافة الغربية او بالأحرى عقلية المجتمع الغربي و العقلية المحلية او الجزائرية، اضافة الى المقارنة او المقايسة بين الممارسات الثقافية الجزائرية و الممارسات الغربية او كما يسميهم ما معناه الاجانب في الدارجة الجزائرية (الثور)، خاصة فيما يخص طقس الزواج كونه من طقوس المرور المهيكلة للحياة الاجتماعية و الثقافة الجزائرية، حتى تصورات حول الجنس الآخر اخضعها الى المقايسة بين الثقافتين.

لكن المثير للاهتمام ان كل هذه المقارنات بين الثقافة المحلية و الثقافة الاجنبية لم تتوقف عند هذه النقطة، بل اخضعها الى الترتيب و فق مبدأ الافضلية hiérarchisation، حيث كان هذا الترتيب دائما لصالح الثقافة الغربية.

فقد استحسن و هيب كثيرا الثقافة الغربية و دافع عنها ن خلال تصورات قام ببنائها و جمعها من الوسائل السمعية البصرية؛ التلفزيون و الانترنت، كونه لم يسبق له الخروج من الحدود المحلية الا عبر هذه الوسائل، فقد تعرف على طبيعة هذه المجتمعات (كندا و الولايات المتحدة الامريكية) من خلال ما طرحه التلفزيون و كانت له احتكاكات بأفراده من خلال العالم الافتراضي او وسائط التواصل الاجتماعي.

¹ JAMES LULL(1988) in hop in contextes pluriculturels et identités, collection psychologie des dynamiques interculturelles, sous la direction de GENEVIÈVE VINSONNEAU, éd SIDES, Bayeux, 2005, p 187

وسوف نذكر فيما يلي ما يفصل ما قلناه؛ ظهرت منذ بداية السرد التصورات السلبية التي اسقطها و هيب على المجتمع الجزائري و عقلية افراده التي ذكر انها تشعره بالاختناق، حتى انه لا يتمكن من العثور على ذاته بينهم "الصعوبة تكمن هنا حيث اشعر بالاختناق" و قال في نفس الصدد "هم اقرب لي من الناس الذين هم من بلادي لم اعثر على نفسي هنا يا اختي بصراحة".

تم استعراض مجموعة من المواقف و السلوكيات، محاولا اظهار النفاق الاجتماعي في المجتمع المحلي "اما الجزائريين "هادو الميعراب تاغنا" منافقون *des hypocrites* كل واحد يظن انه مثالي هو *le top* يهدر معاك تحسبه إمام و هو خاربها مع ربي" يمكن ان نعتمد على عبارة اخرى من السرد لتوضيح هذه النقطة "هذا المجتمع *hypocrite* و هذا ما يشجعني على الذهاب". كما يعبر عن نوع من الشعور بالاضطهاد و عدم التقبل الاجتماعي له كونه ليس متوافقا و متماثلا اجتماعيا "انا مثلا بمجرد ان يروني *tatoué* و البس لباسا مختلف يصنفوني مع *les voyous* ، انا لست كذلك، فقط عندي نظرة وطريقة مختلفة للحياة، انا مختلف فقط، اعيش حياتي كما احب هذا كل شيء"

ان إثبات الذات و التميز الذي يبحث عنه يجعله يريد التخلص من قيود المجتمع الذي ينظر اليه بنظرة سلبية "هذه البلاد يا لطيف" بالمقابل ينظر بإيجابية للثقافة الغربية مستندا في هذه التصورات الايجابية على ما تبثه و ترسله الوسائل السمعية البصرية فيقول؛ "جد ثقافتني و عقليتي كعقلية الاجانب اكثر. الـقـاوري و الـقـاورية لا يحكمون عليك ، يعاملونك باحترام مهما يكن شكلك"

الى جانب هذه المفاضلات التي تصب كلها في صالح الثقافة الغربية، قام وهيب بالمقارنة بين الزواج او الارتباط في المجتمع الغربي الذي يقوم على مبدأ البساطة و المشاعر مع الزواج في الجزائر ربطه و صورته بمنظور سلبي يقوم على المادية و المشاكل الزوجية اما هنا الزواج غير توسويس و مشاكل، سنوات من العمل لازمك باش دير العرس، الشروط و المهر غالي و مستحقات الحفلة تكلف اكثر من مئة مليون هذا اذا كان عرس بسيط، و في الاخير تدخل في دوامة من المشاكل، و كأنني اشترى المشاكل بـدراهمي".

نلمس في عباراته الكثير من التبرير لعدم اعتبار الزواج مشروعا للاستقرار و بناء اسرة بل مشروعا للهجرة "الزواج ليس مشروعا وارد عندي، الا في حالة ارتباطي بأجنبية، تصنع لي *les papiers* و تأخذني معها لكندا او الولايات المتحدة الامريكية، ربما سوف تتجح احدى علاقاتي على

مواقع التواصل الاجتماعي و يتحقق الحلم" يعبر وهيب صراحتا عن الرغبة في الهجرة دون تردد "الهجرة من هذي البلاد احسن ما يفعله الانسان"

فتصور وهيب للجنس الاخر بين المستوى المحلي و الاجنبي هو الآخر يخضع لمبدأ المقايسة وفق منطق الافضلية دائما على حساب بنات مجتمعه الاصلي " لكني صريح و اخبرهن مند البداية، ان هذه العلاقة هي للهو و لن تكون ابدأ جدية. اغلبهن يقبلن على كل حال، هناك من تطمعن في ان اغير رأي يوما ما و هناك من تقبل الخروج من اجل تمضية اوقات جميلة، "البنات راهم معولين... ابدأ ماشي ساهلين".

يشكوا وهيب الاختلاف بين ما يجب ان يكون على ارض الواقع بحكم الاصل و الدين و العرف و ما يحدث في الواقع المعاش الذي ربطه بالنفاق الاجتماعي ايضا "الجزائر بلاد التناقضات تشوف العجب بلاد يقولو ناسها حنا عرب و مسلمين حنا اولاد حرمة بصح كي تخرجي للشارع في اللبسيات، في البحر و تشوف مناظر تاع بنات ليس لها علاقة بالحرمة و الاسلام، و زادو لهم الشبكات الاجتماعية... كل واحدة حرة في حياتها لكن المشكلة يلعبوها لك بنات فاميليا".

ان الثقافة او المجتمع الجزائري يُرى بمنظور سلبي عند هذا الشاب الذي يعيش اغترابا ثقافيا و يرى البديل في الهجرة ليعيش في مجتمع يراه افضل من مجتمعه، هذا البديل هو نتيجة لبناءات تصويرية و تمثلات بنيت على اساس افتراضي عبر توضيف وسائل السمعي البصري ليس صعبا التعرف على الآخر في هذا الزمن مهما كان بعيدا، هذا جوابي على تساءلك حول الطريقة التي كونت بها نظرتي عن كندا و عقلية الغرب بصفة عامة .

نحن في 2015 هناك الانترنت و ملايين القنوات التلفزيونية و وسائل الاتصال تتطور بشكل كبير و سريع.

السفر لم يعد شرطا للتعرف على العالم و ثقافة البشر.. الآن يمكننا التعرف على كل العالم، بقعنا بقعة بتحريك اصبع فقط نكبس زرا لنسافر الى المكان عبر شبكة الانترنت و نرجع، دون ان نتحرك، كما ان القنوات التلفزيونية تعددت و تنوعت و انفتحت على بعضها البعض، الان يمكننا ان نعرف كيفية عيش الاوروبي، الامريكي، الهندي، الافريقي و الآسيوي فقط من خلال البرامج التلفزيونية.

كما ان هناك امكانية لتخالطهم فلا تكتفي بمشاهدتهم فقط، يمكنك الآن ان تتعرف عليهم من قريب بالصوت و الصورة في شبكات التواصل الاجتماعي".

خلاصة الحالات و نتائج العمل الميداني:

افترضنا في هذا العمل ان استعمالات المجال السمعي البصري و التعاطي مع وسائله، مادة لتوظيف التماهيات التي قد يكون لها اثر على بناء الهوية في بعدها الثقافي.

لا سيما في ظل التطور الذي يشهده المجال السمعي البصري اليوم و انتشار وسائله بين الأفراد و تأثيره على الحياة الاجتماعية المعاصرة، كونه قد سهل التبادلات بكل أنواعها بين شعوب العالم مما جعل الحدود شفافة بين الدول.

لا شك ان الهوية الثقافية تتغير بشكل مستمر جراء تداخل عوامل عديدة و لا تقتصر على الوسائل السمعية البصرية فقط، لكن هذا المجال بالذات يمثل بالنسبة لنا ميدانا جديرا بالملاحظة، ولذلك فبحثنا هذا هو محاولة لتبيان واقع الهوية الثقافية في ظل هذا الانفتاح الذي ساهمت فيه الوسائل السمعية البصرية بشكل كبير.

و من هذا المنطلق، حرصنا على العمل مع فئة المراهقين، كونهم الاكثر ارتباطا بتكنولوجيا الاتصال و المعلومات، لاسيما كل من الانترنت و التلفزيون باعتبارهم الوسائط الاوسع انتشارا و الاقرب اليهم من حيث سهولة تناولها و قدرتها على الترفيه. حيث كان اختيارنا للحالات على اساس اقبالهم على هذه الوسائل لمعرفة مدى و كيفية تأثيرها على تصوراتهم للهوية الثقافية. فستخرجنا من سرود الحياة خاصتهم مجموعة من النتائج حول الهوية الثقافية كما لاحظنا مجموعة من التحولات التي تطالها في ظل هذه المتغيرات سوف نعرضها فيما يلي:

ان الوسائل السمعية البصرية و المكانة التي تشغلها عند الشباب المراهق و المدة الزمنية التي يقضونها في التعاطي معها، لا يمر دون ترك تأثير واضح، بداية بالازدواجية او التعددية الثقافية التي يعيشونها بشكل متواصل.

ان التعددية الثقافية هي ما يميز هذا العصر بامتياز كونه عصر العولمة التي زحفت نحو كل الدول خاصة دول العالم الثالث، لكن ما لا حضناه بشكل طاغ عند الحالات التي ركزنا عليها عملنا في شقه الميداني، هو القيم الايجابية و السلبية التي يلصقونها بهذه الثقافات التي لها خصوصيتها و طابعها الفريد و المميز، حيث عمد كل افراد العينة للجوء لعملية المقايسة او المقارنة بين الثقافة المحلية و الثقافات الاجنبية مع ترتيبها وفق مبدأ الافضلية **hiérarchisation des cultures**.

فسرود قصص الحياة و بالذات عند نقطة موقف هؤلاء الشباب و تمثلاتهم حول الثقافة المحلية (الجزائرية) قد تحدثوا عنها و وصفوها من خلال مقارنتها بالثقافات الاخرى، حيث استنتجنا في هذه النقطة بالذات؛ ان الثقافة الجزائرية ينظر اليها بمنظور سلبي او لا تُثري تماما من طرف هؤلاء الشباب المراهقون¹ ، و في بعض الاحيان يقترحون تعديلها لجعلها تحاكي الثقافات الاخرى سواء الثقافات الغربية او الشرقية و حتى الآسيوية²، وهذا ما يشير الى ازمة و بحث عن الهوية في ظل التغيرات التي طرأت على حياة اجتماعية ابرز ما يميزها العولمة و الانفتاح على عديد الثقافات و الايديولوجيات ولذلك فلا عجب ان اشكالية الهوية طرحت بشكل ملح بعد العولمة. هنا تجدر الاشارة ان ثقافات المجتمعات التي تلقى استحسان المراهقين و التي يبنون عنها تصورات ايجابية، لم يسبق لهم ان كانوا فيها او عاشوها بشكل فعلي و انما بنيت هذه التصورات استنادا على ما تصوره الوسائل السمعية البصرية من خلال العالم الافتراضي او ما يُبث عبر التلفزيون او ربما على ما هو متداول في الشارع فلم يسبق لأي منهم الخروج من حدود الوطن.

لاشك ان النشاط المكثف للمراهقين في العالم الافتراضي، و تعرضهم للمواد التي تعرضها القنوات الفضائية و حتى الارضية، تجعل من عملية التنشئة الاجتماعية و التي تعتبر اساسية في بناء الهوية تعمل في هذه الظروف تحت اطر جديدة و مفتوحة على عديد الثقافات، لأنه امام انتشار و اكتساح المجال السمعي البصري للحياة العصرية، احتلت هذه الوسائط مساحة كبيرة و مكانا الى جانب مؤسسات التنشئة الاجتماعية الرسمية لاسيما الاسرة و المدرسة، التي لطالما كانت تُعنى بمسالة الحفاظ على القيم الاجتماعية و الثقافية و توريثها عبر الاجيال، اما اليوم و امام هذا الكم الهائل من المعلومات الذي يتدفق من خلال هذه الوسائل نلمس فوضى القيم و الممارسات الثقافية الخارجة عن الثقافة المحلية، و التي تنعكس على الحياة الاجتماعية لأفراد المجتمع الواحد و تتغلغل فيها، تظهر في لباسهم، مأكلمهم، طقوسهم و كل ممارساتهم و هذا ما جعل من المستحيل ان يتوفر لذا افراد المجتمع رصيد ثقافي مشترك، و دلينا في ذلك التعدد و الاختلاف في الاتجاهات الثقافية عند افراد العينة التي تنوعت بين الحضارة الغربية، الشرقية و الآسيوية.

¹انظر الحالة 3 و الحالة 5

²انظر الحالات: 1، 2 و 4

لكن تجدر الإشارة، ان التغييرات التي تمس الهوية الثقافية ليست دوما نابعة من عوامل خارجية كالتي اختبرناها في هذا العمل و حصرناها في الوسائل السمعية البصرية، ففي بعض الاحيان هذه الممارسات و التصورات التي تعبر عن الاختلاف الثقافي و التعددية تعد تعبيراً صارخاً عن المعاناة الثقافية للفرد الجزائري و بحثه المستمر عن هويته، تعبيراً عن قلق الهوية *malaise identitaire* ، كما ان التغيير يمكن ان ينبع من داخل الانسان لحاجته الى ذلك فالهوية الثقافية نفسها هي ذات خاصية ديناميكية متغيرة.

ليس بعيداً عن هذه النقطة، لاحظنا تقريبا عند كل الحالات¹ تفوق شبكة الانترنت على الكتب في مسألة القيام بالبحوث المدرسية و الحصول على المعلومات في شتى المجالات، اي تحول مصادر الثقافة من الكتب الى الوسائل السمعية البصرية -التي اوجدت لنفسها متسعاً كبيراً ضمن الوسائل التثقيفية- و هذا ما يجعلهم ينهلون المعلومات من مصادر مختلفة و بالتالي فشباب اليوم ليست لديه قاعدة بيانات مشتركة كما في الماضي اين كانت القراءة من الكتب هو المصدر الابرز للحصول على الثقافة، حيث كانت هناك تقاربات في القراءات و الاقبال المشترك على بعض الكتب المتوفرة و هذا ما يعمل على توحيد الافكار، المفاهيم و التصورات، مما يعطينا امكانية للقول ان هذه الاخيرة اي الوسائل السمعية البصرية تقف حاجزاً امام بناء هوية ثقافية منسجمة بين افراد المجتمع.

لكن بالنسبة لكميلوري Camilleri.C² المدرسة نفسها مع انها المصنفة من الوسائل التثقيفية الرسمية المحافظة و الناقلة للقيم الاجتماعية، الا انها ايضا من العوامل المؤثرة في التحول الثقافي، حيث يرى انه في دول العالم الثالث و التي حصلت على استقلالها مؤخراً، هناك مجموعة من المشاكل الناجمة عن تماس المدرسة و الوسط الاجتماعي الذي ينحدر منه الفرد، حيث يطرح هذا الاخير تكويناً تقليدياً، بعكس المدرسة ذات التكوين الحديث و الحيادي المجرد من كل الاعباء الثقافية للوسط الاجتماعي، مما يؤدي الى قطيعة ظاهرة، و تعرض المتمدرسين الى نماذج ثقافية للدول الغربية المصنعة و السباقة الى العلم.

¹ انظر الحالة 1، 2، 4، و 5

² Camilleri.C ? École et problèmes culturels dans le tiers monde décolonise, in l'interculturel, colloque national toulouse/juin 85, tome1, université de toulouse-le mirail, p135.

اما الاسرة باعتبارها ايضا و سيط فعال في عملية التنشئة الاجتماعية فقد لاحظنا ان دورها صار باهتا مع غياب التأطير العائلي امام تحديات العولمة، الذي لمسناه من خلال عدة سرود¹ او عدم مقدرة الآباء على التعامل مع اصرار الابناء و ادمانهم على الانترنت او التلفزيون²، فبرغم من ان هذه المرحلة هي مرحلة حساسة، اهم ما يميزها هو تسارع المراهق للانفصال على الاسرة و البحث عن الحرية الذي يقابله اعادة النظر في تقمصاته القديمة و الذي يفتح المجال لتقمص نماذج أخرى من خارج هذا الاطار، الا ان العائلة تضل الدعامة الاساسية للمراهق و مرافقا له في هذه المرحلة، لكن الملحوظ ان ما لا يستوعبه الآباء او الاهل في بعض الأحيان هو ان بقاء الابناء في البيت و عدم الخروج منه، لا يعني انهم هناك، فمراهقو عصر السمعي البصري غائبون مع التزام البيوت بالمفهوم المادي، و اكبر دليل على ذلك قلة التفاعلات الاجتماعية التي تعيشها الاسر التي تمكنت الوسائل السمعية البصرية من تقسيمها حسب الأذواق و انواع المشاهدة.

فكل حالة من الحالات المتناولة في هذه الدراسة أكدت من خلال سردهم لقصص حياتهم انهم يعيشون في العالم الافتراضي و يستثمرونه اكثر من العالم الواقعي، كما انهم يداومون على مشاهدته قنواتهم و برامجهم المفضلة لأوقات طويلة، سواء عبر جهاز التلفزيون او عن طريق شبكة الانترنت، هذا ما يجعلنا نتساءل حول ماهية المساهم الاكبر في غرس القيم و بناء الهوية الثقافية؟

تساهم عملية التقمص بجزء كبير من سيرورة بناء الهوية، التي ترافق الفرد في كل فترات تطوره، لكن خلال هذا المشوار او السيرورة التطورية تختلف و تتعدد النماذج التقمصية، حيث تكون التماهيات في مرحلة الطفولة عمودية و موجهة بشكل حصري الى النماذج الابوية او اخرى قريبة منها، لتتغير في سن المراهقة و ما بعدها بعد تقييم و اعادة النظر في التقمصات القديمة و استبدالها بنماذج اخرى بشكل افقي خارج النطاق العائلي حيث تلعب العصبية او جماعة الرفاق دورا معتبرا في مشوار البحث عن الهوية، اذ لا ننفيك نجد المراهقين في جماعات، كثيرا ما تجمعهم نماذج مشتركة و محببة تطل عليهم عبر الانترنت او من خلال القنوات التلفزيونية. ان العصبية او جماعة الرفاق في فترة المراهقة، تمكن من القطيعة مع العائلة و باقي المؤسسات مع تبني قيم جديدة كثيرا ما تجعلهم في صراع مع الاجيال السابقة.

¹ سرد الحالة 1، 3،4

² انضر الحالة 2،5

يلخص اريكسون Erikson ازمة المراهقة في البحث عن الهوية¹ لذلك يسعى المراهق في هذه المرحلة لإيجاد نماذج مناسبة لتماهاياته الجديدة و هذه محطة مهمة في سيرورة النمو و التطور، و في عصر السمعي البصري، و امام انتشار هذه الوسائل بين افراد المجتمع خاصة في اوساط الفئة الشابة باعتبارهم الاقرب اليها، فإن النماذج تتعدد و تختلف بتعدد القنوات التلفزيونية و المواقع على الشبكة العنكبوتية و الخلفيات الثقافية و الأيدولوجية لهذه الاخيرة، التي تساهم كثيرا في **تقصص النماذج الاجنبية²** و **تدخيل القيم الجديدة الى المجتمع.**

مما يجعل الافراد يعيشون في حالة من الاغتراب الثقافي في بيئاتهم الاجتماعية ، و هذا ما يسمح لنا ان نقول ان الجيل الحالي هو جيل قريب من التكنولوجيا السمعية البصرية و لذلك هو جيل قريب من ذلك الآخر المتحكم فيها و المختلف إيديولوجياً و ثقافياً، لان النماذج المطروحة على المستوى المحلي غير مقبولة بالنسبة لهؤلاء الشباب او ينظر اليها بنظرة سلبية. اذ يساهم التلفزيون الفضائي و حتى الوطني و بشكل كبير في اظهار نماذج مختلفة من ثقافات و دول اخرى، لاسيما الدول التي تهيمن على المجال السمعي البصري حيث تقدم برامج ترفيهية و تثقيفية مثيرة للاهتمام و في كل المجالات على غرار السينما الأمريكية، المسلسلات العربية، الهندية، اللاتينية و التركية المدبلجة و كذا الاغاني المصورة، البرامج الرياضية و الكروية، و في المقابل لا توجد منافسة وطنية معتبرة، حيث لا يسجل اي منتج و برامج سينمائية و اعلامية وطنية ترقى الى المستوى المطلوب، و لذلك لا توجد نماذج وطنية جديدة باهتمام الشباب المراهق تطرحها الوسائط السمعية البصرية، وهذا ما يؤكد لنا ان الخلل يكمن في النماذج التي يتقمصها المراهق les modèles d'identification التي تطرحها عديد القنوات الحاملة للثقافة بما فيها الوسائل السمعية المختلفة.

لذلك فالممارسات الجزائرية و الثقافة بشكل عام لم تعد تصل الى الشباب و ان وصلت لا ترى بشكل ايجابي، او ينظرون اليها بمقارنتها مع الثقافات الاخرى كما اسلفنا الذكر .

استنتجنا ايضا من سماعنا للمراهقين و تحليل سرود قصص الحياة، انهم ليسوا متمسكين بالممارسات الثقافية المحلية، لكن **مسألة الدين** وبالرغم من انه واحد من مركبات الهوية الثقافية الا انه

¹ Erikson E.H: Adolescence et crise, enquête de l'identité, Flammarion, Paris, 1972

² الحالة 1 : تميل الى النماذج الاوروبية، الحالة 2: نماذج من تركيا و الشرق الاوسط، الحالة 3: النماذج الآسيوية، الحالة 4: نماذج دينية خليجية و سعودية، الحالة 5: نماذج من امريكا الشمالية (كندا و الولايات المتحدة الامريكية).

يشكل استثناء لدى افراد العينة، فالدين يمثل نموذجا يتمسكون به و يولون له اهمية بالغة بل و يعتبرونه وحده ما يساهم في الهوية الثقافية¹ لذلك فالدين هو العامل المنسق في المجتمع.

ما لمسناه ايضا بشكل طاغ عند كل الحالات تقريبا، عذا حالة واحدة² هو التخطيط لمشروع الحياة من زاوية الهجرة هذا التحول و الظاهرة التي برزت و شهدت انتعاش في الاوساط الشبابية اللذين يعملون على بناء المستقبل بعيدا عن الوطن، مما يتوافق مع التصورات السلبية التي تم بناءها عنه، مقابل الثقافات الأخرى التي ينظرون اليها بمنظار التلفزيون الذي يمكنهم من بناء احلامهم بالعيش في المجتمعات التي يقدمها الاعلام في صور مثالية، اما وسائط التواصل الاجتماعي و الانترنت بشكل عام، فتساعدهم على التواصل و تقريبهم من افراد المجتمعات المنشودة، حتى ان هناك من يستخدم موقع التواصل الاجتماعي كأداة لتحقيق مشروع الهجرة عن طريق التعارف و بناء علاقات الهدف منها الارتباط لتسهيل تحقيق مشروع الهجرة³.

وطبعا لتحقيق هذه المشاريع و لتسهيل عملية التواصل مع العالم من خلال الوسائل السمعية البصرية يجب اتقان اللغات الاجنبية للتواصل خارج الاطار المحلي و هذا ما لاحظناه حيث لمسنا ازدهار اللغات الاجنبية و تداولها بين عند افراد العينة و اغلبية الشباب اللذين يعتمدون على اللغة الانجليزية بقدر الفرنسية، حيث يرون ان اللغات الاجنبية هي مفتاح التواصل و التعاطي مع الاخر في اطار التبادلات الثقافية و ما بين الثقافات و هذا دليل على حاجتهم للانفتاح و نتيجة للعولمة.

كان لمسالة الاختلاط و العلاقات بين الجنسين نصيب من سرود الحياة للمراهقين، حيث كشف لنا الخوض في هذه النقطة، ان الاختلاط بين الجنسين متاح بشكل كبير سواء من خلال فضاءات الدراسة و الترفيه و في كل مكان، اضافة الى الانترنت هذا الفضاء الافتراضي الجديد الذي يزيد من فرص الاختلاط و التواصل بين الذكور و الاناث، و هذا تحول كبير تشهده ثقافة لطالما كانت في الماضي مبنية على الفصل و التفريق بين الجنسين la division des sexes حيث اشار العديد من المؤلفين على غرار بوجدية⁴ و المرنيسي⁵ الى الحدود المادية، العرفية و الشرعية الفاصلة بين الجنسين

¹ انضر الحالة 1، 3، 4.

² باستثناء الحالة 4

³ انضر كل من الحالة 3 و الحالة 5

⁴BOUHDIBA.A,2010, La Sexualité en Islam, Paris, PUF.

⁵ FATIMA MERNISSI, Sexe idéologie Islam, Les Éditions maghrébines, Casablanca, 1985

في النسق التقليدي. اما التحولات التي طرأت على المجتمع الجزائري و التي فرضتها الحياة و الممارسات المعاصرة فقد ساهمت في الغاء الحدود بين الذكور و الاناث خاصة مع تطور التكنولوجيا لاسيما في مجال الاتصالات و التي اعطت شكلا جديدا للاختلاط. و لكن رغم التغيرات الملموسة في النسق الحديث و التي اشرنا اليها كالاختلاط المتاح و الذي اعطى فرصا للعلاقات و التقارب بين الجنسين،

الا ان ذلك لم يغير التصورات و القوالب النمطية **les stéréotypes sociale** التي لا تزال قائمة و توجه العلاقات بينهم، تلك التصورات التي تقوم على الحذر و الاحكام النمطية التي وصفها عدد من الأنثروبولوجيين المهتمين بالثقافة الجزائرية و المغاربية على غرار كامي لاقوست دوجاردان C. Lacoste¹ ، فبالرغم من ان الممارسات الاجتماعية تغيرت بحيث اصبح هناك مجال واسع للاختلاط المادي و الافتراضي بين الجنسين، لكن التصورات التقليدية مازالت قائمة و لم تتماشى مع هذه التغيرات بقدر كبير .

هذا دليل واضح على التجاذب او التناقض الوجداني الذي يعيشه هؤلاء المراهقون و على تعايش نسقين اجتماعيين (التقليدي و الحديث) في ذهنية الفرد الجزائري.

Berque.J يعتبر التجاذب او التناقض الوجداني قيمة اساسية في الثقافة العربية و في ذهنية و كيان افرادها، حيث قال في كتابه المغرب بين الحربين؛ " الغرب و الشرق بالنسبة للدول العربية ليسا موادا للجغرافيا فحسب و انما هما اجزاء غربية و اجزاء شرقية تتصادم فيما بينها في كيان الشعب و كيان الفرد"²

كما يري نور الدين طوالي ان التناقض الوجداني مفهوم دائم الارتباط بالهوية، بل حتمية نفسية اذا ما طرحت هذه الاخيرة في اطار ما بين الثقافات.

وفي كتاب له، تمكن هذا الاخير سنة 1982 من بناء فكرة مفصلة عن الازدواجية الثقافية و التناقض الوجداني ، حيث يلخص التصرفات و الاستراتيجيات التي يوظفها الفرد في حياته اليومية ليتمكن من السيطرة على توازنه النفسي و تبادلاته و تعاملاته الاجتماعية و صراعاته امام القيم الثقافية التي يواجهها يوميا.

¹ CAMILLE LACOSTE-DUJARDIN, Des mères contre les femmes, maternité et patriarcat au Maghreb, Paris, La Découverte, 1996, Essai

² BERQUE.J, 1962, Le Maghreb entre les deux guerres, Paris, Seuil, , p105

اظهرت سرود الحياة ان الانترنت و مواقع التواصل الاجتماعي ليست مجرد وسائل سهلة للتواصل بين الافراد و منصات لتعبير عن الآراء حول عديد المسائل و الاحداث و الصور و فيديوهات، لكن و من خلال اتجاهات و تمثلات المراهقين الذين شملتهم هذه الدراسة¹، لاحظنا انها بالنسبة لهم جداريات يلصقون عليها صورهم التي تحكي يومياتهم، حيث ينزلون على صفحاتها الافتراضية صورهم و فيديوهاتهم الخاصة مترقبين عدد الإعجابات و التعليقات. و بهذا، يوثقون و ينشرون من خلالها كل قصصهم، مشاعرهم و طريقة عيشهم التي قد تختلف في هذا العالم الافتراضي عن الواقع في بعض الاحيان²، اذ يؤكد افراد العينة ان صفحاتهم على مواقع التواصل الاجتماعي - خاصة الفايسبوك كونه الاكثر تداولاً بينهم- لا تخلوا من صور السالفي selfie التي يلتقطونها في كل الاماكن و كل الاوقات و هذا يشير الى تحول ثقافي واضح في الثقافة الجزائرية، حيث كان الجزائريون في الماضي يحرصون على عدم الظهور في الصور امام العامة، فكل ما هو خاص و حميمي لا يمكن ان يظهر علنا على غرار الصور الفوتوغرافية، خاصة بالنسبة للنساء حيث كانت المرأة تعتبر من خصوصيات الرجل الوصي عليها في اطار المصطلح العامي الجزائري "الحرمة"، لذلك يتوارون عن الأنظار، اما اليوم نلمس نزعة الظهور و عدم التحفظ في الحياة الشخصية، خاصة على مواقع التواصل الاجتماعي، حيث اشارت الحالات على الاهتمام الذي يولونه لالتقاط الصور التي تعبر عنهم بشكل لائق، و نشرها على موقع التواصل الاجتماعي، وهنا نشير الى ان هذه الاخيرة تغذي نرجسية المراهقين الذين ينتظرون بمقابل نشرها الحصول على التعليقات الايجابية و الإعجابات.

ان الملاحظات التي توصلنا اليها من خلال الدراسة الميدانية اظهرت في مجملها كيفية تأثير الوسائل السمعية البصرية على الهوية الثقافية للمراهق باعتبار ان منهم من يتأثر بالثقافات الاجنبية بتقمصه للنماذج التي تظهرها هذه الوسائل و ذلك وفق ميولهم للمشاهدة و قنواتهم و برامجهم المفضلة سواء عبر التلفزيون او من خلال البحث عنها من خلال الشبكة العنكبوتية التي تمتلك امكانية التقريب بينهم و بين هذه النماذج ايضا عبر مواقع التواصل الاجتماعي.

لكن هذا لا يعني ان هذه الوسائل هي العامل الحصري المؤثر على الهوية كما سبق ان اشرنا، كما ان تعلق الفرد الجزائري لاسيما فئة المراهقين منهم بالوسائل السمعية البصرية و المواد الأجنبية التي

¹عذا حالة واحدة و هي الحالة 4

²انضمر الحالة 3 و الحالة 5

ثبتها على وجه الخصوص، قد لا يكون عامل مؤثرا عن الهوية الثقافية بل نتيجة للبحث المتواصل عنها و تعبير عن المعاناة الثقافية التي يعيشها الفرد الجزائري.

و عليه يمكننا القول ان المسألة التي نحن امامها و التي تتطوي تحت الاشكالية المطروحة في هذا العمل، وهي ازمة الهوية الثقافية في الجزائر، هو بحث عن الهوية و معاناة تركتها الحقبات الاستعمارية التي مرت بها الجزائر.

ان البحث عن الهوية يقتضي البحث عن النماذج، لذلك فالمشكل المطروح متعلق بالتقصص و هشاشة الفرد الجزائري و قابليته للتماهي مع الصور و النماذج الاجنبية التي تزدهر من خلال الوسائل السمعية البصرية هذه الهشاشة التي اكتسبها من الفترات الطويلة و المتعاقبة للاستعمار، وهذا ما اكده كل من جاك بارك Berque و البرت ميمي¹ Albert Memmi في وصفهم مأساة الانسان الصانع للاستعمار و كذا ضحية الاستعمار، حيث لا يتمكن ابدًا من التوافق و التطابق مع نفسه فهو يصنع نفسه باستمرار لا كن مع التعايش مع عدم التطابق مع نفسه.

خلصت اعمال عديدة على غرار اعمال الأنثروبولوجي الجزائري طوالي² Toualbi و مالك شبال Chebel و كذا جاك بارك Berque ان الازدواجية الثقافية حاضرة بشدة، لتضفي شيئًا من الضبابية المعتبرة على هوية الجزائري، و القلق الثقافي وهذا ما لوحظ من خلال هذه الدراسة، لكن الجديد الذي لمسناه هو المساهمة الكبيرة للوسائل السمعية البصرية و التحدي الجديد المطروح امام الهوية الثقافية الجزائرية في ظل هذه الظروف.

¹ MEMMI ALBERT, 1973, Portrait du colonisé, Paris, Payot

² TOUALBI NOUREDDINE, 1984, Religion, rites et mutations: psychosociologie du sacré en Algérie, ENAL, Alger

الخاتمة:

في نهاية هذه الرحلة الطويلة من العمل على اشكالية الهوية الثقافية في هذا العصر الذي شهد فيه المجال السمعي البصري انتعاشا فائقا، يمكن القول ان الهوية الثقافية باعتبارها مفهوما ديناميكيا، تشهد تغيرات فعلية في المجتمع الجزائري، بفعل الاحتكاك الثقافي بمختلف شعوب العالم عبر تطور الوسائل السمعية البصرية كونها عوامل خارجية ناقلة للثقافات سهلت من عملية المتاقفة و التداخل الثقافي.

لكن و في الوقت ذاته لا يمكن اغفال العوامل الداخلية المتمثلة في الحاجة المتزايدة الى التغيير تماشيا مع متطلبات العصر.

هذه العوامل و أخرى تساهم بأشكال متعددة في تشكيل معالم ثقافية جديدة و تحولات على المستوى القيمي و الممارساتي، تغير ملامح الهوية الثقافية بشكل متواصل، و هذا ما كشفه لنا العمل الميداني مع فئة المراهقين و الذي بين لنا ان المراهق و المجتمع الجزائري ككل يعاني من ازمة الهوية، و في خضم البحث عنها، و البحث عن الذات او الهوية يقتضي اساسا عمليات التماهي مع عديد النماذج.

و قد لمسنا من هذه الزاوية و من خلال هذا البحث ان الثقافة الجزائرية تواجه تحديات كبيرة ابرزها عملية المتاقفة المزدوجة بين الثقافة المحلية و الثقافات الغربية من جهة و بين الثقافة المحلية و الثقافات المشرقية من جهة اخرى.

قائمة المراجع و المصادر:

باللغة العربية:

- ابراهيم ياسين الخطيب، زهري محمد عيد، نعمان خالد، التنشئة الاجتماعية للطفل، الثقافة للنشر و التوزيع، ط 1، دار الأردن 2003
- ابو بكر موسى و محمد موسى، ازمة الهوية في المراهقة و الحاجة الى الارشاد النفسي، مكتبة النهضة المصرية، 2002
- أحمد أوزي، سيكولوجية المراهقة، منشورات مجلة الدراسات النفسية والتربوية، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى سنة 1982،
- أحمد عزت راجح، أصول علم النفس، المكتب المصري الحديث، الطبعة 8، الإسكندرية، مصر، 1980
- الحديري ابراهيم، النظام الأبوي واشكالية الجنس عند العرب، دار الساقى، بيروت، 2003.
- المرنيسي فاطمة، ما وراء الحجاب، الجنس كهندسة اجتماعية، ترجمة اوزيل فاطمة الزهراء، المركز الثقافي العربي، نشر الفنك، الدار البيضاء، 2005
- ببيار البيار، تاريخ الإذاعة و التلفزيون، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 1، 1984
- جابر، جودة بني، علم النفس الاجتماعي، دار الثقافة للنشر و التوزيع، ط1، عمان الاردن، 2004
- جارنر جورج، نظريات الاتصال من اعداد المزهرة، منال هلال، ، دار المسيرة ، عمان، 2012
- جبليير غرانغيوم، اللغة و السلطة و المجتمع في المغرب العربي، ترجمة محمد اسليم، افريقيا الشرق، 2011،
- حامد عبد السلام زهران ، علم نفس النمو ، دار المعارف بمصر ، 1986.
- حلمي منيرة، مشكلات الفتاة المراهقة و حاجاتها الارشادية، دار النهضة، القاهرة، 1965.
- خليل ميخائيل معوض، دراسة مقارنة في مشكلات المراهقين في المدن والأرياف، دار المعارف، القاهرة، مصر، طبعة 2011
- دعد الشيخ، مفهوم الذات بين الطفولة و المراهقة، دمشق ، دار كيوان للطباعة والنشر و التوزيع، الطبعة الأولى، 2007.

- راسم محمد الجمال، الاتصال و الاعلام في الوطن العربي، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2001.
- زياد بن علي بن محمود الجرجاوي، القواعد المنهجية التربوية لبناء الاستبيان، الطبعة الثانية، مطبعة أبناء الجراح، غزة، 2010
- شاهين بهاء، شبكة الانترنت، الطبعة 2، العربية لعلوم الحاسب، القاهرة، 1996
- عابد محمد بوهادي، تحديات اللغة العربية في المجتمع الجزائري، دروب للنشر و التوزيع، الطبعة الاولى، الاردن، 2014
- عبد الرحمان العيسوي، الآثار النفسية و الاجتماعية للتلفزيون العربي، دار النهضة العربية، بيروت، 1984
- عبد العالي الجسماني، سيكولوجيا الطفولة و المراهقة و حقائقها الأساسية، بيروت. لبنان، الدار العربية للعلوم، 1994
- عبد المجيد شكري، تكنولوجيا الاتصال: الجديد في انتاج البرامج في الراديو و التلفزيون، دار الفكر، القاهرة، 1996.
- عبد الملك ردمان الدناني، تطوير تكنولوجيا الاتصال و عولمة المعلومات، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، 2005.
- على عبد الفتاح كنعان، الاتصال و المجتمع، دار اليازوري للطباعة و النشر، عمان، 2014
- فاروق عبد الفتاح موسى، النمو النفسي في الطفولة و المراهقة، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية، القاهرة، 2004
- فؤاد البهي السيد، الاسس النفسية للنمو، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، 1956
- قباري محمد إسماعيل، علم الاجتماع الثقافي و مشكلات الشخصية في البناء الاجتماعي، منشأة المعارف بالإسكندرية، غير مؤرخ
- لازاروس ريتشارد، الشخصية، ترجمة السيد غنيم، دار الشروق، بيروت، 1981.
- محمد السيد حلوة، رجاء على عبد العاطي، العلاقات الاجتماعية للشباب بين دردشة الانترنت و الفيسبوك، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية 2011.

- محمد العربي ولد خليفة، المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، 2003
- محمد أيوب شحيمي، دور علم النفس في الحياة المدرسية، دار الفكر اللبناني، الطبعة الأولى، بيروت، 1994 .
- محمد عماد الدين اسماعيل، النمو في المراهقة، دار العلم، ط1، الكويت، 1982
- محمد محمود الحيلة، التكنولوجيا التعليمية و المعلوماتية، الطبعة الاولى، دار الكتاب الجامعية، 2001
- محمد، محمد فتحي، إدمان المخدرات والمسكرات بين الواقع والخيالي، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 2011
- مسلم محمد ، الهوية و العولمة، دار الغرب للطباعة و النشر، وهران، 2002
- مصطفى لخضر، جزائر ما بعد الاستقلال، دار هومة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2004
- هارلمبس و هولبورن، سوسيولوجيا الثقافة و الهوية، ترجمة حاتم حميد محسن، دار كيوان للطبع، دمشق، 2010
- هانت، سونيا وجيفر، هلتن، نمو شخصية الفرد والخبرة الاجتماعية، ترجمة قيس الثوري، ط1، دار الشؤون الثقافية، بغداد 1988.
- هنري و ماير، ثلاث نظريات في نمو الطفل، ترجمة هدي محمد قناوي، المكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، 1992
- هيلد . ت هيموليت، التلفزيون و الطفل : دراسة تجريبية لأثر التلفزيون على النشء، ترجمة احمد سعيد عبدالحليم و محمود شكري العدوي، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1967
- ويلبور شيكرام و آخرون، التلفزيون و اثره في حياة اطفالنا، ترجمة زكريا السيد حسين، القاهرة: الدار المصرية للتأليف و الترجمة، مصر، 1965
- يونغ كيمبرلي ، الاتار الاجتماعية للشباب على الانترنت دراسة ميدانية على عينة من مقاهي الانترنت، اعداد محمد وجيه عبد المجيد و وجدي شفيق عبد اللطيف، دار و مكتبة الاسراء، مصر، 2006

مراجع و مصادر اجنبية:

- ADDI LAHOUARI.1999.- Les mutations de la société algérienne : famille et lien social dans l'Algérie contemporaine, éd la découverte.
- ALEXANDRE DES ISNARDS et THOMAS ZUBER. 2011.- Facebook m'a tuer, Nil.
- ARIÈS PHILIPPE. 1973.- l'enfant et la vie familiale sous l'ancien régime, paris, seuil.
- AVANZINI GUY. 1965.-Le temps de l'adolescence, Paris, Éditions universitaires,.
- BERQUE JACQUES. 2001.- Opéra minora, les collections intérieures du Maghreb, paris, Ed Bouchène
- BERQUE JACQUES. 1962.- Le Maghreb entre les deux guerres, Paris, Seuil.
- BETTELHEIM BRUNO. 1993.- Les blessures symboliques, Ed. Gallimard, Paris.
- BLOS PETER. 1967.- les adolescents (essai de psychanalyse), traduit par TRUFFERT.P et GANTHERET.F, stock, paris.
- BOUHDIBA ABDELWAHAB.2010.- La Sexualité en Islam, Paris, PUF.
- BOURDIEU PIERRE. 1974.- Sociologie de l'Algérie, Paris, PUF, coll. « que sais-je ».
- BOURDIEU PIERRE.1982.- ce que parler veut dire, l'économie des échanges linguistiques, Paris, fayard
- BOUTEFNOUCHET MUSTAPHA.1982.- La famille algérienne, Alger, Ed SNED.
- BRACONNIER ALAIN, DANIEL MARCELLI.1988.-Psychopathologie de l'adolescent, Paris, Masson,
- BRACONNIER ALAIN, MARCELLI DANIEL.1998.- L'adolescence aux mille visages, Paris, Odile Jacob.
- CAMILLE LACOSTE-DUJARDIN. 1996.- Des mères contre les femmes, maternité et patriarcat au Maghreb, Paris, La Découverte, Essai.
- CAMILLERI CARMEL. 1973.- Jeunesse, famille et développement : essai sur le changement socio-culturel dans un pays du tiers monde (Tunisie), Paris, éd CNRS.
- CAMILLERI CARMEL et Coll. 1989.- Chocs des cultures; concepts et enjeux pratiques de l'interculturel, Paris, édition l'Harmattan.
- CAMILLERI CARMEL. 1990.- Les stratégies identitaires, Paris, PUF,
- CAMILLERI.C, GENEVIEVE.V. 1996.- psychologie et culture: concepts et méthodes, Paris, Armand Colin.
- CHEBEL MALEK. 2003.- Encyclopédie de l'amour en Islam, Paris, Payot (première ed1995)
- CLAES MICHEL.1986.- l'expérience de l'adolescence, Bruxelles, pierre Mardaga.
- CLAUDE LEVI-STRAUSS. 1958.- Anthropologie structurale. Paris, Plon

- CLAUDINE HAROCHE et NICOLE AUBERT. 2011.- Les Tyrannies de la Visibilité", Éditions Ères.
- COLEMAN JAMES S, HUSEN TORSTEN. 1985.-Devenir adulte dans une société en mutation, Paris, CERI.
- COLLECTIF D'AUTEURS. 2001.-adolescence, Alger, Ed SARP.
- DANIEL MARCELLI. 1996.-Trouble du comportement psychopathologie de l'enfant, Paris, Masson,
- DÉBESSE M.1941.- La Crise d'originalité juvénile, Paris, PUF.
- DELAROCHE. PATRICK. 2005.-L'Adolescence enjeux cliniques et thérapeutiques, Paris, Armand Colin.
- DEUTSCH HÉLÈNE. 1970.-Problèmes de l'adolescence : la formation de groupes, Paris, Payot,.
- DEVEUREUX G. 1970.- essai d'ethnopsychiatrie générale, Paris, Gallimard
- DOLLOT LOUIS. 1974.- culture individuelle et culture de messe, Paris, PUF
- DOMINIQUE FERNANDEZ. 2000.-Mère Méditerranée, Paris, Grasset.
- ERIK H. ERIKSON. 1972.- Adolescence et crise la quête de l'identité, paris, Flammarion.
- FREUD ANNA.1974.- Le moi et les mécanismes de défense. Paris, PUF,
- FREUD S. 1965.- Totem et tabou, Paris, Payot
- FREUD S. 1968.- psychologie des foules et analyse du moi, Paris, Payot.
- FREUD.S. (1923), Trois Essais sur la théorie de la sexualité, Paris, Payot, 1966.
- GENEVIÈVE VINSONNEAU. 2005.-contextes pluriculturels et identités, collection psychologie des dynamiques interculturelles, Bayeux, éd SIDES.
- GESELL A. 1972.-Le jeune enfant dans la civilisation moderne, Paris, P.U.F.
- GODOL, J.P, 1980, la quête de la similitude et de la différenciation sociale, in P TAP identité individuelle et personnalisation, Toulouse, Privat
- GUASCH, G.P. 1973.-L'adolescent et son corps, Paris, Ed Universitaires.
- HELENE DEUTSCH. 1991.-problème de l'adolescence, traduit par CLAUDE-ANTOINE CICCIONE, Paris, Petite Bibliothèque Payot.
- HUERRE PATRICE, PAGAN-REYMOND MARTINE, REYMOND JEAN-MICHEL.1997.- L'adolescence n'existe pas, Paris, Odile Jacob.
- JEAN FLORENCE.1984.- L'identification dans la théorie freudienne, Publications des Facultés universitaires Saint-Louis
- JUNG CARL GUSTAV.1986.- Dialectique du moi et de l'inconscient, traduction de Roland Cahen, éd Gallimard,

- KAËS RENÉ et COLL. 2013.- Crise, Rupture Et Dépassement, 2em édition, Collection: Inconscient et Culture, Dunod
- LAGREE, 1982.- des jeunes est des musiques, paris, l'Harmattan
- KLEIN M. 2005.- La psychanalyse des enfants, Petite Bibliothèque Payot.
- LE BON G. 1971.- psychologie des foules, 2eme tirage, paris, PUF.
- LEHALLE HENRI.1988.-Psychologie des adolescents, 2° éd, Paris, P.U.F.
- LEVI-STRAUSS, CLAUDE.1958.- Anthropologie structurale. Paris, Plon
- LIPIANSKI et COLL, 1990, introduction à la problématique de l'identité in CAMILLERI, stratégies identitaires, paris, PUF
- LIPIANSKY, E.M., 1992, identité et communication, paris, PUF.
- MÂLE. PIERRE.1984.- De l'Enfant à l'adulte, œuvres complète, Tome2, Paris, Payot,.
- MARGARET MEAD (trad. Georges Chevasus), Mœurs et sexualité en Océanie, Paris, Terre Humaine, 1963
- MEGHERBI ABDELGHANI. 1986.- Culture et Personnalité Algérienne de Massinissa à nos Jours, Alger, ENL.
- MEMMI ALBERT, 1973, Portrait du colonisé, Paris, Payot,
- MERNISSI F, sexe, idéologie, islam, Tierce, Paris, 1983, p164
- MICHEL.FIZE, Ne m'appellez plus jamais crise:Parler de l'adolescence autrement, éd. Erès, Paris 2003
- MORIN. E, 1980, La Méthode de la vie, Paris, le seuil
- MUCCHIELLI, A. 1986, L'identité, paris, P.U.F,
- OLLIVIER BRUNO, identité et identification, sens, mots et techniques, Lavoisier, Paris, 2007.
- ORIOL .M, 1983, La crise de l'identité comme forme culturelle, in peuples méditerranéens
- OUSSEDIK FATIMA, Femme et fécondité en milieu urbain, CREAD/FNUAP, Alger, 1989
- PAPALIA DIANE, OLDS SALLY, Le développement de la personne, Montréal, Éditions HRW, 1979, p257
- PERRON ROGER, Modèles d'enfants, enfants modèles, Paris, PUF, 1971
- PHILIPPE MALRIEU, 1973, personnalisation chez l'adolescent, in I.MEYERSON. Problème de la personne. Paris, Mouton
- Piaget JEAN, La mission de l'idée, Lausanne, La concorde,1918
- PINEAU. J- CLAUDE, BOUSLIMANI .JAOUED, Adolescentes, adolescents en pratiques sportives, Paris, l'Harmattan, 2001

- RICHARD. CLOUTIER, Psychologie de l'Adolescence, 2eme édition, Montréal Gaëtan Morin, Canada 1996
- RODRIGUEZ-TOME, 1980, H., La dimension temporelle de l'identité, in P. TAP, Identité individuelle et personnalisation, Toulouse ; Privat.
- ROHEIM G, Psychanalyse et anthropologie: Culture - Personnalité - Inconscient, Ed Gallimard, Paris, -BOUCEBCI (M.), Psychiatrie, société et développement, ENAL, Alger, 1978.
- SEBAA. FZ, Adolescence et délinquance en Algérie : le cas de la délinquance juvénile féminine en Algérie, Oran, Dar El Gharb, 2000
- TAP PIERRE, 1992, La société Pygmalion, Dunod, Paris
- TAP PIERRE, identité identification et représentation de sexe tome 1, université de paris, Nanterre.
- TAP.P, 1980, Identités collectives et changements sociaux. Introduction (11-15), Toulouse, Privat
- TEJFEL.H, 1973, la catégorisation sociale in MOSCOVICI. S, introduction à la psychologie sociale T2, Paris .P.U.F
- THIESSE ANNE-MARIE, La création des identités nationales, paris, le Seuil, 1999
- TONY ANATRELLA, Interminable adolescence, les 12-13àans, Paris, Cerf/Cujas, 1993
- TOUALBI .N, 1984, Religion, rites et mutations: psychosociologie du sacré en Algérie, ENAL, Alger
- TOUALBI.N, 2001, l'identité au Maghreb, Ed Casbah, Alger
- TOUALBI.N 2006, L'ordre et le désordre, éd Casbah, Alger
- TOURAINE.A, 1984, Le retour de l'acteur. Essai de sociologie, Paris, Fayard.
- WALLON .HENRI, 1941, L'évolution psychologique de l'enfant, Paris, Colin
- WINNICOTT, 1975, jeu et réalité, l'espace potentiel, Gallimard.
- WINNICOTT, 2006, La mère suffisamment bonne, Petite Bibliothèque Payot
- ZAZZO BIANKA, Psychologie différentielle de l'adolescence : étude de la représentation de soi, Paris, Presses universitaires de France, 1972, p26

الرسائل الجامعية: بالاجنبية:

- FSIAN HOCINE, 2005-2006, identité féminine-identité masculine. À propos des relations hommes/femmes en Algérie, thèse de doctorat d'état en psychologie clinique, université .d'Oran
- KELFAH AMEL, La symbolique de sang dans la culture algérienne à travers les rites initiatique : mariage et circoncision, thèse de magister, université d'Oran, 2009-2010.

المقالات: باللغة العربية:

- الدركزلي ، شذى سلمان، الإنترنت: ثورة المعلومات والثقافة والتعليم، آفاق الثقافة والتراث، العدد 66، 1997م، ص 13- 43.
- حمدوش رشيد، بناء الهوية عند الشباب الجزائري أو ميلاد الهويات الصاعدة، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد 11، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، جوان 2013
- عدوان نواف، حول البث المباشر و سبل مواكبته، مجلة الإذاعات العربية، ع1، تونس 1994ص33
- على المشاط، نظرة في مستقبل الاتصالات، مجلة الموقف الثقافي، م.س.ذ، ص40
- ماري وين، الاطفال و الادمان التلفزيوني، ترجمة عبدالفتاح الصبحي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد 247، جويلية 1999
- مجلة شبكة العلوم النفسية العربية: العدد 25-26 شتاء و ربيع 2010 ص132.

باللغة الفرنسية:

- BERQUE .J, pourquoi chez la femme la crise a éclaté maintenant et pas avant ?, Faiza, Tunis, n56, mars-avril, 1967
- Camilleri.C ? École et problèmes culturels dans le tiers monde décolonise, in l'interculturel, colloque national toulouse/juin 85, tome1, université de toulouse-le mirail
- CUISENIER .J, Endogamie et exogamie dans le mariage arabe, l'homme, paris, mai –aout 1962
- FSIAN HOCINE, l'école algérienne : Enjeux psychiques de la politique d'arabisation et souffrance identitaire in l'école dans un monde en crise coordonné par CLAUDE CARPENTIER, éd l'Harmattan,
- FSIAN HOCINE, 2008.- y'aurait-il une question du père à l'adolescence dans l'éclosion de la violence en Algérie, laboratoire de recherche en psychologie et science de l'éducation, université d'Oran, pp29-30
- GALLAND.O, Adolescence, post-adolescence, jeunesse: retour sur quelques interprétations publié par Revue française de sociologie, Vol. 42, No. 4 (Oct. - Dec., 2001), p 116 in Jstor URL <http://www.jstor.org/stable/3322734>

- HALL STANLEY in Taborda-Simões Maria da Conceição. — L'adolescence, Bulletin de psychologie, Tome 58 (5), N°479, 2005, p. 521-534.
- KOZAKAÏ TOSHIKI, LAURENS STÉPHANE, Le mythe du « lien du sang » : une interprétation psychosociale de l'identité ethnique. in Nouvelle revue de psychosociologie, Edition érès, 2006/2 (no 2)
- MANCO ALTAY.A, Stratégies identitaires quelles valorisation?, in Agora débats/jeunesses, Num24, 2001.
- NOWAK DOMINIKA, Problèmes d'identité, in Ethique et internet sous la direction de Patrick J. Brunet, les presses de l'université laval, Canada,2002
- PRUVOST GENEVIÈVE, « Récit de vie », in Paugam Serge (dir.), *Les 100 mots de la sociologie*, Paris, Presses universitaires de France, coll. « Que Sais-Je ? », pp. 38-39.
- ROUSSEAU.J et ISRAEL.P, Jalons pour une étude métapsychologique de l'adolescence, in l'inconscient, n°6
- SALIM SALMI, ACHOUR AIT MOHAN in Carnet/Psy N°36 Paru le 01-05-1998, Page 23-26
- SBAA RABEH, L'arabisation en Algérie : Une négation de soi ? In: Revue Transeuropéennes-Politiques de la langue N°14-15. Hiver 1998-1999.
- SEBAA. FZ, L'adolescence en question(s), insanyat, Oran, CRASC, décembre 2009
- TAP P (1980), L'identification est-elle une aliénation de l'identité ? sous la direction de TAP, Identité individuelle et personnalisation, Toulouse, Privat, 237-250.
- TAP.P et coll, 1991, La crise d'identité et troubles d'altérité à l'adolescence. Annales de Vaucresson, Vol. 1, no 28, p.13-34
- TOUALBIN, 1986, Changement social et expression du sacré en Algérie, revue Algérienne de psychologie et des sciences de l'éducation, N°2, , p19.
- XAVIER DE LA VEGA, JEAN-FRANÇOIS LYOTARD (1924-1998) - La fin des grands récits, cinq siècle de la pensé française, sciences humaine,num06, octobre-novembre 2007
- ZGHAL .A, système de parenté et système coopératif, revue tunisienne des sciences sociales, Tunis, N 11, octobre 1967.

قواميس:

- الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية، الجوهري، تحقيق عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1987
- André Akoun, Pierre Ansart, Gonzague Raymond, Jean-Louis Schlegel, Le Robert-Dictionnaire de sociologie, Paris, Seuil, 1999.
- Encyclopédie de l'Islam, Paris, Maisonneuve et Larose, SN, 1977.
- LAPLANCHE.J et PONTALIS.J-B, 1968, Vocabulaire de psychanalyse, paris, PUF

الملاحق:

الملحق 1 استقصاء لجمع المعلومات (حول استخدام عينة البحث للوسائل السمعية البصرية):

بين يديك استقصاء حول استخدامك للوسائل السمعية البصرية، يدخل في اطار عمل اكاديمي جامعي،
اجب بكتابة نعم او لا امام السؤال، بكتابة الرقم او بوضع دائرة على الخيار الصحيح (اذا كان هنا
اكثر من خيار رتب بالأرقام حسب الاهمية) وشكرا على تعاونكم:

العمر.....

الجنس:.....

1.شبكة الانترنت:

- هل تتقن استعمال جهاز الكمبيوتر؟(.....)
- هل تبحر في شبكة الانترنت؟(.....)
- من اين تلج الى الانترنت: كمبيوتر PC، لوحة ذكية Tablette tactile، هاتف ذكي Smart phone، مقهى انترنت، تلفزيون ذكي Smart TV
- ما هو عدد استعمالاتك للإنترنت؟ مرة 01 في الاسبوع، 02 اسبوعيا، 03 مرات اسبوعيا، يوميا،
اكثر من مرة في اليوم، طوال اليوم تقريبا.
- كم من الوقت تستغرق عند كل ابحار؟(.....)
- ما هي دوافع استخداماتك للإنترنت؟ رتب بالأرقام حسب الاهمية:
 - البحوث المدرسية
 - الترفيه
 - التواصل الاجتماعي
 - دوافع اخرى اذكرها(.....)

2. الوسائل السمعية البصرية الأخرى:

- هل تتابع برامج التلفزيون؟
- إذا اجبت بنعم، كم من الوقت تقضيه وراء شاشة التلفزيون يوميا؟(.....)
- هل تحب متابعة القنوات: الوطنية، العربية، الغربية (ضع دائرة و رتب حسب الأهمية ان كان

لديك أكثر من خيار)

- هل تفضل مشاهدة التلفزيون وحدك، مع العائلة، مع الأصدقاء؟
- هل لديك جهاز تلفاز خاص بك في غرفة نومك؟(.....)
- هل تفتني الأقراص المضغوطة DVD لمشاهدة البرامج و الأفلام؟(.....)
- هل تتردد على قاعات السينما؟(.....)
- إذا نعم كم من مرة: يوميا، اسبوعيا، شهريا؟
- تذهب وحدك ، مع العائلة، مع الأصدقاء.
- تفضل الذهاب لرؤية فيلم معين او الامر يعتمد على الصدفة؟
- هل تتردد على المسرح؟(.....)
- إذا نعم كم من مرة: يوميا، اسبوعيا، او شهريا
- هل تحب الذهاب وحدك، مع العائلة، مع الأصدقاء.
- تتابع اجندة المسرح او تحضر بعض الاعمال بالصدفة فقط؟

الملحق 2

استبيان مفتوح حول الهوية الثقافية

بين يديك استبيان مفتوح، يهدف الى معرفة رأيك و توجهاتك حول الهوية الجماعية او الثقافية، المطلوب منك ان تسجل وجهة نظرك بأمانة و دون قيود، علما ان تعاونك و ما تقدمه من معلومات لا يستخدم الا لإنجاز بحث أكاديمي جامعي.

العمر.....

الجنس:.....

س1: هل تعتبر نفسك مختلفا عن اي شخص في هذا العالم من حيث الملبس، المأكل و طريقة العيش؟

.....
.....
.....
.....

س2: هل ترى انه من الافضل التمسك بالثقافة المحلية الاصيلة او التساير مع عصنة العالم؟ ما رأيك؟

.....
.....
.....

س3: لو اتاحت لك الفرصة للهجرة هل تستغلها و الى اين تحب تهجر و تستقر؟

.....
.....
.....
.....

Résumé : « l'impact des moyens audio-visuel sur l'identité culturelle des adolescents algériens »

Nous vivons au jour d'aujourd'hui une ère de la mondialisation alimentée et influencée par les moyens audiovisuels de manière très importante, qui rend la recherche dans le domaine interculturel une question urgente sinon primordiale.

Or, la question de l'identité culturelle et son devenir restent posée, surtout dans les circonstances actuelles. Ce qui en fait une variable dépendante. Celle-ci sera liée à une autre variable qui aura un impact sur cette question définie : (les moyens audiovisuels). Nous avons développé cette question par l'étude qualitative d'un échantillon d'adolescents au moyen de la méthode du récit de la vie.

A la fin de ce travail, les conclusions se sont imposées :

Les moyens audiovisuels ont un impact clair réel sur l'identité culturelle des adolescents. de ce fait, la question se pose plutôt en terme d'identification qu'en terme d'identité pour ces adolescents qui s'appuient souvent sur des modèles étrangères qui se pose à leur yeux ; comme les émissions et les produits audiovisuels les plus regardés sont moyen-orientale, occidentale ou asiatique, il est apparu des groupes de jeunes influencés par des modèles contradictoires discriminant le modèle nationale. Les référents des modèles algériennes sont perçus négativement, seule la religion musulmane y échappe.

Mots clés : *Internet - Audiovisuel - Identité culturelle - Adolescence - culture Algérienne- identification.*

Abstract: « impact of audio visual means on the cultural identity of Algerian's adolescents »

Nowadays, we are witnessing the era of globalization that is greatly enriched by audiovisual means. The latter have the ability to penetrate the boundaries of any spot in the world. Therefore, we have considered urgent to do a research in the field of intercultural. We have been preoccupied with the issue of cultural identity and its fate under these circumstances. The cultural identity has been our dependent variable that we have linked to another one; the audio visual means which are assumed to have an impact on the issue.

This study sample has been limited to the category of adolescents. We have subjected it to the qualitative method, relying on life story narration and the analysis of its content. Some of the most important results of this study are the following.

The audiovisual media has a clear impact on the cultural identity of adolescents as they are in the process of searching for cultural identity. The search for this identity requires looking for models. Therefore, the raised question is related to the identification and adaptation to the foreign models that thrive through audiovisual means while the local ones that should be worth of attention and acceptable by the adolescents are absent. This fact leads to a clear difference in the cultural and social fabric in the Algerian society. Besides, the Algerian culture is either seen negatively or totally unseen by these teenagers who express their perceptions by comparing their culture to other ones. It is worth mentioning that the audiovisual means are not the exclusive factor that influences the cultural identity. The Algerian individuals, especially the adolescents, are attached to the diffused audiovisual and foreign subjects since they are looking for an identity. They express a cultural suffering and a fragility that have resulted from a long period of colonization.

Key words : *Internet- Audiovisual- Cultural identity- Adolescence- Algerian culture.*

الملخص: «تأثير الأنترنت و الوسائل السمعية البصرية على الهوية الثقافية للمراهق الجزائري.»

نعيش اليوم عصر العولمة الذي تغديه الوسائل السمعية البصرية بشكل كبير، ذلك لما لها من قدرة على اختراق حدود أي بقعة في هذا العالم. لذلك كان البحث في حقل ما بين الثقافات أمرا ملحا بالنسبة لنا. حيث انشغلنا بمسألة الهوية الثقافية و مآلها تحت هذه الظروف، فكانت هذه الأخيرة متغيرنا التابع، الذي ربطناه بمتغير آخر افترضنا ان يكون له تأثير في هذه المسألة الا وهو الوسائل السمعية البصرية. لقد حددنا عينة الدراسة في فئة المراهقين و التي اخضعناها للمنهج الكيفي، معتمدين على احدي ادواته و المتمثلة في اسلوب سرد قصة الحياة و تحليل مضمونها، حيث خلصت هذه الدراسة في النهاية الى بعض النتائج كان اهمها؛

ان للوسائل السمعية البصرية اثر واضح على الهوية الثقافية عند المراهقين، كونهم في دروة البحث عن الهوية الثقافية و البحث عن الهوية يقتضي البحث عن النماذج، لذلك فالمشكل المطروح في هذه النقطة متعلق بالتقمصات و التماهي مع النماذج الاجنبية التي تزدهر من خلال الوسائل السمعية البصرية، يحدث ذلك في غياب نماذج محلية جديدة بالاهتمام و مقبولة لدى هؤلاء المراهقين، مما يؤدي الى اختلاف واضح في النسيج الاجتماعي و الثقافي الجزائري. كما ان الثقافة الجزائرية ترى بشكل سلبي او لا ترى تماما من طرف هؤلاء المراهقين اللذين يعبرون عن تصوراتهم حولها من خلال مقارنتها بالثقافات الاخرى .

لكن تجدر الاشارة ان الوسائل السمعية البصرية ليست العامل الحصري المؤثر على الهوية الثقافية. كما ان تعلق الفرد الجزائري لاسيما فئة المراهقين منهم بالوسائل السمعية البصرية و المواد الأجنبية التي ثبتها على وجه الخصوص، قد تكون بحثا عن الهوية و تعبيرا عن المعاناة الثقافية التي يعيشها الفرد الجزائري، و المشاشة التي اكتسبها من الفترات الطويلة للاستعمار

الكلمات مفتاحية: *الأنترنت- الوسائل السمعية البصرية- الهوية الثقافية- المراهقة- الثقافة الجزائرية- التقمص*